

الإعجاز
شرح
صحيح مسلم في الحجاج

للشيخ الفاضل
أبي محمد عبد الحميد بن يحيى (المجوري) الشافعي

المجلد العاشر

كتاب الألفاظ من الأدوار إلى آخر كتاب فضائل الصحابة

الإعْجَاجُ
شَرْحُ
صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي الْإِعْجَاجِ



الإِتِّهَاتِج
بِشْرَاحِ
تَرْجِيحِ مُسْتَمَلِّهِ الْجَاهِج

المجلد العاشر

من كتاب اللغات من اللولاب إلى آخر كتاب فضائل الصحابة

للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الجوري (رحمته)



الإلتحاج
شرح
صحيح مسلم في الإلتحاج

المجلد العاشر

من كتاب الألفاظ من الأدوار
في آخر كتاب فضائل الصحابة

للشيخ الفاضل
أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الزكوري

الطبعة الأولى منبذة ومصححة

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م



روابط قنوات فضيلة الشيخ على منصات التواصل:

الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حفظه الله تعالى:

<https://alzokory.com>

✖ A_Alzoukorys

▶ <https://www.youtube.com/channel>

📞 <https://chat.watsapp.com/FglUKZ0nwzr5EYaguQttsz>

📌 https://t.me/A_lzokory

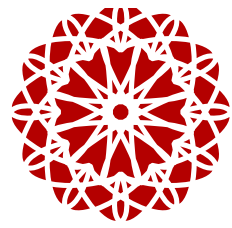
📌 <https://www.facebook.com/649918028352367>

كُتَابُ الْأَلْفَاظِ
مِنْ الْأَدَبِ وَغَيْرِهَا

الْإِتْمَانُ

شَرْحُ

صَحِيحِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ الْأَلْفَاظِ مِنَ الْأَدَبِ وَغَيْرِهَا

هذا الكتاب حقه أن يكون أوسع من هذا، إلا أن الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى اكتفى ببعض الإشارات، وإلا فباب الألفاظ واسع، وقد ذكرت شيئاً مما يتعلق بهذا الباب في مقدمتي على كتاب (معجم المصطلحات العصرية وأثره على الشريعة الإسلامية) وهكذا تكلم الشيخ بكر أبو زيد في كتابه (معجم المناهي اللفظية).

فباب الأدب في الألفاظ كثير، يدخل فيه الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يسمى أو يوصف إلا بما سمى ووصف به نفسه، أو سماه ووصفه به رسوله ﷺ، ولا يدعى إلا بأسمائه الحسنى، ويتوسل بصفات العلا.

وهكذا باب الألفاظ مع النبي ﷺ، فلا يغلو فيه، وقد رد النبي ﷺ على تلك المرأة التي قالت: وفينا رسول الله يعلم ما في غد، أخرج البخاري، ورد النبي ﷺ على وفد بني عامر حين قالوا: يا سيدنا وابن سيدنا قال: «السَّيِّدُ اللَّهُ»^(١)، ورد على من كان يقول: ما شاء الله وشاء محمد، قال: «قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(٢).

وهكذا الآداب في الإيمان، فلا يُقَسَّم إلا بالله أو بصفة من صفاته، فلا يقسم باللات والعزى، ولا يقول أحدهم: أنا بريء من الإسلام، ونحو ذلك.

وهكذا الآداب في باب الألفاظ في البيع والشراء، وفيما يقع بين الناس، فينهى عن السباب والشتام، «يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٦٣٠٧)، عن الشخير بن العلاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٨٣٩)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم: (٢١٦٥).

قال رَحِمَهُ اللهُ:

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٢ - (٢٢٤٦) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي عُمَرَ
قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٨٢٦).

الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

٣ - (٢٢٤٦) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ؛ يَقُولُ: يَا خَبِئَةَ الدَّهْرِ، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَبِئَةَ الدَّهْرِ؛ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ أَقْلَبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا».

٤ - (٢٢٤٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَبِئَةَ الدَّهْرِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ».

٥ - (٢٢٤٦) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ».

(أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح) مصري.

(حرمله بن يحيى) التجيبي مصري.

(ابن وهب) هو عبد الله، مصري.

وقد زل ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ في إثبات اسم الدهر لله عَزَّجَلَّ استدلالاً بهذا الحديث ولم يوافقه أحد من العلماء، فإن لفظ الدهر جامد، وأسماء الله عَزَّجَلَّ تدل على معاني عظيمة، ثم إن الله أخبر: أن الدهر هو الليل والنهار، والذي يقلب الليل والنهار هو الله، فلا يكون المقلب هو المقلب.

والحديث جاء فيما كان عليه أهل الجاهلية من اعتقادهم أن الدهر هو الذي يفنيهم، ولا يؤمنون ببعث ولا نشور، ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [سورة الجاثية: ٢٤]، بينما أهل الإيمان يؤمنون بأن الله عَزَّجَلَّ هو الذي خلقهم، ويميتهم، والذي يبعثهم وينشرهم، في يوم يجازي الناس فيه على أعمالهم.

ومعنى (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ) (وَأَنَا الدَّهْرُ) أي: فاعل النوازل والحوادث، وخالق الكائنات.

وقد جعل الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث وما في بابه في كتاب التوحيد، في النهي عن الألفاظ الشركية.

ثم ليس معنى: (يُؤَذِّنِي ابْنُ آدَمَ) أن الضرر يصل إلى الله، فالله عَزَّوَجَلَّ منزّه عن النقص والعيب، ولكن كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٧]، فنُشِبَ له هذه الصفة أنه يتأذى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أفعال العباد السيئة، المخالفة لدينه وشرعه، وقد جاء في الحديث: «لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى مِنَ اللَّهِ، يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ، وَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ الصَّاحِبَةَ وَالْوَلَدَ»، ورحم الله ابن الوزير إذ يقول:

ما سلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ كَرَاهَةِ تَسْمِيَةِ الْعِنَبِ كَرَمًا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦ - (٢٢٤٧) حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَسْبُ أَحَدُكُمْ الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ: الْكَرَمُ فَإِنَّ الْكَرَمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦١٨٢).

٧ - (٢٢٤٧) حَدَّثَنَا عُمَرُو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا كَرْمٌ، فَإِنَّ الْكَرْمَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ».

٨ - (٢٢٤٧) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ، فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ».

٩ - (٢٢٤٧) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ الْكَرْمَ، فَإِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ».

١٠ - (٢٢٤٧) وَحَدَّثَنَا ابْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ الْكَرْمَ، إِنَّمَا الْكَرْمُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ».

(حجاج بن الشاعر) حجاج بن يوسف الشاعر.

(عبد الرزاق) هو ابن همام الصنعاني، أبو بكر.

(معمر) بن راشد، أبو عروة.

(أيوب) بن أبي تيممة، واسمه كيسان السخيتاني.

(ابن سيرين) محمد، من سبي عين التمر، وعين التمر منطقة بين العراق والشام وكان سبيهم على يد خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كانوا خمسين في كنيسة، فسباهم ودخلوا في الإسلام، وكثير منهم انتفع به الناس، أقبلوا على العلم والتعليم والخير، آل سيرين وحدهم ستة أو نحو ذلك: حمزة، وأروى، ومحمد، وكريمة، وأحمد، وحفصة، كلهم أهل علم.

(وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلْعَيْنِ: الْكَرَمُ) تسميتها الكرم عند كثير من الناس، وربما قالوا: الكروم، ونحو ذلك، لكن هذه التسمية مكروهة بالشرع، فالذين سموه بالكرم سموه على ما كان يتخذونه من الخمر ونحو ذلك، فجاء الشرع بالنهاي عن هذه التسمية. (فَإِنَّ الْكَرَمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ) كريم في صفاته، وكريم في فعالة، وكريم في اعتقاده كما قال الله عزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فَسَمِّيَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ كَرَمًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْهُدَى وَالنُّورِ وَالتَّقْوَى وَالصِّفَاتِ الْمُسْتَحَقَّةِ لِهَذَا الْإِسْمِ. وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ. قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: يُقَالُ: رَجُلٌ كَرَمٌ بِإِسْكَانِ الرَّاءِ، وَامْرَأَةٌ كَرَمٌ، وَرَجُلَانِ كَرَمٌ، وَرَجَالٌ كَرَمٌ، وَامْرَأَتَانِ كَرَمٌ، وَنِسْوَةٌ كَرَمٌ، كُلُّهُ يَفْتَحُ الرَّاءِ وَإِسْكَانُهَا بِمَعْنَى كَرِيمٍ وَكَرِيمَانٍ وَكَرَامٍ وَكَرِيمَاتٍ. اهـ

وفي هذه دلالة على أن المؤمن والمسلم كريم عند الله عزَّجَلَّ، لكن كرامته بقدر استقامته، كلما كان أكثر عبادة أكثر استجابة كان كرمه بحسب ذلك؛ للآية التي تقدمت: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٣]، فكلما ازدادت التقوى زادت الكرامة؛ لأن التقوى تزيد وتنقص، كما أن الإيمان يزيد وينقص.

فالناس يتفاوتون تفاوتاً عظيماً في هذه الكرامة، فكل مسلم كريم، لكن هناك كرماء عظماء يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهناك من هو دونهم، حتى يكون آخر الكرماء من يخرج من النار بعد أن عُذِبَ فيها وهُذِبَ ونُفِيَ، وقد قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: أعظم كرامة دوام الاستقامة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١ - (٢٢٤٨) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ، أَخْبَرَنَا عِيسَى - يَعْنِي ابْنَ يُونُسَ - عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وائِلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: الْكَرَمَ، وَلَكِنْ قُولُوا: الْحَبْلَةُ»، يَعْنِي الْعَنْبَ.

١٢ - (٢٢٤٨) وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ قَالَ: سَمِعْتُ عَلْقَمَةَ بْنَ وائِلٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا الْكَرَمَ، وَلَكِنْ قُولُوا الْعَنْبَ وَالْحَبْلَةَ».

(وَلَكِنْ قُولُوا الْحَبْلَةَ، يَعْنِي الْعَنْبَ) سميت بالحبلّة، أي أنها شجرة العنب.

وهذه الكراهة على التنزيه ليست على التحريم، يعني من باب الإرشاد، من باب اتخاذ الألفاظ الأحسن في هذا الباب، وسيأتي معنا حديث عائشة: «لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي»، مع أن المعنى واحد، لكن لفظ الخبث مستقبح، فيأتي الإنسان بمعنى أحسن وأليق.

فمثلاً: «يصبح خبث النفس كسلان» ما يقال له: كيف أنت؟ يقول: خبيث لا يصلح، ولكن قول مثلاً: كسلان، نفسي كذا، بألفاظ أليق وأحسن.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ حُكْمِ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ الْعَبْدِ وَالْأَمَةِ وَالْمَوْلَى وَالسَّيِّدِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣ - (٢٢٤٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، كُلُّكُمْ عِبِيدُ اللَّهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلَامِي، وَجَارِيَّتِي، وَفَتَايَ، وَفَتَاتِي»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٥٥٢).

١٤ - (٢٢٤٩) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، فَكُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: فَتَايَ، وَلَا يَقُلْ الْعَبْدُ: رَبِّي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: سَيِّدِي».

١٥ - (٢٢٤٩) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَفِي حَدِيثِهِمَا «وَلَا يَقُلْ الْعَبْدُ لِسَيِّدِهِ مَوْلَايَ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ: فَإِنَّ مَوْلَاكُمْ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ».

١٥ - (٢٢٤٩) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ، مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ اسْقِ رَبَّكَ، أَطْعِمِ رَبَّكَ، وَضَيِّ رَبَّكَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: رَبِّي، وَلِيَقُلْ: سَيِّدِي، مَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمْتِي، وَلِيَقُلْ: فَتَايَ، فَتَايَ، غَلَامِي».

وهذا أيضا على الاستحباب، والنهي على الكراهة، وإلا فقد جاءت أحاديث فيها تسمية العبد بهذا الاسم: «إذا نصح العبد لسيده»، إلا أن الأكمل أن لا تقل: عبدي وأمتي، وذلك؛ سدا لذرائع؛ لأن لفظ (عبدي) (أمتي) فيه ذريعة إلى الغلو، وإلى نحو ذلك، فيستخدم الألفاظ التي هي بعيدة عن ذلك، وليقل: غلامي، جاريتي، فتاي، فتاتي.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ ﷺ: (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمْتِي، كُلُّكُمْ عِبِيدُ اللَّهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غَلَامِي وَجَارِيتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي) وَفِي رِوَايَةٍ: (وَلَا يَقُلْ الْعَبْدُ رَبِّي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: سَيِّدِي) وَفِي رِوَايَةٍ: (وَلَا يَقُلْ الْعَبْدُ لِسَيِّدِهِ مَوْلَايَ؛ فَإِنَّ مَوْلَاكُمْ اللَّهُ) وَفِي رِوَايَةٍ (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اسْقِ رَبَّكَ، أَوْ أَطْعِمِ رَبَّكَ، وَضَيِّ رَبَّكَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: رَبِّي، وَلِيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمْتِي، وَلِيَقُلْ: فَتَايَ، فَتَاتِي، غَلَامِي) قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَقْصُودُ الْأَحَادِيثِ شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا نَهْيُ الْمَمْلُوكِ

أَنْ يَقُولَ لِسَيِّدِهِ: رَبِّي؛ لِأَنَّ الرُّبُوبِيَّةَ إِنَّمَا حَقِيقَتُهَا لِلَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمَالِكُ أَوْ الْقَائِمُ بِالشَّيْءِ، وَلَا تُوجَدُ حَقِيقَةُ هَذَا إِلَّا فِي اللَّهِ تَعَالَى.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا أَوْ رَبَّهَا»
فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْحَدِيثَ الثَّانِي لِبَيَانِ الْجَوَازِ، وَأَنَّ النَّهْيَ فِي الْأَوَّلِ لِلْأَدَبِ، وَكَرَاهَةِ التَّنْزِيهِ، لَا لِلتَّخْرِيمِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ النَّهْيَ عَنِ الْإِكْثَارِ مِنْ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ، وَاتِّخَاذِهَا عَادَةً شَائِعَةً، وَلَمْ يَنْهَ عَنْ إِطْلَاقِهَا فِي نَادِرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَاخْتَارَ الْقَاضِي هَذَا الْجَوَابَ.
وَلَا نَهَى فِي قَوْلِ الْمَمْلُوكِ: سَيِّدِي؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لِيُقْلَ سَيِّدِي»، لِأَنَّ لَفْظَةَ السَّيِّدِ غَيْرُ مُخْتَصَّةٍ بِاللَّهِ تَعَالَى اخْتِصَاصَ الرَّبِّ، وَلَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيهِ كَاسْتِعْمَالِهَا، حَتَّى نَقَلَ الْقَاضِي عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ كَرِهَ الدُّعَاءَ بِسَيِّدِي، وَلَمْ يَأْتِ تَسْمِيَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِالسَّيِّدِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا فِي حَدِيثٍ مُتَوَاتِرٍ. اهـ

قد جاء في حديث آحاد، والآحاد تثبت به العقائد، والأحكام وهذا الذي هو القول المقرر عند أهل السنة والجماعة، أما قول المبتدعة لا يلتفت إليه على أن الآحاد لا تثبت به العقائد، لكن النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه عنده تأثر بأهل الكلام.

وقلت في قصيدتي في حجية خبر الآحاد:

فَخُذْ هُدَيْتَ سُنَّةَ الْمُخْتَارِ	مِنْ ثَابِتِ الْمَنْقُولِ وَالْآثَارِ
جَاءَتْ بِذِي الْآحَادِ أَوْ تَوَاتَرَتْ	حُكْمٌ أَكِيدُ عَنْهُ مَا تَأَخَّرَتْ
مَا كَانَ فِي الْأَحْكَامِ وَالْعَقِيدَةِ	لَنَا بِذَا أَدَلَّةٌ سَدِيدَةُ
وَشَرْطُهُ ثُبُوتُهُ إِذَا نُقِلَ	مِنْ غَيْرِ نَسْخٍ خُذْ بِهَذَا لَا تَمَلْ
دَلِيلُهُ فِي الْحُجَرَاتِ جَاءَ	إِنْ جَاءَ فَاسِقٌ بِلَفْظِ قَاءَ
تَثَبَّتُوا يَا مَعْشَرَ الرُّوَاةِ	وَلْتَقَبَّلُوا قَوْلًا لِذِي الثَّقَاتِ

قَوْلُ قَبِيحٍ دُونَمَا رَوِيَّه
مُعْتَزِلِيَّيْ قَالَهَا مَحْدُودَه
سَطَّرَ هَذَا الْقَوْلَ أَعْمَى وَأَصَمَ
نَشَرَهُ خَيَّبَهُ الْعَلِيمُ
وَحِزْبُ تَحْرِيرٍ بِهِذِي الْمَنْزِلَه
قَدْ أَرْسَلَ الْمُخْتَارُ جَمًّا عَلَمًا
وَ دَحِيَّةٌ قَدْ بَلَغَ الْعَنِيدَا
قَدْ نَشَرُوا الْحَقَّ بِلَا اشْتِبَاهِ
فَقَدْ أَبَانَ مِنْهَجَ الْأَبْرَارِ
قَيِّدُ هُدَيْتَ هَذِهِ الصُّيُودَا
قَوْلًا أَكِيدًا بَيْنًا وَمُحْكَمًا
صَوَاعِقُ تَتَرَى بِنَقْلِ قَيْمِ
مُصَنَّفًا وَقَطَعَ الْأَمَانِي
جَزَاهُ رَبِّي بِعَظِيمِ الْبُشْرَى
جَزَاهُ رَبِّي بِجَمِيلِ الْحُلَلِ
مُوَافِقُ لِقَوْلِ ذِي الْإِيمَانِ
عَقِيدَةُ الْأَسْلَافِ قَوْلٌ مُعْتَبَرُ
مُشَارِكًا لِأَهْلِ حَقٍّ وَظَفَرُ
مُحَذَّرًا مِنْ ذِي الطَّرِيقِ الشَّائِكِهِ
قَدْ حَذَّرُوا مِنْ مَسْلِكِ الْفَجَّارِ
سَبِيلَ حَقٍّ لَيْسَ بِالْخِلَافِ

وَالْقَوْلُ بِالتَّفْرِيقِ فِي الْحُجِّيَّه
بَلْ بَدْعَةٌ سَيِّئَةٌ مَرْدُودَه
عَبْدٌ لِرَّحْمَنِ بْنِ كَيْسَانَ الْأَصَمِ
وَابْنُ آلِ عَلِيَّةٍ وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ
ثُمَّ اسْتَقَاهُ مِنْهُمْ الْمُعْتَزِلَه
أَلَيْسَ رُسُلُ اللَّهِ أَحَادٌ كَمَا
مُعَادٌ مِنْهُمْ عَلَّمَ التَّوْحِيدَا
طَائِفَةٌ بِأَمْرِ ذِي الْإِلَهِ
رَاجِعُ هُدَيْتَ سِفَرِ ذِي الْبُخَارِي
وَالشَّافِعِيُّ بَيْنَ الْمَقْصُودَا
وَابْنُ حَزْمٍ قَدْ أَبَانَ وَنَمَا
وَبَسَطَ هَذَا الْقَوْلُ لِابْنِ الْقَيْمِ
فِي عَضْرِنَا قَدْ كَتَبَ الْأَلْبَانِي
عَنْ كُلِّ بَدْعِيٍّ أَرَادَ شَرًّا
وَالْوَادِعِيُّ بَيْنَ الْقَوْلِ الْجَلِيِّ
وَابْنُ بَازٍ عَالِمٌ رَبَّانِي
وَابْنُ الْعُثَيْمِينَ بِهِذَا قَدْ نَصَرَ
وَصَالِحُ الْفُوزَانُ نَجْمٌ قَدْ ظَهَرَ
وَابْنُ الْحَجُورِيِّ إِذْ لَهُ مُشَارَكَه
جَمِيعُ أَهْلِ السُّنَنَةِ الْأَبْرَارِ
فَالْتَزَمُوا مِنْهَاجِ ذِي الْأَسْلَافِ

وَلْتَحَذَرُوا سَبِيلَ كُلِّ الْبِدْعِ طَرِيقَ شَرِّ فَاهْجُرْنَهُ وَدَعِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَامِ أَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ فِي ذَا الْعَامِ
فِي الْخَتْمِ صَلَّى اللَّهُ مَا نَجْمُ ظَهَرَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَمَا الْمُزْنُ انْهَمَرَ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ كَرَاهَةِ قَوْلِ الْإِنْسَانِ: خَبِثَتْ نَفْسِي

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦ - (٢٢٥٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبِثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسْتُ نَفْسِي» ^(١).

هَذَا حَدِيثُ أَبِي كُرَيْبٍ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَذْكُرْ لَكِنْ.

١٦ - (٢٢٥٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

١٧ - (٢٢٥١) وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرَمَلَةُ قَالَا: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: خَبِثَتْ نَفْسِي، وَلِيَقُلْ: لَقِسْتُ نَفْسِي» ^(٢).

المعنى واحد كما تقدم، لكن يتعين اختيار الألفاظ الطيبة، والألفاظ الحسنة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَجَمِيعُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَغَرِيبِ الْحَدِيثِ وَغَيْرُهُمْ: لَقِسْتُ وَخَبِثْتُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا كُرِهَ لَفْظُ الْخُبْثِ لِشَاعَةِ الْإِسْمِ، وَعِلْمِهِمُ الْأَدَبُ فِي الْأَلْفَاظِ وَاسْتِعْمَالِ حَسَنِهَا وَهَجْرَانِ خَبِيثِهَا.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦١٧٩).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦١٨٠).

قَالُوا: وَمَعْنَى لَقِسْتُ: عَثْتُ.

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: مَعْنَاهُ: ضَاقتُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ قَالَ ﷺ فِي الَّذِي يَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ: «فَأَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانٍ» قَالَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ: جَوَابُهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُخْبِرٌ هُنَاكَ عَنْ صِفَةِ غَيْرِهِ، وَعَنْ شَخْصٍ مُبْهَمٍ مَذْمُومٍ الْحَالِ لَا يَمْتَنِعُ إِطْلَاقُ هَذَا اللَّفْظِ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ اسْتِعْمَالِ الْمِسْكِ وَأَنَّهُ أَطْيَبُ الطَّيِّبِ، وَكَرَاهَةُ رَدِّ الرِّيحَانِ وَالطَّيِّبِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨ - (٢٢٥٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنِي خُلَيْدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَصِيرَةً تَمْشِي مَعَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ فَاتَّخَذَتْ رَجُلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ، وَخَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، مُغْلَقٌ مُطْبَقٌ، ثُمَّ حَشَتْهُ مِسْكَاً وَهُوَ أَطْيَبُ الطَّيِّبِ، فَمَرَّتْ بَيْنَ الْمَرَأَتَيْنِ فَلَمْ يَعْرِفُوها، فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا» وَنَفَضَ شُعْبَةُ يَدَهُ.

١٩ - (٢٢٥٢) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ خُلَيْدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَالْمُسْتَمِرِّ قَالَا: سَمِعْنَا أَبَا نَضْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَشَتْ خَاتَمَهَا مِسْكَاً، وَالْمِسْكَ أَطْيَبُ الطَّيِّبِ.

(فَاتَّخَذَتْ رَجُلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ) دليل على فساد في قلبها، تريد التبرج، وتريد إظهار

نفسها لمن يراقبها وينظر إليها، ومن هذا الباب الآن أحذية ما يسمى بالكعب العالي، فهذه النعال مع أنها مضرّة بالعمود الفقري للمرأة، إلا أنها أيضاً مما يسبب الفتنة؛ لأن المرأة حين تمشي بها في الأرض تمشي وهي تنقر، وهكذا فيها تشبه بالكافرين، فهذه النعال من عند اليهود.

ويذكرون أن هذه النعال التي تسمى بالكعب العالي أول من لبسها لويس السادس عشر، كان قصيرا، وأيضا هو أول من لبس الباروك، فقد كان أصلعا، فكثير من الأشياء تأتي من عند الكفار، ويتلقاها المسلمون، نسأل الله السلامة والعافية. لكن لا بد أن يأتي اليوم الذي يظهر فيه الإسلام ظهورا يعز الله فيه أهل الطاعة، هذا أمر لا بد أن يكون، هو وعد الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وأما ما وقع عند العامة: أن دولة اليهود لا تخرج من الشام إلا في زمن المهدي فهذا كلام غير صحيح، بل الأدلة دالة على أن هذه الدولة ستخرج قبل زمن المهدي ربما بسنين عديدة؛ لأن الدجال حين يخرج إنما ينصره يهود أصبهان، ما يخرج معه يهود الشام، وأصبهان في إيران، فكأن الدجال يغزو باليهود بلاد المسلمين، ومنها الشام. فهذا الأمر سيأتي، لكن ما سيأتي على يد رافضة، ولا سيأتي على يد الإخوان المسلمين، لأن الذي أدخل اليهود وأدخل الصليبيين إلى بلاد الإسلام هم الرافضة العبيديون هم الذين سلموا البلاد الإسلامية للنصارى، وإلا قبل ذلك كانت النصارى قد ذهبت حيث ذهبت في أوروبا، وتسלט عليهم المسلمون، وأخذوا جزر البحر الأبيض المتوسط، وما بقيت عليهم إلا بقايا، ثم لما تولى هؤلاء الزنادقة المنافقون أخمدوا المسلمين، وسيطر الصليبيون على الجزر، التي في البحر الأبيض المتوسط، وقتلوا المسلمين، وسبواهم، وباعوهم، وقهروا من قهروا حتى ارتدوا عن الإسلام. ثم قدموا إلى بلاد الشام، فأخذوا بيروت، وأخذوا عكة، وأخذوا بيت المقدس، حتى جاء الله **عَزَّوَجَلَّ** بصلاح الدين وحرره بعد أن حاربهم، وكسر قرونها.

فهؤلاء يمكن أن يتنازلوا عن كل شيء مقابل أن تهزم أو تضرب السنة فواهم واهم من يظن أن النصر على اليهود سيأتي من إيران، فإن دولة الرفض في إيران بذرة صهيونية يهودية.

قال شيخ الإسلام: وَكَانَ مِنْ دِينِهِ قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِي خَالَفْتُمُوهُمْ فِيهِ، فَإِنَّهُ ظَاهِرٌ عَلَيْكُمْ بِالْحُجَّةِ وَالسَّنَنِ، كَظُهُورِ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَلَمْ يَظْهَرْ دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ قَطُّ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَدْيَانِ إِلَّا بِأَهْلِ السُّنَّةِ، كَمَا ظَهَرَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ظُهُورًا لَمْ يَحْصُلْ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَدْيَانِ.

وَعَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ أَنَّهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَمِنْ سَادَاتِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، فَلَمْ يَظْهَرْ فِي خِلَافَتِهِ دِينُ الْإِسْلَامِ، بَلْ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ أَهْلِهِ، وَطَمَعَ فِيهِمْ عَدُوُّهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ بِالشَّامِ وَالْمَشْرِقِ، وَأَمَّا بَعْدَ عَلِيٍّ فَلَمْ يُعْرِفْ أَهْلُ عِلْمٍ وَدِينٍ وَلَا أَهْلُ يَدٍ وَسَيْفٍ نَصَرَ اللَّهَ بِهِمُ الْإِسْلَامَ إِلَّا أَهْلُ السُّنَّةِ، وَأَمَّا الرَّافِضَةُ فِيمَا أَنَّ تَعَاوُنَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، وَإِمَّا أَنَّ تُمَسِكَ عَنْ نَصْرِ الطَّائِفَتَيْنِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْكُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَيُبَيِّنُ مَنْ عَادَاهُمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، كَمَا يَحْكُمُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ^(١).

رأيت كلمة لبعض العراقيين، كأنه عامي أتى بكلمة طيبة قال: ما حرركم يا أهل العراق من الفرس إلا عمر ومن سار على نهج عمر، يعني معناه لا يمكن أن تتحرروا من رق العبودية لإيران إلا إذا كنتم على منهج أهل السنة والجماعة، وإلا كما كان أجدادكم عبيدا للفرس ستبقون في عبوديتكم للفرس، هذا هو الكلام الصواب.

يقول: إيران عندها خلافات سياسية مع إسرائيل، هذه خلافات في ظاهر الخطاب السياسي، يعني أنه: يسمح لك أن تتكلم فيه، وتقول: سأفعل وسأصنع، لكن انظر إلى لقاءات اليهود مع الإيرانيين المعتمدين، يلتقون في كثير من المحافل، وينصر بعضهم بعضاً.

فما زالت إيران تخدم إسرائيل وإسرائيل تخدم إيران في زمن الشاه فضلا عن زمن الخميني الذي رُبي في فرنسا، ما كان لهم أن يردوا الخميني من فرنسا لإزالة الشاه، مع أن الشاه كان عميلا من أشد العملاء لإسرائيل، وقد فعلت مخابرات الشاه في نساء ورجال المسلمين بتواطؤ مع الموساد الإسرائيلي ما لم يفعل، كانوا يعذبون النساء بالسجارة في أثدائهن وفي بطورهن وفروجهن، وهكذا يفعلون الأفاعيل القبيحة.

ثم لما ثار الشعب على الشاه الرافضي وما حصل منه جاؤوا برافضي في قميص آخر، أسوء من الأول، وهناك فضائح، إنما الناس ينسون، مثل فضيحة اسمها (ووتر جيت) أو كذا، في زمن ريجن، وُجد أن إسرائيل تنقل أسلحة إلى إيران، إنما بعض الطائرات حصل عليها ضرر فاضطرت أن تهبط في بعض البلدان، فإذا بها طائرة إسرائيلية جائية إلى إيران محملة بالأسلحة.

لا تكونوا سُذَّج، هؤلاء كلهم حرب على المسلمين السنة، أمريكا دخلت العراق وسلمت المسلمين السنة لإيران وللحشود الشيعية قتلوهم، سلموا اليمن للرافضة، من أجل وأد أهل السنة، سلموا سوريا لبشار أسد العلوي النصيري، مع أن في القانون السوري: أن لا يكون رئيس إلا سني، ومع ذلك وضعوا هذا الخبيث على أنه سني وهو يذبح في المسلمين.

فالرافضة عملاء لليهود والنصارى، ويقومون بدور اليهود والنصارى، بل وأسوأ من اليهود والنصارى في ذبح السنة، إنما التاريخ ما وجد من يبينه ويجليه، وإلا منذ الغزو الأمريكي للعراق إلى الآن كم قد ذبح من السنة؟ البصرة التي كانت في يوم من الأيام بلد سنة الآن بلد رافضي، فمن اسمه عمر يقتل فيها دون أي سبب، حتى ولو كنت على أي عقيدة.

(فَقَالَتْ يَبْدَهَا هَكَذَا) من أجل أن تعرف بنفسها، وينظرون إليها، ويتغزلون بها مومسات فاسقات، إلا من رحم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ويوافق هذا الحديث: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ لِيُوجَدَ رِيحُهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ»^(١).
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠ - (٢٢٥٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، كِلَاهُمَا عَنِ الْمُقْرِئِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِئُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَرَضَ عَلَيْهِ رِيحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ؛ فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمُولِ، طَيِّبُ الرِّيحِ».

(فَلَا يَرُدُّهُ) وهذا على الاستحباب لا الوجوب.

وفي الحديث استحباب التطيب والتنظف والحرص على ما يكون من رائحة الإنسان.

وفي سنن أبي داود (من عرض عليه الطيب فلا يرده) ورجح الحافظ هذه الرواية على رواية مسلم.

وله شاهد من فعل رسول الله ﷺ عن أنس بن مالك كان رسول الله ﷺ لا يرد الطيب، أخرجه البخاري.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢١ - (٢٢٥٤) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ وَأَبُو طَاهِرٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عِيسَى، قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي مَخْرَمَةُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا اسْتَجَمَرَ اسْتَجَمَرَ بِالْأُلُوَّةِ غَيْرَ مُطَرَّاةٍ، وَبِكَافُورٍ يَطْرَحُهُ مَعَ الْأُلُوَّةِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا كَانَ يَسْتَجِمِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

في رواية مخرمة عن أبيه كلام، لكنها وجادة، والوجادة معمول بها عند الجماهير.

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: (٤١٧٣)، والترمذي حديث رقم: (٢٩٩٣)، وأحمد حديث رقم: (١٩٥٧٨)، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(اسْتَجْمَرَ) أي تبخر، بالبخور.

(بِالْأَلُوَّةِ): هو العود يُتَبَخَّرُ به.

(غَيْرُ مُطَرَّاةٍ) أي: غير مخلوطة بغيرها من الطيب.

(وَبِكَافُورٍ يَطْرَحُهُ مَعَ الْأَلُوَّةِ) الكافور نفاذ، يزيل الروائح الكريهة المستقبحة.

وفيه استخدام البخور، واستخدام الطيب، ونحو ذلك من العلوم التي تضمنها هذا

الباب، والله المستعان.

قال النووي (١٥ / ١٠): ففي هذا الحديث استحباب الطيب للرجال كما هو مستحب

للنساء لكن يستحب للرجال من الطيب ما ظهر ريحه وخفي لونه وأما المرأة فإذا

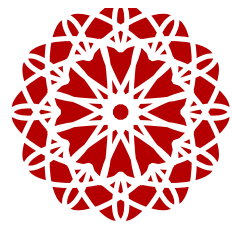
أرادت الخروج إلى المسجد أو غيره كره لها كل طيب له ريح ويتأكد استحبابه للرجال

يوم الجمعة والعيد عند حضور مجامع المسلمين ومجالس الذكر والعلم وعند إرادته

معاشرة زوجته ونحو ذلك والله أعلم. اهـ

تم بحمد الله كتاب الأدب.



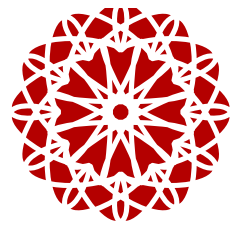


كتاب الشعر

الإعجاز

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ الشُّعْرِ

الشعر حسنه حسن، وقبيحه قبيح، وتجد أن أكثرهم يقول: أعذبه أكذبه والصحيح أن أعذبه أصدق.

وقد كان النبي ﷺ يسمع الشعر ولا يقوله، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا عَلَّمْتَهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [سورة يس: ٦٩]، حتى ذكر بعض أهل العلم: أنه كان ربما قرأ الأبيات الشعرية على خلاف سياقتها، وما جاء في قوله: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» قيل: هذا ليس بشعر، ثم إن البيت والبيتين لا يسمى عند العرب بشعر.

ومع ذلك أمر حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة بهجاء المشركين، كما سيأتي معنا في كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليه، وأخبر أنه: «أشد عليهم من النبل».

والشعر منه المدح، ومنه الهجاء، ومنه العلم، كم من الفنون نظمها الشعراء، وهو أسلس وأيسر في الحفظ من المنثور، وإن كان المنثور أسهل في الإتيان به.

وقد ذم الله عز وجل الشعراء: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، واستثنى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ [سورة الشعراء: ٢٢٧]، وإلا فإن كثيرا من الشعراء يخرجون عن الاعتدال، إما بغلو، وإما بجفاء وشطط، الغلو في المحبوبات، والجفاء والشطط في المبغوضات.

وقد اشتهر العرب بالشعر اشتهارا عظيما، حتى علقت عدة قصائد في الكعبة، وكانوا يسمونها: بالمعلقات، وهي: معلقة لعنترة، ومعلقة لطرفة ابن العبد، ومعلقة لزهير بن أبي سلمى، ومعلقة لعمر بن كلثوم، ومعلقة للنابغة، ومعلقة للبيد، ومعلقة امرؤ

القيس وللحارث بن حزة والأعشى الأكبر، وعبيد بن الأبرص، وعدة معلقات، ربما كتبوها بماء الذهب، وعلقوها في الكعبة.

وكان العرب يتناقلون أنسابهم وتاريخهم بالشعر، وكانوا لا يدونونه إنما كانوا يحفظونه، وقد استفاد علماء العربية جداً من شعر العرب الجاهلي والذي كان في مبدئ الإسلام، إذ أنه كان على اللغة العربية الفصيحة لا المولدة، ولذلك تجد أن كثيراً من أشعارهم تستخدم في شواهد اللغة، وفي باب البلاغة، وباب الصرف، وغير ذلك من أبواب اللغة العربية.

وأما ما يسمى ببحور الشعر إنما جاءت متأخرة، يذكرون أن الخليل بن أحمد هو الذي جاء بهذه الأوزان، وبلغت خمسة عشر بحراً، وأيسره وأسهله الرَّجَز.

وقد يتعلم الإنسان قوانين هذه البحور ولا يحسن الشعر، وقد يكون شاعراً ولا يحسن دراسة الوزن، فهو موهبة من الله، كم من شاعر لا يحسن وزن ما يأتي به من الشعر وكم من وزان للشعر لا يحسن أن يأتي بيت واحد!

لكن إن اجتمع في الشاعر الاستقامة أولاً، بحيث تكون أشعاره موافقة للشرع وكان أيضاً ممن يحسن وزن الشعر هذا أمر طيب.

والذي لا يحسن الوزن عليه أن يقرأ البيت الشعري مرتين ثلاثاً ويظهر له إذا فيه زحاف ونحو ذلك من الأمور.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١ - (٢٢٥٥) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَدَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمِّهِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْءٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «هَيْه!» فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هَيْه!»، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا فَقَالَ: «هَيْه!»، حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ.

١ - (٢٢٥٥) وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ - أَوْ يَعْقُوبَ بْنِ عَاصِمٍ - عَنِ الشَّرِيدِ قَالَ: أَرَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ، فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

١ - (٢٢٥٥) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطَّائِفِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «اسْتَنْشَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ، وَزَادَ قَالَ: «إِنْ كَادَ لَيْسَلِمُ»، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: «فَلَقَدْ كَادَ لَيْسَلِمَ فِي شِعْرِهِ».

(عن أبيه) الشريد بن سويد، صحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(رَدِفْتُ) أي: ركب خلف النبي ﷺ على دابة، في الغالب الحمار أو البغل، وقد يكون على الفرس، لكن في النادر، وعلى البعير أيضا.

(أُمِّيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ) هذا كان في جاهليته أشعاره في التوحيد، وفي التذكير بالجنة والنار، والبعث والنشور، لكن حين بُعث محمد ﷺ أبى الدخول في الإسلام، منعه الكبر، قيل له في ذلك قال: لا تعيرني نساء ثقيف أي اتبعت غلام عبد المطلب، أو نحو ذلك.

وهذا دليل على أن الهداية والتوفيق من الله عَزَّجَلَّ، فانظر إلى أهل جاهلية جهلاء، كانوا لا يؤمنون ببعث ولا نشور، ولا بجنة ولا بنار، حين سمعوا الوحي دخلوا في الإسلام، وإلى رجل كان يؤمن بجنة ونار، ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل في التوحيد:

وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ مَاءً ثَقِيلًا
فَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقِيلًا

بل في شعر أمية بن أبي الصلت ما دل عليه حديث أبي ذر: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ

الشمس؟» وأنها يوشك أن تطلع من المغرب، ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [سورة

يس: ٣٨] ذكر في وصف سجود الشمس، وفيما يتعلق بذلك، وفي شعره ما يدل على علو الله على عرشه:

رَجُلٌ وَثُورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ»، وَقَالَ:
وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ
تَأْبَى فَمَا تَطْلُعُ لَنَا فِي رَسُولِهَا
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ»^(١).

قال ابن كثير: وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ: وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانُوا ثَمَانِيَةً ^(٢).

وكلاهما من زمن الجاهلية، إلا أن عمرو وُفق للتوحيد، وهذا مات على الكفر والتنديد.

(حَتَّى أَنْشُدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ) والرسول ﷺ يسمع شعر أُمَيَّة بن أَبِي الصَّلْت، ويشني على مائة بيت من شعره، بل قال: «إِنْ كَادَ لَيْسَلِمَ»، وفي رواية: «فَلَقَدْ كَادَ يُسَلِّمُ فِي شِعْرِهِ»، مائة بيت في التوحيد، والعقيدة الصحيحة، ولكن الهداية من الله.

وهنا أبيات معزوة إلى ابن أبي الصلت:

لَكَ الْحَمْدُ وَالنِّعْمَاءُ وَالْمُلْكُ رَبَّنَا
مَلِكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مَهِيْمُنٌ
عَلَيْهِ حِجَابُ النُّورِ وَالنُّورُ حَوْلُهُ
فَلَا بَصَرَ يَسْمُو إِلَيْهِ بِطَرَفِهِ
وَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ جَدًّا وَأَمَّجَدُ
لِعِزَّتِهِ تَضْوِي الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ
وَأَنْهَارُ نَوْرٍ فَوْقَهُ تَتَوَقَّدُ
وَدُونَ حِجَابِ النُّورِ خَلَقَ مُؤَيَّدُ

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢٣١٤)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(۲) (تفسیر ابن کثیر) (۷ / ۱۳۰).

وأعناقهم فوق السماوات تسجد
بكفيه لولا الله كلوا وبلدوا
فرائصهم من شدة الخوف ترعد
مصيخون بالأسماع للوحي ركذ
وميكال ذو الروح القوي المسدد
قيام عليها بالمقاليد رصد
ومن دونهم جند كثيف مجند
كروية منهم ركوع وسجد
يعظم ربا فوقه ويمجد
يردد آلاء الإله ويحمد
يكاد بذكر ربه يتفصد
ولا هو من طول التعبد يحمد
وذو الغيب والأرواح كل معبد
ملائكة تنحط فيها وتقصد
ملائكة بالأمر فيها تردد
ومن هو فوق العرش فرد موحد
وإن لم يفرد العباد يفرد
وليس بشيء عن هواه تأود
ولم يك مولودا بذلك أشهد
ولا والد ذو العرش أم كيف يولد
إماء له طوعا جميعا وأعبد

ملائكة أقدامهم تحت أرضه
فمن حامل إحدى قوائم عرشه
قيام على الأقدام عانوت تحته
وبسط صفوف ينظرون قضاءه
أميناه روح القدس جبريل فيهم
وحراس أبواب السماوات دونهم
فنعم العباد المصطفون لأمره
ملائكة لا يفتروا عن عبادة
فساجدهم لا يرفع الدهر رأسه
وراعهم يحنوله الظهر خاشعا
ومنهم ملف في جناحيه رأسه
من الخوف لا ذو سامة من عبادة
وساكن أقطار بأرجاء مصعد
ودون كثيف الماء في غامض الهوا
وبين طباق الأرض تحت بطونها
فسبحان من لا يقدر الخلق قدره
ومن لم ينازعه الخلائق ملكه
ملك السماوات الشداد وأرضها
وسبحان ربي خالق النور لم يلد
وسبحانه من كل إفك وباطل
هو الله باري الخلق والخلق كلهم

هو الصمد الحي الذي لم يكن له
وأنى يكون الخلق كالخالق الذي
وليس بمخلوق على الدهر جده
ويبقى ولا يبقى سوى القاهر الذي
تسبحه الطير الحوائج في الخفا
ومن خوف ربي سبح الرعد فوقنا
إلى غير ذلك مما ذكره في هذه الأبيات الجميلة، لكن ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾

[سورة فصلت: ٤٦].

٢ - (٢٢٥٦) حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، جَمِيعًا عَنْ شَرِيكَ، قَالَ ابْنُ حُجْرٍ: أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَشْعُرُ كَلِمَةً تَكَلَّمْتُ بِهَا الْعَرَبُ كَلِمَةً لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ»^(١).

٣ - (٢٢٥٦) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ، وَكَأَدَ أُمِّيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسَلِمَ».

٤ - (٢٢٥٦) وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَهُ الشَّاعِرُ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ، وَكَأَدَ ابْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسَلِمَ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٨٤١).

٥ - (٢٢٥٦) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَصْدَقُ بَيِّتٍ قَالَتْهُ الشُّعْرَاءُ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ».

٦ - (٢٢٥٦) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَاءَ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَصْدَقَ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ»، مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ.

(لبيد) بن ربيعة.

عاش عمرا طويلا حتى قال في شعره:

الحمد لله إن لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا
(أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ) وفي هذه: وكل نعيم لا محالة زائل فلطمه عثمان

بن مظعون في ذلك الوقت، قال له: إلا نعيم الجنة، فإنه لا يزول.

وهذا مدح من النبي ﷺ لشعر لبيد، عاش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى سئم الحياة، لكن هنيئا

عاش حتى وفقه الله للإسلام والتوحيد، قاله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس: كيف لبيد؟

يستدل به في الشعر على قول: هذا الناس.

وقبل أيام أسترالي بلغ عمره مائة وأربع سنوات، وذهب يودع أبناءه وأصحابه،
يرحل إلى سويسرا من أجل يعطوه إبرة الرحمة، لو كان مسلما موحدا ما بحث عن إبرة
الرحمة، بل هذه إبرة العذاب والجحيم، يقتل نفسه، وإذا مات على الشرك في عذاب
مؤبد، نسأل الله السلامة والعافية.

فأهل الإسلام يفرحون بزيادة العمر في طاعة الله، وهؤلاء يبحثون عن الموت ما عندهم ثقة في الله، ولا عندهم إيمان يبعث ونشور، فلذلك يظنون أنهم يتخلصون من الأمراض والأسقام والأحوال التي تلحق الهرم.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٧ - (٢٢٥٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ يَمْتَلِيَ جَوْفُ الرَّجُلِ قَيْحًا يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَ شَعْرًا»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِلَّا أَنْ حَفْصًا لَمْ يَقُلْ يَرِيهِ ^(١).

(خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَ شَعْرًا) فيه ذم الشعر، لكن يحمل على ذم الشعر الذي ليس نصرا للإسلام والمسلمين، أو ذم الشعر الذي هو في الخنا والسفور والفجور، ووصف الخدود والقُدود، ونحو ذلك، مثل شعر امرئ القيس الذي فيه:

أَفَاطِمُ، مَهْلًا، بَعْضَ هَذَا التَّدَلِّ
وَأَنْتِ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتَ صَرْمِي
أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ جَبَّكَ قَاتِلِي
وَأَنْتِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ
فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعِ
فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُعِيلِ
إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ
بِشَقٍّ وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ

وهكذا الشكري في شعره:

ولقد دخلت على الفتاة
فدفعتها فتدافعت
ولثمتها فتنفست
الخدر في اليوم المطير
مشي القطاة إلى الغدير
كتنفس الظبي الغرير

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦١٥٥).

فدنت وقالت ما بجسمك يا منخل من حرور
 ما شف جسمي غير حبك فاهدأي عني وسيري
 وأحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري
 مع أنه لم يلقها، ولم يقع منه ما وصف في القصيدة، ولكن حين شبب بها جعل أبوها
 يبحث عنه حتى وجدته وقتله.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ وَالْغَرِيبِ: **(يَرِيه)** بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ مِنَ
 الْوَرِي، وَهُوَ دَاءٌ يُفْسِدُ الْجَوْفَ. اهـ

يعني في الرئة، يعني: لأن يمتلئ جوفه قيحا في رثته حتى يموت منه خير من أن يمتلئ
 شعراً سيئاً يفسد عليه العقيدة، يفسد عليه التوحيد الذي هو فيه، مثل الشعر الذي فيه
 الكفر والزندقة، كشعر أصحاب وحدة الوجود، كَمَا قَالَ ابْنُ الْفَارِضِ فِي قَصِيدَتِهِ: الَّتِي
 نَظَمَهَا عَلَى مَذْهَبِهِمْ وَسَمَّاها نَظْمَ السُّلُوكِ:

إِلَيَّ رَسُولًا كُنْتُ مِنْ مِرْسَلًا وَذَاتِي بِأَيَاتِي عَلَيَّ اسْتَدَلَّتْ
 وَمَضْمُونُهَا: هُوَ الْقَوْلُ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ وَهُوَ مَذْهَبُ ابْنِ عَرَبِيٍّ وَابْنِ سَبْعِينَ وَأَمْثَالِهِمْ
 كَمَا قَالَ:

لَهَا صَلَوَاتِي بِالْمَقَامِ أَقِيمُهَا وَأَشْهَدُ فِيهَا أَنَّهَا لِي صَلَّتْ
 كَلَانَا مُصَلٍّ عَابِدٌ سَاجِدٌ إِلَيَّ حَقِيقَتُهُ بِالْجَمْعِ فِي كُلِّ سَجْدَةٍ
 وَمَا كَانَ لِي صَلَّى سِوَايَ فَلَمْ تَكُنْ صَلَاتِي لِغَيْرِي فِي أَدَاءِ كُلِّ رَكْعَةٍ
 إِلَى قَوْلِهِ:

وَمَا زِلْتُ إِيَّاهَا وَإِيَّايَ لَمْ تَزَلْ وَلَا فَرَقَ؛ بَلْ ذَاتِي لِذَاتِي أَحَبَّتْ
 فلأن يمتلئ جوفك قيحا أهون من أن يمتلئ شعراً لا فائدة فيه، أما أن يمتلئ بشعر
 العقيدة الصحيحة، والتوحيد الخالص، والفقه الصحيح، والشعر الذي فيه نصره
 الإسلام والمسلمين والشعر الحسن الذي فيه حكمة، فأمر طيب.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٨ - (٢٢٥٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَأَنْ يَمْتَلِيَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَ شِعْرًا».

٩ - (٢٢٥٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ يَحْنَسَ مَوْلَى مُضْعَبِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْعَرَجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذُوا الشَّيْطَانَ أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ، لَأَنْ يَمْتَلِيَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَ شِعْرًا».

(بِالْعَرَجِ) منطقة وبلد، يقول: قَرْيَةٌ جَامِعَةٌ مِنْ عَمَلِ الْفُرْعِ عَلَى نَحْوِ ثَمَانِيَةٍ وَسَبْعِينَ مِيلًا مِنَ الْمَدِينَةِ. اهـ

لعله كان في شعره ما لا يحمد، وإلا فالشعر الحسن كان يعجب النبي ﷺ، بل إنه أذن لحسان بن ثابت أن ينشد الشعر في المسجد، ولذلك لما أنكر عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على حسان بن ثابت إنشاد الشعر في المسجد قال: أنشدته وفي المسجد من هو خير منك، يعني رسول الله ﷺ، ولي رسالة مختصرة في بيان الشعر في الأحاديث النبوية، والله الحمد.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ تَحْرِيمِ اللَّعِبِ بِالنَّرْدِشِيرِ

ويدخل فيه الشطرنج، والضمنة، والكيرم، وهكذا الباصرة، كل هذه الألعاب داخلة في النردشير، في الألعاب المحرمة، ومتعاطيها كمن صبغ يده في لحم خنزير ودمه، وهذا دليل على حرمتها، ودليل على سوء متعاطيها.

وأشوأ ما يكون في الشيوخ، يعني أن تجد شيخا كبير السن قد رق عظمه وافر بصره وكل سمعه ومع ذلك يتعاطى هذه الألعاب، لا سيما الذين قد دخلوا في العسكرة، إلا أن يشاء الله، تجده كبير السن لأنه كان يقضي وقته كله في الشطرنج، في الضمنة، في الكيرم، في هذه الأشياء، فإذا تقاعد أو كبر يعود إليها.

الواجب على جميع المسلمين أن يتقوا الله **عَزَّجَلَّ** ويقبلوا على ما ينفعهم، لا سيما مع كبر السن، يجب على المسلم أن يكون طائعا لله في صغره، فكيف بكبره؟ ما بقي بينه وبين الموت إلا الشيء اليسير، ومع ذلك يبقى مع هذه الألعاب، ربما يسمر إلى آخر الليل وهو في هذه الأشياء، نسأل الله السلامة والعافية.

وتجد قسوة قلوب عند هؤلاء، إذا سمع القرآن أو المحاضرة أو الدرس يؤذيه الصوت الذي يسمعه، بينما يبقى مع هذه الأشياء يتعاطاها بانشرح صدر، انشرح مؤقت من الشيطان، وإلا فهي من أسباب قسوة القلوب.

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

١٠ - (٢٢٦٠) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ».

قال النووي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: النَّرْدِشِيرُ هُوَ النَّرْدُ، فَالنَّرْدُ عَجَمِيٌّ مُعَرَّبٌ وَ(شِيرٌ) مَعْنَاهُ حُلْوٌ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ حُجَّةٌ لِلشَّافِعِيِّ وَالْجُمْهُورِ فِي تَحْرِيمِ اللَّعِبِ بِالنَّرْدِ. وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْمُرُوزِيُّ مِنْ أَصْحَابِنَا: يُكْرَهُ وَلَا يَحْرُمُ^(١).

(١) الصحيح أنه حرام.

وَأَمَّا الشُّطْرُنُجُ فَمَذْهَبُنَا أَنَّهُ مَكْرُوهٌ وَلَيْسَ بِحَرَامٍ^(١)، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ
التَّابِعِينَ، وَقَالَ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ: حَرَامٌ، قَالَ مَالِكٌ: هُوَ شَرٌّ مِنَ النَّرْدِ، وَاللَّهُ عَنِ الْخَيْرِ،
وَقَاسُوهُ عَلَى النَّرْدِ، وَأَصْحَابُنَا يَمْنَعُونَ الْقِيَّاسَ، وَيَقُولُونَ: هُوَ دُونَهُ. اهـ
الصحيح أنه منه وأسوأ منه، فإذا تعلق به الإنسان ربما ما يستطيع أن يخرج منه إلا
بعد فترة ومجاهدة.

كان الانتهاء والابتداء بهذا الكتاب في الرابع والعشرين من ربيع الأول لعام خمسة
وأربعين وأربعمائة وألف، والحمد لله رب العالمين.



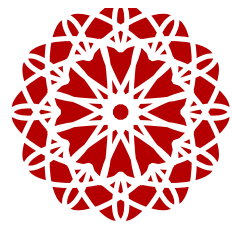
(١) هذا قول النووي، والصحيح أنه حرام.

كتاب الرؤيا

الإعجاز

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ الرُّؤْيَا

أي بعض آداب الرؤيا، وما يتعلق بها.
وسياقي أنها جزء من النبوة، «جزء من خمسة وعشرين جزء»، وجاء «من خمسة وأربعين جزء»، بل جاء «جزء من خمسة وسبعين جزء من النبوة»، وذلك أن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا كانت مثل فلق الصبح.

وما يراه الإنسان في منامه ثلاث أشياء:

الأول: رؤية من الله.

والثاني: حلم من الشيطان.

والثالث: حديث نفس يكون منه، فيراه في المنام.

والتي تجري عليها الأحكام هي الرؤيا من حيث تفسيرها والاستبشار بها، وأما الحلم الذي هو من الشيطان فيستعيز الإنسان منه ومن الشيطان، وينفث عن يساره ولا يحدث به أحدا، ولا يضره إن شاء الله.

والرؤيا للمؤمن تسره ولا تضره، فيستبشر بها، ويرجو خيرها، وإذا رؤي له رؤيا فيها نذارة يكون فيها دعوة له إلى توبة، أو إلى مبادرة وطاعة، ونحو ذلك.

ثم إن الرؤى يختلف تفسيرها من حيث الرائي والذي رثيت له، بل ربما من حيث الزمن، وربما من حيث المكان، إلى غير ذلك مما يعلمه من له شأن بتأويل الرؤيا.

وربما تكون الرؤيا في حق رجل دلالة على الصلاح وفي حق آخر دلالة على الطلاح، وفي حق آخر دلالة على الفرح والسرور، وتكون في حق آخر دلالة على الحزن، فلها

أحكامها، والكلام فيها كثير، إلا أن المؤمن يستبشر بها، والنبى ﷺ كان إذا أصبح سأل: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» فإذا حدث برؤيا صالحة انشرح ﷺ.

وصحة الرؤيا تحتاج الى صدق الرائي وصدق المؤول، فإذا اجتمع صدق الرائي وصدق المؤول إن شاء الله تصير صادقة؛ لأن النبى ﷺ يقول: «أصدقكم حديثاً أصدقكم رؤياً».

وقد جاء أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت إذا أرادت المبيت والنوم قالت: اللهم أسألك رؤيا صالحة، بل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعا الله عَزَّوَجَلَّ برؤيا، فرأى في الأولى: أن رجلين أخذوا بضبعيه يقودانه إلى النار، وآخر يقول له: لن تراع، إنك لست من أهلها، ثم رأى مرة أخرى: كأنه في الجنة، وفي يده قطعة من إستبرق، يسرح من الجنة حيث شاء. وأما رؤيا الأموات فيقولون: هي على ما يُرى، إذا رأيته في حالة حسنة فهو في حالة حسنة، وإذا رأيته في حالة سيئة فهو فيها، ويحتاج إلى استغفار، وصدقة، ودعاء ومسامحة، مثلاً: يُرى وهو يطلب ماء، أو يطلب طعاماً، أو أنه جائع، أو أن ثيابه متسخة أو نحو ذلك، قد يحتاج إلى شيء من ذلك، وإذا رأيته بحالة حسنة ووجه طيب هو كذلك بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد يقع تفسير الرؤيا في الرؤيا، ويقولون: هذا التفسير غالباً ما يكون صواباً أحياناً ترى رؤيا ثم في نفس الرؤيا كأنك لقيت معبراً فأولتها عنده، فأولها لك. وأما من حيث الوقوع فقد تقع رؤيا الليل وقد تقع رؤيا النهار، فقد رأى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في قيلولة: أن النبى ﷺ يتبع دم الحسين ووضعه في قارورة، فقام، فحسبت فإذا به قد قُتل حسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذلك اليوم.

وبعض الرؤى تحمل عدة دلالات، مثل رؤيا النبى ﷺ في غزوة أحد، رأى بقرراً تذبح، ورأى سيفه ثُلِمَ في رأسه، ورأى عدة رؤى، ثم أولها ﷺ بأن: البقر التي تذبح ما كان من قتلى المسلمين، وأن الثلثة التي في سيفه رجل من أهل بيته، وقال: «والله خير».

وعلى المعبر أن يفسر الرؤيا على أعدل ما يكون، فإن الرؤيا على جناح طائر، ولذلك يعرضها على من يحب، وتفسر على أحسن الأوجه ما وجد لها محملا إلى الخير، قال ابن الوردي **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

وإن ترى الطنبور وسط المسجد فأول المسجد واترك الردي يعني قد ترى رؤيا لرجل كلها صالحة، ويكون في الرؤيا بعض الأشياء القبيحة فاترك هذا الأمر المستقبح، لا تقوله ولا تدخله في التفسير، فمثلا: المسجد علامة على الأمان، علامة على الطاعة، علامة على الخير، والطنبور الذي هو الطبل أو نحو ذلك لا تفسره، اتركه، والقاعدة: أن المؤمن الرؤيا تسره ولا تضره.

ولا يجوز لك أن تسيء الظن بالمسلم وتحمل عليه بمجرد رؤيا رأيتها، قد ترى مستقيما كأنه يستخدم دخانا، أو يلبس بنطلونا ضيقا، أو حالق لحية، أو نحو ذلك من الرؤى التي قد تقع، وعند التفسير ربما هذه الرؤى جميعها في حق المستقيم إما دالة على مرض، أو على شدة، أو على سجن، أو نحو ذلك مما يقع بالإنسان، والله المستعان.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا (الرُّؤْيَا) فَمَقْصُورَةٌ مَهْمُوزَةٌ، وَيَجُوزُ تَرْكُ هَمْزِهَا كَنَظَائِرِهَا.

قَالَ الْإِمَامُ الْمَازِرِيُّ: مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي حَقِيقَةِ الرُّؤْيَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْلُقُ فِي قَلْبِ النَّائِمِ اعْتِقَادَاتٍ كَمَا يَخْلُقُهَا فِي قَلْبِ الْيَقْظَانِ، وَهُوَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لَا يَمْنَعُهُ نَوْمٌ وَلَا يَقْظَةٌ، فَإِذَا خَلَقَ هَذِهِ الْإِعْتِقَادَاتِ فَكَأَنَّهُ جَعَلَهَا عِلْمًا عَلَى أُمُورٍ أُخَرٍ يَخْلُقُهَا فِي ثَانِي الْحَالِ، أَوْ كَانَ قَدْ خَلَقَهَا.

فَإِذَا خَلَقَ فِي قَلْبِ النَّائِمِ الطَّيْرَانَ، وَلَيْسَ بِطَائِرٍ، فَأَكْثَرُ مَا فِيهِ أَنَّهُ اعْتَقَدَ أَمْرًا عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الْإِعْتِقَادُ عِلْمًا عَلَى غَيْرِهِ، كَمَا يَكُونُ خَلْقُ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الْغَيْمِ عِلْمًا عَلَى الْمَطَرِ، وَالْجَمِيعُ خَلْقُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنْ يَخْلُقُ الرُّؤْيَا وَالْإِعْتِقَادَاتِ الَّتِي

جَعَلَهَا عِلْمًا عَلَى مَا يَسَّرَ بَعِيرِ حَضْرَةِ الشَّيْطَانِ، وَيَخْلُقُ مَا هُوَ عَلِمَ عَلَى مَا يَصُرُّ بِحَضْرَةِ الشَّيْطَانِ، فَيَنْسَبُ إِلَى الشَّيْطَانِ مَجَازًا لِحُضُورِهِ عِنْدَهَا، وَإِنْ كَانَ لَا فِعْلَ لَهُ حَقِيقَةً، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ»، لَا عَلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ يَفْعَلُ شَيْئًا.

اهـ

لكن قد يأتي الشيطان إلى الإنسان ويخوفه ويقلقه، ويريد أن يشغله.
وأما مسألة «جزء من خمسة وأربعين جزء» «جزء من أربعين جزء» فقد اختلفت عبارات الشراح في ذلك.

قَالَ الْقَاضِي: أَشَارَ الطَّبْرِيُّ إِلَى أَنَّ هَذَا الْإِخْتِلَافَ رَاجِعٌ إِلَى اخْتِلَافِ حَالِ الرَّائِي، فَالْمُؤْمِنُ الصَّالِحُ تَكُونُ رُؤْيَاهُ جُزْءًا مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا، وَالْفَاسِقُ جُزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، وَقِيلَ: الْمُرَادُ أَنَّ الْخَفِيَّ مِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ، وَالْجَلِيُّ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ.
قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَقَامَ ﷺ يُوْحَى إِلَيْهِ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، مِنْهَا عَشْرُ سِنِينَ بِالْمَدِينَةِ، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ بِمَكَّةَ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ يَرَى فِي الْمَنَامِ الْوَحْيَ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا.

قَالَ الْمَازِرِيُّ: وَقِيلَ: الْمُرَادُ أَنَّ لِلْمَنَامَاتِ شَبَهَا مِمَّا حَصَلَ لَهُ وَمَيَّزَ بِهِ النُّبُوَّةَ بِجُزْءٍ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا.

قَالَ: وَقَدْ قَدَحَ بَعْضُهُمْ فِي الْأَوَّلِ بِأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ أَنَّ أَمَدَ رُؤْيَا ﷺ قَبْلَ النُّبُوَّةِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَبِأَنَّهُ رَأَى بَعْدَ النُّبُوَّةِ مَنَامَاتٍ كَثِيرَةً، فَلْتَضَمَّ إِلَى الْأَشْهُرِ السَّتَّةِ، حِينَئِذٍ تَتَغَيَّرُ النُّسْبَةُ.

قَالَ الْمَازِرِيُّ: هَذَا الْإِعْتِرَاضُ الثَّانِي بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ الْمَنَامَاتِ الْمَوْجُودَةَ بَعْدَ الْوَحْيِ بِإِرْسَالِ الْمَلَكِ مُنْعَمَةٌ فِي الْوَحْيِ، فَلَمْ تُحَسَّبْ.

قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ الْمَنَامَ فِيهِ إِخْبَارُ الْغَيْبِ، وَهُوَ إِحْدَى ثَمَرَاتِ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ لَيْسَ فِي حَدِّ النُّبُوَّةِ؛ لِأَنَّ يَجُوزُ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا لِيُشَرِّعَ الشَّرَائِعَ، وَيُبَيِّنَ الْأَحْكَامَ، وَلَا يُخْبِرُ بِغَيْبٍ أَبَدًا، وَلَا يَقْدَحُ ذَلِكَ فِي نُبُوَّتِهِ، وَلَا يُؤَثِّرُ فِي مَقْصُودِهَا. اهـ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

١ - (٢٢٦١) حَدَّثَنَا عُمَرُو النَّاقِدُ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا أُعْرَى مِنْهَا غَيْرَ أَنِّي لَا أَزْمَلُ، حَتَّى لَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَوَذَّ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»^(١).

١ - (٢٢٦١) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى آلِ طَلْحَةَ وَعَبْدَ رَبِّهِ وَيَحْيَى ابْنِي سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِهِمْ قَوْلَ أَبِي سَلَمَةَ: كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا أُعْرَى مِنْهَا غَيْرَ أَنِّي لَا أَزْمَلُ.

١ - (٢٢٦١) وَحَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ. (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِمَا أُعْرَى مِنْهَا، وَزَادَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ: «فَلْيَبْصُقْ عَلَى يَسَارِهِ حِينَ يَهُبُّ مِنْ نَوْمِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».

٢ - (٢٢٦١) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ بِلَالٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢٩٢).

يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ».

فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنْ جَبَلٍ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ بِهِذَا الْحَدِيثِ فَمَا أَبَالِيَهَا.

٢ - (٢٢٦١) وَحَدَّثَنَا هُثَيْبٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، يَعْنِي الثَّقَفِيَّ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، كُلُّهُمْ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَفِي حَدِيثِ الثَّقَفِيِّ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَإِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ وَابْنِ نُمَيْرٍ قَوْلُ أَبِي سَلَمَةَ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَزَادَ ابْنُ رُمْحٍ فِي رَوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ: «وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ».

٣ - (٢٢٦١) وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ وَالرُّؤْيَا السَّوْءُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا فَكَّرَهُ مِنْهَا شَيْئًا فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ لَا تَضُرَّهُ وَلَا يُخْبِرُ بِهَا أَحَدًا، فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُشِيرْ وَلَا يُخْبِرْ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ».

٤ - (٢٢٦١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَادٍ الْبَاهِلِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا تُمَرِّضُنِي، قَالَ: فَلَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ فَقَالَ: وَأَنَا كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا فَتُمَرِّضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ».

٥ - (٢٢٦٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ رُمَحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ».

(أَعْرَى مِنْهَا) يعني: يخاف منها، يفرع منها.

(أَبَا قَتَادَةَ) الحارث بن ربيعي.

عدة سنن يستطيع أن يأتي بها من رأى الرؤيا المخيفة التي تخوفها لاتقاء شرها ولدفع ضررها.

الأولى: لا يحدث بها أحداً.

الثانية: ينفث عن يساره ثلاثاً.

الثالثة: أن يستعيز بالله من شرها.

الرابعة: أن يستعيز بالله من الشيطان.

الخامسة: أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه.

السادسة: زد على ذلك الصلاة، إن قام يصلي دفع الله ﷻ شرها، وجاءه خيرها بإذن الله ﷻ.

(إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنْ جَبَلٍ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَمَا أَبَالِيهَا) نعم الإنسان إذا اعتقد أن الأمر إلى الله ﷻ ما سيأتي، أما إذا جلس يظن أن كل رؤيا لا بد أن تقع على الوجه الذي رآه فيبقى خائفا وجلا، ربما يرى أنه قُتل، أو أنه يسعى في قتله، وربما يرى أنه انحرف، فيبقى خائفا وجلا.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦ - (٢٢٦٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكُ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذُوبٌ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيَصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ».

قَالَ: «وَأَحَبُّ الْقَيْدِ، وَأَكْرَهُ الْغُلِّ، وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ»، فَلَا أَذْرِي هُوَ فِي الْحَدِيثِ أَمْ قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ ^(١).

٦ - (٢٢٦٣) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَيُعْجِبُنِي الْقَيْدُ وَأَكْرَهُ الْغُلَّ، وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ».

٦ - (٢٢٦٣) حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ وَهْشَامٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ» وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ النَّبِيَّ ﷺ.

٦ - (٢٢٦٣) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَدْرَجَ فِي الْحَدِيثِ قَوْلَهُ وَأَكْرَهُ الْغُلَّ إِلَى تَمَامِ الْكَلَامِ، وَلَمْ يَذْكُرْ: «الرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٩٨٨).

(في آخر الزمان لم تَكْذُرُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ)؛ لأنه صادق في قيله، وصادق في اعتقاده، وصادق في فعله، ولهذا تصدق رؤياه.

(فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ) وفي الحديث: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» وقد تقدم عن ابن عباس.

(وَأُحِبُّ الْقَيْدَ، وَأَكْرَهُ الْغُلَّ) أي في الرؤيا، وذلك لحسن تعبير القيد، وسوء تأويل الغل.

(وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ) فالغل: القيد إلى عند العنق، هذا يدل على شدة وعلى ضيقة، بينما إذا رأى القيد في رجله أو القيد في يده هذا ثبات في الدين.

إذاً بمجموع هذه الأحاديث ظهر لنا عدة سنن:

الأولى: الاستعاذة بالله من شرها.

الثانية: النفث عن يساره ثلاثاً.

الثالثة: التحول عن جنبه.

الرابعة: الصلاة.

الخامسة: أن لا يحدث بها أحداً.

السادسة: الاستعاذة من الشيطان.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧ - (٢٢٦٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَأَبُو دَاوُدَ، (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، كُلُّهُمَّ عَنْ شُعْبَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ» ^(١).

٧ - (٢٢٦٤) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ.

٨ - (٢٢٦٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ» ^(٢).

٨ - (٢٢٦٣) وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْخَلِيلِ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُؤْيَا الْمُسْلِمِ يَرَاهَا أَوْ تَرَى لَهُ» وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مُسْهِرٍ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ».

٨ - (٢٢٦٣) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رُؤْيَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ».

٨ - (٢٢٦٣) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ يَعْنِي ابْنَ الْمُبَارَكِ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ يَعْنِي ابْنَ شَدَّادٍ، كِلَاهُمَا عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

٨ - (٢٢٦٣) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِيهِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٩٨٣).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٩٨٨).

٩ - (٢٢٦٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَا جَمِيعًا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ».

٩ - (٢٢٦٥) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بِهِذَا الْإِسْنَادِ.

٩ - (٢٢٦٥) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ وَابْنُ رُمَح، عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، أَخْبَرَنَا الضَّحَّاكُ، يَعْنِي ابْنَ عُثْمَانَ، كِلَاهُمَا عَنْ نَافِعٍ بِهِذَا الْإِسْنَادِ، وَفِي حَدِيثِ اللَّيْثِ قَالَ نَافِعٌ: حَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: «جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ».

فالرؤيا التي هي خمسة وعشرين جزءا من النبوة أصدق من التي هي عبارة عن سبعين جزءا، وكأنها والله أعلم تختلف أيضا بحال الرائي وحال من رؤيت له. وأحيانا الرؤيا يكون تفسيرها في يومها، وأحيانا في شهرها، وأحيانا في سنتها، وأحيانا تحتاج إلى عمر طويل، انظر إلى الرؤيا التي رآها الملك ﷺ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَعْبٌ عَجَافٌ [سورة يوسف: ٤٣]، استمرت سبع سنوات، يزرعون ويفعلون كثيرا من الأمور، ثم بعد ذلك جاءت السنوات العجاف التي أكلت ما قد زرعوا وما قد جمعوا، ويذكرون أن رؤيا يوسف وقعت بعد أربعين سنة، والله أعلم.

قال الحافظ في "فتح الباري" (١٢ / ٣٦٢): قوله الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح هذا يقيد ما أطلق في غير الرواية كقوله رؤيا المؤمن جزء ولم يقيدها بكونها حسنة ولا بأن رائيها صالح ووقع في حديث أبي سعيد الرؤيا الصالحة وهو تفسير المراد بالحسنة هنا قال المهلب المراد غالب رؤيا الصالحين وإلا فالصالح قد يرى الأضغاث ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منهم بخلاف عكسهم فإن الصدق فيها نادر لغلبة تسلط الشيطان عليهم قال فالناس على هذا ثلاث درجات الأنبياء ورؤياهم كلها

صدق وقد يقع فيها ما يحتاج إلى تعبير والصالحون والأغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير ومن عداهم يقع في رؤياهم الصدق والأضغاث وهي على ثلاثة أقسام مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم وفسقة والغالب على رؤياهم الأضغاث ويقل فيها الصدق وكفار ويندر في رؤياهم الصدق جدا ويشير إلى ذلك قوله ﷺ وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وستأتي الإشارة إليه في باب القيد في المنام إن شاء الله تعالى وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما في رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه السلام ورؤيا ملكهما وغير ذلك وقال القاضي أبو بكر بن العربي رؤيا المؤمن الصالح هي التي تنسب إلى أجزاء النبوة ومعنى صلاحها استقامتها وانتظامها قال وعندى أن رؤيا الفاسق لا تعد في أجزاء النبوة وقيل تعد من أقصى الأجزاء وأما رؤيا الكافر فلا تعد أصلا وقال القرطبي المسلم الصادق الصالح هو الذي يناسب حاله حال الأنبياء فأكرم بنوع مما أكرم به الأنبياء وهو الاطلاع على الغيب وأما الكافر والفاسق والمخلط فلا ولو صدقت رؤياهم أحيانا فذاك كما قد يصدق الكذوب وليس كل من حدث عن غيب يكون خبره من أجزاء النبوة كالكاهن والمنجم وقوله من الرجل ذكر للغالب فلا مفهوم له فان المرأة الصالحة كذلك قاله بن عبد البر قوله جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة كذا وقع في أكثر الأحاديث ولمسلم من حديث أبي هريرة جزء من خمسة وأربعين أخرجه من طريق أيوب عن محمد بن سيرين عنه وسيأتي للمصنف من طريق عوف عن محمد بلفظ ستة كالجادة ووقع عند مسلم أيضا من حديث بن عمر جزء من سبعين جزءا وكذا أخرجه بن أبي شيبه عن بن مسعود موقوفا وأخرجه الطبراني من وجه آخر عنه مرفوعا وله من وجه آخر عنه جزء من ستة وسبعين وسندها ضعيف وأخرجه بن أبي شيبه أيضا من رواية حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة موقوفا كذلك وأخرجه أحمد مرفوعا لكن أخرجه مسلم من رواية الأعمش

عن أبي صالح كالجادة ولا بن ماجه مثل حديث بن عمر مرفوعا وسنده لين وعند أحمد والبخاري عن بن عباس بمثله وسنده جيد وأخرج بن عبد البر من طريق عبد العزيز بن المختار عن ثابت عن أنس مرفوعا جزء من ستة وعشرين والمحفوظ من هذا الوجه كالجادة وسيأتي للبخاري قريبا ومثله لمسلم من رواية شعبة عن ثابت وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبري في تهذيب الآثار من طريق الأعرج عن سليمان بن عريب بمهملة وزن عظيم عن أبي هريرة كالجادة قال سليمان فذكرته لابن عباس فقال جزء من خمسين فقلت له أني سمعت أبا هريرة فقال بن عباس فإني سمعت العباس بن عبد المطلب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول الرؤيا الصالحة من المؤمن جزء من خمسين جزءا من النبوة وللترمذي والطبري من حديث أبي رزين العقيلي جزء من أربعين وأخرجه الترمذي من وجه آخر كالجادة وأخرجه الطبري من وجه آخر عن بن عباس أربعين وللطبري من حديث عبادة جزء من أربعة وأربعين والمحفوظ عن عبادة كالجادة كما سيأتي بعد باب وأخرج الطبري وأحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص جزء من تسعة وأربعين وذكره القرطبي في المفهم بلفظ سبعة بتقديم السين فحصلنا من هذه الروايات على عشرة أوجه أقلها جزء من ستة وعشرين وأكثرها من ستة وسبعين وبين ذلك أربعين وأربعة وأربعين وخمسة وأربعين وستة وأربعين وسبعة وأربعين وتسعة وأربعين وخمسين وسبعين أصحابها مطلقا الأول ويليه السبعين ووقع في شرح النووي وفي رواية عبادة أربعة وعشرين وفي رواية بن عمر ستة وعشرين وهاتان الروايتان لا أعرف من أخرجهما إلا أن بعضهم نسب رواية بن عمر هذه لتخريج الطبري ووقع في كلام بن أبي جمرة أنه ورد بالفاظ مختلفة فذكر بعض ما تقدم وزاد في رواية اثنين وسبعين وفي أخرى اثنين وأربعين وفي أخرى سبعة وعشرين وفي أخرى خمسة وعشرين فبلغت على هذا خمسة عشر لفظا وقد استشكل كون الرؤيا جزءا من النبوة مع أن النبوة انقطعت بموت النبي ﷺ فقليل

في الجواب إن وقعت الرؤيا من النبي ﷺ فهي جزء من أجزاء النبوة حقيقة وإن وقعت من غير النبي فهي جزء من أجزاء النبوة على سبيل المجاز وقال الخطابي قيل معناه أن الرؤيا تجيء على موافقة النبوة لا أنها جزء باق من النبوة وقيل المعنى أنها جزء من علم النبوة لأن النبوة وإن انقطعت فعلمها باق وتعقب بقول مالك فيما حكاه بن عبد البر أنه سئل أيبر الرؤيا كل أحد فقال أبالنبوة يلعب ثم قال الرؤيا جزء من النبوة فلا يلعب بالنبوة والجواب أنه لم يرد أنها نبوة باقية وإنما أراد أنها لما أشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغي أن يتكلم فيها بغير علم وقال بن بطال كون الرؤيا جزءا من أجزاء النبوة مما يستعظم ولو كانت جزءا من ألف جزء فيمكن أن يقال إن لفظ النبوة مأخوذ من الإنباء وهو الإعلام لغة فعلى هذا فالمعنى أن الرؤيا خبر صادق من الله لا كذب فيه كما أن معنى النبوة نبأ صادق من الله لا يجوز عليه الكذب فشابهت الرؤيا النبوة في صدق الخبر وقال المازري يحتمل أن يراد بالنبوة في هذا الحديث الخبر بالغيب لا غير وإن كان يتبع ذلك إنذار أو تبشير فالخبر بالغيب أحد ثمرات النبوة وهو غير مقصود لذاته لأنه يصح أن يبعث نبي يقرر الشرع ويبين الأحكام وإن لم يخبر في طول عمره بغيب ولا يكون ذلك قادحا في نبوته ولا مبطلا للمقصود منها والخبر بالغيب من النبي لا يكون إلا صدقا ولا يقع إلا حقا وأما خصوص العدد فهو مما أطلع الله عليه نبيه لأنه يعلم من حقائق النبوة ما لا يعلمه اعتذار مقبول ويمكن الجواب عن اختلاف الأعداد أنه وقع بحسب الوقت الذي حدث فيه النبي ﷺ بذلك كان يكون لما أكمل ثلاث عشرة سنة بعد مجيء الوحي إليه حدث بأن الرؤيا جزء من ستة وعشرين إن ثبت الخبر بذلك وذلك وقت الهجرة ولما أكمل عشرين حدث بأربعين ولما أكمل اثنين وعشرين حدث بأربعة وأربعين بعدها بخمسة وأربعين ثم حدث بستة وأربعين في آخر حياته وأما ما عدا ذلك من الرؤيات بعد الأربعين فضعيف ورواية الخمسين يحتمل أن تكون لجبر الكسر ورواية

السبعين للمبالغة وما عدا ذلك لم يثبت وهذه مناسبة لم أر من تعرض لها ووقع في بعض الشروح مناسبة للسبعين ظاهرة التكلف وهي أنه ﷺ قال في الحديث الذي أخرجه أحمد وغيره أنا بشارة عيسى ودعوة إبراهيم ورأت أمي نورا فهذه ثلاثة أشياء تضرب في مدة نبوته وهي ثلاثة وعشرون سنة تضاف إلى أصل الرؤيا فتبلغ سبعين قلت ويبقى في أصل المناسبة إشكال آخر وهو أن المتبادر من الحديث إرادة تعظيم رؤيا المؤمن الصالح والمناسبة المذكورة تقتضي قصر الخبر على صورة ما اتفق لنبينا ﷺ كأنه قيل كانت المدة التي أوحى الله إلى نبينا فيها في المنام جزءا من ستة وأربعين جزءا من المدة التي أوحى الله إليه فيها في اليقظة ولا يلزم من ذلك أن كل رؤيا لكل صالح تكون كذلك ويؤيد إرادة التعميم الحديث الذي ذكره الخطابي في الهدي والسمت فإنه ليس خاصا بنبوة نبينا ﷺ أصلا وقد أنكر الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة التأويل المذكور فقال ليس فيه كبير فائدة ولا ينبغي أن يحمل كلام المؤيد بالفصاحة والبلاغة على هذا المعنى ولعل قائله أراد أن يجعل بين النبوة والرؤيا نوع مناسبة فقط ويعكر عليه الاختلاف في عدد الأجزاء. اهـ

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى»

قال الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ:

١٠ - (٢٢٦٦) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْعَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ وَهْشَامٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي» ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١١٠).

١١ - (٢٢٦٦) وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرَمْلَةُ قَالَا: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، أَوْ لَكَائِمًا رَأَى فِي الْيَقَظَةِ، لَا يَتِمُّ الشَّيْطَانُ بِي».

١١ - (٢٢٦٧) وَقَالَ: فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ».

١١ - (٢٢٦٧) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنَا عَمِّي، فَذَكَرَ الْحَدِيثَيْنِ جَمِيعًا بِإِسْنَادَيْهِمَا سَوَاءً مِثْلَ حَدِيثِ يُونُسَ.

١٢ - (٢٢٦٨) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ رُمَحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَأَى، إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتِمَّ فِي صُورَتِي»، وَقَالَ: «إِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ فَلَا يُخْبِرْ أَحَدًا بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي الْمَنَامِ».

١٣ - (٢٢٦٨) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَشَبَّهُ بِي».

قال النووي رحمه الله: اختلف العلماء في معنى قوله ﷺ: «فَقَدْ رَأَى» فقال ابنُ الباقِلَانِي: معناه أَنَّ رُؤْيَاهُ صَحِيحَةٌ لَيْسَتْ بِأَضْغَاثٍ، وَلَا مِنْ تَشْبِيهَاتِ الشَّيْطَانِ، وَيُؤَيِّدُ قَوْلَهُ رِوَايَةُ: «فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ» أَيِ الرُّؤْيَا الصَّحِيحَةِ.

قال: وَقَدْ يَرَاهُ الرَّائِي عَلَى خِلَافِ صِفَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ، كَمَا رَأَاهُ أَبِيصُ اللَّحِيَةِ. وَقَدْ يَرَاهُ شَخْصَانِ فِي زَمَنِ وَاحِدٍ أَحَدُهُمَا فِي الْمَشْرِقِ وَالْآخَرُ فِي الْمَغْرِبِ، وَيَرَاهُ مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ.

وَحَكَى الْمَازِرِي هَذَا عَنِ ابْنِ الْبِقَاعِ، ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْحَدِيثُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَالْمُرَادُ أَنَّ مَنْ رَأَاهُ فَقَدْ أَذْرَكَهُ، وَلَا مَانِعَ يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ، وَالْعَقْلُ لَا يُحِيلُهُ حَتَّى يَضْطَرَّ إِلَى صَرْفِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ^(١).

فَأَمَّا قَوْلُهُ: بِأَنَّهُ قَدْ يُرَى عَلَى خِلَافِ صِفَتِهِ، أَوْ فِي مَكَانَيْنِ مَعًا فَإِنَّ ذَلِكَ غَلَطٌ فِي صِفَاتِهِ، وَتَخِيلُ لَهَا عَلَى خِلَافِ مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَقَدْ يَظُنُّ الظَّانُّ بَعْضَ الْخِيَالاتِ مَرِيئًا لِكُونَ مَا يَتَخِيلُ مُرْتَبِطًا بِمَا يَرَى فِي الْعَادَةِ فَيَكُونُ ذَاتُهُ ﷺ مَرِيئًا، وَصِفَاتُهُ مُتَخَيَّلَةً غَيْرَ مَرِيئَةٍ، وَالْإِدْرَاكُ لَا يُشْتَرَطُ فِيهِ تَحْدِيقُ الْأَبْصَارِ، وَلَا قُرْبُ الْمَسَافَةِ، وَلَا كَوْنُ الْمَرِيئِ مَدْفُونًا فِي الْأَرْضِ، وَلَا ظَاهِرًا عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا يُشْتَرَطُ كَوْنُهُ مُوجُودًا، وَلَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَى فَنَاءِ جَسَمِهِ ﷺ. اهـ

هذا كلام ليس له داعي، أصلاً لا أحد يقول: بأنه إذا رآه في المنام أنه قام من قبره أو خرج من قبره، إنما رآه بصفاته التي جعلها الله له، وعلم بها: ليس بالطويل ولا بالقصير، ووجهه أبيض كالقمر، وإن شئت كالسيف، وهكذا لحيته كاثمة، ليست بالطويلة الضاربة إلى سرتة وليست بالقصيرة أو الخفيفة، فقد كانوا يعرفون قراءته باضطراب لحيته، وهكذا لباسه إلى نصف الساق، ويلبس الرداء والإزار، ونحو ذلك مما كان عليه من جميل الصفات، وعظيم الهيئات.

أو معنى (فَسِيرَانِي فِي الْبِقَاعَةِ): يوم القيامة يراه كما رآه في الدنيا على حقيقته. ثم إن لرؤيا النبي ﷺ تأويلاً يعلمه أهل التأويل، فتكون دلالة على الخير، دلالة على الثبات، دلالة على السنة، إلى غير ذلك مما تؤول به الرؤى.

(١) يعني من رآه في المنام بصفته كأنما رآه في اليقظة؛ لأن الشيطان لا يتمثل به، أما إذا كان على غير صفته فليس برؤية للنبي ﷺ.

قال رحمه الله:

بَابُ: لَا يُخْبِرُ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي الْمَنَامِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٤ - (٢٢٦٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ رُمَحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي حَلَمْتُ أَنَّ رَأْسِي قُطِعَ فَأَنَا أَتْبَعُهُ، فزجره النبي ﷺ وقال: «**لَا تُخْبِرُ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي الْمَنَامِ**».

١٥ - (٢٢٦٨) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي ضُرِبَ فَتَدَخَّرَجَ، فَاسْتَدَدْتُ عَلَى أَثَرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلأَعْرَابِيِّ: «**لَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي مَنَامِكَ**».

وَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: «لَا يُحَدِّثَنَّ أَحَدُكُمْ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي مَنَامِهِ».

١٦ - (٢٢٦٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قُطِعَ، قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «**إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ فَلَا يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ**».

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: «**إِذَا لَعِبَ بِأَحَدِكُمْ**»، وَلَمْ يَذْكُرِ الشَّيْطَانَ.

وما أكثر من يحدث بهذا الأمر الذي يراه في منامه من تلاعبات الشياطين، نسأل الله السلامة والعافية، فعلى الإنسان إن كان من تلاعب الشيطان لا يحدث به أحدا وإن كان

رؤيا من الله لا يحدث إلا من يحب، وإن كان من حديث النفس لا يلتفت إليه، ولا يشغل نفسه به.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ: فِي تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا

وليُعلم أن المؤول قد يصيب وقد يخطأ، قد يعلم وقد يجهل، وتفسير الرؤى ليس كالفتوى الشرعية، الفتوى الشرعية شأنها واحد، ما حكم تحية المسجد؟ إما أن يكون ممن يرى الوجوب فيقول: واجبة، والدليل: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ»، وإما أن يقول: مستحبة؛ لأن النبي ﷺ قد قال: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ».

لكن الرؤيا تختلف، ذكر أن رجلا جاء إلى ابن سيرين فقال: رأيت أني أؤذن فقال: تحج إن شاء الله، ثم جاء آخر فقال: رأيت أني أؤذن، فقال: تسرق وتفضح، يعني أخذها بدلالة الحال وقرينة الرائي، وهكذا رب إنسان يرى أنه حصل على مال فيفسرها المفسر بأنها فتنة في حقه، وربما يرى الآخر نفس الرؤيا فيفسرها بحصول خير، كما قال النبي ﷺ «نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ».

وهكذا أحدهم يرى أنه يدخن، فيأتي إلى المفسر فيؤولها له بتفسير مثلا: خروج كلام قبيح منه، أو شر يحصل منه، أو يعمل عملا يفضح به، والآخر يقول له: لعلك تمر بمرض، أو يحصل عليك ضرر، ونحو ذلك.

فالشاهد أن الفقه في باب الرؤيا ليس شأنه بالسهل، ولذلك تجد أن المؤولين تختلف تأويلاتهم في الشتاء والصيف، وفي الأشخاص، وفي الصفات، إلى غير ذلك.

مثلا: امرأة رأت أنها حائض، قد تطلق وقد تحمل بولد، على تفسير من فسر الحيض بأنه الضحك، على أن سارة بُشرت بالولد حين ضحكت أي: حاضت.

المهم أن هذا الباب باب دقيق، ينبغي أن لا يخوض فيه من لا يحسنه، وإذا كان لا يحسن يقول: الله أعلم، ولا يتكلم بما لا يعلم.

والمفسر لا يجزم بأن تفسيرها لا بد أن يكون كذا، والله أعلم، يعني يقول: إن صدقت الرؤيا وصدق التعبير فلعلها تكون كذا.

وذكروا: أن الرؤيا قد يتخلف تأويلها إلى أربعين سنة، وأكثر من أربعين لا يوجد والله أعلم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧ - (٢٢٦٩) حَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، عَنِ الزُّبَيْدِيِّ، أَخْبَرَنِي الرَّهْرِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَوْ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، (ح) ١٧ - (٢٢٦٩) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرَى اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطِفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا بِأَيْدِيهِمْ فَالْمُسْتَكْفِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَأَرَى سَبَبًا وَاصِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ بِهِ، ثُمَّ وُصِلَ لَهُ فَعَلَا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا بَابِي أَنْتَ وَاللَّهِ لَتَدْعَنِي فَلَا عُبْرَتَهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اعْبُرْهَا»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا الظُّلَّةُ فَظُلَّةُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطِفُ مِنَ السَّمَنِ وَالْعَسَلَ فَالْقُرْآنُ حَلَاوَتُهُ وَلِينُهُ، وَأَمَّا مَا يَتَكَفَّفُ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فَالْمُسْتَكْفِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللَّهُ بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ، فَأَخْبَرَنِي يَا رَسُولَ

اللَّهُ بِأَبِي أَنْتَ أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَتَحْدِثَنِي مَا الَّذِي أَخْطَأْتُ! قَالَ: «لَا تُقَسِّمُ»^(١).

١٧ - (٢٢٦٩) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ مُنْصَرَفَهُ مِنْ أُحُدٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطِفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ بِمَعْنَى حَدِيثِ يُونُسَ. ١٧ - (٢٢٦٩) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَوْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: كَانَ مَعْمَرٌ أَحْيَانًا يَقُولُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَحْيَانًا يَقُولُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَرَى اللَّيْلَةَ ظُلَّةً، بِمَعْنَى حَدِيثِهِمْ.

١٧ - (٢٢٦٩) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ كَثِيرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مِمَّا يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا فَلْيَقْصِهَا أَغْبَرَهَا لَهُ»، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُ ظُلَّةً، يَنْحُو حَدِيثَهُمْ.

(ظُلَّةً) أي: مثل السحابة، (تَنْطِفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ) السمن طعام، والعسل طعام، وكلاهما طعام طيب، وكلاهما شفاء، جاء في السمن بأنه شفاء، وجاء في العسل بأنه شفاء.

إِذَا مِنْ هَذَا يَأْخُذُ الْمُؤُولُ بِالنَّظَرِ إِلَى حَالِ الرَّائِي، إِذَا كَانَ مَرِيضًا وَرَأَى السَّمْنَ وَالْعَسَلَ نَرْجُو لَهُ الْعَافِيَةَ، وَإِذَا كَانَ طَالِبَ عِلْمٍ وَرَأَى السَّمْنَ وَالْعَسَلَ يَرْجُو لَهُ أَنَّهُ يَحْصُلُ عَلَى عِلْمٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، وَيَكُونُ اجْتِهَادُهُ بِقَدْرِ أَكْلِهِ وَشِرَاهَتِهِ، فَمَثَلًا إِذَا كَانَ يَشْرَبُ الْعَسَلَ بِشِرَاهَةٍ وَيَأْكُلُ السَّمْنَ بِشِرَاهَةٍ نَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ لَعَلَّكَ تَوْفُقٌ فِي بَابِ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٠٠٠).

العلم، وتكون من أصحاب الاجتهاد، وإن كان ممن يأخذ اللقمة واللقمتين على حسبه.

(فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا بِأَيْدِيهِمْ فَالْمُسْتَكْثَرُ وَالْمُسْتَقِلُّ) هذا الشق الأول من الرؤيا، الناس في باب العلم بين مستقل ومستكثر بقدر أخذه من ذلك السمن والعسل. (وَأَرَى سَبِيًّا وَاصِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) هذه رؤيا داخل الرؤيا، أو أنه رآها في موطن آخر.

(فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ بِهِ، ثُمَّ وُصِلَ لَهُ فَعَلَا) هذه الرؤيا لعل النفر هم: أبو بكر وعمر وعثمان (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ).

قال النووي (رَحِمَهُ اللَّهُ): قَوْلُهُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ): (أَصَبْتَ بَعْضًا، وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا) اختلف العلماء في معناه، فقال ابن قُتَيْبَةَ وآخَرُونَ: معناه أَصَبْتَ فِي بَيَانِ تَفْسِيرِهَا، وَصَادَفْتَ حَقِيقَةَ تَأْوِيلِهَا، وَأَخْطَأْتَ فِي مُبَادَرَتِكَ بِتَفْسِيرِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ أَمُرَكَ بِهِ. وَقَالَ آخَرُونَ: هَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَمُوافِقُوهُ فَاسِدٌ؛ لِأَنَّهُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) قَدْ أَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ: اعْبُرْهَا وَإِنَّمَا أَخْطَأَ فِي تَرْكِهِ تَفْسِيرَ بَعْضِهَا، فَإِنَّ الرَّائِي قَالَ: رَأَيْتُ ظُلَّةً تَنْطَفُ السَّمْنُ وَالْعَسَلُ، فَفَسَّرَهُ الصَّدِيقُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِالْقُرْآنِ حَلَاوَتِهِ وَلِينِهِ، وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ تَفْسِيرُ الْعَسَلِ، وَتَرَكَ تَفْسِيرَ السَّمْنِ وَتَفْسِيرَهُ السُّنَّةَ^(١)، فَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَقُولَ: الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الطَّحَاوِيُّ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الْخَطَأُ وَقَعَ فِي خَلْعِ عُثْمَانَ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ أَخَذَ بِالسَّبَبِ فَانْقَطَعَ بِهِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى انْخِلَاعِهِ بِنَفْسِهِ، وَفَسَّرَهُ الصَّدِيقُ بِأَنَّهُ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ، وَعُثْمَانُ قَدْ خُلِعَ قَهْرًا، وَقُتِلَ، وَوُلِّيَ غَيْرُهُ.

(١) انظر، السين والنون.

فَالصَّوَابُ فِي تَفْسِيرِهِ أَنْ يُحْمَلَ وَصْلُهُ عَلَى وَلايَةِ غَيْرِهِ مِنْ قَوْمِهِ، وَقَالَ آخَرُونَ:
الْخَطَأُ فِي سُؤَالِهِ لِيَعْبُرَهَا. اهـ
نسأل الله الرحمة والمغفرة.
قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ

قال الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ:

١٨ - (٢٢٧٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتِ
الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ
كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأَتَيْنَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوَّلْتُ الرَّفْعَةَ لَنَا فِي
الدُّنْيَا وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ».

انظر كيف أولها النبي ﷺ، النبي ﷺ من علماء التأويل، يعلمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،
ويأخذ أيضا بظاهر الرؤيا، (كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ) رفعة، (فَأَتَيْنَا بِرُطَبٍ) رزق طيب،
(طَاب) يعني طاب لنا الحال وحسن لنا المآل بإذن الله.

(فَأَوَّلْتُ الرَّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا) من قوله: (رَافِعٍ).

(وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ) من قوله: (عُقْبَةَ).

(وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ): يعني صار من أهل التمكن.

قال الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ:

١٩ - (٢٢٧١) وَحَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، أَخْبَرَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا صَخْرُ بْنُ
جُوَيْرِيَةَ، عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرَانِي فِي الْمَنَامِ
أَتَسَوَّكَ بِسَوَاكِ، فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، فَتَوَلَّتْ السَّوَاكِ الْأَصْغَرَ
مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٤٦).

ورؤيا النبي ﷺ وحي، ولذلك جاء التكبير في كثير من الشأن: «كبر كبير».

قال الحافظ في "الفتح" (١/ ٣٥٧): قال بن بطال فيه تقديم ذي السن في السواك ويلتحق به الطعام والشراب والمشي والكلام وقال المهلب هذا ما لم يترتب القوم في الجلوس فإذا ترتبوا فالسنة حينئذ تقديم الأيمن وهو صحيح وسيأتي الحديث فيه في الأشربة وفيه أن استعمال سواك الغير ليس بمكروه إلا أن المستحب أن يغسله ثم يستعمله وفيه حديث عن عائشة في سنن أبي داود قالت كان رسول الله ﷺ يعطيني السواك لأغسله فأبدأ به فأسناك ثم أغسله ثم أدفعه إليه وهذا دال على عظيم أدها وكبير فطنتها لأنها لم تغسله ابتداء حتى لا يفوتها الاستشفاء بريقه ﷺ ثم غسلته تأدبا وامثالاً ويحتمل أن يكون المراد بأمرها بغسله تطييبه وتليينه بالماء قبل أن يستعمله والله أعلم.

هـ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٢٠ - (٢٢٧٢) حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَادٍ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا أَيْضًا بَقْرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ النَّفَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ بَعْدَ وَثَوَابِ الصَّدَقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٢٢).

(رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ) يعني هذه الرؤيا على ظاهرها، إنما ذهب وهله إلى أنها اليمامة أو هجر للتشابه بين البلدين.

(وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا) وهذا كما أسلفته أن الرجل قد يرى رؤيا تتداخل، بعضها له تأويل، وبعضها له تأويل آخر، وبعضها يتقدم وبعضها يتأخر.

(ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ)؛ لأن السيف قوة الرجل، فحين رآه انقطع انقطع منه من أهل قوته، ومن أهل شأنه.

(وَرَأَيْتُ فِيهَا أَيْضًا بَقْرًا) بقرا تذبج، وبقرا تبقر دليل على القتل.

نسأل الله العافية، فالرؤى مبشرات ومنذرات، رأيت قبل حرب دماج الأولى كأني أمشي في الوادي، وإذا بي دخلت في ظلمة شديدة، ورأيت كأن رجلا كان طائرا في تلك الظلم، ثم بت ليلتي وأنا أمشي في تلك الظلمة، وأصعد أصعد أصعد حتى وصلت إلى رأس جبل، وظلمة لا أرى شيئا ولا أحس بشيء، وطال الليل جدًّا، فلما كنت في أعلى الجبل رأيت كأن أشخاصا بعضهم لا بس بنطلون، تخيلتهم تخيلا، ثم بعد ذلك أشرقت الشمس، رأيت الفجر بدأ، ثم أشرقت الشمس وكأن المنطقة بعد مطر، طلع فيها عشب يسير، وشمس جميلة.

فكان قد أولها المؤول: أنها ما وقع علينا في دماج أول الشأن، لكن أنا أظن والله أعلم أن هذه الرؤيا مستمرة؛ فكأنها ما وقع على اليمن ككل، فما زلنا في تلك الظلمة حتى يجليها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، حتى نرى الفرج بعد الشدة.

وقبل سقوط الجوبة أيضا رأيت رؤيا وكأني في مكان، وإذا بالأرض تسقط سقوطا كبيرا، فالجوبة هي: الحفرة الكبيرة، فكنت أنظر إلى الشق الثاني، فما هي إلا ثلاثة أيام وسقطت الجوبة في يد الرافضة، فكان تأويل تلك الجوبة: سقوط الجوبة، نسأل الله العافية، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على الحق حتى نلقاه.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٢١ - (٢٢٧٣) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ التَّمِيمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ مُسْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، فَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ شِمَّاسٍ وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدَةٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، قَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أُعْطَيْتُكَهَا وَلَنْ أَتَعَدَّى أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَكِنْ أَذْبَرْتَ لِيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُحْيِيكَ عَنِّي»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّكَ أَرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ»، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا، فَأَوْجِي إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا فَتَفْخُتْهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلَتْهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ صَاحِبَ صَنْعَاءَ، وَالْآخَرُ مُسْلِمَةُ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ»^(١).

٢٢ - (٢٢٧٤) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ، مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ خَزَائِنَ الْأَرْضِ فَوُضِعَ فِي يَدَيَّ أُسْوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَكَبُرَا عَلَيَّ وَأَهْمَانِي، فَأَوْجِي إِلَيَّ أَنْ انْفُخْهُمَا فَتَفْخُتْهُمَا، فَذَهَبَا، فَأَوَّلَتْهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا صَاحِبَ صَنْعَاءَ وَصَاحِبَ الْيَمَامَةِ»^(٢).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٢٠).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٩٧٧).

(ثابت بن قيس بن شماس) مبشر بالجنة.

(قِطْعَةُ جَرِيدَةٍ) يعني من النخل.

(فِي يَدَيَّ أُسْوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ) هذا تأويل الذهب في الرؤيا التي رآها النبي ﷺ، والذهب قد يكون له تأويلات أخرى: ذهاب الهم، أو حصول ضرر، أو ربما يكون ولد على نوع الذهب، كمن رأى خاتم ربما يفسر بولد، المهم أن الذهب له عدة تأويلات، من حيث النظر إلى أنه نقد، ومن حيث النظر إلى أنه مال، ومن حيث لفظه، (ذَهَبٌ)، وهكذا.

فالمؤول لا بد أن يكون على عناية بجمع هذه الأشياء، ثم لا يعتمد على التفسير بنفسه، يسأل أهل الخبرة، أما الكتاب الذي ينسبونه إلى ابن سيرين فلا يثبت ثم إن أحدهم قد يرى شيئا يؤدي إلى فراقه من امرأته، مثلا يرى رؤيا لزوجه فيكون في الكتاب: ومن رأى كذا وكذا فإن زوجته تخونه، وقد يكون فيه تأويل ثاني على غير الخيانة، فإذا به يأخذ بذلك الذي يكون قد قرأه الكتاب.

ومن ذلك التفاسير التي: تؤدي إلى إساءة الظنون بين الأخوة، أحيانا أحدهم يرى أن أخاه يأتي زوجته، فإذا به يتغير على زوجته، وعلى أخيه، وربما كان هذا الإتيان عبارة عن إحسان بين الاثنين، وغالبا أن الأسر يقع بينها إحسان، أو رجل يرى أنه يجمع أمه، ربما إحسان إلى أمه، يقولون إذا لم يقع الإنزال، أما إذا وقع الإنزال غالبا من الشيطان، فالجماع، مجامعه، مداخلة، وهكذا، الجماع إحسان، فهذا الإحسان إلى أمه.

ومرة كنت في دولة ترند، ذهبت دعوة، وفي رمضان من عادتهم أنهم يأتون بعشر دقائق قبل المغرب للمسلمين، فجاءني بعضهم وقالوا: نريد تسجيل لنا دروسا تبث للمسلمين، فتوكلنا على الله، وذهبنا إلى الإذاعة، فكنت أتكلم خمس دقائق، والمترجم خمس دقائق، وفقني الله عَزَّوَجَلَّ جعلت كلمة في فضل الإسلام، وكلمة في معنى لا إله

إلا الله، وكلمة في الصفات، وكلمة في فضيلة أبي بكر وعمر، وكلمة في فضيلة عائشة، وكلمة في الصلاة، المهم أربعة عشر كلمة.

وبعد ذلك رأيت وكأنني أجامع امرأة يهودية فقامت في نفسي وقلت: الله أعلم أيش هذا، وما تأويل هذه الرؤيا، وإذا بأحدهم يناولني ظرفا، قال: هذه هدية من الإذاعة، يعني أنت سجلت أربعة عشر حلقة أعطوك على كل حلقة عشرين دولارا، فقلت: الحمد لله، هذا هو تأويل رؤيائي، ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [سورة يوسف: ١٠٠] والله المستعان.

ولست بمؤول، ولكن عندي بعض الأشياء كنت تعلمتها من والدي **رَحِمَهُ اللهُ**، وأيضا بعضها في القراءة، لأن والدي كان يؤول لنا، وكان لا يأتينا بالتأويل السيء أبدا، إن عنده تأويلاً أو يقول: إن شاء الله خيراً.

فعلا المؤول أن يقول: رؤيا خير، يروى عن عائشة والله أعلم بصحة الأثر، أن امرأة كانت تأتي إلى النبي **ﷺ** تقول: يا رسول الله رأيت كأن زوجي سافر، ورأيت كأنه على مركب فانكسر المركب، فيقول لها النبي **ﷺ**: «يعود زوجك غانما إن شاء الله»، وفي يوم من الأيام وجدت عائشة ولم تجد النبي **ﷺ**، فقالت لها: لعل زوجك يموت في سفره، مات في سفره، فالرؤيا على جناح طائر، فالإنسان يختار لها التأويل على أحسن ما يكون.

ويحذر المؤول، فبعض من تأويل الوسواس عنده وساوس، وإساءة ظنون، ويأتي لك بالرؤيا وأنت تؤول له: نعم، هذا شخص لعله كذا، هذا لعل بينك وبينه شيء، هذا لعله يتربص بك.

وأسوأ ما رأيت من بعض المعبرين هداهم الله التحديد، هذا ما عليه دليل، يعني مثلاً يقول لك: سيأتيك فرج بعد عشرة أيام، أو بعد خمسة أيام، أو بعد مائة وخمسين يوماً،

أو فلان سيموت بعد سبعين يوم، ما أدراه؟ قال أحدهم: رأيت أملك الموت في المنام، فأشار له باليد خمسة، فالرجل جاءه الخوف هل هي خمسة أيام؟ أو أشهر؟ أم سنوات؟ فلقني معبرا من المعبرين، فقال له: رأيت ملك الموت فقلت له: متى ينتهي عمري؟ فقال لي هكذا خمسة، قال: يا أخي خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [سورة لقمان: ٣٤]، والله المستعان.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢٣ - (٢٢٧٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيِّ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا؟» (١).

هذا الحديث أخرجه البخاري بأطول من هذا برقم (٧٠٤٧) قال:

حَدَّثَنِي مُؤَمَّلُ بْنُ هِشَامٍ أَبُو هِشَامٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَيَقْصُصُ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصُصَ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَتْلُغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهَّدُهُ الْحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَسْبُغُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى».

قَالَ: "قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟".

قَالَ: "قَالَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ". قَالَ: "فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حديدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيَى وَجْهِهِ فَيَشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٨٤٥).

قَفَاهُ، وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، - قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ: فَيَشُقُّ - " قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى » قَالَ: " قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ " قَالَ: " قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ - قَالَ: فَأَحْسِبْ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ " قَالَ: « فَاطْلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا » قَالَ: " قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟ " قَالَ: " قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ " .

قَالَ: « فَانْطَلَقْنَا، فَاتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - أَحْمَرٌ مِثْلَ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِغٌ يَسْبِغُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِغُ يَسْبِغُ مَا يَسْبِغُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَغْرِ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبِغُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَعَرَّ لَهُ فَاهُ فَالْقَمَهُ حَجَرًا » قَالَ: " قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ " قَالَ: " قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ " .

قَالَ: « فَانْطَلَقْنَا، فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرَاةَ، كَأَكْرَهَ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ رَجُلًا مَرَاةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحْشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا » قَالَ: " قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ " قَالَ: " قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ .

فَانْطَلَقْنَا، فَاتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوْلًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ " قَالَ: " قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا مَا هَؤُلَاءِ؟ " قَالَ: " قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ " .

قَالَ: « فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ، لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ » قَالَ: " قَالَا لِي: ارْزُقْ فِيهَا " قَالَ: « فَارْتَقَيْنَا فِيهَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بَلْبِنٍ ذَهَبٍ وَلَبِنٍ فِضَّةٍ، فَاتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْفِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ، وَشَطْرٌ كَأَفْبَحَ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ » قَالَ: " قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَفَعَلُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ " قَالَ: « وَإِذَا نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ » قَالَ:

" قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ " قَالَ: «فَسَمَا بَصْرِي صُغْدًا فَإِذَا قَصُرَ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ» قَالَ: " قَالَا لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ " قَالَ: " قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخُلْهُ، قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ " قَالَ: " قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ " قَالَ: " قَالَا لِي: أَمَّا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَتَأَمَّ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشْرِشُرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ، وَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمْ الزَّانَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبُحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحَجَرَ، فَإِنَّهُ أَكَلَ الرَّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهَ الْمَرَاةَ، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحْشُشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ " قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرَ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرَ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

وفيه: دليل على استحباب السؤال عن الرؤيا الصالحة، والانشراح بها، وأنها من وحي الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأن صدقها يتوقف على صدق الرائي وصدق المؤول، وأنها لا تؤخذ بها الأحكام الشرعية، رأى بعضهم وهي مذكورة في (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) للتنوخى: أنه رأى أبا الحسن الأشعري في رؤيا، ففسرت أنه لم يتب توبة نصوحا، فذهب إليه وقال: استر علي.

مثل هذا لا تؤخذ بها أحكام، عندنا أنه ألف كتاب (الإبانة)، و (رسالة إلى أهل الثغر)، وكتابات وافق فيها أهل السنة والجماعة، وقد ترى رؤيا يفسرها لك المعبر: أنه سينحرف، فأنت اثن عليه واذكره بالخير حتى ينحرف، وقد يسلمه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فقد لا ينحرف، إنما هي عبارة عن نذارة إلى غير ذلك، وقد يخطئ المعبر والمؤول.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: فِيهِ دَلِيلٌ لِحَوَازِ إِطْلَاقِ الْبَارِحَةِ عَلَى اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ، وَإِنْ كَانَ قَبْلَ الزَّوَالِ، وَقَوْلُ ثَعْلَبٍ وَغَيْرِهِ: إِنَّهُ لَا يُقَالُ الْبَارِحَةُ إِلَّا بَعْدَ الزَّوَالِ يَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنَّ هَذَا حَقِيقَتُهُ، وَلَا يُمْتَنَعُ إِطْلَاقُهُ قَبْلَ الزَّوَالِ مَجَازًا، وَيَحْمِلُونَ الْحَدِيثَ عَلَى الْمَجَازِ، وَإِلَّا فَمَذْهَبُهُمْ بَاطِلٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

وَفِيهِ دَلِيلٌ لِاسْتِحْبَابِ إِقْبَالِ الْإِمَامِ الْمُصَلِّي بَعْدَ سَلَامِهِ عَلَى أَصْحَابِهِ. وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ السُّؤَالِ عَنِ الرُّؤْيَا وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى تَأْوِيلِهَا وَتَعْجِيلِهَا أَوَّلَ النَّهَارِ؛ لِهَذَا الْحَدِيثِ، وَلِأَنَّ الذَّهْنَ جُمِعَ قَبْلَ أَنْ يَتَشَعَّبَ بِإِسْغَالِهِ فِي مَعَاشِ الدُّنْيَا، وَلِأَنَّ عَهْدَ الرَّائِي قَرِيبٌ لَمْ يَطْرَأْ عَلَيْهِ مَا يَهْوِشُ الرُّؤْيَا عَلَيْهِ ^(١)، وَلِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِيهَا مَا يُسْتَحَبُّ تَعْجِيلُهُ كَالْحَثِّ عَلَى خَيْرٍ، أَوْ التَّحْذِيرِ مِنْ مَعْصِيَةٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَفِيهِ إِبَاحَةُ الْكَلَامِ فِي الْعِلْمِ وَتَفْسِيرِ الرُّؤْيَا وَنَحْوِهِمَا بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ. وَفِيهِ أَنَّ اسْتِدْبَارَ الْقُبْلَةِ فِي جُلُوسِهِ لِلْعِلْمِ أَوْ غَيْرِهِ مُبَاحٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وهناك رؤى كثيرة لم يذكرها المصنف؛ للاختصار، وإلا فقد رأى النبي ﷺ على عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثوبا يجره، أولها بالدين، ورأى عمر يشرب حتى يخرج الري من أظفاره، وأولها العلم، ورأى قصرا لعمر في الجنة، ورأى بلالا في الجنة، ورأى الغميصاء في الجنة ورؤى كثيرة رآها النبي ﷺ، ورآها أصحابه رَضِيَوا اللهُ عَنْهُمْ، والله المستعان وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين.

انتهيت بحمد الله من كتاب الرؤيا



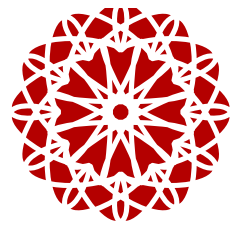
(١) لأن الرؤيا أحيانا تقوم وأنت متقن لها، إذا أخرتها إلى ساعة إلى نصف ساعة يضع بعضهما، وإذا أخرتها ليوم ربما ما تذكر منها شيئا.

كتاب الفضائل

الإمام

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ الْفَضَائِلِ

أي فضائل النبي ﷺ.

ودراسة هذا الكتاب من أهم الكتب التي تدرس، فيذكر فيهم فضائل النبي ﷺ، وخصائصه، وشمائله، وكثير مما يتعلق به ﷺ.

وقد صنف البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره كتباً مفردة فيما يتعلق بشمائل النبي ﷺ، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الناس يوم القيامة أجمعين وهو المبعوث إلى جميع المكلفين، وهو خاتمهم، ولا نبي بعده ولا رسول، وهو الكريم المصطفى من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهكذا القول في محمد ﷺ، فقد بين الله تعالى في كتابه هداية لأُمَّته ورُداً على الطلبات التعجيزية من الكفار أن محمداً عبداً ورسول مبين رداً على الغلاة والجفاة في حقه ﷺ، فأخبر الله عزَّ وجلَّ أن محمداً ﷺ عبداً في عدة مواطن من القرآن فقال: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وَبَيَّنَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَحِيدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ١٠ ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ١١ ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [سورة الجن: ٢١-٢٣].

قال ابن كثير رحمه الله: وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أَي: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ، وَعَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ فِي هِدَايَتِكُمْ وَلَا غَوَايَتِكُمْ، بَلِ الْمَرْجِعُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَيْضًا أَنَّهُ لَا يُجِيرُهُ مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ، أَي: لَوْ عَصَيْتُهُ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَىٰ إِنْقَازِي مِنْ عَذَابِهِ، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَفَتَادَةٌ، وَالسُّدِّيُّ: لَا مَلْجَأَ. وَقَالَ فَتَادَةٌ أَيْضًا: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أَي: لَا نَصِيرَ وَلَا مَلْجَأَ. وَفِي رِوَايَةٍ: لَا وَلِيَّ وَلَا مَوْئِلَ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٢٤٥).

وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ الْعَظِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَيْفَ بغيره مِمَّنْ يُدْعَى وَيُرْجَى مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى؟ فَهَلَا فَهَهُ عُبَادُ الْقُبُورِ وَمَنْ يَسْمُونَهُم بِالْأَوْلِيَاءِ أَوِ الْأَشْرَافِ أَوِ السَّادَةِ مِثْلَ هَذِهِ الْأَدْلَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابِهِ حُجَّةً عَلَىٰ عِبَادِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

وفي جانب آخر جفا على رسول الله ﷺ أناسٌ ولم يعزروه ويوقروه، وقد بين الله تعالى حقه فقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٨ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٩﴾ [الفتح: ٨-٩].

فحق النبي ﷺ علينا عظيم، ومنزلته رفيعة، ومع ذلك هو عبدٌ لله تعالى يطاع بأمر الله ويتأسى به لعباد الله، ولا يجوز أن تصرف له شيء من العبادات. بعض شمائل وخصائص رسول الله ﷺ

لرسول الله ﷺ من الصفات الجليلة والمراتب الرفيعة ما تبين فضله على العالمين، وأنه أكرم الخلق وسيدهم أجمعين، فهو القائل: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، الحديث. أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، عن أبي هريرة، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-. وقد أكرم الله تعالى هذه الأمة أن بعث إليها محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وجعله ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

ولقيامه بما أمره الله ﷻ رَفَعَ لَهُ قَدْرَهُ وَوَضَعَ عَنْهُ وَزْرَهُ وَجَعَلَ الذُّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَنْشَرْحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ١-٤]، وقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا

﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^١
وَيَضْرِبُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ [الفتح: ١-٣].

ومن نعمة الله تعالى أن جعله حريصًا على المؤمنين، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وجعله رحمة للعالمين، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومن تأمل دعوته وطريقته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وجدها متضمنة لهذا المعنى العظيم، سواء كان ذلك في أقواله أم أفعاله أم عباداته، وكان عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حريصًا على هداية الناس عامة، وعشيرته خاصة حتى أنزل الله **عَزَّجَلَّ** في شأنه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

فعن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْكُمْ»، وعن أنس بن مالك، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ، فَأُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَاتَجَوَّزُ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ» متفق عليه.

فمن فضائله أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تشريفًا له وتنويهاً بفضله في مواطن من كتابه:

أولها: موطن الإسراء قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

ثانيها: موطن إنزال الكتاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]

ثالثها: موطن الدعوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

رابعها: موطن المعراج، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].
فحريٌّ بمن هذه منزلته عند ربه أن تدرس سيرته، وتعرف أيامه، وأعوامه، فهو الرحمة المهداة والمنة من الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فأحیی الله به قلوباً موتی، وبصّر به من العمی قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْمِن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

إلى غير ذلك مما يطول شرحه في هذه العُجالة، وقد تكلمت بشيء من التوسع عن فضائله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في كتاب «السيرة» عَجَّلَ اللهُ بِاتِّمَامِهِ، وفي كتابي «الزجر والبيان على دعاة التقارب بين الأديان»، والله الحمد والمنة.

ومما حدّاني إلى ذكر بعض الشّمائل المحمدية أمور:

الأول: معرفة شمائل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة، لما في ذلك من الأهمية من حيث العلم والعمل، فهو القائل: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ» أخرجه مسلم، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، والقائل: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» أخرجه البخاري من حديث مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الثاني: الاقتداء بكتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** حيث حوى الكثير من أوصاف النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأخلاقه، ويكون هذا الشرح كالتفسير لتلك الآيات، ويدخل في ذلك موافقة مرضاة الله **عَزَّوَجَلَّ** ومحابه.

قال القاضي عياض في «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (١/٤٥): قَالَ الْفَقِيه الْقَاضِي الْإِمَامُ أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَسَدَّدَهُ: لَا خِفَاءَ عَلَى مَنْ مَارَسَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ، أَوْ خُصَّ بِأَدْنَى لَمَحَةٍ مِنَ الْفَهْمِ، بِتَعْظِيمِ اللَّهِ قَدْرَ نَبِيِّنَا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَخُصُوصِهِ إِيَّاهُ بِفَضَائِلَ وَمَحَاسِنَ وَمَنَاقِبَ لَا تَنْضِبُ لِرِمَامٍ، وَتَنْوِيهِهِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ بِمَا تَكِلُ عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ وَالْأَقْلَامُ، فَمِنْهَا مَا صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى فِي كِتَاب: وَنَبَّهَ بِهِ عَلَى جَلِيلِ نَصَابِهِ، وَأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَأَدَابِهِ، وَحَضَّ الْعِبَادَ عَلَى التَّزَامِهِ وَتَقَلُّدِ إِيْجَابِهِ، فَكَانَ جَلًّا وَعَلَا هُوَ الَّذِي تَفَضَّلَ وَأَوْلَى، ثُمَّ طَهَّرَ وَزَكَّى، ثُمَّ مَدَحَ بِذَلِكَ وَأَثْنَى، ثُمَّ أَثَابَ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، فَلَهُ الْفَضْلُ بَدْءًا وَعَوْدًا، وَالْحَمْدُ أَوْلَى وَأُخْرَى، وَمِنْهَا مَا أَبْرَزَهُ لِلْعَيَانِ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى أَمِّ وُجُوهِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَتَخْصِيصِهِ بِالْمَحَاسِنِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْكَرِيمَةِ وَالْفَضَائِلِ الْعَدِيدَةِ وَتَأْيِيدِهِ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ وَالْكَرَامَاتِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا مَنْ عَاصَرَهُ، وَرَأَاهَا مَنْ أَدْرَكَهُ، وَعَلِمَهَا عِلْمٌ يَقِينٌ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، حَتَّى انْتَهَى عِلْمُ حَقِيقَةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا، وَفَاضَتْ أَنْوَارُهُ عَلَيْنَا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. اهـ.

الثالث: الرد على المخالفين لسبيل المؤمنين في حق النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الرابع: إظهار شمائل النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليقتندى به ويتعرف عليه عملاً بقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٣] قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].

وذلك يعود لوجوب محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حيث قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». أخرجه البخاري ومسلم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ومحبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تزداد في قلوب المؤمنين بمعرفتهم لشمائله وسيرته فقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

١- رحمة بالمؤمنين ولهم، وسماء الله رؤوفاً رحيماً، وأسمائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أعلام وأوصاف ففي «الصحيحين»: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ رُءُوفًا رَحِيمًا».

٢- حريصاً على هدايتهم وإرشادهم إلى أقوم السبل، وأحسن الطرق، ففي «صحيح مسلم» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصَلِّحُ خَبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنْ أَمَّتْكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرْفَقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْخَاحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَثَمَرَةً قَلْبِهِ، فَلْيُطِيعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ». أخرجه مسلم (١٨٤٤).

٣- ذَا خُلِقَ عَظِيمٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وذلك لتخلقه بالقرآن، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» أخرجه مسلم، وهو القائل: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» أخرجه أحمد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤- شَجَاعًا، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَجَعَ النَّاسِ». متفق عليه، وقيل للبراء: «أَفَرَزْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ الْبَرَاءُ: وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ»، متفق عليه، وَعَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّا كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ - وَيُرَوَّى اشْتَدَّ الْبَأْسُ - وَاحْمَرَّتِ الْحَدُوقُ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ»، وَقَالَ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُودُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا».

وقال القاضي عياض في «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (٢٣٥/١): وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمَا بِالْمَكَانِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ قَدْ حَضَرَ الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ وَقَرَّ الْكُمَاةَ وَالْأَبْطَالُ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرُحُ وَمُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ وَلَا يَتَزَحَّزَحُ، وَمَا شَجَاعٌ إِلَّا وَقَدْ أُحْصِيَتْ لَهُ فِرَّةٌ وَحُفِظَتْ عَنْهُ جَوْلَةٌ سِوَاهُ. اهـ.

٥- كَرِيمًا، قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا». أخرجه مسلم، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ»، متفق عليه، وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَقْرَ». أخرجه مسلم.

٦- حَيًّا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي الْتَّيَّ قَيْسَتْحِيءٍ مِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خُدْرِهَا» أخرجه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٩٠).

٧- بشوشاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ لَوَ كُنْتَ فُتًى غَالِطٍ الْقَلْبِ لَا نَفْضُؤُا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وَقَالَ جَرِيرٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ» متفق عليه.

٨- غضبه لله، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَمَا أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»، متفق عليه، فكان لا يغضب لنفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فيغضب لله عَزَّ وَجَلَّ، أَخْذًا بِقَوْلِ اللَّهِ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٩- نظيفاً طيباً، قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «هَذَا عَرْفُكَ نَجَعْلُهُ فِي طِينِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيِّبِ». أَخْرَجَاهُ، وَفِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «... فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٣٢٩).

١٠- جميلاً، فقد تميز بصفات جميلة جليلة خُلِقَ بِهِ وَخُلِقَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على ما ترى، وكان وجهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كالسيف بريقاً وكالقمر استدارةً ولم يكن بالطويل ولا بالقصير ولكن بين ذلك.

١١- فصيحاً، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٧٧)، وَمُسْلِمٌ (٥٢٣)، وَكَانَ إِذَا تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ ثَلَاثًا، وَإِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا.

١٢- شريفاً، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ، إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٦٠٥)، وَأَصْلُهُ فِي مُسْلِمٍ (٢٢٧٦)، وَفِي قِصَّةِ أَبِي سَفْيَانَ مَعَ هِرْقُلَ: «... قَالَ هِرْقُلُ: كَيْفَ نَسَبُهُ

فِيكُمْ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ...، فَقَالَ هِرْقُلُ: فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبٍ قَوْمِهَا، متفق عليه.

١٣- وفيّا، فهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»، خرجته في تحقيق «الإيمان» لابن أبي شيبَةَ رَحِمَهُ اللهُ، وهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهُ عَلَيْهِمْ» أخرجه مسلم (١٧٨٧)، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١٤- متواضعًا، فقد خيره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا رَسُولًا أَوْ عَبْدًا رَسُولًا، فاختار أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا، وهو القائل: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»، أخرجه أبو يعلى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وله طرق عن غيرها. أمينا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾، على تفسير من فسرها بأنه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ». أخرجه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكانت قريش تلقبه بالأمين قبل مبعثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

١٦- عادلاً، فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ». متفق عليه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١٧- صادقًا، فقد كانت قريش تلقبه بالصادق، وهو الذي قال لهم: هل جربتم عليّ كذبًا؟ قالوا: لا. وقال هِرْقُلُ لابي سفيان: «... هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟»، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَذَكَرْتُ أَنْ لَا، قَالَ هِرْقُلُ: فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ...»، الحديث. أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

١٨- وأما خوفه من ربه وحسن عبادته فهو القائل: «قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتَقَاكُمُ لِلَّهِ وَأَصْدَقُكُمْ وَأَبْرَكُكُمْ» فكان متصفاً بكل خلق نبيل متنزهاً عن كل رذيل.

١٩- صبورًا شكورًا، فقد كان يصلي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَفْطَرَ قَدَمَاهُ، وَيَقُولُ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا». أخرجاه عَنِ الْمُغِيرَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانفرد به مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفيه كلام، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرْبَهُ قَوْمُهُ فَأَذْمُوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»، أخرجاه البخاري (٣٤٧٧).

٢٠- وكاملًا متميزًا بجميع صفات الكمال الخلقية والخلقية. ودراسة حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ القولية، والفعلية، والاعتقادية، والخلقية، هي دراسة لدين الإسلام الذي أنزله الله عَزَّوَجَلَّ على محمد الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والتابعين. قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ قَبْلَ التَّبَوُّةِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ - (٢٢٧٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْمٍ، جَمِيعًا عَنِ الْوَلِيدِ، قَالَ ابْنُ مِهْرَانَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ أَنَّهُ سَمِعَ وَائِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ) يناسب في هذا الموطن ذكر نسب النبي ﷺ هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ واسم عبد المطلب شيبَةَ ابن هاشم واسمه عمرو ابن عبد مناف واسمه المغيرة، ابن قصي واسمه زيد بن كِلَابٍ بن مُرَّةَ بن كَعْبٍ بن لُؤَيٍّ بن غَالِبٍ بن فِهْرٍ بن مَالِكٍ بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة، واسمه

عامر بن إلياس بن مُضَرَّ بن نِزَارِ بن مَعَدِّ بن عدنان، وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم - صلى الله عليهما وعلى نبينا وسلم -

وقد قلت في المنظومة الزعرية في بيان حوادث السيرة النبوية:

- ١- مُحَمَّدٌ مِنْ خَيْرَةِ الْأَقْوَامِ فَضَّلَهُ رَبِّي عَلَى الْأَنَامِ
- ٢- أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ إِسْمٌ قَدْ عَلِمَ وَأُمُّهُ آمِنَةٌ كَمَا نُظِمَ
- ٣- وَجَدُّهُ يُدْعَى بِعَبْدِ الْمُطَلِّبِ وَشَيْبَةُ الْحَمْدِ إِذَا مَا قَدْ طُلِبَ
- ٤- وَمِنْ قُرَيْشٍ خَيْرَةِ الْقَبَائِلِ وَآلِ هَاشِمٍ ذَوِي الْفَضَائِلِ
- ٥- قَدْ اصْطَفَى قُرَيْشٌ مِنْ كِنَانَةٍ أَعْطَاهُ رَبِّي أَرْفَعَ الْمَكَانَةِ
- ٦- فَهُوَ خِيَارٌ نَسْلِ إِسْمَاعِيلَا وَجَدُّهُ الْخَلِيلُ لِلرَّحْمَنِ
- ٧- مُتَّصِلٌ بِالنَّسَبِ الْعَدْنَانِي مِنْ قَوْمِهَا فَإِنَّهُمْ ذُوو حَسَبِ
- ٨- إِذْ رُسُلُهُ تَبَعَتْ مِنْهُ فِي نَسَبِ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
- ٩- إِجْمَاعُهُمْ فِي النَّسَبِ الْعَدْنَانِي فِي كُلِّ وَقْتٍ دَلَّلْنَا السَّبِيلَا
- ١٠- صَلَاةُ رَبِّي تَبْلُغُ الرَّسُولَا

جاء خارج الصحيح: «فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ مِنْ خِيَارٍ»، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾

[سورة القصص: ٦٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٣٣].

والنبوة بعد إبراهيم **عليه السلام** في بنيه، وكلهم من إسحاق ثم يعقوب، إلا ما كان من محمد صل الله عليه وسلم فإنه من إسماعيل بن إبراهيم الخليل.

وفي الحديث فضيلة النبي **ﷺ**، وفضيلة ولد إسماعيل، وفضيلة قريش، وفضيلة بني هاشم، وهذه الفضائل لمن أخذ بدين الله **عَزَّوَجَلَّ** واستقام عليه وإلا فقد قال النبي **ﷺ**:

«إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي هَؤُلَاءِ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِي، وَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ، مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا»^(١).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢ - (٢٢٧٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ، حَدَّثَنِي سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ».

(إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ...) هذا من دلائل نبوته، ومن الإرهاصات التي كانت قبل نبوته، يخاطبه الحجر وربما الشجر، وكان يسبح الحصى بين يديه، ونحن نؤمن بهذه الدلائل وبهذه الكرامات، فإن الذي جعلها على هذا الحال هو الله الذي لا يعجزه شيء.

وهذا دليل على أن السلام في أمة محمد ﷺ، إذ كان الحجر يسلم عليه قبل أن يبعث بالسلام، وقد كلمه ﷺ الذراع، وخاطب بعض الشجر، وكلمه البعير والجمال.

وقد قلت في المنظومة الزعرية في حوادث السيرة الزكية:

- ١١- دَعَا الْخَلِيلُ رَبَّهُ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ صَادِقَةٍ فَقَالَ
- ١٢- يَارَبِّ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ نَفْسِهِمْ يُبَلِّغُ التَّنْزِيلَ
- ١٣- بُشِّرِي بِهِ قَدْ جَاءَ فِي التَّوْرَةِ وَصَفٌ دَقِيقٌ وَاضِحُ الْآيَاتِ
- ١٤- عِيسَى أَتَى مُصَدِّقًا مُمَجِّدًا مُبَشِّرًا لِقَوْمِهِ بِأَحْمَدَا
- ١٥- رُؤْيَا لِأُمَّهِ مِنَ الْأَعْلَامِ نُورٌ عَظِيمٌ عَمَّ أَرْضَ الشَّامِ
- ١٦- رَمَيْ شِهَابٍ ثَابِتٌ بِالنَّقْلِ يُحْرِقُ ذَا الشَّيْطَانِ أَصْلَ الدَّجْلِ
- ١٧- قَدْ عَظُمَ الْجَهْلُ وَعَمَّ الشَّرُّ شَرُّكَ وَقَتْلٌ قَدْ فَشَا وَالضُّرُّ

(١) أخرجه ابن حبان، حديث رقم: (٤٥٠٩)، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- ١٨- قَبْلَ نُزُولِ الْوَحْيِ رُؤْيَا تُذَكِّرُ كَفَلَقِ الصُّبْحَ فَلَيْسَتْ تُنَكِّرُ
 ١٩- وَكَانَ يَخْلُو فِي لَيْالٍ ذِي عَدَدٍ تَعَبُّدًا لِرَبِّهِ الْحَيِّ الصَّمَدِ
 ٢٠- فِي غَارِهَا الْمَوْسُومِ بِالْحِرَاءِ يَدْعُو عَظِيمَ الْفَضْلِ ذَا الْأَلَاءِ
 ٢١- يَسْمَعُ صَوْتًا وَيَرَى الْأَنْوَارَا إِعْدَادُهُ كَيْ يَحْفَظَ الْأَسْرَارَا
 ٢٢- فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَى فَهُوَ الرَّحِيمُ وَالْعَلِيُّ الْأَعْلَى

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا ﷺ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ

قال الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ:

٣ - (٢٢٧٨) حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنَا هِشْلُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ، حَدَّثَنِي أَبُو عَمَّارٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»^(١).

(أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ) تقدم في كتاب الإيمان حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد الناس يوم القيامة).

(وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ) هذه فضيلة عظيمة، تدل على سؤدده ورفعته.

(وَأَوَّلُ شَافِعٍ) الشفاعة العظمى، وأيضا الشفاعة في أهل الكبائر، فإنه حين ينتهي من الشفاعة العظمى يقول: «اللهم أمتي أمتي»، ثم بعد ذلك تشفع بقية الأنبياء والملائكة، ويشفع المؤمنون.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٤١١).

وهو أيضا أول من يُفتح له باب الجنة، وأول من يجيز على الصراط هو وأمته، كما تقدم في الإيمان، فدخل ﷺ في كثير من أحاديث الأولوية، وهذا دليل على فضيلته وعظيم منزلته عند ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وتحدث النبي ﷺ بمثل هذا من باب قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى: ١١]، وإلا فبني الله ﷺ كان على أعلى درجات التواضع لله **عَزَّجَلَّ**، ثم لعباد الله **عَزَّجَلَّ**، فهو العبد الرسول، خير أن يكون ملكا رسولا فاختار أن يكون عبدا رسولا، وصفه الله بالعبودية في أعظم وأشرف المواطن موطن الاسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [سورة الإسراء: ١]، وموطن إنزال الكتاب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [سورة الكهف: ١]، وموطن الوحي ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [سورة النجم: ١٠]، وموطن الدعوة ﴿وَأَنذَرُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [سورة الجن: ١٩].

ومع ذلك فهو رسول فلا يكذب وعبد فلا يعبد، وقد تقدم بيان على الناس معه، بين جاني وغالي.

وهو سيدهم في الدنيا والآخرة، لكن قُيد بالآخرة؛ لأنه لا منازع له حين يقوم ﷺ بالشفاعة العظمى، التي اعتذر عنها خلص الأنبياء، اعتذر عنها آدم أبو البشرية الأول، ثم اعتذر عنها نوح أبو البشرية الثاني، ثم اعتذر عنها إبراهيم أبو الأنبياء، ثم اعتذر عنها موسى أفضل أنبياء بني إسرائيل، ثم عيسى، وقام بها النبي ﷺ.

وهذا الحديث لا يتعارض مع حديث **«لَا تُفَاضِلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ»**، فإن ذلك الحديث الصحيح أنه محمول على المفاضلة التي تفضي إلى تنقص بعضهم، أما هذا الإخبار لا يتعارض مع ذاك، وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله، والله أعلم.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ فِي مُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ

قال بعض أهل العلم: الأولى أن نقول: في آيات النبي ﷺ؛ لأن لفظ الآية جاء به النص، أما لفظ المعجزة ما جاء به النص، ثم إن لفظ المعجزة قد يطلق على الآية وعلى غيرها من خوارق الأمور، لكن الآية لا تطلق إلا على ما جاء به النبي الرسول ﷺ. قال الإمام مسلم رحمه الله:

٤ - (٢٢٧٩) وَحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْعَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا بِمَاءٍ فَأَتَيْتُ بِقَدَحٍ رَخْرَاحٍ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَتَوَضَّؤْنَ، فَحَزَرْتُ مَا بَيْنَ السَّتِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ^(١).

٥ - (٢٢٧٩) وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا مَعْنٌ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوُضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِوُضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ، قَالَ: فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ.

٦ - (٢٢٧٩) حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمُسَمَعِيُّ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ يَعْنِي ابْنَ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ بِالزَّوْرَاءِ، قَالَ: وَالزَّوْرَاءُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ السُّوقِ وَالْمَسْجِدِ فِيمَا ثَمَّةَ دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَوَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ، فَجَعَلَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ. قَالَ: قُلْتُ: كَمْ كَانُوا يَا أَبَا حَمْرَةَ؟ قَالَ: كَانُوا زُهَاءَ الثَّلَاثِمَائَةِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٦٩).

٧ - (٢٢٧٩) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ بِالزَّوْرَاءِ، فَأَتَيْ بِإِنَاءٍ مَاءٍ لَا يَغْمُرُ أَصَابِعَهُ أَوْ قَدَرَ مَا يُوَارِي أَصَابِعَهُ ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ هِشَامٍ.

(حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ) صرح بحماد بن زيد في روايته عن ثابت؛ لأنه في الغالب إذا قيل: حماد عن ثابت يكون ابن سلمة، وحماد بن سلمة في ثابت من الأثبات، كما تقدم في كتاب الإيمان.

(رَحْرَاحٌ): واسع قصير.

(فَجَعَلَ الْقَوْمَ يَتَوَضَّئُونَ) مع أن الماء في القدر قليل.

(فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَى الْمَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ) وهذا من دلائل نبوته ﷺ يخرج الماء من بين أصابعه، والماء القليل يكفي العدد الكثير.

آية من آيات الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يبقى أحد سمع بها ورآها وأراد الله به الهداية إلا اهتدى، وسلم من سبيل الشر والردى.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨ - (٢٢٨٠) وَحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ، حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي عَكَّةَ لَهَا سَمْنًا، فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا فَيَسْأَلُونَ الْأُدْمَ وَلَيْسَ عَنْدهُمْ شَيْءٌ، فَتَعْمِدُ إِلَى الَّذِي كَانَتْ تُهْدِي فِيهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَتَجِدُ فِيهِ سَمْنًا، فَمَا زَالَ يُقِيمُ لَهَا أُدْمَ بَيْتِهَا حَتَّى عَصَرَتْهُ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «عَصَرْتِهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «لَوْ تَرَكَتِهَا مَا زَالَ قَائِمًا».

٩ - (٢٢٨١) وَحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ، حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَطْعِمُهُ فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقٍ شَعِيرٍ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُمَا حَتَّى كَالَهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلَقَامَ لَكُمْ».

(معقل) بن عبيد الله الجزري، ثقة عند الجمهور، وضعفه غير واحد، قال ابن عدي لم أجد حديثه منكراً.
(عُكَّةٌ): إناء صغير يوضع فيه السمن، ويحفظ من الفساد، ومن دخول الحشرات عليه.

(سَمْنًا) يخرج من الحليب بعد خطه.
(فَيَأْتِيهَا بُنُوهَا فَيَسْأَلُونَ الْأُذْمَ) يعني يسألونها إداما يتعشون أو يتغدون عليه.
(وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ) لقلة الحال.
(فَتَجِدُ فِيهِ سَمْنًا) بركة من البركات التي جعلها الله ﷺ لمحمد ﷺ.
(حَتَّى عَصَرَتْهُ) يعني نظفت الجلد والإناء مما فيه، فلما أذهبت كل ما فيه ذهبت تلك البركة.

(لَوْ تَرَ كُتُبَهَا مَا زَالَ قَائِمًا) تستمتع به وتستفيد منه.
قال النووي (١٥ / ٤١): قوله في حديث المرأة أنها حين عصرت العكة ذهبت بركة السمن وفي حديث الرجل حين كان الشعر فني ومثله حديث عائشة حين كالت الشعر ففني قال العلماء الحكمة في ذلك أن عصرها وكيله مضادة للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى ويتضمن التدبير والأخذ بالحوال والقوة وتكلف الإحاطة بأسرار حكم الله تعالى وفضله فعوقب فاعله بزواله. اهـ
(فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقٍ شَعِيرٍ) ليس معناه أنه أطعمه ليأكل، أعطاه شعيراً لبيته يأكل منه.

(حَتَّى كَالَهُ) يعني كانوا يغترفون من الشعر، ويطحنون ويعجنون ويخبزون جعل الله فيه بركة، ثم عمدت المرأة إلى بقية الشعر وكالته، فعند ذلك ذهبت البركة التي فيه.

(لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُم مِّنْهُ وَلَقَامَ لَكُمْ) يعني يستمتعون منه ويبقى، ولذلك قال النبي ﷺ: «لَا تُحْصِي فَبُحْصِي اللَّهِ عَلَيْكَ لَا تُوَكِّي فَبُوكِي عَلَيْكَ»^(١).

عن أبي هريرة، قال: دخل رجل على أهله، فلما رأى ما بهم من الحاجة، خرج إلى البرية، فلما رأت ذلك امرأته قامت إلى الرحي، فوضعتها، وإلى التنور فسجرتة، ثم قالت: اللهم ارزقنا.

فنزرت فإذا الجفنة قد امتلأت. قال: وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً. قال: فرجع الزوج، قال: أصبتم بعدي شيئاً؟ قالت امرأته: نعم من ربنا. قام إلى الرحي. فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: "أما إنه لو لم يرفعها، لم تزل تدور إلى يوم القيامة" شهدت النبي ﷺ وهو يقول: "والله، لأن يأتي أحدكم صبيراً، ثم يحمله يبيعه فيستعف منه، خير له من أن يأتي رجلاً يسأله". أخرجه أحمد (١٠٦٥٧)

الشاهد أن الله عزَّ وجلَّ جعل بركات كثيرة فيما كان وما يكون من شأن النبي ﷺ. قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٠ - (٧٠٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَنْفِيُّ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ وَهُوَ ابْنُ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ عَامِرَ بْنَ وَائِلَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَخْبَرَهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا آخَرَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا ثُمَّ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتَوْهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ».

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: (١٤٣٣)، عن أسماء رضي الله عنها.

فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقْنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَاكِ تَبْضُ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ: فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ مَسِسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟» قَالَا: نَعَمْ فَسَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، قَالَ: ثُمَّ عَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، قَالَ: وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مِنْهُمْ، أَوْ قَالَ: غَزِيرٍ شَكَّ أَبُو عَلِيٍّ أَيُّهُمَا قَالَ، حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ: «يُوشِكُ يَا مُعَاذُ أَنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِيَ جَنَانًا».

(عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي) صاحب (السنن)، إمام عظيم، لما مات رثاه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله:

إن تيف تفجع بالأحبة كلهم = وفناء نفسك لا أبا لك أفجع
(مالك) هو ابن أنس.

(أبو الطفيل عامر بن واثلة) آخر من مات من الصحابة.

(عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ) عام العسرة في السنة التاسعة من الهجرة.

(فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا) مع

أنه نازل، وهذا دليل على جواز الجمع للنازل، بينما ذهب بعض أهل العلم إلى وجوب حضوره الجماعة إذا كان في محلة فيها جماعة، والذي يظهر أن الجماعة في حقه مستحبة وليست بواجبة؛ لأنه قد يشغل.

(حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا آخَرَ الصَّلَاةَ) هذا من الأدلة على جواز جمع التقديم، أخذناه من

قوله: (حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا آخَرَ الصَّلَاةَ).

(إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ) الاستثناء فيما سيكون من آتي الأمور.

(فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسْ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ)؛ لأنهم إن مسوها لم تقع فيها

البركة التي ستكون لو كان النبي ﷺ أول من يمسه ويشرب منها، ويتمضمض فيها.

(وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَاكِ) الشراك: الذي يربط به النعل، يعني شيء يسير.

(فَسَبَّهَمَا النَّبِيُّ ﷺ) وقد استثنى على الله: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعْنَتُهُ أَوْ سَبِّتُهُ فَأَجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا»^(١).

(يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنَّ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مِلَى جَنَانًا) وفعلا هذه الأيام مزارع الجوف جنات، وزرعوا جهة تبوك الزيتون، وكثيرا من الأشجار فصارت جنات عظيما، وهي الوحيدة من بلاد شمال الجزيرة التي تصير ثلوجا، وفي الغالب أن المناطق التي تأتيها الثلوج تقع بعد ذلك فيها العيون، وتُزرع، ويقع فيها الخير العظيم، وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١١ - (١٣٩٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَاتَيْنَا وَادِيَ الْقُرَى عَلَى حَدِيقَةٍ لَامْرَأَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْرُصُوهَا»، فَخَرَصْنَاهَا، وَخَرَصَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ، وَقَالَ: «أَخْصِيهَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

وَانْطَلَقْنَا حَتَّى قَدِمْنَا تَبُوكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يُمْكُ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ»، فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلِي طَيِّئٍ، وَجَاءَ رَسُولُ ابْنِ الْعُلَمَاءِ صَاحِبِ أَيْلَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِكِتَابٍ، وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْدَى لَهُ بُرْدًا، ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا وَادِيَ الْقُرَى، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَرْأَةَ عَنْ حَدِيقَتِهَا كَمْ بَلَغَ نَمْرُهَا؟ فَقَالَتْ: عَشْرَةَ أَوْسُقٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي مُسْرِعٌ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِيَ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ»، فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أَحَدٌ وَهُوَ

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: (٢٦٠٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ»، فَلَحَقْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ فَجَعَلْنَا آخِرًا، فَأَذْرَكَ سَعْدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَيْرَتَ دُورِ الْأَنْصَارِ فَجَعَلْتَنَا آخِرًا، فَقَالَ: «أَوَلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخِيَارِ»^(١).

١٢ - (١٣٩٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بِهَذَا الْإِسْنَادِ إِلَى قَوْلِهِ: وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ مِنْ قِصَّةِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَرَأَدَ فِي حَدِيثِ وَهَيْبٍ: فَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَحْرِهِمْ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِ وَهَيْبٍ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

(أَخْرُصُوهَا) الخرص: هو تقدير الثمرة وهي في شجرتها، وهذا أمر يعرفه المزارع، ربما يخرص البصل وهو تحت الأرض، ويخرص البطاط وهو تحت الأرض، ويخرص الرمان والعنب، وإلا كيف يشتري الناس هذه المزارع وربما بمئات الآلاف؟ أنت إذا نظرت فيها تقول: هذه ما ستعطي شيئاً، ولكنه يمشي فيها ويخرصها ويقدرها، ثم يشتريها، وتأتي له بمثل ما خرص، أو أزيد قليلاً أو أنقص قليلاً.

(سَتَهَبُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ) دلائل نبوة النبي ﷺ كثيرة، جمعها شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه **(الصحيح المسند من دلائل النبوة)**. **(فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلِي طَيِّ)** لا إله إلا الله! سلمه الله، وإلا ربما يذهب عقله مع هذه الحادثة، عند أن تأخذه الريح وتذهب به إلى مكان بعيد، وما كانوا يعرفون بشيء اسمه الطائرات الشراعية، نسأل الله العافية.

(ابْنُ الْعَلَمَاءِ صَاحِبِ أُيْلَةٍ) لعله كان نصرانياً، أرسل إلى النبي ﷺ لمصالحته.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٤٢٢).

(وَأَهْدَى لَهُ بَعْلَةً بَيْضَاءَ)؛ لأن البغال لم تكن في جزيرة العرب، فالبعلة تأتي بمزاوجة الحمار مع الفرس، ذكر حمار مع أنثى الفرس فتأتي ببغلة، فتكون من أشد ما يكون من الحيوان، تحمل أكثر، وظهرها واسع، إلا أنها لا تنجب.

(وَأَهْدَى لَهُ بُرْدًا) نوع من اللباس.

(إِنِّي مُسْرِعٌ) يعني في العودة، وفيه رفق الأمير بجيشه.

(فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ) محبة للمدينة، ومحبة لأحد، ومحبة لمسجده.

(هَذِهِ طَابَةٌ) كانت اسمها يثرب.

(وَهَذَا أَحَدٌ وَهُوَ جَبَلٌ يُجَبْنَا وَنُجَبَةٌ) نؤمن بذلك، الملك لله، والخلق خلق الله، ولا مانع من دلالة ظاهر الحديث.

(أَوَلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخِيَارِ) إلا بحسب، الحمد لله أن الله عَزَّجَلَّ ينعم على الإنسان أن يكون من خيرة من يثنى عليه، قد يكون هناك من هو أفضل منه الحمد لله أن الله قد فضله بما هو فيه.

وفي الحديث جواز المفاضلة بين القبائل بل والأفراد، وقدم بني النجار لسبقهم في الإسلام.

وهذا فيه فضيلة الأنصار، وسيأتي في كتاب فضائل الصحابة، وقد تقدم في كتاب الإيمان شيء من فضائلهم.

(يَبْخَرِهِمْ) البحار القرى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعِصْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ مِنَ النَّاسِ

قد قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٣]، ولا شك أن النبي ﷺ أعظم من يحقق هذا الباب، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سورة الحج: ٣٨]، ولا شك أن النبي ﷺ أعظم من يدافع الله **عَزَّوَجَلَّ** عنه. قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣ - (٨٤٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَابِرٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍانَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ زِيَادٍ وَاللَّفْظُ لَهُ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدُّوْلِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ قَبَلِ نَجْدٍ، فَأَذْرَكْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعُضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، قَالَ: وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَأَخَذَ السَّيْفَ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» قَالَ: «قُلْتُ: اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» قَالَ: «قُلْتُ: اللَّهُ»، قَالَ: «فَشَامَ السَّيْفَ، فَهِيَ هُوَ ذَا جَالِسٍ»، ثُمَّ لَمْ يَعْزِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ^(١).

١٤ - (٨٤٣) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَا: أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الدُّوْلِيُّ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٩١٠).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُمَا: أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةً قَبْلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ النَّبِيُّ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ يَوْمًا، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ وَمَعْمَرٍ.

١٤ - (٨٤٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرَّقَاعِ بِمَعْنَى حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، وَلَمْ يَذْكُرْ ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

(غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةً قَبْلَ نَجْدٍ) بوب عليه البخاري "باب غزوة ذات الرقاع" قيل بأنها قبل خيبر، وقيل بعده.

(فَأَدْرَكَتْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) لحقهم، لعلهم كانوا قد تقدموا قبله.

(فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِصَاهِ) كثير شجر الشوك، وقيل أعظم الشجر.

(فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ) يستظل.

(إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي) غورث بن الحارث.

(إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلَاتًا فِي يَدِهِ) يعني قد أخرجه من غمده استعدادا لقتل رسول الله ﷺ.

(مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ) قالها واثقا، وذاك قال: من يمنعك مني؟ على أنه قد صار قادرا على قتله.

(فَشَامَ السَّيْفَ) أزاحه من يده.

دافع الله عن نبيه، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [سورة المائدة: ٦٧].

(ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) وهذا من عظيم حلمه وصفحه وتجاوزه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥ - (٢٢٨٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ وَاللَّفْظُ لِأَبِي عَامِرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةً قَبْلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» ^(١).

السند مسلسل باليمينين، من بريد وما بعده من الأشعريين.

وساق المصنف الحديث لبيان أن سنة رسول الله ﷺ هي الغيث المدرار الذي يحيي الله به القلوب ويصلح به الدنيا والآخرة، ولم يحصل من فساد عقدي أو عملي أو علمي إلا بسبب التخلف عن هذا السبيل والقصور من الاستفادة من هذا الغيث فكل حجيجه نفسه، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

(إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ) كقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٩).

زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿الرعد: ١٧﴾.

(كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا) يعني العلم كله غيث، وسنة النبي ﷺ كلها غيث، والوحي كله غيث، وإنما تختلف الأنفس المستقبلية لهذا الغيث، أما من حيث هو فكله غيث ورحمة، ونور وضياء، وهدى وشفاء؛ لأنه من عند الله، وما كان من عند الله فهو على أكمل ما يكون، لا اختلاف فيه ولا تناقض، كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢].

والاستفادة من العلم عائد إلى الأشخاص، لأن الناس كالأرض، فالأرض منها ما يستفيد استفادة كلية من الغيث، ومنها ما تستفيد استفادة جزئية، ومنها ما لا تستفيد كلياً، فهكذا الناس في باب العلم، منهم من يستفيد من العلم ويُفيد، ومنهم من يُفيد ولا يستفيد، يستفيد من حيث التحصيل، لكن لا يستفيد من حيث العمل، ومنهم من لا يفيد ولا يستفيد، حاله كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا تُغْنِي الْأَيَّاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس: ١٠].

ولو تأملنا حال الناس في زمن النبي ﷺ لوجدنا هذه الثلاث الطبقات:

الطبقة الأولى: طبقة الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، أهل الفقه والنظر، والخير العظيم، كان العلم يأتي فيأخذونه، ويعلمونه، ويعملون به، ويدعون إليه.

الطبقة الثانية: أهل النفاق، يأتي العلم لكنهم لا يعملون به، مع أنهم يسمعون وربما حضروا مجالسه.

الطبقة الثالثة: الكفار، لا يسمعون، ولا يعلمون، ولا يعملون، بل تماؤوا على عدم السماع كما قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [سورة فصلت: ٢٦].

تواصوا بهذا، لا تستمعوا لمحمد ولا لما يقول، وحالهم كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ [سورة البقرة: ٦-٧].

والنبي ﷺ ضرب هذا المثل العظيم للناس في العلم، فالعلم واحد في جميع الأرجاء، في زمن النبي ﷺ، إلى يومنا هذا، إلى أن يرث الله الأرض، فهو وحي الله الذي أنزله، والذي بلغه محمد ﷺ، لكن الناس في تعاملهم مع هذا العلم بين مستقل ومستكثر.

وكان الزمن الأول أكثرهم قد أخذوا منه حظا عظيما، ولذلك تسمع مثلا حين يقول: يزيد بن هارون حضر له سبعون ألفا، فلان حضر له ستون ألفا، بالآلاف، مع أن حالهم كان دون حالنا.

بينما هذا الزمن تجد العكس، المبارات والألعاب حضر لها ثمانون ألفا، مائة ألف، بينما مجالس الذكر بال عشرات، قل أن يصلوا إلى الآلاف، قد يصلون إلى المئات في بعض الأماكن النادرة، أما الآلاف قل أن يصلوا إلى ذلك، وإن وصلوا منهم من يريد الموعظة، ومنهم من ليس منهم، ومنهم من يأخذ قليلا ولا يعمل، والنادر هو الذي يعمل، نسأل الله السلامة والعافية.

ولو نظرنا إلى كتب (الطبقات)، (تاريخ البخاري)، (الثقات) لابن حبان، وكتب العقيلي وهكذا ما في (تهذيب الكمال)، و(تهذيب التهذيب)، و(تقريب التهذيب)، كتب التراجم تجد آلاف من العلماء، إلا أن بعضهم ثقات وبعضهم ضعيف وبعضهم حسن وإلا كلهم علماء.

بينما في هذا الزمن العلماء معدودون بالأصابع، ومن أمارات وعلامات الساعة ظهور الجهل، ومثل النبي ﷺ العلم بالغيث، لم يقل: مطر، المطر قد يكون مفيدا وقد يكون غير مفيد، كما جاء في الحديث: «لَيْسَتْ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمَطَّرُوا، وَلَكِنَّ السَّنَةَ أَنْ

تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا^(١)، لكن ذكر النبي ﷺ الغيث، لأن الغيث هو المطر النافع، ولا يتخلف عن الانتفاع به إلا لقصور في المتفع، فالعلم غيث مفيد لمن علم وعمل.

فإذا تخلفت الاستفادة فهي من المستقبل ليست من جهة العلم، فالقصور من جهة المستقبل لهذا الغيث، فالغيث مثلاً ينزل، ربما ينزل على عرض جبل أكثر مما ينزل في الأرض المنبسطة، لكن عرض الجبل ما يستفيد منه، إلا إن كان ينمو فيه بعض العشب، لكن الأرض التي هي مستوية مليئة بالطين ونحو ذلك تقبل أكثر وتنتج أكثر والله المستعان.

(فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ) طيبة علمت فعملت، فمثل العلم بالكلاء والعشب الاستفادة منه أكلاً ونظراً.
(وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أُمَسَكَتِ الْمَاءَ فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ) علمت وما عملت، لكن نقلت العلم، فاستفاد الناس من العلم الذي عندها وهي لم تستفد، بل ربما كان وبالا عليها.

(وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانُ) مثل السباح التي على البحر أو الصحاري، أحيانا الأمطار التي تنزل في الصحاري أكثر من الأمطار التي تنزل في أماكن الزراعة وأماكن الحياة، لكن لا تستفيد تلك الصحاري من تلك الأمطار، ينزل المطر بعد ساعة والأرض كأن لم يكن فيها مطر، وهكذا الأرض السبخة التي هي قريب للبحار، تنزل الأمطار الكثيرات الغزيرات الوفيرات ولا يمكن أن تنمو فيها شجرة، فهكذا حال الناس مع العلم مستفيد مقيد مفيد غير مستفيد ولا مفيد والقسمة تقتضي مستفيد غير مفيد، وفي الحديث دلالة على أن العلم الممدوح هو المأخوذ من الكتاب والسنة، أما غير ذلك فلا.

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: (٢٩٧٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد أحسن ابن القيم إذ يقول:

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أُولُو الْعُرْفَانِ
مَا الْعِلْمُ نَصَبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةٌ بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فَلَانٍ
كَلَّا وَلَا جُحْدَ الصِّفَاتِ لِرَبِّنَا فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالسَّبْحَانِ
كَلَّا وَلَا نَفْيَ الْعُلُوِّ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ فَوْقَ جَمِيعِ الْأَكْوَانِ
كَلَّا وَلَا عِزْلَ النَّصُوصِ وَانْهَا لَيْسَتْ تَفِيدُ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ
إِذْ لَا تَفِيدُكُمْ يَقِينًا لَا وَلَا عِلْمًا فَقَدْ عَزَلَتْ عَنِ الْإِيقَانِ
وَالْعِلْمُ عِنْدَكُمْ يَنَالُ بَغِيرَهَا بِزِبَالَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانِ

قال ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (١/ ٦٠): شبه العلم والهدى الذي جاء به بالغيث لما يحصل بكل واحد منهما من الحياة والنافع والاغذية والادوية وسائر مصالح العباد فإنها بالعلم والمطر وشبه القلوب بالاراضي التي قع عليها المطر لانها المحل الذي يمسك الماء فينبت سائر انواع النبات النافع كما ان القلوب تعي العلم فيثمر فيها ويزكو وتظهر بركته وثمرته ثم قسم الناس الى ثلاثة اقسام بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه وفهم معانيه واستنباط احكامه واستخراج حكمه وفوائده احدها اهل الحفظ والفهم الذين حفظوه وعقلوه وفهموا معانيه واستنبطوا وجوه الاحكام والحكم والفوائد منه فهو لاء بمنزلة الارض التي قبلت الماء وهذا بمنزلة الحفظ فأنبت الكلاء والعشب الكثير وهذا هو الفهم فيه والمعرفة والاستنباط فإنه بمنزلة انبات الكلاء والعشب بالماء فهذا مثل الحفاظ الفقهاء اهل الرواية والدراية القسم الثاني اهل الحفظ الذين رزقوا حفظه ونقله وضبطه ولم يرزقوا تفقها في معانيه ولا استنباطا ولا استخراجا لوجوه الحكم والفوائد منه فهم بمنزلة من يقرأ القرآن ويحفظه ويراعي حرُوفه واعرابه ولم يرزق فيه فهما خاصا عن الله كما قال على ابن ابي طالب رضى الله

عَنْهُ إِلَّا فَهَمَا يُؤْتِيهِ اللَّهُ عِندَ فِي كِتَابِهِ وَالنَّاسُ مَتَفَاوِتُونَ فِي الْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ اعْظُمَ تَفَاوُتٌ قَرِبَ شَخْصٌ يَفْهَمُ مِنَ النَّصِّ حَكْمًا أَوْ حَكَمِينَ وَيَفْهَمُ مِنْهُ الْآخِرُ مِائَةً أَوْ مِائَتَيْنِ فَهَؤُلَاءِ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْضِ الَّتِي امْسَكَتِ الْمَاءَ لِلنَّاسِ فَانْتَفَعُوا بِهِ هَذَا يَشْرَبُ مِنْهُ وَهَذَا يَسْقَى وَهَذَا يَزْرَعُ فَهَؤُلَاءِ الْقِسْمَانِ هُمُ السُّعَدَاءُ وَالْأُولُونَ أَرْفَعُ دَرَجَةً وَاعْلَى قَدْرًا وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الْقِسْمُ الثَّلَاثُ الَّذِينَ لَا نَصِيبَ لَهُمْ مِنْهُ لَا حِفْظًا وَلَا فَهْمًا وَلَا رِوَايَةً وَلَا دِرَايَةً بَلْ هُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ قِيَعَانٌ لَا تَنْبُتُ وَلَا تُمْسِكُ الْمَاءَ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأَشْقِيَاءُ وَالْقِسْمَانِ الْوَالِدَانِ اشْتَرَكَا فِي الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ كُلٌّ بِحَسَبِ مَا قَبْلَهُ وَوَصَلَ إِلَيْهِ فَهَذَا يَعْلَمُ الْفَاطَةُ الْقُرْآنَ وَيَحْفَظُهَا وَهَذَا يَعْلَمُ مَعَانِيَهُ وَاحْكَامَهُ وَعِلْمُومَهُ وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ لَا عِلْمَ وَلَا تَعْلِيمَ فَهَمُ الَّذِينَ لَمْ يَرْفَعُوا بِهَدْيِ اللَّهِ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلُوهُ وَهَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنَ الْأَنْعَامِ وَهُمْ وَقُودُ النَّارِ فَقَدْ اشْتَمَلَ هَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ الْعَظِيمُ عَلَى التَّنْبِيهِ عَلَى شَرَفِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَعَظُمَ مَوْقِعُهُ وَشَقَاءُ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ وَذَكَرَ أَقْسَامَ بَنِي آدَمَ بِالنِّسْبَةِ فِيهِ إِلَى شَقِيهِمْ وَسَعِيدِهِمْ وَتَقَسَّمَ سَعِيدُهُمْ إِلَى سَابِقٍ مُقَرَّبٍ وَصَاحِبٍ يَمِينٍ مُقْتَصِدٍ وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ حَاجَةَ الْعِبَادِ إِلَى الْعِلْمِ كَحَاجَتِهِمْ إِلَى الْمَطَرِ بَلْ اعْظَمَ وَانْهَمَ إِذَا فَقَدُوا الْعِلْمَ فَهَمُ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْضِ الَّتِي فَقَدَتِ الْغَيْثَ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ النَّاسُ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْعِلْمِ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لِأَنَّ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَالْعِلْمُ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِعَدَدِ الْأَنْفَاسِ. اهـ

فهذا حديث عظيم، وأظنه قد شُرح؛ لأن مثل هذا الحديث ما يهمل من قبل أهل العلم.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمَّا مَعَانِي الْحَدِيثِ وَمَقْصُودُهُ فَهُوَ تَمْثِيلُ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ بِهِ ﷺ بِالْغَيْثِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْأَرْضَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ وَكَذَلِكَ النَّاسُ:

فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَرْضِ: يَنْتَفِعُ بِالْمَطَرِ، فَيَحْيَا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَيِّتًا، وَيُنْبِتُ الْكَلَاءَ، فَتَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَالِدَّوَابُّ وَالزَّرْعُ وَغَيْرُهَا، وَكَذَا النَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنَ النَّاسِ، يَبْلُغُهُ الْهُدَى وَالْعِلْمُ فَيَحْفَظُهُ فَيَحْيَا قَلْبُهُ، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، فَيَنْتَفِعُ وَيَنْفَعُ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْأَرْضِ: مَا لَا تَقْبَلُ الْإِنْتِفَاعَ فِي نَفْسِهَا، لَكِنْ فِيهَا فَائِدَةٌ، وَهِيَ إِمْسَاكُ الْمَاءِ لِغَيْرِهَا، فَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَالِدَّوَابُّ، وَكَذَا النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ النَّاسِ، لَهُمْ قُلُوبٌ حَافِظَةٌ، لَكِنْ لَيْسَتْ لَهُمْ أَفْهَامٌ ثَاقِبَةٌ، وَلَا رُسُوحَ لَهُمْ فِي الْعَقْلِ يَسْتَنْبِطُونَ بِهِ الْمَعَانِي وَالْأَحْكَامَ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ اجْتِهَادٌ فِي الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ بِهِ، فَهُمْ يَحْفَظُونَهُ حَتَّى يَأْتِي طَالِبٌ مُحْتَاجٌ مُتَعَطِّشٌ لِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ، أَهْلٌ لِلنَّفْعِ وَالْإِنْتِفَاعِ، فَيَأْخُذُهُ مِنْهُمْ، فَيَنْتَفِعَ بِهِ، فَهُوَ لَا يَنْفَعُوا بِمَا بَلَغَهُمْ.

وَالنَّوْعُ الثَّلَاثُ مِنَ الْأَرْضِ: السَّبَاخُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ وَنَحْوُهَا، فَهِيَ لَا تَنْتَفِعُ بِالْمَاءِ، وَلَا تُمْسِكُهُ لِيَنْتَفِعَ بِهَا غَيْرُهَا، وَكَذَا النَّوْعُ الثَّلَاثُ مِنَ النَّاسِ، لَيْسَتْ لَهُمْ قُلُوبٌ حَافِظَةٌ، وَلَا أَفْهَامٌ وَاعِيَةٌ، فَإِذَا سَمِعُوا الْعِلْمَ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلَا يَحْفَظُونَهُ لِنَفْعِ غَيْرِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْعِلْمِ مِنْهَا ضَرْبُ الْأَمْثَالِ، وَمِنْهَا فَضْلُ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ، وَشِدَّةُ الْحَثِّ عَلَيْهِمَا، وَذَمُّ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْعِلْمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ شَفَقَتِهِ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦ - (٢٢٨٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَادٍ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالْنَجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَذَلُّوا فَأَنْطَلَقُوا

عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ
وَاجْتَاَحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا
جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ»^(١).

(عبد الله بن براء الأشعري وأبو كريب) كلاهما يمني.

ساق المصنف الحديث لبيان عظيم شفقة رسول الله ﷺ على أمته ورحمته لهم
وحرصه على هدايتهم وسلامتهم في دنياهم وأخراهم، وكيف الله، وقد قال عنه ربنا
جل في علاه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وقال ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

(إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ) من العلم والهدى.

(وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالْتَبَاءُ) كان شأن العرب أنه إذا اشتد الأمر وأصبح المنذر
للناس لا يصل إليهم يتعري وربما أشار بملابسه، فعلموا أن الهول قد حصل، وأن
الأمر شديد، أحيانا تقع غارات وأعداء، وربما يكون في منطقة بعيدة ما يسمعون، وإن
سمعوه ما فهموه، فإذا رأوه قد فعل ذلك علموا أن الأمر شديد، فيأخذون الأهبة
والحيطة، فالنبي ﷺ ذكر أنه هذا النذير للأمة، بل هو أشد ﷺ.

(فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِّنْ قَوْمِهِ فَادَّبُوهَا فَاَنْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ) يعني أول ما رأوه أخذوا
الأهبة، وبدأوا يستعدون ويحتاطون، فانتفعوا، وهذا مثل لمن أجاب دعوة رسول الله
ﷺ وانقاد لها فسلم في دنياه من القتل والأسر وفي أخراه من النار.

(وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاَحَهُمْ)
وهذا مثل لمن كفر بنبوته ورد دعوته ففسدت عليه دنياه وآخرته.

(فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلٌ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْحَقِّ) العظيم، فعندنا الجيش الذي ضرب به المثل العذاب الأليم والنار المحرق المهلكة، فمن أطاع النبي ﷺ سَلِمَ ودخل الجنة، وأمن واطمأن، ومن أعرض عن دعوة النبي ﷺ ناله العطب، وأدركه العدو والشیطان فتسلط عليه، وساقه إلى الهوان والنيران، نسأل الله السلام والعافية.

وقد ضرب النبي ﷺ عدة أمثلة لنفسه من أنه النذير لأمته، كما في البخاري^(١) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِمُصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوَّلُهَا لَهُ يَفْقَهُهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ، وَفِي رَوَايَةٍ: فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ.

وفي الحديث وجوب اتباع النبي ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٧ - (٢٢٨٤) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ» ^(١).

١٧ - (٢٢٨٤) وَحَدَّثَنَا هُشَيْرُ بْنُ الْقَادِرِ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

١٨ - (٢٢٨٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجِزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا»، قَالَ: «فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ: هَلُمَّ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا».

هذا مثل آخر ضربه النبي ﷺ للناس، بيان حاله وحالهم معه، (كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا) لا سيما في البادية وأماكن الزراعة، فأول ما تستوقد النار وإذا بالفراش والجنادب تأتي إلى تلك النار، وحفها فيه.

فالنبي ﷺ مثل نفسه كالذي يقي من هذه النار، ويصد عن الوقوع في هذه النار، ومع ذلك، يقعون ويتقحمون فيها، بعدم استجابتهم ولشدة أعراضهم ولجهلهم بمصلحة أنفسهم.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤٢٦).

وهكذا حال الناس كحال الفراش، تتقحم في النار تظن النجاة وفيها الهلكة والناس يتقحمون في المعاصي والسيئات وقبل ذلك الشرقيات، تظن فيها اللذة والنجاح، وفيها الهلكة، نسأل الله السلامة على العافية.

والذي كان عاش في البادية يرى هذا، أحيانا تضع الفانوس أو ما في بابه من الإضاءات ما يأتي الصباح إلا وحوله مجموعة كبيرة من الجنادب والفراش الذي قد أصابه الحريق، فهكذا معاشر البشرية أغلبهم يحرق في هذه النار ويتقحم؛ لأنه ما استمع للذي يصده عنها، ويمنعه من الوصول إليها.

(فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ) جمع حجز وهو موضع شد الإزار، ولأن أخذ الوسط أقوى لمنعهم وإبعادهم عن النار.

(تَقَحَّمُونَ) ترمون بأنفسكم إلى النار، وهذا دليل أن دخول النار سببه ذنوب العباد ومعاصيهم وأشدّها الشرقيات والبدع المرديات، والله المستعان.

قال الحافظ في "فتح الباري" (١١ / ٣١٩): قال الطيبي تحقيق التشبيه الواقع في هذا الحديث يتوقف على معرفة معنى قوله ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وذلك أن حدود الله محارمه ونواهيه كما في الحديث الصحيح ألا إن حمى الله محارمه ورأس المحارم حب الدنيا وزينتها واستيفاء لذتها وشهواتها فشبهه ﷺ إظهار تلك الحدود ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة باستنقاذ الرجال من النار وشبه فشو ذلك في مشارق الأرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ما حول المستوقد وشبه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف وتعليمهم حدود الله وحرصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات ومنعه إياهم عن ذلك بأخذ حجزهم بالفراش التي تقتحم في النار وتغلبن المستوقد على دفعهن عن الاقتحام كما أن المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به من الاستضاءة والاستدفاء وغير ذلك والفراش لجهلها جعلته سببا لهلاكها فكذا كان القصد بتلك البيانات اهتداء الأمة واجتنابها ما هو سبب هلاكهم وهم مع

ذلك لجهلهم جعلوها مقتضية لترديهم وفي قوله أخذ بحجزكم استعارة مثل حالة منعه الأمة عن الهلاك بحالة رجل أخذ بحجزة صاحبه الذي يكاد يهوي في مهواة مهلكة. اهـ
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٩ - (٢٢٨٥) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سَلِيمٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادُ وَالْفَرَّاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّ عَنْهَا وَأَنَا أَخَذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْلَتُونَ مِنْ يَدِي».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَقْصُودُ الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ شَبَّهَ تَسَاقُطَ الْجَاهِلِينَ وَالْمُخَالِفِينَ بِمَعَاصِيهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ فِي نَارِ الْآخِرَةِ، وَحَرَصِهِمْ عَلَى الْوُقُوعِ فِي ذَلِكَ، مَعَ مَنْعِهِ إِيَّاهُمْ، وَقَبْضِهِ عَلَى مَوَاضِعِ الْمَنَعِ مِنْهُمْ، بِتَسَاقُطِ الْفَرَّاشِ فِي نَارِ الدُّنْيَا، لِهَوَاهُ، وَضَعْفِ تَمْيِيزِهِ، وَكِلَاهُمَا حَرِيصٌ عَلَى هَلَاكِ نَفْسِهِ، سَاعٍ فِي ذَلِكَ لِجَهْلِهِ. اهـ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ ذِكْرِ كَوْنِهِ ﷺ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ

وهذا أمر مجمع عليه بين أهل الإسلام، ومن اعتقد غير ذلك وقاله كان من الكافرين، المكذبين لكلام رب العالمين، والرادين لخبر النبي الأمين ﷺ، والمخالفين لما هو معلوم من الدين ضرورة.
وقد ادعى القادياني أنه رسول بعد النبي ﷺ، واتبعه من تبعه نعوذ بالله من الضلال.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠ - (٢٢٨٦) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى

بُنيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِلَّا هَذِهِ اللَّبَنَةُ، فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبَنَةُ»^(١).

٢١ - (٢٢٨٦) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنْبِهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا، وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْبُجِبُهُمُ الْبُنيَانُ فَيَقُولُونَ: أَلَا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبَنَةً فَيَسِمُ بُنيَانُكَ»، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: «فَكُنْتُ أَنَا اللَّبَنَةُ».

٢٢ - (٢٢٨٦) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ: ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْبُجِبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبَنَةَ»، قَالَ: «فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ».

٢٢ - (٢٢٨٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ النَّبِيِّينَ»، فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

٢٣ - (٢٢٨٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا، وَيَتَعَبَّجُونَ مِنْهَا،

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٣٥).

وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّيْنَةِ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّيْنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ^(١).

٢٣ - (٢٢٨٧) وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سَلِيمٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، وَقَالَ بَدَلٌ «أَتَمَّهَا»: «أَحْسَنَهَا».

(مَثَلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي) هذا مثل ضربه رسول الله ﷺ لبيان أن الأنبياء كالبناء الواحد ختم بمحمد ﷺ فتم البناء واكتمل.

(فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّيْنَةُ) يعني ختمت به النبوة والرسالة، فمثل النبي ﷺ النبوة والرسالة بالبيت الذي اكتمل بنيانه وبقيت موضع لبنه، كان هو ﷺ الذي تم به ذلك البنيان.

(وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ) هذا هو الشاهد من الحديث، مع أن المثل قد وضح معناه إلا أن هذه اللفظة صريحة بأنه خاتم النبيين، بمعنى أنه آخرهم، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٠].

قال الضلال: معناه: زينة النبيين، يريدون تجويز النبوة بعده ﷺ، مع أنه قد قال: «لا نبي بعدي»، وهذا صريح في انقطاع النبوة بعد محمد ﷺ. قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً أُمَّةٍ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا

قال الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ:

٢٤ - (٢٢٨٨) وَحَدَّثْتُ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ وَمِمَّنْ رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنِي بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةً أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا،

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٣٤).

فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبَّيْهَا حَيًّا، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي: هَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُنْقَطِعَةِ فِي مُسْلِمٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ الَّذِي حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ. **قُلْتُ:** وَلَيْسَ هَذَا حَقِيقَةً انْقِطَاعٍ، وَإِنَّمَا هُوَ رَوَايَةٌ مَجْهُولٌ، وَقَدْ وَقَعَ فِي حَاشِيَةِ بَعْضِ النُّسخِ الْمُعْتَمَدَةِ: قَالَ الْجُلُودِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ الْأَرْغِيَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ بِإِسْنَادِهِ. **(إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةً أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ)** سلمهم من سبل الهلاك، ومن ذلك غضب نبيها عليها.

(قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا) يشفع لها، ويستغفر لها، ويكون راض عنها في الجملة. **(فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا)** الفرط: المقدّم لهم، يستقبلهم، كما في حديث: **«أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»**، ويأتي في الباب الذي يليه. **(وَسَلَفًا)** أي: المتقدم أيضا، **«فَإِنِّي نَعَمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ»**^(١). **(وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبَّيْهَا حَيًّا)** كما فعل بعاد وشمود، وقوم نوح، وقوم لوط، كلهم أهلكوا وعذبوا وأنبيأوهم ينظرون ما حل بهم. **(فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا)**؛ لكثرة تكذيبهم، وإعراضهم وأذاهم والنبي ﷺ استأنى بأمته، وصبر عليهم، حيث قال حين جاءه ملك الجبال بعذابهم: **«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»**.

وفيه أن العاقبة للمتقين، وإن تمرد المتمردون، وأعرض المعرضون.

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٥٩٢٨)، ومسلم حديث رقم: (٢٤٥٠)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي هذا الحديث بيان لكثرة المخالفين لرسولهم فضلا عن غيرهم، فإذا كان هذا حال الناس مع رسولهم فكيف بحالهم مع منهم دون الرسل؟ والرسل أبلغ الناس علما وفصاحة، وصدق نية، وحرصا على هداية الناس، ومع ذلك أعرضوا وأبوا وتمردوا، نسأل الله السلامة والعافية.

فالهداية من الله، إذا أراد أن يهدي الإنسان وفقه، شرح صدره للخير، وإذا أراد له غير ذلك ضيق صدره، كلما سمع الحق ازداد نفورا وإعراضا، والمؤمن كلما سمع الحق ازداد إقبالا وانسراحا، كما قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة التوبة: ١٢٤-١٢٥].

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ

الحوض هو جمع الماء ويكون لرسول الله ﷺ يوم القيامة يسقى منه المؤمنين. والحوض موجود الآن، وسيأتي قول النبي ﷺ: «ومبني على حوضي»، «وإني لأنظر إلى حوضي الآن»، وذهب كثير من العلماء إلى أن لكل نبي حوض، لكن الحديث لا يصح، أحسن أحواله أنه مرسل عن الحسن البصري ومراسيل الحسن ضعاف.

وتجد في كلام أهل العلم: أن النبي ﷺ صاحب الحوض والشفاعة، وهذا دليل على أنهم اختصاصه بالحوض، وبقية الأمم تشرب مع أمته من هذا الحوض الواسع الكبير.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَحَادِيثُ الْحَوْضِ صَحِيحَةٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ فَرَضٌ، وَالتَّصَدِيقُ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لَا يُتَأَوَّلُ، وَلَا يُخْتَلَفُ فِيهِ.

قَالَ الْقَاضِي: وَحَدِيثُهُ مُتَوَاتِرٌ النَّقْلُ، رَوَاهُ خَلَاثَةُ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَذَكَرَهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَعَائِشَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ، وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَابْنَ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةَ، وَحَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ، وَالْمُسْتَوْرِدَ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَثَوْبَانَ، وَأَنَسَ، وَجَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ. وَرَوَاهُ غَيْرُ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، وَأَبِي أُمَامَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ، وَأَبِي بَرَزَةَ، وَسُوَيْدِ بْنِ جَبَلَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الصَّنَابِجِيِّ، وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَأَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَخَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، وَغَيْرِهِمْ.

قُلْتُ: وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُمَا مِنْ رِوَايَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعَائِدِ بْنِ عُمَرَ، وَآخَرِينَ. وَقَدْ جَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ (الْبَعْثُ وَالنُّشُورُ) بِأَسَانِيدِهِ، وَطَرَفِهِ الْمُتَكَثِّرَاتِ.

قَالَ الْقَاضِي: وَفِي بَعْضٍ هَذَا مَا يَقْتَضِي كَوْنَ الْحَدِيثِ مُتَوَاتِرًا. اهـ

حتى قال القائل:

مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتا واحتسب
ورؤية شفاعته والحوض ومسح خفين وهذي بعض
وذكر الحافظ ابن حجر وغيره: أن الذين رَوَوْا أَحَادِيثَ الْحَوْضِ فَوْقَ ثَمَانِينَ صَحَابِي، رُبُّ بَعْضِ الصَّحَابَةِ رَوَى حَدِيثَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، فَأَحَادِيثَ الْحَوْضِ مُتَوَاتِرَةٌ، لِبَقِيَةِ بَنِ مَخْلَدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مُصَنَّفٍ أَوْ وُجِدَ مِنْ مَسْنَدِهِ أَحَادِيثُ الْحَوْضِ، ذُكِرَ فِيهِ صِفَاتُ هَذَا الْحَوْضِ، وَأَنِيَّةُ هَذَا الْحَوْضِ، وَمَاءُ هَذَا الْحَوْضِ، وَشَأْنُهُ عَظِيمٌ، «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلَجِ،

وَأُحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَا يَنْتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، حَوْضِي»^(١) «مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ».

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٥ - (٢٢٨٩) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدُبًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»^(٢).

٢٥ - (٢٢٨٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ بِشْرِ جَمِيعًا عَنْ مِسْعَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جُنْدُبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(أَنَا فَرَطُكُمْ) الفرط المتقدم، وكان أصحاب الإبل والبقر والغنم إذا أرادوا أن يستسقوا الماء لدوابهم ينزل فرط على الماء، بحيث يجهز لها ما تشرب ويمنعها من الدخول بين الماء مما يؤدي إلى تعكيره وإلى إفساده، وهكذا يرتبها مع ما قبلها من الدواب، فهكذا النبي ﷺ يكون فرط الناس يوم القيامة على الحوض، يسقيهم، ومنهم من يذاد، ومنهم من يكرم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٦ - (٢٢٩٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي: ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: (٢٤٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٨٩).

الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» (١).

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَ النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عِيَّاشٍ وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولُ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فَيَقُولُ: «إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بِعَدَاكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي».

٢٦ - (٢٢٩١) وَحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي أَسَامَةُ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٢٦ - (٢٢٩١) وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ يَعْقُوبَ.

٢٧ - (٢٢٩٢) وَحَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيُّ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ الْجُمَحِيُّ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَرَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا».

(مَنْ وَرَدَ شَرِبَ) يعني من بلغه ووصل إليه شر منه؛ لأن المخالفين يردون عنه ويزادون كما يذاذ البعير الضال.

(وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا) قال العلماء: حتى لو عذب في النار يعذب بما دون الظمأ، وهكذا يكون شربه في الجنة من باب التلذذ لا أنه يعطش.

(وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ) وهؤلاء الذين طردوا الذين أحدثوا في دين الله عَرَجَلًا، ووقعوا في البدع والمخالفات.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٧ - (٢٢٩٢) وَحَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيُّ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عَمَرَ الْجَمَحِيُّ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَرَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا» (١).

(مَسِيرَةُ شَهْرٍ) أي أنه واسع الأرجاء.

(وَرَوَايَاهُ سَوَاءٌ) بمعنى أنه متساوي القطر.

(مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ) الفضة الصافية، وتقدم في كتاب الطهارة أنه أبيض من الثلج.

(وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ) وهذا أعظم ماء، قد تجد ماء طعمه لا بأس به وريحه

متغير أو لونه متغير، وأي كان لا يقع لك الري الكامل، يعني الآن تشرب وبعد قليل تشرب لدفع العطش، أما الحوض نسأل الله أن يسقينا منه.

فإن الناس يأتونه بعد أن يخرجوا من قبورهم عطاشا فيشربون ولا يعطشون بعدها أبداً.

وقد تقدم بيان إنكار بعض الناس للحوض، حتى أنكره عبيد الله بن زياد في زمن الصحابة، وكان من حدثه عن الحوض أنكر عليه، ورد قوله، حتى دخل عليه أنس بن مالك فقال: لقد تركت عجائز المدينة وإحداهن تقول: اللهم اسقني من حوض نبيك، ما كنت أظن أن أعيش إلى زمن أجد من ينكر الحوض، أو كما قال.

وينكره الرافضة، والخوارج، والمعتزلة ومن إليهم ممن لا يؤمن باليوم الآخر كما أخبر الله عز وجل.

وقد ذكر ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ أن: من أنكر فضيلة لم ينلها.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٧٩).

(وَكَيْزَانُهُ كُنُجُومُ السَّمَاءِ) أي في الكثرة، سيأتي في حديث أبي ذر: «في الليلة المصحية»: الصافية، فإذا كان في السماء سحاب ما ترى إلا نجما أو نجم هنا ونجم هنا، لكن الليلة الصافية وتكون في مكان غير مكان الضوء تشاهد نجوما لا عد لها ولا حصر، كثيرة جداً، لا سيما إذا كانت النجوم فيما يسمى بدرج التبانة، الله أعلم كم النجوم ربما بالملايين والمليارات.

(فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا) آخر ما عليه من العطش.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٧ - (٢٢٩٣) قَالَ: وَقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ أَنْاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي! فَيَقَالُ: أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللَّهِ مَا بَرَحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ! قَالَ: فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا»^(١).

٢٨ - (٢٢٩٤) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ، عَنِ ابْنِ حُثَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابِهِ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللَّهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ فَلَأَقُولَنَّ: أَيُّ رَبِّ، مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ».

دعاء طيب، قاله حين سمع ما سمع من حصول الردة، ومن حصول الانحراف بعد موت النبي ﷺ، والصحابة ثبتوا بحمد الله، لأن هذه الأحاديث قد يأخذ منها بعض

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٩٣).

الرافضة ما يذهبون إليه من تغير الصحابة، الصحابة ثبتوا **رَضُوا اللَّهَ عَنْهُمْ**، ومن وقعت منه ردة عاد إلى الإسلام، كما هو الحال في طليحة بن خويلد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما أطلع الله عليه، وفيه حصول الردة ووقوعها.

ومثل هذه الأحاديث جمعت بين الوعد والوعيد، الوعد من حيث ورود أمة محمد ﷺ على حوضه، ويسقون ويدنون منه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ووعد من حيث الارتداد على الأعقاب بعد أن عرف الإنسان الحق، وإذا به يرجع القهقري بسبب تسلط الشيطان عليه، وبسبب قبول الفتن والشبهات، وبسبب ضعف الاستقامة والعمل الصالح. وفيه محبة النبي ﷺ لأمته، ينتظرهم على الحوض ويسقيهم بيده. قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢٩ - (٢٢٩٥) وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدْفِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو وَهُوَ ابْنُ الْحَارِثِ، أَنَّ بُكَيْرًا حَدَّثَهُ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبَّاسٍ الْهَاشِمِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ، وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ وَالْجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَيُّهَا النَّاسُ**»، فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي، قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرَّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ، فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيَذَبُ عَنِّي كَمَا يَذَبُ الْبُعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ! فَأَقُولُ: سُحْقًا**».

٢٩ - (٢٢٩٥) وَحَدَّثَنِي أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ وَهُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرِو، حَدَّثَنَا أَفْلَحُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَافِعٍ قَالَ: كَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ تُحَدِّثُ: أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهِيَ

تَمَشَّطُ: «أَيْهَا النَّاسُ»، فَقَالَتْ لِمَ شَطَّيْتَهَا: كُفِّي رَأْسِي، بَنَحُو حَدِيثَ بُكَيْرٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبَّاسٍ.

(كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ) تناقل العلم فيما بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(إِنِّي مِنَ النَّاسِ) هذا دليل على أن الألف واللام تفيد العموم إذا دخلت على الأجناس، وأن النساء داخلات في خطاب الشريعة، إلا ما خص الدليل الرجال دونهن. وحرص أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على العلم، ورجاحة عقلها.

وفيه أن من كان عنده السند النازل فليبحث عن العالي ويأخذ به.

وفيه البعد عن المشغلات والملهيات، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلٍ مِّنْ

قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ﴾ [سورة الأحزاب: ٤].

(كَمَا يَذُبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ) فيه ضرب الأمثال.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٠ - (٢٢٩٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَّكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا» ^(١).

٣١ - (٢٢٩٦) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا وَهْبٌ يَعْنِي: ابْنَ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَيُّوبَ يُحَدِّثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ مَرْثَدٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرِ كَالْمُودِّعِ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٣٤٤).

لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُم عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ عَرَضَهُ كَمَا بَيْنَ أَثَلَةٍ إِلَى الْجُحْفَةِ، إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنْبَرِ.

(أبو الخير) مرثد اليزني.

(فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ) أي دعا لهم بالرحمة والمغفرة، ليس معنى ذلك أنه صلى الصلاة المعهودة بأربع تكبيرات، يقرأ في أولاهن الفاتحة، وفي الثانية الصلاة على النبي ﷺ، وفي الثالثة يدعو للأموات، وفي الرابعة يسلم، وإنما دعا لهم.

(ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْبَرِ) مودعا للأحياء والأموات؛ لأن هذا كان قبل موته بخمس ليال، ذهب يودع الأموات، وصعد على المنبر يودع الأحياء، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعل له أمارات وعلامات، وربما الإنسان لا يدري بدنو أجله، ولكن يفعل أفعالا تدل على توديعه، ولا ينتبه لها في حال حياته، والناس يظنون أنه يقوم بأمر عادي، لكن إذا مات تذكروا، يقول أحدهم: والله سمعته يقول كذا، والآخر يقول: سمعته يوصي بكذا، والثالث يقول: رأيته يفعل كذا، وهذا من حديث النبي ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ»، قِيلَ: وَمَا عَسَلَهُ؟ قَالَ: «يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»^(١). (وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ) أي يوم القيامة، ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿يَوْمَذِ يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ﴿٤٢﴾ [سورة النساء: ٤١-٤٢].

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٧٧٨٤)، عن أبي عنبه الخولاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ) دليل على أن الحوض موجود الآن، كما هو عقيدة أهل السنة والجماعة، وجاء في حديث عبد الله بن زيد: «ومنبري على حوضي». (وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ) بشارة بالفتوحات التي تكون بعد موته ﷺ وحصلت، فتوحات إلى المشرق وفتوحات إلى المغرب، وهذا هو كما جاء في حديث ثوبان: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا»^(١). (وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي) هذا على الغالب، وإلا فإن الشرك حاصل، وهذا فيه تنزيه الصحابة عن الشرك، وفيه تعديل للصحابة، وأما الأمة فقد استدل بهذا الحديث بعض من لا يفقه الأحاديث على أن الشرك لا يقع في أمة محمد ﷺ، مع أن النبي ﷺ يقول: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ»^(٢)، ويخبر النبي ﷺ ويتخوف على الناس الشرك الخفي، الرياء، وهكذا الشرك الظاهر، ولذلك نهى عن دواعيه ومسبباته: «فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»، وأمر بتسوية القبور، ونهى عن الغلو، وغير ذلك من الأمور المؤدية إلى الشرك، فنهى عن الذرائع الموصلة إليه.

لكن الصحابة رَضُوا بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ كَانُوا فِي بَعْدِ عَنِ الشَّرْكِ، وهكذا التابعون لهم بإحسان، وتابعوهم القرون المفضلة، ثم بعد ذلك بدأ الغلو يظهر شيئاً فشيئاً. وكيف لا يقع الشرك وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد قتل مشركين ومنددين في زمنه؟ وهم يعتقدون أنه الله، وهذا من أسوأ ما يكون من الشرك، أن يعتقد أن المخلوق هو الذات العلية، المتصفة بصفات الجلال والعظمة والكبرياء. (وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا) أي في الدنيا؛ لأنها الغالب في فتنة المسلمين، مع أن الفتن كثيرة متنوعة.

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: (٢٨٨٩).

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: (٢٩٠٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) فيه أن أعظم أسباب الفتن الدنيا، فمحببة الدنيا، والركون إليها، الرغبة فيها خطره عظيم، ولو تأملت حال الكفار تجد أنهم قد رُبطوا بالدنيا في كثير من أشياءهم، ﴿يَعْمَلُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [سورة الروم: ٧]، حيث فتنتهم الدنيا، وتعلقت قلوبهم بها.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٢ - (٢٢٩٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَأَنَارُ عَنْ أَقْوَامًا نَّمَّ لَأَغْلِبَنَّ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدُثُوا بَعْدَكَ»^(١).

٣٢ - (٢٢٩٧) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ جَرِيرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَذْكُرْ: «أَصْحَابِي أَصْحَابِي».

٣٢ - (٢٢٩٧) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ جَمِيعًا عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بَنَحْوِ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ. وَفِي حَدِيثِ شُعْبَةَ، عَنْ مُغِيرَةَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ.

٣٢ - (٢٢٩٧) وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبَثَرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ كِلَاهُمَا عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ وَمُغِيرَةَ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٧٦).

(وَلَا تَزَعَنَّ أَقْوَامًا نَمَّ لِأَعْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ) يعني هو يحاول في أخذهم إلى حوضه وهناك من يصدهم ويردهم عن حوضه لارتدادهم أو ابتداعهم.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٣ - (٢٢٩٨) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَزِيعٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مَعْبِدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حَارِثَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «حَوْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ»، فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْدُ: أَلَمْ تَسْمَعْهُ قَالَ: الْأَوَانِي؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ الْمُسْتَوْدُ: «تَرَى فِيهِ الْآنِيَّةُ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ»^(١).

٣٣ - (٢٢٩٨) وَحَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَرَعَةَ، حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَعْبِدِ بْنِ خَالِدٍ: أَنَّهُ سَمِعَ حَارِثَةَ بْنَ وَهَبٍ الْخَزَاعِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، وَذَكَرَ الْحَوْضَ بِمِثْلِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ، قَوْلَ الْمُسْتَوْدِ وَقَوْلَهُ.

(ابن أبي عدي) وهو محمد.

فالحديث حديث الرجلين: حارث بن وهب الخزاعي، والمستورد بن شداد.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٤ - (٢٢٩٩) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ»^(٢).

٣٤ - (٢٢٩٩) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ الْقَطَّانُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٩١).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٧٧).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْمُثَنَّى: «حَوْضِي».

٣٤ - (٢٢٩٩) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، وَزَادَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: قَرَيْتَيْنِ بِالشَّامِ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ ثَلَاثِ لَيَالٍ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشْرٍ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ. ٣٤ - (٢٢٩٩) وَحَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ.

٣٥ - (٢٢٩٩) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ فِيهِ، أَبَارِيقُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا».

(كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ) يعني المسافات، تكون متقاربة، إلا أنه تارة يذكر بلدة وتارة

يذكر أخرى ﷺ؛ للتقريب لأصحابه والبيان له.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهِيَ مَدِينَةٌ فِي طَرَفِ الشَّامِ فِي قِبَلَةِ الشَّوَيْكِ، بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ نَحْوُ نِصْفِ يَوْمٍ، وَهِيَ فِي طَرَفِ الشَّرَاطِ بِفَتْحِ الشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ فِي طَرَفِهَا الشَّمَالِيِّ، وَتَبُوكُ فِي قِبَلَةِ أَذْرَحَ بَيْنَهُمَا نَحْوُ أَرْبَعِ مَرَاحِلَ، وَبَيْنَ تَبُوكَ وَمَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ مَرَحَلَةً. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٦ - (٢٣٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمُكَمِّي وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّي، عَنْ أَبِي عُمَرَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا آتِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا آتِيَةُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُضْهِجَةِ، آتِيَةُ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخَرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخُبُ فِيهِ مِزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ

مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ عَرَضُهُ مِثْلَ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

حوض عظيم، المنظر والمخبر، والحال والمآل، فكم يشرب الإنسان في يومه وليلته ولا يزال ربما يجد العطش، وإذا بشربة واحدة من ذلك الحوض يذهب هذا كله، وينسى العطش، ويبدأ في النعيم الأبدي.

وهذه بشارة بالخير العظيم، يعني من شرب من الحوض بشارة بما بعده من الخير، ولا يزال المؤمن يستبشر هكذا، في حياته يستبشر، وعند موته يستبشر ويبشر، وحين يدخل في قبره يستبشر ويبشر، ويرى مقعده من الجنة والمقعد الذي سلمه الله من النار، وإذا خرج إلى أرض المحشر يستبشر، بدءاً من سقيا الحوض، وهكذا في كل مواطنه مع البشارات.

فهنا لك أيها المسلم، هنيئاً لك أيها المنقاد لدين الله وشرعه، لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، تبقى مع البشارات، ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣١]، حتى في حياته يُثنى عليه بالخير من أهل الصلاح، قال النبي ﷺ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»^(١).

ربما تكون له أعمال لا يعلمها إلا الله، ومع ذلك يجعل الله عزَّوجلَّ له محبة في قلوب عباده، ينسون تقصيره، ولا تظهر لهم عيوبه، ويظهر الله عزَّوجلَّ لهم حسناته، وكما في ذلك الأثر: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار.

فعلينا أن نخلص أعمالنا لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونسارع فيما يرضيه، ونتقي ما يسخطه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: (٢٦٤٢)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٣٧ - (٢٣٠١) حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمُسَمَعِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَالْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةً قَالُوا: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ وَهُوَ ابْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ، عَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَبِعُفْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرَفُضَ عَلَيْهِمْ»، فَسُئِلَ عَنْ عَرَضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ»، وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدُّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ».

٣٧ - (٢٣٠١) وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ بِإِسْنَادِ هِشَامٍ بِمِثْلِ حَدِيثِهِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ عُقْرِ الْحَوْضِ».

٣٧ - (٢٣٠١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ مَعْدَانَ، عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثَ الْحَوْضِ، فَقُلْتُ لِيَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ: هَذَا حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَوَانَةَ؟ فَقَالَ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا مِنْ شُعْبَةَ، فَقُلْتُ: انْظُرْ لِي فِيهِ، فَنَظَرَ لِي فِيهِ فَحَدَّثَنِي بِهِ.

٣٨ - (٢٣٠٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلَامٍ الْجَمَحِيُّ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ يَعْنِي: ابْنَ مُسْلِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَأَذُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالًا كَمَا تُدَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الْإِبِلِ»^(١).

٣٨ - (٢٣٠٢) وَحَدَّثَنِيهِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٣٦٧).

(إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ) وهذه خصيصة لأهل هذه البلدة الطيبة المباركة، لكن ليس لكل واحد منهم، فلا يدخل في هذه الفضيلة رافضي، ولا باطني، ولا عابد قبر صوفي، ولا يدخل في هذه الفضيلة اشتراكي، ولا بعثي، ولا ناصري، ولا يدخل في هذه الفضيلة علماني، ولا حدائي، ولا متحزب معرض عن سنة النبي ﷺ. هذه فضيلة لأهل الاستقامة، لأهل السنة، لمقتفي آثار النبي ﷺ، اقتفوا آثاره في الدنيا فزاد الناس عن مزاحمتهم في الآخرة.

ومعنى (إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي): يعني الموقف الذي يقف فيه ساقى الإبل قريب الحوض.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ ﷺ: (أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ) مَعْنَاهُ أَطْرُدُ النَّاسَ عَنْهُ غَيْرَ أَهْلِ الْيَمَنِ لِيَرْفُضَ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ، وَهَذِهِ كَرَامَةٌ لِأَهْلِ الْيَمَنِ فِي تَقْدِيمِهِمْ فِي الشُّرْبِ مِنْهُ مُجَازَاةً لَهُمْ بِحُسْنِ صَنِيعِهِمْ، وَتَقْدِيمُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْأَنْصَارُ مِنَ الْيَمَنِ، فَيَدْفَعُ غَيْرَهُمْ حَتَّى يَشْرَبُوا كَمَا دَفَعُوا فِي الدُّنْيَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَعْدَاءَهُ وَالْمَكْرُوهَاتِ. اهـ

وأيضا هاهم أهل اليمن بحمد الله مازال الكثير منهم على سنة النبي ﷺ، يذود عنها بلسانه، أو بينانه، أو بسنانه، وهذه فضائل عظيمة نسأل الله الثبات حتى الممات.

(يَرْفُضُ عَلَيْهِمْ): أي يسيل عليهم.

(مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَانَ) من المدينة إلى عمان، الأردن، عمان البلقاء.

(يَغُتُّ) يصب، (فِيهِ مِيزَابَانِ يَمْدَانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ) يمدانه من نهر الكوثر.

استفدنا من هذا الباب بشارات، ونذارات، وعقيدة، ونحو ذلك.

(محمد بن زياد) جمحي.

٣٩ - (٢٣٠٣) وَحَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَدَرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»^(١).

٤٠ - (٢٣٠٤) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ الصَّفَّارُ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ صُهَيْبٍ يُحَدِّثُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رَجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُمْ وَرَفَعُوا إِلَيَّ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَلَا قَوْلَنَ: أَيُّ رَبِّ، أَصِيحَابِي أَوْ صِيحَابِي، فَلْيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بَعْدَكَ»^(٢).

٤١ - (٢٣٠٥) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، جَمِيعًا عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسٍ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْمَعْنَى، وَزَادَ: «آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ».

٤١ - (٢٣٠٣) وَحَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّيْمِيُّ وَهَرِيمُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى وَاللَّفْظُ لِعَاصِمٍ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ نَاحِيَّتِي حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ».

٤٢ - (٢٣٠٣) وَحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا هِشَامُ (ح) وَحَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ كِلَاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ غَيْرَ أَنَّهُمَا شَكَّا فَقَالَا: «أَوْ مِثْلَ مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَعَمَّانَ»، وَفِي حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ: «مَا بَيْنَ لَابَتَي حَوْضِي».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٨٠).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٨٢).

٤٣ - (٢٣٠٣) وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّزِّيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»^(١).

٤٣ - (٢٣٠٣) وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ، مِثْلَهُ، وَرَادَ: «أَوْ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

٤٤ - (٢٣٠٥) حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ بْنُ الْوَلِيدِ السَّكُونِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ، حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ حَيْثَمَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنْ بَعْدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ، كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ».

٤٥ - (٢٣٠٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مَعَ غَلَامِي نَافِعٍ: أَخْبَرَنِي بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيَّ إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «أَنَا الْفَرَطُ عَلَى الْحَوْضِ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْقَاضِي: هَذَا دَلِيلٌ لِصِحَّةِ تَأْوِيلِ مَنْ تَأَوَّلَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الرَّدَّةِ، وَلِهَذَا قَالَ فِيهِمْ: سُحْقًا سُحْقًا، وَلَا يَقُولُ ذَلِكَ فِي مُذْنَبِي الْأُمَّةِ، بَلْ يَشْفَعُ لَهُمْ، وَيَهْتَمُّ لَأَمْرِهِمْ. قَالَ: وَقِيلَ: هَؤُلَاءِ صِنْفَانِ:

أَحَدُهُمَا: عُصَاةٌ مُرْتَدُّونَ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ لَا عَنَ الْإِسْلَامِ، وَهَؤُلَاءِ مُبَدِّلُونَ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِالسَّيِّئَةِ. وَالثَّانِي: مُرْتَدُّونَ إِلَى الْكُفْرِ حَقِيقَةً نَاكِضُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَاسْمُ التَّبْدِيلِ يَشْمَلُ الصَّنْفَيْنِ. اهـ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٨٠).

ويطرد من الحوض طائفتان: الأولى: من تقدم ذكرهم، الثاني: أهل البغي وظلم، فعن جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ: لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: "أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ"، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: "أَمْرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُونِ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسِيرُوا عَلَيَّ حَوْضِي. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتِ النَّارِ، أَوْ لَى بِهِ. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعُ نَفْسِهِ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعُ نَفْسِهِ فَمُوبِقُهَا". أخرجه أحمد

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: فِي قِتَالِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ

وهذا لكرامته عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولعظيم منزلته، ولما وعده الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [سورة المائدة: ٦٧]، فإذا غلب المرء ونصره الله فليس بمغلوب، وإذا نُصر المرء وخذله الله فهو المغلوب، فالأمر يعود إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ** حفظا وكلاءة وخذلانا وتسليطا.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٤٦ - (٢٣٠٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ وَأَبُو أُسَامَةَ، عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدِ قَالَ: رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيَاضٍ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، يَعْنِي جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ** (١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٠٥٤).

٤٧ - (٢٣٠٦) وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا سَعْدٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنْ يَسَارِهِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيضٌ، يُقَاتِلَانِ عَنْهُ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ.

(أبو بكر بن أبي شيبة) عبد الله بن محمد، صاحب (المصنف) و (المسند).

(مسعر) وهو ابن كدام.

(سعد بن إبراهيم) الزهري.

(سعد) وهو ابن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، زهري.

يعني رآهما في صورة رجلين، وإلا فإن جبريل خلق عظيم، لو كان على الخلقة التي خلقه الله عليها، فقد رآه النبي ﷺ سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض.

وفيه فضل لبس البياض، فانظر إلى هذين الملكين الكريمين جعلهما الله يلبسان البياض، وهكذا لما جاء جبريل إلى النبي ﷺ: شديد بياض الثياب والنبي ﷺ يقول: «من خير ثيابكم البياض».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: فِي شَجَاعَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَقَدُّمِهِ لِلْحَرْبِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٨ - (٢٣٠٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ، وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى، قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ

لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِي فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا»، قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا»، أَوْ: «إِنَّهُ لَبَحْرٌ»، قَالَ: وَكَانَ فَرَسًا يُطَا^(١).

٤٩ - (٢٣٠٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَرْعٌ، فَاسْتَعَارَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ يُقَالُ لَهُ مَنْدُوبٌ فَرَكِبَهُ، فَقَالَ: مَا رَأَيْنَا مِنْ فَرْعٍ، وَإِنْ وَجَدْنَاهُ لَبَحْرًا.

٤٩ - (٢٣٠٧) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي: ابْنَ الْحَارِثِ، قَالَا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: فَرَسًا لَنَا، وَلَمْ يَقُلْ: لِأَبِي طَلْحَةَ، وَفِي حَدِيثِ خَالِدٍ عَنْ قَتَادَةَ: سَمِعْتُ أَنَسًا.

(أبو كامل) الجحدري، فاضل بن حسين.

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ) الله أكبر، أحسن الناس في ذاته، وفي صفاته، وفي كرمه، وقوله، وفعله، وشجاعته، وتواضعه، وفي عبادته، بل في جميع صفاته ﷺ وشمائله، أحسن الناس.

(وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ) هذا من التفصيل بعد العام، فهو أحسن الناس في جوده وكرمه، ومع ذلك كان أجود الناس، ما سئل إلا وأعطى، إلا إن لم يجد، «يَأْبَى اللَّهُ لِي الْبُخْلَ»، وَأَعْطَى غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ.

(وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ) كيف لا يكون أشجع الناس وقد قام بالدعوة إلى الله في أناس لا يعرفون إلا الأصنام والأوثان؟ سفه آلهتهم، وبين التوحيد، وحذر من الشرك والتنديد، يصلي بين أظهرهم ولا يتهيب منهم.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٦٢٧).

فهذه الصفات كما أنها برسول الله ﷺ ينبغي للداعي إلى الله عز وجل أن يحرص عليها، الصفات الخَلْقِيَّةُ والخُلُقِيَّةُ، نعم الإنسان ليس له في تغيير الخلق التي خلقه الله عليها، لكن ليحسن منظره بحسن نظافته، وغسله، وترجله، وبجميل ثيابه، وجميل شأنه، وهكذا عليه أن يكون أحسن الناس في الصفات الخُلُقِيَّةُ يتأسى برسول الله ﷺ إن رام الوصول إلى مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعليه أن يكون باذلاً للندى إن وُجد، فإن لم يوجد فليبدل وجهه الطيب، وكلمته الطيبة، وعلمه الطيب، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: أن أجود ما يكون بذل العلم، وهكذا شيخ الإسلام، وهكذا ليكن الداعي إلى الله شجاعاً مقداماً، غير متهيّب من أعداء الله وأعداء رسوله، ومن أعداء الدعوة والملة، ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٥].

واجتمعت في رسول الله ﷺ صفة الجود والشجاعة؛ لأنه قد ذكر أن البخل لا يجتمع مع الشجاعة، والجبن لا يجتمع مع الكرم.

(وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ) يعني تخوفوا شيئاً نزل بهم.
(فَانْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصُّبُوتِ) وهذا لشجاعتهم، وفيه إغاثة الملهوف، وفيه الانتباه.
(فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا) قد سبقهم، وقد نظر في الشأن.
(وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عَزِيٍّ) يعني ما عليه حتى السرج، وهذا أمر لا يقوم به إلا أشجع الفرسان، وأكثر الفرسان معالجة للخيل، يعني يركب بدون سرج، يجلس عليه.

(فِي عُنُقِهِ السِّيفُ)؛ لأنه لم يكن عليه حزام، علق السيف في عنقه.
(لَمْ تُرَاعُوا) أي رَوْعاً يضركم.
(وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ: إِنَّهُ لَبَحْرٌ) هذا مدح للفرس الذي كان راكباً عليه، واسع الجري.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِيهِ فَوَائِدُ: مِنْهَا بَيَانُ شَجَاعَتِهِ ﷺ مِنْ شِدَّةِ عَجَلَتِهِ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْعَدُوِّ قَبْلَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، بِحَيْثُ كَشَفَ الْحَالَ، وَرَجَعَ قَبْلَ وُصُولِ النَّاسِ. وَفِيهِ بَيَانُ عَظِيمِ بَرَكَتِهِ وَمُعْجَزَتِهِ فِي انْقِلَابِ الْفَرَسِ سَرِيعًا بَعْدَ أَنْ كَانَ يُبْطَأُ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: (وَجَدْنَاهُ بَحْرًا) أَيِ وَاسِعَ الْجَرِيِّ. وَفِيهِ جَوَازُ سَبْقِ الْإِنْسَانِ وَحَدُّهُ فِي كَشْفِ أَخْبَارِ الْعَدُوِّ مَا لَمْ يَتَحَقَّقِ الْهَلَاكُ. وَفِيهِ جَوَازُ الْعَارِيَةِ، وَجَوَازُ الْعَزْوِ عَلَى الْفَرَسِ الْمُسْتَعَارِ لِذَلِكَ. وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ تَقْلُدِ السَّيْفِ فِي الْعُنُقِ، وَاسْتِحْبَابُ تَبَشِيرِ النَّاسِ بِعَدَمِ الْخَوْفِ إِذَا ذَهَبَ.

وَوَقَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَسْمِيَةُ هَذَا الْفَرَسِ مُنْدُوبًا، قَالَ الْقَاضِي: وَقَدْ كَانَ فِي أَفْرَاسِ النَّبِيِّ ﷺ مُنْدُوبٌ، فَلَعَلَّهُ صَارَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَبِي طَلْحَةَ. اهـ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجُودَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ

الريح المرسلة أي: الريح التي تأتي وبعدها المطر، تأتي بالبشارة، فالنبي ﷺ أجود بالخير منها، انظر إلى الريح المرسلة ربما تأتي والجو حار والأرض يابسة، والماء قد غار، والحال صعب، فما تذهب هذه الريح مع ما حملت من السحاب إلا وقد تغير حال الناس إلى الأحسن والأفضل، تذهب عنهم حرارة الشمس، وغبار الجو، وتتلطف أرضهم، وأفئدتهم، وألوانهم، ويغسلون ما حل بأبدانهم وثيابهم، وتنمو ثمارهم، وتشرب دوابهم.

فالنبي ﷺ أجود بالخير من هذه الريح التي هذا حالها.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٠ - (٢٣٠٨) حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو عِمْرَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ زِيَادٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهِ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ^(١).

٥٠ - (٢٣٠٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ مُبَارَكٍ، عَنْ يُونُسَ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، كِلَاهُمَا عَنْ الزُّهْرِيِّ بِهِذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ) مطلقاً، يعني هذا في أي وقت وفي أي حال، مع القلة، مع الكثرة، في أي موسم كان.

(وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ)؛ لاجتماع فضيلة الزمان، وفضيلة الشخص والمكان، فاجتمعت في رسول الله ﷺ جميع الفضائل.

(إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي رَمَضَانَ) يعني للمدارسة، وإلا كان يلقاه في أوقات غير هذه، بالوحي.

(فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ) فيه فضل مدارس القرآن ومراجعة القرآن، وتفهم القرآن.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا اسْتِحْبَابُ إِكْثَارِ الْجُودِ فِي رَمَضَانَ، وَمِنْهَا زِيَادَةُ الْجُودِ وَالْخَيْرِ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الصَّالِحِينَ وَعَقَبَ فِرَاقَهُمْ لِلتَّائِثِ بِلِقَائِهِمْ، وَمِنْهَا اسْتِحْبَابُ مُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ. اهـ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا

مع ربه، ومع أتباعه، بل ومع أعدائه، بأبي هو وأمي، انظر إلى عدو قد اختلط عليه السيف، ويقول: من ينقذك مني؟ قال: «الله»، سقط السيف عفا عنه، أين تجد مثل هذا الكرم؟ وهذا العفو والصفح والتجاوز؟ وهكذا كم فعل به أهل مكة؟ آذوه، وطردوه، وعادوه، واحتقروه، وحين مكن منهم عفا عنهم جميعا، بل وإعطائهم من الأموال ما تُولفت به قلوبهم. فهكذا الداعي إلى الله **عَزَّجَلَّ**، ينبغي أن يكون حسن الأخلاق، لا يغضب لنفسه، ولا يهجر من أجل نفسه، ولا يكون شأنه شأن نفسه، إنما شأنه شأن الدعوة، شأنه شأن هداية الناس، وتوفيق الناس من الله **عَزَّجَلَّ** لعبادته تعالى، وهو يدعو، ويوضح، ويجلي ويصبر. والناس تختلف طبائعهم، وظنونهم، وأخلاقهم، فإذا جعل الداعي إلى الله نفسه مثل بقية الناس ذهب هيبته، وذهبت دعوته، وزاد أعداؤه وكثروا، إلى غير ذلك.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥١ - (٢٣٠٩) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي: أَفَّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟ زَادَ أَبُو الرَّبِيعِ: لَيْسَ مِمَّا يَصْنَعُهُ الْخَادِمُ، وَلَمْ يَذْكُرْ قَوْلَهُ: وَاللَّهِ ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠٣٨).

٥١ - (٢٣٠٩) وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا سَلَامُ بْنُ مَسْكِينٍ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسٍ بِمِثْلِهِ.

٥٢ - (٢٣٠٩) وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيِّسٌ، فَلْيَخْدُمَكَ قَالَ: فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَاللَّهُ مَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلَا لَشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعُهُ: لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟

٥٣ - (٢٣٠٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ، حَدَّثَنِي سَعِيدٌ وَهُوَ ابْنُ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ، فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ.

٥٤ - (٢٣١٠) حَدَّثَنِي أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ زَيْدُ بْنُ يَزِيدَ، أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَارٍ قَالَ: قَالَ إِسْحَاقُ: قَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صَبِيَّانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ، أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

٥٤ - (٢٣٠٩) قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ، مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لَشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، أَوْ لَشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا.

٥٥ - (٢٣١٠) وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ وَأَبُو الرَّبِيعِ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا.

انظر إلى هذه الأخلاق، عشر سنين معه خادم من خدامه لم يرفع عليه صوتا ولا يدا ولا إنكارا، بل كان في التجاوز، وأكد أن الإنسان في عشر سنوات سيقع منه قصور، ومع ذلك النبي ﷺ ما عاتبه يوما، ولا أغلظ عليه، ولا رد عليه.

ولولا أننا عندنا قصور عظيم، وإلا إذا قد فعل الفعل لا داعي للعتاب، إلا إذا كان على سبيل التعليم، وإلا العتاب لن يرد الأمر الذي قد وقع، ولن يجلب الأمر الذي قد ذهب، وهكذا أمر قد صنعه، إلا إذا كان أخطأ في حق الشرع لك أن تقول له: لو فعلت كذا، من باب التعليم والتوجيه، أما من باب التأنيب والعتاب فذلك يسبب التأثيرات، وقسوة القلب، والتنافرات، وكثرة العتاب تذهب الأصحاب.

(وَاللَّهُ لَا أَذْهَبُ) الإنسان في عشر سنوات قد يقع منه، ومع ذلك كان النبي ﷺ

سمحا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا، وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ

وذلك لكرمه ﷺ، ولعظيم شمائله.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٦ - (٢٣١١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرُو النَّاقِدُ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا ^(١).

٥٦ - (٢٣١١) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا الْأَشْجَعِيُّ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَعْنِي: ابْنَ مَهْدِيٍّ، كِلَاهُمَا عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ، مِثْلَهُ سَوَاءً.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠٣٤).

(عمرو الناقد) عمرو بن محمد.

(مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا) من الأموال والمتقنيات.

حتى قال الشاعر:

مَا قَالَ: لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهْدِهِ لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَاؤُهُ نَعَمٌ
وكان ﷺ يعطي الغنم بين الجبلين، كان كريم النفس، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله عز وجل، وهكذا ينبغي أن يكون أهل الإسلام في التحلي بصفة الكرم، والشجاعة، والمروءة، والتأسي من النبي ﷺ.

قال الحافظ في "فتح الباري" (١٠ / ٤٥٧): وليس المراد أنه يعطي ما يطلب منه جزما بل المراد أنه لا ينطق بالرد بل إن كان عنده أعطاه إن كان الإعطاء سائغا وإلا سكت وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل لابن الحنفية أخرجه بن سعد ولفظه إذا سئل فأراد أن يفعل قال نعم وإذا لم يرد أن يفعل سكت وهو قريب من حديث أبي هريرة الماضي في الأطعمة ما عاب طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام معناه لم يقل لا منعا للإعطاء ولا يلزم من ذلك أن لا يقولها اعتذارا كما في قوله تعالى قلت لا أجد ما أحملكم عليه ولا يخفى الفرق بين قول لا أجد ما أحملكم وبين لا أحملكم قلت وهو نظير ما تقدم في حديث أبي موسى الأشعري لما سأل الأشعريون الحملان فقال النبي ﷺ ما عندي ما أحملكم لكن يشكل على ما تقدم أن في حديث الأشعري المذكور أنه ﷺ حلف لا يحملهم فقال والله لا أحملكم فيمكن أن يخص من عموم حديث جابر بما إذا سئل ما ليس عنده والسائل يتحقق أنه ليس عنده ذلك أو حيث كان المقام لا يقتضي الاقتصار على السكوت من الحالة الواقعة أو من حال السائل كأن يكون لم يعرف العادة فلو اقتصر في جوابه على السكوت مع حاجة السائل لتمادي على السؤال مثلا ويكون القسم على ذلك تأكيدا لقطع طمع السائل والسر في الجمع بين قوله لا أجد ما أحملكم وقوله والله لا أحملكم أن الأول لبيان أن الذي سأله

لم يكن موجودا عنده والثاني أنه لا يتكلف الإجابة إلى ما سئل بالقرض مثلا أو بالاستيهاب إذ لا اضطرار حينئذ إلى ذلك. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٧ - (٢٣١٢) وَحَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّيْمِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي: ابْنَ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ.

٥٨ - (٢٣١٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ.

فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمَ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا.

كان أحدهم يدخل في الإسلام طمعا في العطية، فما يبات إلا والإسلام أحب إليه من كل شيء، ولو سئل ذلك المال الذي أعطيه وكان طامعا فيه لبذله في أوجه الخير. وفي هذا أنه إذا جاءك إنسان صورته أنه يريد العطاء يريد دنيا تألفه بها إن كنت تستطيع التألف، لا تقل: هذا ما يريد إلا الدنيا، كم من إنسان يريد الدنيا وبعد ذلك يصل بالدنيا إلى الآخرة؟ ولذلك جعل الله عز وجل من أسهم الزكاة: سهم المؤلفة الذين يتألفون على الإسلام، سواء كانوا من أهل الإسلام ويخشى عليهم ضعف الإيمان، أو كانوا من أهل الكفران ويرجى منهم الإيمان.

(مَا يَخَافُ الْفَقْرَ) (لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ) دليل على عظيم كرم رسول الله ﷺ حتى شهر وعرف به مع أن هذه الصفة كانت في كثير من العرب إلا أنه ما كان ولن يكون مثل رسول الله ﷺ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٩ - (٢٣١٣) وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ سَرْحٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ ^(١): غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ فَتَحَ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةَ مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةَ ثُمَّ مِائَةَ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ.

(غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ) في رمضان السنة الثامنة من الهجرة.

(ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أي إلى حنين فغزوة الفتح كانت في رمضان، وغزوة حنين كانت في شوال.

(حُنَيْنٍ) منطقة بين الطائفة ومكة، وفتح الله على المسلمين فتحاً عظيماً بعد هزيمة في أولها.

(وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ) ابن خلف قتل أبوه على الكفر يوم بدر.

(مِائَةً مِنَ النَّعَمِ) (ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً) وما زال يعطيه، وبعد ذلك أسلم، ودخل في الإسلام، وحسن إسلامه، وما أعظم من أن يهدى إنسان إلى الإسلام، كل الأموال التي تبذل إن وصلت بالإنسان إلى الهداية ليست بشيء أمام الهداية.

(١) ظاهره الإرسال، لكن سيأتي أنه متصل.

(فَمَا بَرَحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ) الكرم من أسباب المحبة، والجبن من أسباب البغض، والشجاعة من أسباب المحبة والبخل من أسباب البغض، ولذلك تجد البخيل مبغوضا حتى إلى زوجته، وإلى أبنائه، وهكذا الجبان ربما يُبغض إلى أقرب الناس إليه، بينما الشجاع والكريم ربما أحبه أعداؤه، والمخالفون له ويشنون عليه بما هو عليه من الشجاعة والكرم.

قال ابن حبان في "روضة العقلاء" (ص: ١٧٢): أكرم الناس من اتقى الله والكريم التقي والتقوى هي العزم على إتيان المأمورات والأنزجار عن جميع المزجورات فمن صح عزمه على هاتين الخصلتين فهو التقي الذي يستحق اسم الكرم ومن ترى عن استعمالها أو أحدهما أو شعبه من شعبهما فقد نقص من كرمه مثله

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا عيسى بن محمد بن سهل الأزدي عن أبيه عن المدائني قال قال زيد بن ثابت ثلاث خصال لا تجتمع إلا في كريم حسن المحضر واحتمال الزلة وقلة الملالة وأنشدني ابن زنجي البغدادي ... رأيت الحق يعرفه الكريم ... لصاحبه وينكره اللئيم ... إذا كان الفتى حسنا كريما ... فكل فعالة حسن كريم ... إذا ألفتته سمحا لئima ... فكل فعالة سمج لئيم ...

قال أبو حاتم رضى الله عنه الكريم لا يكون حقودا ولا حسودا ولا شامتا ولا باغيا ولا ساهيا ولا لاهيا ولا فاجرا ولا فخورا ولا كاذبا ولا ملولا ولا يقطع إلفه ولا يؤذي إخوانه ولا يضيع الحفاظ ولا يجفو في الوداد يعطي من لا يرجو ويؤمن من لا يخاف ويعفو عن قدرة ويصل عن قطيعة. اهـ

وقد تقدم أن الكرم منه الجبلي ومنه المكتسب، فمن لم يرزق الكرم جبلة فليسع في اكتسابه، واكتسابه من السهولة بمكان.

أولا: هو صفة الله، وهذا دليل على كمال هذه الصفة، وينبغي للإنسان أن يتحلى

بها.

ثانياً: هو وصف رسول الله ﷺ، وقد أمرنا أن نتأسى برسول الله ﷺ.

ثالثاً: هو من مكارم الأخلاق ومعالي القيم.

رابعاً: هو من صفة العرب حتى قبل إسلامهم، كانوا يتبارون بالكرم، حتى لربما آتاهم الضيف فيذبحون له، ويقرونه، ويقربونه على أبنائهم وذويهم.

خامساً: أن الكرم سبب للذكر الحسن، مع تعيين الإخلاص لله عز وجل.

سادساً: أن الكرم من مكارم الأخلاق، والنبى ﷺ بعث ليلمم صالح الأخلاق.

سابعاً: من أسباب حصول الكرم مجالسة الكرماء، كما أن من أسباب حصول البخل مجالسة البخلاء واللؤماء، فالإنسان يتأثر بجليسه، ويتأثر بمن إليه.

ثامناً: بأن النفقات سبب لزيادة الأرزاق، وحصول عظيم المكرمات والهبات.

تاسعاً: الكرم من أسباب انشراح الصدر، والبخل من أسباب ضيق الصدر، تجد الكريم منشراح صدره، مرتاح باله، ساكنة نفسه.

عاشراً: تحقيق الإيمان بالقدر عند الكريم أكثر من البخل، أما البخل عنده الإيمان بالقدر ربما يكون دون ما يكون عند غيره من المسلمين، وإن كان مسلماً، وقد أحسن من قال:

مَهْلًا نَوَارُ، أَقْلِي اللَّوْمَ وَالْعَذْلَا وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ فَاتٍ: مَا فَعَلَا؟
يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنَّ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا
وأحسن من قال:

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَاَلْمَالُ لَكَ

وما زال أهل الديانة والصيانة وأهل المروءة يتغنون بالكرم ويمدحونه، نثرا ونظما، وليس الكرم بمقصود في إكرام الضيف، الكرم في الإحسان إلى الجيران والإحسان إلى الأرحام، والإحسان إلى الضيف، وكذلك طيب النفس، إن لم تجد مالا تنفقه فلتطب نفسك بما تنفق.

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادُ
أهم شيء أن الإنسان يسعى في تحصل هذه الصفة العظيمة، وينميها في أبنائه وينميها
فيمن يليه.

قال ابن حبان في "روضة العقلاء" (ص: ١٧٣): عن إبراهيم بن شكله قال إن لكل
شيء حياة وموتا وإن مما يحيى الكرم مواصلة الكرماء وإن مما يحيى اللؤم معاشره
اللئام

وأنشدني الكريزي ... وما بال قوم لئام ليس عندهم ... عهد وليس لهم دين إذا
أئتمنوا ... إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ... منا وما سمعوا من صالح دفنوا ... صم
إذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا ...

قال أبو حاتم رضى الله عنه الكريم يلين إذا استعطف واللئيم يقسو إذا ألطف
والكريم يجل الكرام ولا يهين اللئام ولا يؤذي العاقل ولا يمازح الأحمق ولا يعاشر
الفاجر مؤثرا إخوانه على نفسه باذلا لهم ما ملك إذا اطلع على رغبة من أخ لم يدع
مكافأتها وإذا عرف منه مودة لم ينظر في قلق العداوة وإذا أعطاه من نفسه الإخاء لم
يقطعه بشيء من الأشياء

كما أنشدني الخلادي أنشدنا أحمد بن أبي على القاضي قال أنشدنا محمد بن
مقيس الأزدي ... فإن الذي بيني وبين عشيرتي ... وبين بني عمي لمختلف جدا ... إذا
قدحوا لى نار حرب بزندهم ... قدحت لهم في كل مكرمة زندا

وإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا ... ولا
أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقد ... وأعطيتهم مالي
إذا كنت واجدا ... وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا ... اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٦٠ - (٢٣١٣) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابْنِ الْمُكَدَّرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنِ ابْنِ الْمُكَدَّرِ، عَنْ جَابِرٍ وَعَنْ عَمْرٍو ^(١)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ جَابِرٍ، أَحَدُهُمَا يَزِيدُ عَلَى الْآخَرِ (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، قَالَ: قَالَ سُفْيَانُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُكَدَّرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ سُفْيَانُ: وَسَمِعْتُ أَيضًا عَمْرُو بْنَ دِينَارٍ يُحَدِّثُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَزَادَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَقَدْ أُعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا»، وَقَالَ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا، فَقَبِضَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ. فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بَعْدَهُ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: مَنْ كَانَتْ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِ! فَقُمْتُ فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ أُعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا»، فَحَتَّى أَبُو بَكْرٍ مَرَّةً، ثُمَّ قَالَ لِي: عُدَّهَا، فَعَدَدْتُهَا فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ، فَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا ^(٢).

٦١ - (٢٣١٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُكَدَّرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ جَاءَ أَبَا بَكْرٍ مَالٌ مِنْ قِبَلِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَيْنٌ أَوْ كَانَتْ لَهُ قِبَلُهُ عِدَّةٌ فَلْيَأْتِنَا، بَنَحُو حَدِيثَ ابْنِ عُيَيْنَةَ.

(١) سفیان بن المنکدر وعن عمرو.

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٢٦٩).

(لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ أُعْطِيتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا) انظروا إلى هذه النية

الطيبة، حتى النية الطيبة عند الكريم، يعد المواعيد ويفي بها.

(مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَيْنٌ أَوْ كَانَتْ لَهُ قِبْلَةٌ عِدَّةٌ فَلْيَأْتِنَا) وهذا من كرم أبي بكر،

ومروءة أبي بكر، وحسن خلق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلى أي مستوى (مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ

ﷺ دَيْنٌ أَوْ كَانَتْ لَهُ قِبْلَةٌ عِدَّةٌ فَلْيَأْتِنَا) كريم يتأسى بالكريم، وقد كان صحابة رسول الله

ﷺ بالمكان العظيم، فأبو بكر تصدق بماله كله مراراً، وعمر تصدق بنصف ماله،

وعثمان جهز جيش العسرة وغير ذلك، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وطلحة بن عبيد الله باب عظيم،

وعبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر والأنصار جملة، ومعاوية أعطى الحسن أربعة

ألف ألف، والحسن والحسين تأسوا بجدهم ونيهم.

(خُذْ مِثْلَهَا) هكذا يتأسى الكرام بالكرام.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ رَحْمَتِهِ ﷺ الصَّبِيَّانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَمَفْضَلِ ذَلِكَ

قد سماه الله عَزَّجَلْ رحمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:

١٠٧]، فهو رحيم بمن أرسل إليهم، ورحيم بصغارهم وكبارهم، رحيم بهم في دنياهم

وأخراهم، إلا أن أكثرهم أعرض، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يوسف:

١٠٣]، وإلا لو أخذوا بسيرته وطريقته بعقيدته وتوحيده لكان شأنهم توالي الرحمات

عليهم، ويسكنون رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهي الجنة، «قال: أنت رحمتي أرحم بك من

أشياء»، كما أن القرآن رحمته، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا

يَجْمَعُونَ﴾ [سورة يونس: ٥٨]، والإسلام رحمته.

فلذلك على المرء أن يسعى في تحصيل هذه الرحمة في دنياه لينالها في أخراه، قال

الله عَزَّجَلْ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٢ - (٢٣١٥) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ وَشَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، كِلَاهُمَا عَنْ سُلَيْمَانَ وَاللَّفْظُ لِشَيْبَانَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ، امْرَأَةٍ قَيْنٍ يُقَالُ لَهُ: أَبُو سَيْفٍ، فَأَنْطَلَقَ يَأْتِيهِ، وَاتَّبَعْتُهُ، فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ بِكَبِيرِهِ قَدْ امْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا، فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَيْفٍ، أَمْسِكْ، جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَمْسَكَ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبِيِّ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، فَقَالَ أَنَسٌ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَاللَّهُ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»^(١).

٦٣ - (٢٣١٦) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَاللَّفْظُ لَزُهَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ عَلِيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضَعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيَدَّخُنُ، وَكَانَ ظُهُرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيَقْبَلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ. قَالَ عَمْرُو: فَلَمَّا تَوَفَّى إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ، وَإِنَّ لَهُ لَظُرَيْنِ تَكْمِلَانِ رِضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ».

(فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ) فيه تسمية الأبناء بأسماء الآباء والأجداد، لا سيما الأسماء الطيبة، كأسماء الأنبياء، وأسماء الصالحين، قال النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة: «كانوا يتسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين منهم».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٣٠٣).

أما في زمننا نسأل الله السلامة والعافية يتقصد أكثر الناس التسمية بفساق أو كفار أهم شيء عندهم من شهر، ولو كان من المعرضين المناوئين المخالفين لدين رب العالمين.

وفقه الأسماء من الأمور المهمة، وكم هم الذين يسألون: أريد أسمى ابنتي كذا وأريد أن اسمي ابني كذا ولو كان قد اختار من أسماء الصالحين ما احتاج أن يسأل، لكن الشيطان يزين لهم بعض الأسماء التي لا معنى لها، أو أسماء معانيها فاسدة، أو أسماء لأناس شهروا بمخالفة الدين، النبي ﷺ كان يغير الأسماء القبيحة، كما غير أسماء المدح.

(ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ) امرأة مرضعة.

(امْرَأَةٌ قَبِيلُهُ يُقَالُ لَهُ أَبُو سَيْفٍ) حداد ونحو ذلك.

(فَانْطَلَقَ يَأْتِيهِ) يعني ذهب النبي ﷺ لزيارة ولده.

(أَمْسِكْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)؛ خشية أن يتأذى رسول الله ﷺ.

(فَضَمَّهُ إِلَيْهِ) رحمة، وحنان، وشفقة، وهذا من الأمور المهمة، ضم الأبناء الصغار، سواء من أمهاتهم أو من آبائهم، أو من يقوم بشأنهم، فإنه يشعر معها بالسكينة والأمان، والاطمئنان، والراحة النفسية، والطفل يشناق كما يشناق الكبير، ولذلك يرتاح لضم أبيه، أو لضم أمه، أو لضم من يقوم بشأنه.

بل إن النصيحة للأمهات إذا أرضعت الابن: لا تعود الرضاعة على الفراش، بل ترضعه بين يديها؛ بحيث يشعر بالاطمئنان، وبالسكينة والراحة.

(وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ) يعني دعا له، فعود نفسك الدعاء لأبنائك ولبناتك وللمن

إليك من الصغار أو الكبار.

(لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ) يعني ينزع في حال موته.

(فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) دمعت رحمة، ودمعت على ولده أيضا شفقة.

(تَدْمَعُ الْعَيْنُ) أي أن دمع العين ليس بنوح، وليس بمعارضة للقدر، دمع العين قد يكون عن رحمة، وشفقة، وحزن يقع في القلب، عن فقد حبيب أو قريب.

(وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ)؛ لفراق أحبابه وأصحابه، لا سيما فلذة الكبد.

(وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا) من الاسترجاع ونحوه، والرضا بالقدر، وقد قال رسول

الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ».

(وَاللَّهُ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَخْزُونُونَ) فيه أن نداء الميت ليس بشرك على إطلاقه،

فإبراهيم قد مات ومع ذلك يقول: (يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَخْزُونُونَ)، يريد الإخبار بحزنه على ولده، وكل أبنائه ﷺ في ميزانه، ما عدا فاطمة فهو في ميزانها.

(مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) فعود أنفسكم يا بارك الله

فيكم الرحمة بالأبناء، والرحمة بالصغار، سواء كنت أبا، أو كنت أخا، أو كنت مدرسا، أو كنت مسؤولا، لا بد أن تعود نفسك هذا الشيء حتى تعتاده، لا يكون الإنسان حطمة، نعم الأبناء يحتاجون إلى نوع تأديب، لكن التأديب بحسبه.

أما بعضهم ربما يكون حطمة، لا رحمة ولا شفقة تجاه الصغار، الصغار عقولهم صغيرة، أما إذا كان عاقلاً مثل حالك ما سمي صغيراً، بل كان مكلفاً، لكن الصغير عقله صغير، وكلما كان أصغر كان عقله أصغر، ومداركه أصغر، ولعبه وخطؤه أكثر؛ لأن الخطأ يقع مع ضعف العقل، والصواب يقع مع قوة العقل.

فلذلك الأبناء يحتاجون إلى أن يعاملوا معاملة على حسب عقولهم ومداركهم، ولذلك قال النبي ﷺ: «اضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ»، قبل عشر لم يأمر بضربهم على أعظم ما يتقرب به إلى الله وهي الصلاة، فكيف بغيرها؟ فكثير منا يريد ولده مثله، حتى في البيت ما يريدوه يلعب مع إخوانه مع أخواته، وإذا خرج في الطريق ما يريد أن يجري

مثل الأطفال، ويتبعه مثل الأطفال، ويضحك مثل الأطفال، ماسك له بيده من غير خوف، وإن رآه يتلفت ضرب في رأسه، اسلوب ليس بأسلوب شرعي.

فلا بد أن يقع الطفل موقع الأطفال، له حقه في اللعب والمداعبة، وله حق في المرح، وله حق في التأديب، وله حق في الإعطاء، كان النبي ﷺ حتى في باب العطية أول ما يظهر الثمر يعطي الأطفال، لأن الكبير يملك نفسه، أما الصغير تكون نفسه تائقة إلى هذه الثمرة، وهكذا يمازح كما قال رسول الله ﷺ: «أبا عمير ما فعل النغير؟»، في أشياء كثيرة.

فالشاهد أن كثيرا من الأخوة يحب أن يكون ولده على حال حسن، لكن يخطئ في وضعه على الحال الحسن، ربما يؤدي إلى خروجه عن الحال الحسن، يذكرون أن أكثر الأولاد مشاغبة في صغرهم هو الذكي في كبره، فلا يفتح له المجال حتى يكون سهيلا ضائعا، ولا يضغط حتى يحرم من حقوقه، فقد يطلع فوق بطنك، وربما يأخذ بلحيتك، ويتلذذ بذلك.

وفعلا من ألد ما يكون للأب أن ولده يبدأ يميز وينتف في لحيته، يرتاح لها فاجعله يرتاح بما هو من شأنه، وبعد أيام سيكبر وسيكون تعامله مع ولده بهذا المعاملة، يذكر كان أبي يفعل، وكان أبي يفعل، أما إذا كنت تعامله بالقسوة ستكون معاملته لأبنائه وإخوانه بالقسوة «والجزاء من جنس العمل».

وينشأ ناشئ الصبيان منا على ما كان عوده أبوه لا بد أن تكون عندنا رحمة بالعيال، إن وسع الله عليك أطعمه الحلوى، وإن رأيت لعبة ليس فيها محذور شرعي اشتريها له، ينتظر قدومك من سفر؛ لتعطيه هديه، أحيانا بالونه، وأحيانا ما تسمى بالسيارات الصغيرة، وأحيانا أي شيء يفرح ويدخل السرور عليه، وربما بات سعيدا.

وأيضا مما ينبه إليه: أن لا ينوم الأطفال على البكاء، فكثير من الآباء والأمهات إذا لم ينم الطفل يبيكونه، هذا من الأخطاء، يبات في ليلته أجمع وهو تارة يصيح، وتارة يرى رؤيا مقلقة، أو يرى أنه يضرب، بسبب أنه نام على البكاء، فعود ولدك أن ينام على انشراح الصدر، وطمأنينة القلب، وهدوء البال، بالوضعية التي يريد أن ينام عليها، أحيانا لا يحب أن ينام على الفراش، يحب ينام على البلاط، إذا لم يكن عليه ضرر خليه ينام على البلاط، فإذا نام ورأيت أنه ربما يضره البلاط ارفعه فوق الفراش، بالوضعية التي يحب أن ينام عليها.

لا تلزمه بما تلزم به نفسك؛ لأنك أنت مكلف، أما هو غير مكلف بأمور شرعية كيف يكلف بأمور من أمور العادات؟ إلا ما كان من خاتم المروءة، فعوده على الصلاح، ومن أحسن ما يُراعى به حاله كثرة الدعاء له.

(وَكَانَ ظَنُّهُ قَيْنًا) أي الذي يتولى رضاعته.

(وَإِنَّ لَهُ لَظَرَيْنِ تَكْمِلَانِ رَضَاعُهُ فِي الْجَنَّةِ) فيه دليل على الحياة البرزخية.

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ:**

٦٤ - (٢٣١٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: أَتَقْبَلُونَ صَبْيَانَكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالُوا: لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقْبَلُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ»، وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةُ (١).

(أَتَقْبَلُونَ صَبْيَانَكُمْ) فيه رحمة الله المسلمين حتى للصغار.

(لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقْبَلُ) أعراب، والأعراب قلوبهم قاسية، شديدة، إلا ما رحم ربي.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٩٩٨).

(وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ) هذا دليل على أنه غليظاً شديداً إذ لم يقبل ولده الصغير، الذي لم يدرك الإساءة والله أحياناً أنت جالس وهو يقدم لك يده، يريد منك قبلة، أو ربما يرتاح إذا قبلت في وجهه أو في يده، ويلتفت إلى إخوانه الذين هم أكبر منه ويتسم، كالذي يفتخر عليهم أن أباه قبله، أو أن أمه قبلته، وربما إذا أخذته في جنبك ورفعته عن الأرض، ينظر إليهم كالذي يقول: أنا أرفع منكم، إلا أنه لا يحسن التعبير.

فعلينا أن ندخل السرور إلى قلوبهم بمثل هذه الحركات التي تسعدهم، وينسى سريعاً، يمكن أن تغالطه إذا أردت الخروج، ويذهب إلى أمه أو إلى بعضه خواته، أو إلى بعض من يقوم به، بدل أن تخرج من البيت وهو يبكي خلفك ويلهو فيما هو فيه، وتخرج وهو يتسم، والله المستعان.

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ:**

٦٥ - (٢٣١٨) وَحَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، جَمِيعًا عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ عَمْرُو: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَاسٍ أَبْصَرَ النَّبِيَّ ﷺ يُقْبَلُ الْحَسَنَ، فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّهُ مَنْ لَا يُرَحِّمُ لَا يُرَحَّمُ»** ^(١).

٦٥ - (٢٣١٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(مَنْ لَا يُرَحِّمُ لَا يُرَحَّمُ) نسأل الله السلامة والعافية، الجزاء من جنس العمل، من يرحم يرحم، ومن لا يرحم لا يرحم، إذا كان الإنسان قد لا يرحم في مثل هذا العمل اليسير فكيف بما هو من الأعمال العظيمة، فعود نفسك الرحمة بكل من يليك، ف**«إِنَّ**

اللَّهُ ﷻ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا»، وفي المقابل يرحم المسلم الذي يرحم الناس في الدنيا، بل رحم رجلاً في رحمته لكلب ورحم بغياً لرحمتها لكلب، كما عذب امرأة في هرة عذبتها.

قال الحافظ في "الفتح" (١٠/ ٤٤٠): قال بن بطال فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهايم المملوك منها وغير المملوك ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب وقال بن أبي جمرة يحتمل أن يكون المعنى من لا يرحم غيره بأي نوع من الإحسان لا يحصل له الثواب كما قال تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ويحتمل أن يكون المراد من لا يكون فيه رحمة الإيمان في الدنيا لا يرحم في الآخرة أو من لا يرحم نفسه بامثال أوامر الله واجتناب نواهيه لا يرحم الله ﷻ لأنه ليس له عنده عهد فتكون الرحمة الأولى بمعنى الأعمال والثانية بمعنى الجزاء أي لا يثاب إلا من عمل صالحاً ويحتمل أن تكون الأولى الصدقة والثانية البلاء أي لا يسلم من البلاء إلا من تصدق أو من لا يرحم الرحمة التي ليس فيها شائبة أذى لا يرحم مطلقاً أو لا ينظر الله بعين الرحمة إلا لمن جعل في قلبه الرحمة ولو كان عمله صالحاً اهملخصاً قال وينبغي للمرء أن يتفقد نفسه في هذه الأوجه كلها فما قصر فيه لجأ إلى الله تعالى في الإعانة عليه. اهـ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٦٦ - (٢٣١٩) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ وَأَبِي

طَبِيبَانِ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ»^(١).

٦٦ - (٢٣١٩) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ جَرِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ.

«مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ» هذه قاعدة نوية عامة، وهي تطبيق هذا الحديث والعمل به، ولذلك كان الكفار أشد الناس عذاباً يوم القيامة، ومن أشد الناس عذاباً في القبور، ما رحموا الناس، وقبل ذلك ما رحموا أنفسهم بالإيمان والإسلام، نسأل الله السلامة والعافية.

ورحمة النبي ﷺ، دالة على ما كان عليه النبي ﷺ من مكارم الأخلاق، والشفقة وحب الخير للغير، والإحسان إلى المخلوقين، والله المستعان.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ كَثْرَةِ حَيَاتِهِ ﷺ

وقد قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة» وقال ﷺ: «والحياء لا يأتي إلا بخير» وقال ﷺ: «والحياء خير كله»، والحياء من شعب الإيمان، والحياء يكون من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويكون من المخلوقين، وجاء حديث وإن كان ضعيف السند، قال رسول الله ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَسْتَحْيِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحْيَى مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَلْيَحْفَظِ الْبُطْنَ وَمَا وَعَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى،

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٣٧٦).

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ، تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ» ^(١)، و«مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْيَ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» ^(٢).

فالحياء سبب لملازمة الأعمال الصالحة، ولمراقبة الله، ولمتابعة رسول الله ﷺ، ولذلك تجد أن المؤمنين عندهم حياء، والكافرين ما عندهم حياء، حتى في باب المعاصي تجد المسلم يتستر بمعصيته، والكافر يتبجح بمعصيته ولذلك تجد الزنا في الشوارع، والخمر عندهم ظاهراً، واللواط عندهم شاهراً يتبجحون بمعاصيهم؛ لقلة حيائهم.

وكلما كانت المعصية أسوأ كان الحياء في صاحبها أقل، ومن أسوأ المعاصي اللواط، ولذلك تجد أصحابها في غاية من الخسة والنذالة، وقلة الحياة والمروءة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٧ - (٢٣٩٠) حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي عُتْبَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، (ح) وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَأَحْمَدُ بْنُ سَنَانَ، قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي عُتْبَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ.

(عبيد الله بن معاذ) هو العنبري.

(عن أبيه) معاذ بن معاذ بن حسان العنبري البصري القاضي، ثقة، متقن.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٣٦٧١)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤٨٤)، عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(قتادة) هو ابن دعامه، أبو الخطاب السدوسي.

(عبد الله بن أبي عتبة) الأنصاري، ثقة.

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ) الْعَذْرَاءُ: الْبِكْرُ؛ لِأَنَّ عُدْرَتَهَا بَاقِيَةٌ، وَهِيَ جِلْدَةُ الْبَكَارَةِ.

وَالْخِذْرُ سِتْرٌ يُجْعَلُ لِلْبِكْرِ فِي جَنْبِ الْبَيْتِ.

(وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ) عرفوا الكراهة في وجهه وإن لم يتكلم.

فلشدة حيائه لا يتكلم به، ويتغير وجهه، فيعرفون ذلك.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٨ - (٢٣٢١) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو حِينَ قَدِمَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»، قَالَ عُثْمَانُ: حِينَ قَدِمَ مَعَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْكُوفَةِ ^(١).

٦٨ - (٢٣٢١) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكَيْعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ يَعْنِي الْأَحْمَرَ - كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

(لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا) لشدة حيائه، والفاحش: ذُو الْفُحْشِ، وَالْمُتَفَحِّشُ: الَّذِي يَتَكَلَّفُ الْفُحْشَ وَيَتَعَمَّدُهُ؛ لِفَسَادِ حَالِهِ، قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ الْمُتَفَحِّشُ الَّذِي يَأْتِي الْفَاحِشَةَ. قاله الشارح.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٥٩).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ الْحَثُّ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ، وَبَيَانُ فَضِيلَةِ صَاحِبِهِ، وَهُوَ صِفَةُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَوْلِيَائِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: حَقِيقَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ بَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ. اهـ

أما من حيث الإسناد أعلى ما عرفته في ذلك عن عبد الله بن مبارك، أخرجه الترمذي في سننه ^(١)، من أنه بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه، وهذا النوع من حسن الخلق هو الذي يكون بين المخلوقين يكون على ثلاثة أنحاء:

(بذل الندى): العطاء، والهبة، والهدية، والصدقة، والعون.

(وكف الأذى): القولي أو الفعلي، أو حتى الاعتقادي، كسوء الظن.

(وطلاقة الوجه): الابتسامة والانبساط للإخوان.

وحسن الخلق الأعظم هو الذي يكون بين العبد وبين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وقد قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** في وصف نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤]، وقد تقدم حديث أنس: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقا.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: هُوَ مُخَالَطَةُ النَّاسِ بِالْجَمِيلِ وَالْبَشْرِ، وَالتَّوَدُّدُ لَهُمْ، وَالْإِشْفَاقُ عَلَيْهِمْ، وَاحْتِمَالُهُمْ، وَالْحِلْمُ عَنْهُمْ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَكَارِهِ، وَتَرْكُ الْكِبَرِ وَالْإِسْطِطَالَةِ عَلَيْهِمْ. وَمُجَانِبَةُ الْغِلْظِ وَالْغَضَبِ وَالْمُؤَاخَذَةِ. اهـ

وقد يكون مكتسبا وقد يكون جبليا، واكتسابه بالتأسي برسول الله ﷺ.

قال رحمه الله:

بَابُ تَبَسُّمِهِ ﷺ وَحُسْنِ عِشْرَتِهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٦٩ - (٢٣٢٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِحَبِيبِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَثِيرًا كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ، وَيَتَبَسَّمُ ﷺ.

(أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَثِيرًا) وهكذا الحريص على الخير يلزم مجالس الخير.

والبقاء في المسجد إلى طلوع الشمس من السنن، من فعله وفعل أصحابه، فهو وقت مبارك، يتفرغون فيه للذكر ونحو ذلك من الأعمال، وربما قص أحدهم رؤياه، وربما جاؤوا بالصبيان إلى النبي ﷺ يبركهم ويحنكهم، ونحو ذلك مما كان يفعله ﷺ. وفيه دليل على جواز الكلام في المسجد بغير ذكر الله، وعند العامة حديث ضعيف: أن من تكلم في المسجد بغير ذكر الله حبطت حسناته، وهو حديث منكر، فهذا النبي ﷺ يقر أصحابه على الكلام في أمور الجاهلية، يعني يتحدثون عما كان يقع منهم في زمن الجاهلية، فيتعجبون من حالهم الأول ويضحكون، والنبي ﷺ يتبسم، وربما شاركهم الاستماع مع إقباله على الذكر.

وإن انشغل الإنسان بالذكر والدعاء وقراءة القرآن فهو أنفع له، لا سيما في مثل هذا الزمن المتأخر الذي ربما يضيع الأوقات الكثيرة في غير القرآن، وفي غير العمل الصالح، فيستغل هذا الوقت المبارك، فلذلك كان بن مسعود يقبل على الذكر، فإذا طلعت الشمس قال: الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا. كما تقدم في كتاب الصلاة.

فائدة: حديث سمرة من المكررات في صحيح مسلم، تقدم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، رقم (٦٧٠)، والمكررات في صحيح مسلم قليلة جداً بالنسبة للبخاري، والله المستعان.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلنِّسَاءِ وَأَمْرِ السَّوَاقِ مَطَايَاهُنَّ بِالرَّفْقِ بِهِنَّ

يعني الرفق في المشي بهن، والرفق حتى لا يأذيهن ببعض ما يثير الغرائز، أو ما يسيء إليهن، فالنساء ضعيفات، شبههن النبي ﷺ بالقوارير؛ لأن القارورة سريعة الانكسار، وإذا انكسرت لا تعدل ولا تقوم، مثل الزجاج كسرها لا يجبر.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٠ - (٢٣٢٣) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَحَامِدُ بْنُ عُمَرَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو كَامِلٍ، جَمِيعًا عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ، وَغُلَامٌ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ يَحْدُو، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوَاقًا بِالْقَوَارِيرِ»^(١).

٧٠ - (٢٣٢٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَحَامِدُ بْنُ عُمَرَ وَأَبُو كَامِلٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ بِنَحْوِهِ.

٧١ - (٢٣٢٣) وَحَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، كِلَاهُمَا عَنِ ابْنِ عُليَّةَ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى عَلَى أَرْوَاجِهِ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدًا سَوَاقًا بِالْقَوَارِيرِ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦١٩٤).

قَالَ: قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَلِمَةٍ لَوْ تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُكُمْ لَعَبِثُوهَا عَلَيْهِ.

٧٢ - (٢٣٢٣) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا التَّيْمِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُنَّ يَسُوقُ بِهِنَّ سَوَّاقٌ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ أَنْجَشَةٍ، رُؤَيْدًا سَوَّاقٌ بِالْقَوَارِيرِ».

٧٣ - (٢٣٢٣) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنِي هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَادٍ حَسَنُ الصَّوْتِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُؤَيْدًا يَا أَنْجَشَةٍ، لَا تَكْسِرِ الْقَوَارِيرِ»، يَعْنِي ضَعْفَةَ النِّسَاءِ.

٧٣ - (٢٣٢٣) وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَذْكُرْ: حَادٍ حَسَنُ الصَّوْتِ.

(يُحَدِّدُو) يعني من الحدو، الغناء المباح ببعض الأشعار، كان الحادي يحرك الركب شعره، ولذلك قال الصحابة في بعض الغزوات: يا رسول الله لو أمرت عامر أن يحدو لنا، فقال: «نعم يرحمك الله»، فحين قال: «يَرْحَمُهُ اللَّهُ» علموا أنه سيقتل ويموت، قالوا: يا رسول الله، لو متعتنا به.

لكن إذا كان هذا الحداء فيه أذية للنساء وربما على ما يقولون: دغدغة لمشاعرهن فيرفق بهن، فإذا كان النبي ﷺ قد نهى عن هذا فكيف بالذي يسمعها الأغاني؟ بل الأغاني الماجنة، الأغاني التي تصف الخدود والقُدود، وربما حتى تصف الحال، أغاني انتشرت سيئة، في الزمن البعيد لما غنت بعض المغنيات المصريات أغنية (يا أمه القمر على الباب) كثير من الدول أبت أن تنشر هذه الأغنية في الإذاعات، وفي التلفزيونات في ذلك الوقت، ومنها الأردن.

أما الآن كثير من الأغاني صارت في متناول الناس كلها حول هذا الأمر، في وصف الخدود والقُدود، بل والحركات السيئة، وتبقى المرأة داخل باص أو داخل سيارة وتسمع مثل هذه الأغاني، تتأثر، تضعف، ربما تُفتن، نسأل الله السلامة والعافية. فنحن في زمن خرج حتى الفساق عن طور الفسق الذي كانوا عليه من قبل، خرجوا في لباس المغنيات، في رقصة المغنيات، في كلام المغنيات، وهكذا المغنيين الفساق، لما جاء راغب علامة إلى اليمن حين افتتحوا شركة واي عملوا حفلا كبيرا وحضره الرجال والنساء، والشباب والشابات، وإذا بذلك الفاسق ينادي النساء أمام الناس ما هناك غيره، الله المستعان.

ومرة من المرات ظهرت مغنية في العراق اسمها البرتقالة، فُتن بها الجميع، من الكبار والصغار، ما رأيناها ولا عرفناها بحمد الله، لكن لكثرة ما كنا نسمع الناس يتكلمون بها. فالشاهد أن النبي ﷺ عالج هذا الأمر: (يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ) القارورة قد تنكسر بسبب سماع هذه الأغنية، ربما تحصل منها الفاحشة بسبب أغنية، تحرك لها المشاعر، وتقع فيها مثل السكره فإذا أرادها الفاسق ربما انقادت له، ولذلك قالوا في الغناء: يريد الزنا، ورقية اللواط، يهيج لهم هذا الشر الذي هم فيه. وهذه الوصية لصحابي مع صحابييات فضليات، فكيف بهذا الزمن المتأخر؟ الذي قلت فيه المراقبة، وكثر فيه الفسوق والعصيان، وطاعة الشيطان.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ قُرْبِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّاسِ وَتَبَرُّكِهِمْ بِهِ

التبرك بالذوات خاص بذاته ﷺ، فلا يجوز التبرك بغير ذات النبي ﷺ، وما يذكره النووي والحافظ ابن حجر وغيرهم كثير من جواز التبرك بآثار الصالحين هذه زلة وزلقة وقعوا فيها، لا يوافقون عليها، فإن الصحابة رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ لم يتبركوا بغير ذات

النبي ﷺ، مع وجود أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وطلحة والزبير، ومن إليهم بعد موت النبي ﷺ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤ - (٢٣٢٤) حَدَّثَنَا مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ بْنُ أَبِي النَّضْرِ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي النَّضْرِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ يَعْنِي: هَاشِمَ بْنَ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِأَنْبِيتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ، فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا، فَرُبَّمَا جَاءُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا.

(مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى) بن فروخ الخوارزمي، ثقة نزيل بغداد.

(سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ) القيس، قال ابن معين: ثقة، ثقة.

(هاشم بن القاسم) قيسر.

وكان يفعل ذلك من أجل إدخال السرور عليهم، وحصول البركة لهم، وفيه التعاون على البر والتقوى، والنفع للمسلمين، والنبي ﷺ يقول: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ».

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥ - (٢٣٢٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْحَلَّاقُ يَخْلِقُهُ وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ.

(مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ) بن أبي رايد القشيري النيسابوري، ثقة عابد.

(فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ) لأنهم يتبركون بشعره وبآثاره ﷺ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٦ - (٢٣٢٦) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ، انْظُرِي أَيَّ السَّككِ شِئْتَ حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ»، فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا.

(«يَا أُمَّ فُلَانٍ، انْظُرِي أَيَّ السَّككِ شِئْتَ حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ») تواضع، مثل هذه المرأة ربما لا يلتفت إليها، والنبى ﷺ يتواضع، وَقَفَ مَعَهَا فِي طَرِيقٍ مَسْلُوكٍ لِيَقْضِيَ حَاجَتَهَا وَيُقَيِّمَهَا فِي الْخُلُوةِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنَ الْخُلُوةِ بِالْأَجْنِبِيَّةِ، فَإِنْ هَذَا كَانَ فِي مَمَرِ النَّاسِ وَمُشَاهَدَتِهِمْ إِيَّاهُ وَإِيَّاهَا، لَكِنْ لَا يَسْمَعُونَ كَلَامَهَا؛ لِأَنَّ مَسْأَلَتَهَا مِمَّا لَا يُظْهِرُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. أفاده النووي.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْأَثَامِ، وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ، وَانْتِقَامِهِ إِلَيْهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرْمَاتِهِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٧ - (٢٣٢٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ، (ح) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خَيْرٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٦٠).

٧٧ - (٢٣٢٧) وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعًا عَنْ جَرِيرٍ (ح) وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا فَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ - كِلَاهُمَا عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، فِي رِوَايَةِ فَضِيلِ ابْنِ شَهَابٍ، وَفِي رِوَايَةِ جَرِيرٍ مُحَمَّدُ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ. ٧٧ - (٢٣٢٧) وَحَدَّثَنِيهِ حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ.

٧٨ - (٢٣٢٧) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الْآخَرِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. ٧٨ - (٢٣٢٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ، جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ إِلَى قَوْلِهِ أَيْسَرَهُمَا، وَلَمْ يَذْكُرَا مَا بَعْدَهُ.

(قتيبة بن سعيد) وهو أبو رجاء.

(مالك بن أنس) أبو عبد الله الأصبحي.

(ابن شهاب) أبو بكر الزهري.

(عروة بن الزبير) الصابر المحتسب.

(إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا) اليسرية مريحة للنفس ومريحة للبدن، وموافقة للشرع، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ»^(١)، لكنها اليسرية المنضبطة بالأدلة الشرعية؛ لما في الحديث: (مالم يكن اثماً) لأن بعضهم تعمق في اليسرية حتى دعا إلى ارتكاب الآثام، وترك الواجب من الأحكام وإلا فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۖ﴾ [سورة القمر: ١٧]، والنبي ﷺ يقول لمعاذ بن جبل وأبي موسى: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِّرَا، وَتَطَوَّعَا وَلَا تَخْتَلِفَا». متفق عليه

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد جعل الله في العمل عزيمة ورخصة، وأحيانا يتعين الأخذ بالعزيمة، وأحيانا يتعين الأخذ بالرخصة، وأحيانا يستوي الأمران، فالإنسان لا بد أن ينظر إلى الأحكام الشرعية ويلتزم ما هو أقرب إلى رضى الرحمن **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قولها: (مَا لَمْ يَكُنْ إِنْثِمًا) دليل على أن الإنسان لا يختار المعصية، وإن كان يرى فيها اليسرية، فهذه يسرية غير شرعية، لا يبالي بها ولا يلتفت إليها.

(فَإِنْ كَانَ إِنْثِمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ) هذا هو حسن الانقياد، حسن الطاعة، أن الإنسان قد يترخص ببعض المرخصات الشرعية، لكن إن كان فيها إثم كان أبعد الناس منه، وهذا معنى قول النبي ﷺ: **«إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شَرَّةً، وَإِنَّ لِكُلِّ شَرَّةٍ فِتْرَةً، فَمَنْ كَانَتْ شَرَّتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ شَرَّتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ»** أو: **«فقد ضل»**. أخرجه أحمد

(وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ) لعظيم خلقه وحسن عشرته وتجاوزه، وهذه هي العقبة الكؤود التي يسقط فيها كثير من الناس، الانتقام للنفس، وربما صور له الشيطان أن انتقامه لله، وأن غضبه لسنة رسول الله ﷺ والواقع خلاف ذلك، إن الانتقام الذي هو لله الذي ينصر به دينه، وتعالى به كلمته، ويقمع بها أعداؤه، هذا هو الانتقام الذي يكون لله.

أما أن يغضبك أخوك فتنتقم منه، وتتكلم فيه، ولا مصلحة شرعية لك في ذلك ولا حتى مصلحة قدرية، إلا زيادة الآثام، وزيادة الكلام، في غير رضا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فإن الخصومات الباطلة يلحقها الغيبة، وربما النميمة، وربما التقاطع والتهاجر، والتدابير، والتحاسد.

بينما إذا كان انتقامه لله سيغضب على خصمه بقدر مخالفته للشرع، وسيتكلم في خصمه بقدر مخالفته للشرع، وبقدر ما يُنصر به الشرع، لكن الواقع خلاف ذلك في كثير من الناس، غضبه لنفسه، ويزين له الشيطان أن غضبه لله وليس كذلك.

(إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ) فيغضب لذلك، وربما انتقم لذلك، على حسب المصلحة، وإلا فقد سبه رجل وقال: اعدل يا محمد، والله ما هذه قسمة أريد بها وجه الله، ومع ذلك كان شأن النبي ﷺ: «لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه».

الآن بعضهم هدام الله يكون بينهم نوع خلاف على مسائل قد تكون واقعة وقد تكون غير واقعة، لكن بغض النظر حتى لو كانت واقعة ما يحتاج إلى إثارتها في وسائل التواصل الاجتماعي، في الواتسابات والفيسبوك وفي التويتر، والناس في حيص بيص من شغلة الكفار للمسلمين، ومن أذية المبتدعين الضالين، وهذا هو وأصحابه، كل يتنصر على الثاني، وكل يغالب الثاني، ما يراعي المصلحة الشرعية: «لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه».

ويذهب أهل البدع ويأخذون هذا المقطع أو هذه التغريدة أو هذا المنشور: وانظروا إلى هؤلاء ما سلم منهم أصحابهم، وانظروا إلى هؤلاء ما يتورعون عن شيء، وانظروا إلى هؤلاء فرقوا الدعوة، وهكذا.

فيا أخي المسلم اتق الله في نفسك، انشر ما يقربك إلى الله، ويتنفع به الإسلام والمسلمون، ولا تنشر ما يكون سببا في بعدك عن الله، ويكون سببا في ضعف إخوانك، وتسلبت المخالفين عليك.

فهذه مسألة دقيقة، نحتاج أن نقف عندها، (وَمَا اَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ) هذه الأولى، (إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ) وهذه أيضا ينظر فيها إلى المصلحة الشرعية؛ لما قدمت: «لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه» مع أن هذا الذي قال عمر فيه: يا رسول الله دعني أضرب عنقه قد قال ما يوجب قتله إن أراد النبي ﷺ قتله، ولكن لا مصلحة شرعية في قتله، بل قد تؤدي إلى إغراض من قد بدأ قلبه يميل إلى الإسلام؛ لأنه ما سيسمع أن هذا الرجل فعل وفعل والنبي ﷺ قتله، فالذي ينشر الخبر: ينشره على أن محمد قتل أصحابه.

ثم أيضا ينظر إلى المصالح القدريّة، هل إذا انتصرت على هذا الواحد خلاص كفيت المخالفين والمناوئين والمتكلمين والمتربصين؟ ما ستكفي أبدا.

ما سلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا؟
هكذا يقول ابن الوزير **رَحْمَةُ اللَّهِ**، ويقول رسول الله **ﷺ**: «**لَا أَحَدٌ أَصْبِرُ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ**»، لا سيما الداعي إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، لكن قد اختلف أنا وأنت ما هناك داعي أني أتكلم فيك في وسائل التواصل، وأنت تتكلم في وسائل التواصل، هذا إذا لم يكن عندنا حرص على وأد القضية، اسكت واجعل أخاك يسكت، وأصلح شأنك واجعل أخاك يصلح شأنه، وإن قدر أنه بغى عليك هناك من تشكو إليه إذا لم تستطع أن تعفوا وتصفح الله احتكم أنت وهو عند من ترى من إخوانك أهل السنة وستجد من يجعل الله على يديه حل هذه القضية.

لكن هو الشيطان، حريص على فرقة الإخوان، وعلى وقوع الضغائن وتوالي الهموم والأحزان.

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

٧٩ - (٢٣٢٨) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَسْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُتْهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَسْتَقِمَ لِلَّهِ **عَزَّوَجَلَّ** ^(١).

٧٩ - (٢٣٢٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ وَكَيْعٍ (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، كُلُّهُمَا عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ يَرِيدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٦٠).

(أبو كريب) محمد بن العلاء الهمداني، ثقة حافظ، ممن أجاب في المحنة عن غير رضى.

(أبو أسامة) حماد بن أسامة بن زيد القرشي، ثقة ثبت.
(مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا) مع أن كثيرا من النساء قد تجد عندها نوع أدى، وهكذا الخادم نوع مخالفة، لكن النبي ﷺ كان بعيدا عن هذا، يصبر، ويتجاوز، ويعفو ويصفح.

(إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فيقاتل من كفر بالله، وأعرض عن دين الله.
(وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ) من كلام أو فعال، (فَيَسْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ) بل يعفو ويصفح ويصبر ويتجاوز، ممثلا لقول الله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [سورة الطور: ٤٨]، ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [سورة ص: ١٧]، ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [سورة النحل: ١٢٧].

(فَيَسْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ) هذه هي العبودية في كل شيء، في أفعال القلب، وأفعال اللسان، وأفعال الجوارح، ولهذا كان يقيم الحدود على مستحقيها، كرجم الزاني وقطع السارق، وما قام به في العرنيين، وقد تقدم، فالشدة في موطنها إحسان والعفو في غير موطن إساءة.
قال رحمه الله:

بَابُ طِيبِ رَائِحَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَيْنَ مَسِّهِ وَالتَّبَرُّكِ بِمَسِّحِهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٨٠ - (٢٣٩٩) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ بْنُ طَلْحَةَ الْقَنَادِيُّ، حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ وَهُوَ ابْنُ نَصْرِ الِّهْمْدَانِيُّ، عَنْ سِمَاكِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وَلَدَانِ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدِّي أَحَدَهُمَا وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ.

(عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ بْنِ طَلْحَةَ الْقَنَّادُ) صدوق، رمي بالرفض، نعوذ بالله.
(صَلَاةُ الْأُولَى) أي الظهر، سميت بالأولى؛ لأن جبريل أول ما أم النبي ﷺ في صلاة
الظهر.

(خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجَتْ مَعَهُ) لأنه خادم له، وأيضا يرافقه مرافقة صاحب الشأن،
لعله يحتاج إلى نوع إعانة.

(فَاسْتَقْبَلَهُ وَلَدَانُ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمَا وَاحِدًا وَاحِدًا) أي النبي ﷺ يداعبهم،
ويمسح خدودهم، ويؤنسهم، وربما فعل ذلك لتبريكمهم.

(كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُودَةٍ عَطَارٍ) من كيس طيب، فتكون رائحة جميلة، ويد باردة،
وهذا لتواضعه ﷺ، ولطيب رائحته، قال أبو بكر: ما أطيبك حيا وميتا!
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨١ - (٢٣٣٠) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ
أَنْسٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ يَغْنِي: ابْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا
سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، قَالَ أَنْسٌ: مَا شَمَمْتُ عَبْرًا قَطُّ وَلَا مِسْكَ وَلَا
شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ دِيْبَاجًا وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ
مَسَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١).

٨٢ - (٢٣٣٠) وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ صَخْرِ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا
حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنْسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ كَأَنَّ عَرَقَهُ اللَّوْلُؤُ،
إِذَا مَشَى تَكَفَّأً، وَلَا مَسِسْتُ دِيْبَاجَةً وَلَا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا
شَمَمْتُ مِسْكََةً وَلَا عَبْرَةً أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٩٧٣).

(جعفر بن سليمان) وهو الضبيعي، قيل في ترجمته رافضي مثل الحمار، والله وبالله وتالله للحمير أفضل من الرافضة.

(ما شملت) أي بأنفه.

(عَنْبَرًا) وهو ما يخرج من بطن الحوت الكبير، وسمي الطيب عنبرا؛ لأنه يستخرج منه.

هذا من عظيم بركة هذا الرجل العظيم، والنبي الكريم، ﷺ عرقه طيب، ملمسه طيب، كلامه طيب، وجهه طيب، أخلاقه طيبة، شمائله طيبة، كان طيبا في جميع شأنه، القول والفعلي والاعتقادي، لا إله إلا الله وقد وصفه الله بالطيب فقال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٦].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ طِيبِ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ

التبرك من خصائصه، ليست لكل أحد.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٣ - (٢٣٣١) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا هَاشِمٌ يَعْنِي: ابْنَ الْقَاسِمِ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ عِنْدَنَا، فَعَرَقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟» قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِبِينَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٢٨١).

٨٤ - (٢٣٣١) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ، قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا، فَأُتِيَتْ فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ ﷺ نَامَ فِي بَيْتِكَ عَلَى فِرَاشِكَ، قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أُدِيمٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا، فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعَصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا، فَفَزِعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصَبِيَانِنَا، قَالَ: «أَصَبْتَ».

(فَقَالَ عِنْدَنَا) من القيلولة.

(فَعَرِقَ) ما هناك مراوح ولا مكيفات، ولا شيء، ينام أحدهم في الظهيرة فيعرق، ونحن تعودنا المراوح والمكيفات، ربما ما يأتيك نوم في الحر، إلا إذا كنت قد غلبت عليه، وإلا الإنسان يتعود.

(فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا): تجمعه.

(يَا أُمُّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟) يعني لماذا تصنعين هذا الشيء؟ وإلا هو قد رأى أنها تسلت العراق.

(نَجْعَلُهُ فِي طِينِنَا) أي يخلط معه.

(وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ) يتبركون به، ويشمون به أيضاً؛ لجميل رائحته في الرواية الأخرى: (فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصَبِيَانِنَا قَالَ: أَصَبْتَ).

(عَتِيدَتَهَا) الصندوق الصغير يوضع فيه المتاع النفيس.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٥ - (٢٣٣٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْتِيهَا فَيَقِيلُ عِنْدَهَا فَتَبْسُطُ لَهُ نِطْعًا فَيَقِيلُ عَلَيْهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْعَرَقِ، فَكَانَتْ تَجْمَعُ عَرَقَهُ فَتَجْعَلُهُ فِي الطَّيِّبِ وَالْفَوَارِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أُمُّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا؟» قَالَتْ: عَرَقُكَ أَذُوفُ بِهِ طَيِّبِي.

(عفان بن مسلم) وهو الصفار.

(وهيب) هو ابن خالد.

(أيوب) السخيتاني.

(كَانَ يَأْتِيهَا فَيَقِيلُ عِنْدَهَا) نوم النهار، وكانت محرماً له.

(فَتَبْسُطُ لَهُ نِطْعًا): جلدا يقيـل عليه.

(أَذُوفُ بِهِ طَيِّبِي) أي أجمعه واخلطه مع طيبي، فيصير طيبي من أحسن ما يكون.

فهذا الكتاب كما أنه ذكره في الفضائل إلا أن كثيرا منه من أحاديث الشمائل يتعرف

المرء على عرق النبي ﷺ، وما يقع من النبي ﷺ في حال نومه وفي حال صحوه، والتبرك بآثاره، إلى غير ذلك.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبُرْدِ وَحِينَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ

وهذا دليل على الصحة والعافية في النبي ﷺ، بارك الله فيه وفي جميع شأنه، بارك له في دينه، وبارك له في كلامه، وبارك له في بدنه، وبارك له في أمته، وجعل القرآن الذي أوحاه إليهم مباركا، وكان ﷺ يأتي بأسباب البركة، ويدل عليها، ويرشد إليها، ومن ذلك الدعاء، ونحو ذلك.

وصارت البركة لاحقة بمن سلك سبيله، واقتفى أثره، وسار على سيره، وهذا أمر يلحظه كل من سلك هذا السبيل المبارك، تجد أحدهم ووقته مليء بالطاعات والقربات، والأعمال المباحات، وتجد عوام الناس يقول: يا أخي كيف تفعلون؟ والسبب أنهم سلكوا مسلك النبي ﷺ، فقرأوا القرآن، فبورك لهم في كثير من شأنهم، وعملوا بالقرآن، فنالوا بركة ذلك، وحافظوا على البكور، وصلاة الفجر في جماعة، ونحو ذلك من الأعمال، فنال تلك البركة، «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»، ولازموا الدعاء، فاستجاب الله لهم، وبارك لهم في أبنائهم، وبارك لهم في زوجاتهم، وبارك لهم في أرزاقهم.

فالبركة من الله، اجتمعوا على النبي ﷺ في الحديبية من أجل الوضوء، ما عنده ماء، فطعن بسهمه في البئر، وبرك، ومضمض فيه، فإذا به يفور، وهم يتوضؤون ويشربون. وهكذا قلت أرزاقهم، فجمعوا ما لا يأتي بمبرك عنز، ووضعوه في مكان، فدعا عليه بالبركة، فملأوا كل إناء كان بالمعسكر، وأكلوا حتى شبعوا، وفضل فضله. وإننا لنرجو أن هذه البركة تلازم المستقيم عليها حتى يلقي الله، يبارك له يوم القيامة في حسناته، تأتي مثل الجبال، باركها الله وقبلها الله. فالنبي ﷺ كان في البركة حالا وقالوا ومالا، فمن أراد البركة فليأخذ بسيره، وليقتفي أثره.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٨٦ - (٢٣٣٣) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنْ كَانَ لَيُنْزَلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ، ثُمَّ تَقْيِضُ جَبْهَتُهُ عَرَقًا.

(أبو أسامة) وهذا يتكرر كثيرا، إذا ذكر أبو كريب ذكر بعده أبو أسامة، حماد بن أبي أسامة، وفي صحيح مسلم ثمانية وستون موضعاً يروى لها أبو كريب عن أبي أسامة.

(هشام) بن عروة، (أبيه) عروة بن الزبير.

(إِنْ كَانَ لَيَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي الوحي.

(ثُمَّ تَفِيضُ جَبْهَتَهُ عَرَقًا)؛ لشدة الوحي، وشدت المعالجة التي كان يكون عليها

رسول الله ﷺ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٧ - (٢٣٣٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَابْنُ بَشْرٍ، جَمِيعًا عَنْ هِشَامٍ (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلَصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، ثُمَّ يَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُهُ، وَأَحْيَانًا مَلَكٌ فِي مِثْلِ صُورَةِ الرَّجُلِ فَأَعْيِي مَا يَقُولُ»^(١).

(مِثْلُ صَلَصَلَةِ الْجَرَسِ) صوت المتدارك، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ صَوْتُ مُتَدَارِكٍ، يَسْمَعُهُ وَلَا يُشَبِّهُهُ أَوْ مَا يَفْرَغُ سَمْعُهُ حَتَّى يَفْهَمَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَفَرَّغَ سَمْعُهُ ﷺ، وَلَا يَبْقَى فِيهِ وَلَا فِي قَلْبِهِ مَكَانٌ لغير صوت المَلَكِ.

(يَفْصِمُ) إذا أقلع وكف.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: ذَكَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ حَالَيْنِ مِنْ أَحْوَالِ الْوَحْيِ، وَهُمَا مِثْلُ صَلَصَلَةِ الْجَرَسِ، وَتَمَثُّلِ الْمَلَكِ رَجُلًا، وَلَمْ يَذْكُرِ الرُّؤْيَا فِي النَّوْمِ، وَهِيَ مِنَ الْوَحْيِ؛ لِأَنَّ مَقْصُودَ السَّائِلِ بَيَانُ مَا يَخْتَصُّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَخْفَى فَلَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ، وَأَمَّا الرُّؤْيَا فَمُشْتَرَكَةٌ مَعْرُوفَةٌ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٨ - (٢٣٣٤) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ حِطَّانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كُرِبَ لِذَلِكَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ.

٨٩ - (٢٣٣٥) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ حِطَّانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ نَكَسَ رَأْسَهُ، وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُءُوسَهُمْ، فَلَمَّا أُتِلِيَ عَنْهُ رَفَعَ رَأْسَهُ.

(محمد بن المثنى) أبو موسى العنزي، وهم وهما شنيعا، أخذ من حديث النبي ﷺ أنه صلى إلى عنزة كان يقول: صلى النبي ﷺ إلينا، وإنما كان يصلي إلى عنزة، الحربة القصيرة، اتخذها ستره.

(عبد الأعلى) بن عبد الأعلى السامي.

(سعيد) سعيد بن أبي عروبة، من الأثبات فيه، ثبت عنه في الحديث وضعيف في التفسير، ومثله ثبت في الحديث وضعيف في التفسير: ابن أبي نجيح عن مجاهد، عن مجاهد في الحديث ثبت، وفي التفسير ضعيف، والواسطة القاسم بن أبي بزة، وبعض أهل العلم يمضيه؛ لأنها قد عرفت الوساطة.

(قتادة) هو ابن دعامة، أبو الخطاب السدوسي.

(الحسن) وهو ابن أبي الحسن، واسم أبيه يسار البصري، واسم أمه خيرة.

(كُرِبَ لِذَلِكَ) يعني كأنه أصابه الكرب؛ لشدة الوحي.

(وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ): تغير، وصار لونه كالرماد.

(محمد بن بشار) بن دار.

يعني ارتفع عنه، وفي نسخة: (أجلبي عنه).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي سَدْلِ النَّبِيِّ ﷺ شَعْرُهُ وَفَرْقُهُ

السدل: أن يُترك الشعر على حاله، ينزل كل جهة إلى جهته، ما هو كما يصنعه بعضهم الآن يمتشط الشعر إلى الخلف، فالسدل أن يبقى الشعر على هيئته، ما كان في الجبهة ينزل على الناصية، وما كان في القفا ينزل على الرقبة، وهكذا.

هذا مبدأ ما كان عليه النبي ﷺ متشبهاً بأهل الكتاب؛ لأنه كان يرى أن لهم كتاب، وأنهم أقرب إلى الحال من المشركين عباد الأصنام، فكان آخر الأمرين منه الفرق، وفرقه ﷺ من وسط الرأس، ليس بالجانب.

وهذا الشأن يجتمع فيه الرجال والنساء، كلهم يجوز له الفرق، عادة ومتأسياً بالنبي ﷺ، وجاء في بعض الأحاديث: أنه كان له صفائر، بعض أهل العلم يثبتها، وكان العرب يصفرون رؤوسهم قديماً.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٠ - (٢٣٣٦) حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ مَنْصُورٌ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ، يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ أَشْعَارَهُمْ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرِقُونَ رُءُوسَهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ، فَسَدَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاصِيَتَهُ، ثُمَّ فَرَّقَ بَعْدُ ^(١).

٩٠ - (٢٣٣٦) وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(عبيد الله بن عبد الله) بن عتبة بن مسعود، أحد الفقهاء السبعة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٥٨).

إذا قيل: من في العلم سبعة أبحر روايتهم ليست عن العلم خارجة؟
فقل: هم عبيد الله، عروة، قاسم سعيد، أبو بكر، سليمان، خارجة
سمعوا بالفقهاء السبعة لأنهم كانوا في المدينة في وقت واحد، واحتاج الناس إلى
فقههم، فكانت الفتوى دائرة عليهم، وأضاف بعض العلماء إليهم سالم بن عبد الله بن
عمر، وربما أضافوا غيرهم، بعضهم يقول: الفقهاء العشرة.

(ابن عباس) وهو أبو العباس، بن عم النبي ﷺ، حبر الأمة.

(ثُمَّ فَرَّقَ بَعْدُ) خالفهم، وهذا هو دين النبي ﷺ مخالفة أهل الكتاب، حتى قالوا:
ما يريد هذا الرجل أن يترك من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، فمن أراد نصرة الدين فليسلك
هذا المسلك، خالفهم في عقائدهم، خالفهم في عباداتهم، خالفهم في عاداتهم، خالفهم
في معاملاتهم، إذا أردت النجاح، وأردت التوفيق والسداد، لا خير فيهم، لعنوا بعد أن
كانوا أفضل البشرية، وذلوا بعد أن كانوا أصحاب تمكين، وضربت عليهم الذلة
والمسكنة أينما ثقفوا.

فلماذا يتشبه بهم؟ ولماذا يغتر بهم؟ لا أسوأ منهم في أغلب ما يكون من حالاتهم،
أعرضوا عن الإسلام مع علمهم بصدق نبي الله ﷺ، مع علمهم بصفاته، مع علمهم
بنبوته، فأخزاهم الله، وأقلاهم وأقصاهم.

والعجب ممن يريد نصرة الإسلام وهو متشبه بهم، كيف تنصر الإسلام وأنت متشبه
بأعداء الإسلام؟ إذا أردت نصرة الإسلام تشبه بمن نصر الله به الإسلام، وإذا تشبهت
بمن حارب الإسلام أنت تسعى في ضعف الإسلام، شئت أم أبيت، بلسان حالك أو
بلسان مقالك، أو بهما جميع.

أول سورة في القرآن تقرؤها في كل ركعة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧٠﴾ [سورة الفاتحة: ٦-٧]، وأنت

تستعيز من طريق المغضوب عليهم اليهود، ومن طريق الضالين النصارى، ثم تتابعهم، وترجو السلامة، وترغم النصر لدين الإسلام، كلا وربى لا يكون ذلك.

ومن أسوأ المتابعة لهم المتابعة لهم في التحزب والبدعة والضلالة؛ لأن الله عزَّ وجلَّ حين حذر من متابعتهم حذر من متابعتهم في هذا الأمر بعينه، فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿٣٢﴾** **مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾** مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ [سورة الروم: ٣١-٣٢]، فالتحزب والتمزق من سيماء أهل الكتاب، ليس من سيماء أهل الاستقامة، وأهل الصيانة والديانة.

فانظر إلى رسول الله ﷺ خالفهم في مسألة فرق الشعر، ما أحب يتشبه بهم، ويبقى على طريقتهم في السدل، فأنت كذلك عظم المخالفة لهم، عظم الاحتقار لهم، لتكون مبغضا لهم، داعيا عليهم، ظلموك أو تركوك، ادع على الكفار، لعل الله أن يستجيب دعوة.

ولا يهيبوا علينا بمكرهم، هم يمكرون بنا من زمن بعيد، منذ بُعث محمد ﷺ وهم يمكرون به، شهدوا للكفار عباد الأصنام أنهم على طريق أهدى من طريق محمد ﷺ، وتمالؤوا مع الكفار عباد الأصنام على محمد صل الله عليه وسلم، فأخزاهم الله وأقلاهم وأذلهم وأقصاهم، ينهزمون.

وهكذا هذه الأيام ما نتهيب على ذهاب الإسلام، ما سيذهب الإسلام، والإسلام باق، لو كان الشأن إليهم لذهب في القديم، يبعث الله عزَّ وجلَّ من يجدده، ومن يقوم به، ومن يحميه الله به، فلا عليكم، اطمئنوا وثقوا بنصر الله وبوعد الله.

رأينا ثورة الربيع العربي قلنا: ما سيبقى بلد إلا ودخلها ذلك البلاء والشر، وسلم الله بعض البلدان، والآن نفس الأمر، هم يكيدون كيدا، وربى يكيد كيدا، وهو الغالب والناصر، ذكرت هيلاري كلنتون لعنها الله زوجة بيل كلنتون، وكانت وزيرة الخارجية في عهد المسخ باراك أوباما هذا الذي كان مسلما، ثم ارتد وصار من أسوأ ما يكون من

الناس، من دعاة اللوطة، ومن دعاة الضلالة، اعترفت أنها كانت قد سعت في تأسيس الدولة الإسلامية التي يسمونها داعش، وأنها قد مرت على مائة واثنين وعشرين دولة على أنهم يعترفون بداعش دولة.

والمقصود من هذا الاعتراف: تقسيم العراق وسوريا، وسيكون لهم حظ في سيناء، وكانوا قد اتفقوا مع الإخوان المسلمين ومن إليهم في مصر: أن مصر هذه تقسم حلايب، يأخذها السودان، وتلك البلاد التي تحاذي شرق ليبيا تأخذها ليبيا، وسيناء بعضها لليهود، وبعضها لما يسمى بالدولة الإسلامية، وبعضها للفلسطينيين، ينقل أهل غزة إلى هذا المكان.

بينما هم في فرحهم وفي أطهرهم وفي أشرفهم وقد ظنوا أن القيامة قد قامت لهم إلا وقالوا: بعد هذا مباشرة نقفز على الكويت، نقسمها، بعدها السعودية، بعدها الإمارات، بعدها البحرين وعمان، وانتهينا من البلاد العربية والإسلامية، صاروا ممزقين شذر مذر.

وإذا بالله **عَزَّوَجَلَّ** يخيبهم، وانقلب السحر على الساحر، وقام السييسي بما قام به، هذا السييسي الذي الآن يقولون: أمه يهودية، ومدري أيش؟ هو كان في عهد مرسي، زوجته محتجبة، وهو حافظ قرآن، وما سلموه وزارة الدفاع إلا على ثقة تامة به، ما سلموه وهم يظنون فيه، انقلب عليهم، وفق الله الملك عبد الله تلك الأيام ومن معه، وقلبوا الطاولة على أمريكا، فجعلوهم في حيص بيص.

وعاش الناس عشر سنوات في خير، مع وجود فتن، الآن جاؤوا بحيلة جديدة لتفتيت المسلمين، سيوؤون ويخسرون، صحيح أن القلب قد يدخله ضعف وحزن، لكن لا نتخوف على الإسلام والمسلمين، ما أدراكم أن الله يصحبهم بقارعة، أو يمسيهم بحرب فيما بينهم من دون أن نشعر ونسلم، ونبقى في دعوتنا، ويحذر الناس اليهود والنصارى.

فاستبشروا بهذا الدعاء الذي يدعو به الناس هذه الأيام، استبشروا وثقوا بالله **عَزَّجَلَّ**، وادعوا أنتم ترجون الإجابة، هذا الدعاء الذي تقوم به ما هو روتين يومي، بل إننا ندعوا ونحن نرجو أن الله يقبل الدعاء، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واجعل كلمتك هي العليا إلى يوم الدين، وندعو للمستضعفين من المسلمين في فلسطين وفي غير فلسطين، وندعو على الكافرين ونلعنهم.

فاستبشروا من الله بالخير، وإذا جاءكم شر فهو من قبيل أنفسكم، **«والشر ليس إليك»**، فالله **عَزَّجَلَّ** له الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، فلا إن شاء الله تنهيب، ولا يدخلنا الخور، والضعف، والله المستعان.
قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا

في الباب حديث لا يصح: **«اطْلُبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حَسَنِ الْوُجُوهِ»**^(١)، فصاحب الوجه الحسن يرجى خيره، وأحيانا ربما يكون من أشر ما يكون، يذكر في ترجمة أبي ذر والله أعلم ولم أقفت على سندها: لما صاح بالإسلام في مكة اجتمع عليه أهل مكة يضربونه، حتى أدموه، فرأى رجلا حسن المنظر، فقال: إن يكن عندهم خير، ففي هذا، رجا أنه يصل ويقول: اتركوا الرجل، ما لكم وله؟ فجاء إليه فلكمه لكمة أصابه بألم شديد.
فأحيانا جميل الوجه قبيح الفعل، وقبيح الوجه جميل الفعل، وأحيانا العكس لذلك يقال:

وإذا جميل الوجه لم يأتي الجميل فما جماله؟
يعني لا قيمة لجماله في وجهه وهو سيء الفعل والخصال.

(١) أخرجه أبو يعلى في (مسنده)، حديث رقم: (٤٧٥٩)، عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وهي في الضعيفة (٢٧٩٧).

وقد كان أبو لهب من أجمل الناس وجهاً وأسوئهم فعلاً، وفي المقابل كان كاتب بن قيس بن شماس من أقبح الناس وجهاً وأحسنهم استقامة وفعلاً حتى لقد بشر بالجنة.

وأما النبي ﷺ فقد حاز القدر المعلا فكان جميل الوجه، جميل الذات، جميل الصفات، عظيم، هذا الرجل أي عظيم! بأبي هو وأمي، ونفديه بكل ما يفتدى به، أي والله، يُفدى بآبائنا وأمهاتنا، وبأبنائنا وبأنفسنا، عزنا بطاعته ومحبته، والانتقياد لأمره، والابتعاد عن نهيه وزجره.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٩١ - (٢٣٣٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، عَظِيمَ الْجُمَةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ (١).

٩٢ - (٢٣٣٧) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَةٍ أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، شَعْرُهُ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ. قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: لَهُ شَعْرٌ.

٩٣ - (٢٣٣٧) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يُونُسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الذَّاهِبِ وَلَا بِالْقَصِيرِ.

ثلاثة من المحمدين في السند، وكلهم امام.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٥١).

(أبو إسحاق) عمرو بن عبد الله السبيعي، سبيع من همدان، وهمدان في حاشد بين الصنعانية وحوث.

(مَرْبُوعًا) معتدل في جسمه.

(بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ) ما بين العنق إلى الكتف.

(عَظِيمُ الْجُمَةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ) جمّة شعره إلى شحمة أذنيه؛ لكثرتة ولطوله.

(عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ) جواز لبس الأحمر الصرف، خلافا لمن كرهه، مع أن ابن القيم

رَحِمَهُ اللَّهُ ذهب إلى أن الحلة هي ما اختلط بحَمَارٍ وغيره، نوع من اللباس اليمني، لكن الذي يظهر أنه يجوز لبس الأحمر الصرف.

(مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ) جمع الله له بين جمال الملبس، وجمال الذات،

وجمال الصفات، فكيف يرى أحسن منه؟ لا يمكن، قال في وصفه أبو طالب:

وأبيض يُسْتَسْقَى الغمام بوجهه = ثَمَالِ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

وأحسن ذلك قول حسان بن ثابت:

وأحسن منك لم ترقط عيني = وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب = كأنك قد خلقت كما تشاء

(ذِي لِمَّةٍ) يقصد الشعر، الوفرة والجمّة واللّمة بمعنى واحد.

(فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ) الحلة هي التي يسميها بعضهم طقم، يعني ثوب، قميص، نحن

نسمي القميص هذا الثوب، القميص هو الذي كان يسمى عند بعضهم الشميز، هذا هو

القميص، قميص مع الإزار من لون واحد، هذه هي الحلة.

(شَعْرُهُ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ) المنكبين: ما بين الكتفين، هذا دليل على طول شعره.

قال رحمه الله:

بَابُ صِفَةِ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٩٤ - (٢٣٣٨) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ قَالَ: قُلْتُ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ: كَيْفَ كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: كَانَ شَعْرًا رَجُلًا، لَيْسَ بِالْجَعْدِ، وَلَا السَّبْطِ، بَيْنَ أَذُنَيْهِ وَعَانِقَيْهِ ^(١).
 ٩٥ - (٢٣٣٨) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ قَالَا: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنْسِ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَضْرِبُ شَعْرَهُ مَنْكِبَيْهِ ^(٢).
 ٩٦ - (٢٣٣٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُثَيْبٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنْسِ قَالَ: كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ.

(جرير بن حازم) في طبقة جرير بن عبد الحميد الضبي، وكلاهما ثقة.

(قتادة) أبو الخطاب السدوسي.

حتى في صفته الخلقية جعله الله عز وجل على أكمل ما يكون، وفي صفته الخلقية جعله الله كذلك على أكمل ما يكون، فكان ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، وشعره ليس بالجعد ولا بالسبط، ولونه ليس بالأبيض الأمهق ولا بالأدم، وإنما كان في جميع صفاته في الكمال، ﷺ.

وهذا دليل على أنه كان يربي شعره، لكن إذا كان الإنسان سيقوم بالعناية به وإزالة ما به من أذى وشعث، إلى غير ذلك.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٤٧).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٩٠٣).

وهذا الباب يسمى باب الترجل، وقد ألف فيه الإمام أحمد وغيره.
(كَانَ يَضْرِبُ شَعْرَهُ مِنْ كَيْبِهِ) (إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ) يجمع بينها: أنه كان تارة وتارة وأما
 أنه حلقة بحيث استأصله أجمع لم يذكر هذا إلا في الحج والعمرة.
 قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ فِي صِفَةِ فَمِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَيْنَيْهِ وَعَقْبِيهِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٩٧ - (٢٣٣٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَا:
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ
 سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَلِيعَ الْفَمِ، أَشْكَلَ الْعَيْنِ، مَنُهِوسَ الْعَقَبَيْنِ.
 قَالَ: قُلْتُ لِسِمَاكِ: مَا ضَلِيعُ الْفَمِ؟ قَالَ: عَظِيمُ الْفَمِ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَشْكَلُ الْعَيْنِ؟
 قَالَ: طَوِيلُ شَقِّ الْعَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ: مَا مَنُهِوسُ الْعَقَبِ؟ قَالَ: قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقَبِ.

(ضَلِيعُ الْفَمِ) أي: واسع الفم، وقيل: عظيم الأسنان، وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِذَلِكَ، وَتَدْمُ
 صِغَرَ الْفَمِ.

(أَشْكَلُ الْعَيْنِ) هَذَا وَهُمْ مِنْ سِمَاكِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، وَغَلَطَ ظَاهِرٌ، وَصَوَابُهُ مَا اتَّفَقَ
 عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ، وَنَقَلَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الْغَرِيبِ: أَنَّ الشُّكْلَةَ حُمْرَةٌ فِي بَيَاضِ
 الْعَيْنَيْنِ، وَهُوَ مَحْمُودٌ، وَالشُّهْلَةُ بِالْهَاءِ حُمْرَةٌ فِي سَوَادِ الْعَيْنِ.
(مَنُهِوسَ الْعَقَبَيْنِ) قليل لحم العقب.

قال رحمه الله:

بَابُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٩٨ - (٢٣٤٠) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَرَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ.

قَالَ مُسْلِمٌ بْنُ الْحَجَّاجِ: مَاتَ أَبُو الطُّفَيْلِ سَنَةَ مِائَةٍ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ مَاتَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(١).

٩٩ - (٢٣٤٠) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ رَجُلٌ رَأَاهُ غَيْرِي، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَكَيْفَ رَأَيْتُهُ؟ قَالَ: كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا مُقَصَّدًا.

(خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) الطحان، وفي طبقته خالد بن مهران الجزاء، وكلاهما ثقة.

(الْجُرَيْرِيُّ) سعيد بن إياس، اختلط في آخره، ثقة.

(أَبُو الطُّفَيْلِ) آخر من مات من الصحابة، اسمه عامر بن واثلة، مات سنة مائة.

(رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ رَجُلٌ رَأَاهُ غَيْرِي) هنيئاً له.

(كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا مُقَصَّدًا) وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ بِجَسِيمٍ وَلَا نَحِيفٍ، وَلَا طَوِيلٍ وَلَا قَصِيرٍ، وَقَالَ شَمْرٌ: هُوَ نَحْوُ الرَّبْعَةِ، وَالْقَصْدُ بِمَعْنَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) هذه مليحة وفريدة.

قال رحمه الله:

بَابُ شَيْبِهِ ﷺ

مع أنه عاش ثلاثا وستين سنة، إلا أن الشيب كان فيه قليل.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٠٠ - (٢٣٤١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ وَعُمَرُو النَّاقِدُ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ إِدْرِيسَ، قَالَ عُمَرُو: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ الْأَوْدِيُّ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: سَأَلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ هَلْ خَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَأَى مِنَ الشَّيْبِ إِلَّا ^(١).

قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ: كَأَنَّهُ يُقَلِّلُهُ، وَقَدْ خَضَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ.

١٠١ - (٢٣٤١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ بْنُ الرَّيَّانِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ، عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَضَبَ؟ فَقَالَ: لَمْ يَبْلُغِ الْخَضَابَ، كَانَ فِي لِحْيَتِهِ شَعْرَاتٌ بِيضٌ.

قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَخْضِبُ؟ قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ، بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ.

١٠٢ - (٢٣٤١) وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا وَهَيْبُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَخْضَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَرَ مِنَ الشَّيْبِ إِلَّا قَلِيلًا.

١٠٣ - (٢٣٤١) حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ قَالَ: سَأَلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ خَضَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَعُدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ فِي رَأْسِهِ فَعَلْتُ، وَقَالَ: لَمْ يَخْتَضِبْ.

وَقَدْ اخْتَضَبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ، وَاخْتَضَبَ عُمَرُ بِالْحِنَاءِ بَحْتًا.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٨٩٤).

١٠٤ - (٢٣٤١) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ فَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: يُكْرَهُ أَنْ يَتَّفَ الرَّجُلُ الشَّعْرَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ رَأْسِهِ وَلَحْيَتِهِ، قَالَ: وَلَمْ يَخْتَضِبْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِنَّمَا كَانَ الْبَيَاضُ فِي عَنَقَتِهِ وَفِي الصُّدْغَيْنِ، وَفِي الرَّأْسِ نَبْذٌ.

١٠٤ - (٢٣٤١) وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى بِهِذَا الْإِسْنَادِ.

١٠٥ - (٢٣٤١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَأَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدُّورَقِيُّ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي دَاوُدَ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ خُلَيْدِ بْنِ جَعْفَرٍ، سَمِعَ أَبَا إِيسَى، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ شَيْبِ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا شَأْنُهُ اللَّهُ بَيِّضَاءَ.

(أبو بكر بن أبي شيبة) صاحب كتاب (المصنف)، و(الإيمان)، وأيضا (المسند) إمام.

(هشام) هشام بن حسان القردوسي.

(ابن سيرين) وهو محمد، مع أن أخوة ابن سيرين كثر، محمد، وكريمة، وأحمد وحفصة، وأروى.

وسياقي أن النبي ﷺ أيضا خضب، لكن لعل أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما علم. (بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ) الحناء يحمره، والكتم يجعله إلى الرمادي، أو إلى ما يسمى بالبني.

(فِي عَنَقَتِهِ) بين الشفة واللحية، تسمى عنققة.

(وَفِي الرَّأْسِ نَبْذٌ) يعني شعيرات هاهنا وشعيرات هاهنا.

(مَا شَأْنُهُ اللَّهُ بَيِّضَاءَ) على التفصيل الذي سبق.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٠٦ - (٢٣٤٤) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، (ح) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ مِنْهُ بَيَضَاءُ، وَوَضَعَ زُهَيْرٌ بَعْضَ أَصَابِعِهِ عَلَى عُنُقَتِهِ، قِيلَ لَهُ: مِثْلُ مَنْ أَنْتَ يَوْمَئِذٍ؟ فَقَالَ: أَبْرِي النَّبْلَ وَأَرِيْشَهَا ^(١).

(أحمد بن يونس) اليربوعي، قالوا فيه: صاحب سنة.

(أبو جحيفة) وهو ابن عبد الله السوائي.

وهذا دليل لما ذهب إليه أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (مَا شَأْنُ اللَّهِ بَيَضَاءُ) أن الشعر الأبيض إذا انتشر قد يقع فيه نوع شين، لذلك يعمد الكثير إلى تغيير البياض، إما بالحناء والكتم، وإما بأحدهما، وإما بغير ذلك، أما الذي يطلق الشعر هكذا يصير أشمط، يزهد فيمن حوله، ويزهد فيه من يراه.

لما كنت في مكة كنت قد زهدت في حالي، فتركت شعري أبيضاً، فكان من رأيي يقول: يا جد، فلما بدأت أدبب لزوجة أخرى ذهبت أخضب شعري.

وبعض الناس لا يحب الخضاب جملة، فإذا رأيت بعض أصحاب اللحي بيضاء، دسمة، أحياناً يكون تحتها باطنية، لكن إذا رأيت الخضاب أمنت من ذلك، فهم يلبسون العمائم البيضاء، والأثواب البيضاء، وكثير منهم يعف اللحي.

وتفرق بينهم في الحرم إذا رأيتهم أنه أول ما يقوم يصلي يفتح الساعة من يده، ويخرج الجوال، ثانياً: يصلي مسربلاً، أي مرسلاً ليديه، ثالثاً: ما يحب أحداً يقدم إليه، وهكذا لحيته بيضاء، لا خضاب فيها، مع أن بعض أهل السنة لا يخضبون، لكن هذه من علامات التفريق بينهم.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٤٥).

ولا إله إلا الله إذا جاءوا إلى الحرم كم يركعون ويسجدون! لكن لا قراءة فاتحة ولا إحسان شيء، وبعضهم عنده عقيدة: أنه إذا جاء إلى الحرم يصلي صلوات سابقات كثيرات، وإذا رجع بيته لا يصلي.

وأما مكارمة العدين وهذه المناطق يستأجروهم بثلاثة آلاف، المكرمي في نجران راقد ويعافس ويفعل الذي يريد، وذلك يصلي له في الحرم.

اليمن كانت قد ملئت بالرفض، إنما سلم الله، بالذات إب؛ لأن حكم الصليحيين كان عندهم، في جبلة، وما زال بعضهم إلى الآن في جبلة، في عراس، وحراز، وباب اليمن، وكثير من المناطق على باطنية، نسأل الله السلامة والعافية.

أهانهم الله بعد أن أهانوا المسلمين، وهكذا اليهود سيهانون بإذن الله **عَزَّجَلَّ** ولا بد، إنما ابتلاء من الله **عَزَّجَلَّ** للمسلمين؛ لأن المسلمين ضيعوا من دينهم ما فقدوا بسببه النصر والتمكين.

نقفور الأرمني - وليس نقفور فوكاس كتبت قصيدة على لسانه يهدد فيها ويقول: بأنه سيأتي بجيش، ويغزو المدينة، ومكة، ويصل إلى صعدة، ويصل إلى كذا وذكر في سبب ما سيمكن على المسلمين به قال: لأنكم ضيعتم الأمانات، وخانت القضاة، واستلتم الرشاوي، وعصيتم الله، ومن هذا الكلام الذي في جملته حق، ما سلط الله شر البرية على خير البرية إلا بسبب ذنوب خير البرية، وإلا فأولئك لا ترفع لهم راية، ولا تحقق لهم غاية، هذا حكم الله، لكن قد يتلى الإنسان بسبب ذنوبه ومعاصيه.

وأما النصارى لا تفرحوا بهم ولا ترجوهم، يذكرون أن القسيس الذي استقبل عمر بن الخطاب وأكرمه عمر بن الخطاب أيما كرامة بوثيقة وعهد لم يقع في التاريخ مثله في التجاوز، حتى أن الصلاة حضرت وعمر بن الخطاب في الكنيسة فقال له: صل فيها، قال: إن صليت فيها أخذها عليك المسلمون، فخرج وصلى خارج الكنيسة أحسن ما يكون من صلاة، صلاة فيها التوحيد، والإخلاص، والمتابعة.

فدخل ذلك الخبيث على قومه وقرر بين النصارى أن المسلمين أصحاب وثنية، وهكذا كثير في قساوستهم، في الأندلس كتبوا وصنفوا على أن المسلمين أصحاب وثنية، ودرسوا هذه الكتب وأشاعوها حتى صار عند كثير من النصارى أننا من أشد الناس وثنية، فلا يدخل في الإسلام إلا من أراد الله به الخير، والفلاح والصلاح، والله المستعان.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٠٧ - (٢٣٤٣) حَدَّثَنَا وَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبْيَضَ قَدْ شَابَ، كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يُشَبِّهُهُ ^(١).
١٠٧ - (٢٣٤٣) وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ وَخَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ، كُلُّهُمْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ بِهَذَا، وَلَمْ يَقُولُوا أَبْيَضَ قَدْ شَابَ.

(مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ) بن غزوان الكوفي الضبي، مولا هم صدوق، رمي بالتشيع.

(إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ) يروي كثيرا عن قيس، لكن هنا عن أبي جحيفة.

كان أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول:

بـأبي شـيـبـهـا للنبـي
لـيـس شـيـبـهـا لعلـي
وعلي يضحك.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٤٣).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٨ - (٢٣٤٤) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ سُئِلَ عَنْ شَيْبِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: كَانَ إِذَا دَهَنَ رَأْسَهُ لَمْ يَرِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِذَا لَمْ يَدُهْنِ رُئِيَ مِنْهُ.

١٠٩ - (٢٣٤٤) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ سِمَاكِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَكَانَ إِذَا ادَّهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ، وَإِذَا شَعَثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ، وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحْيَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا، وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشِبُّ جَسَدَهُ.

(كَانَ إِذَا دَهَنَ رَأْسَهُ لَمْ يَرِ مِنْهُ شَيْءٌ) هذا واقع، إذا لم يكن قد كثر الشيب حين تدهن ما يرى الشيب، وإذا لم تدهن يظهر قليله.

(قَدْ شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ) يعني تغير اللون من شدة الشمس ومن الطوارئ التي تطرأ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْقَاضِي: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هَلْ خَضَبَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْ لَا؟ فَمَنَعَهُ الْأَكْثَرُونَ بِحَدِيثِ أَنَسٍ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ، وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ: خَضَبَ لِحَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ هَذَا، وَلِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَضْغُ بِالْصُّفْرَةِ.

قَالَ: وَجَمَعَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ مِنْ كَلَامِ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ: فَقَالَ مَا أَدْرِي فِي هَذَا الَّذِي يُحَدِّثُونَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنَ الطَّيِّبِ الَّذِي كَانَ يُطَيَّبُ بِهِ شَعْرُهُ، لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَسْتَعْمِلُ الطَّيِّبَ كَثِيرًا، وَهُوَ يُزِيلُ سَوَادَ الشَّعْرِ، فَأَشَارَ أَنَسٌ إِلَى أَنَّ تَغْيِيرَ ذَلِكَ لَيْسَ بِضَنْعٍ، وَإِنَّمَا هُوَ لِضَعْفِ لَوْنِ سَوَادِهِ بِسَبَبِ الطَّيِّبِ.

قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ تِلْكَ الشَّعْرَاتِ تَغَيَّرَتْ بَعْدَهُ لِكَثْرَةِ تَطْيِيبِ أُمِّ سَلَمَةَ لَهَا إِكْرَامًا هَذَا آخِرُ كَلَامِ الْقَاضِي.

وَالْمُخْتَارُ أَنَّهُ ﷺ صَبَغَ فِي وَقْتٍ، وَتَرَكَهُ فِي مُعْظَمِ الْأَوْقَاتِ، فَأَخْبَرَ كُلُّ بِمَا رَأَى، وَهُوَ صَادِقٌ وَهَذَا التَّأْوِيلُ كَالْمُتَعَيَّنِ، فَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَلَا يُمَكِّنُ تَرْكَهُ، وَلَا تَأْوِيلَ لَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا اخْتِلَافُ الرِّوَايَةِ فِي قَدْرِ شَيْبِهِ فَالْجَمْعُ بَيْنَهَا أَنَّهُ رَأَى شَيْئًا يَسِيرًا، فَمَنْ أَثَبَتَ شَيْبَهُ أَخْبَرَ عَنْ ذَلِكَ الْيَسِيرِ، وَمَنْ نَفَاهُ أَرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَمَا قَالَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: لَمْ يَشْتَدَّ الشَّيْبُ أَيُّ لَمْ يَكُنْ، وَلَمْ يَخْرُجْ شَعْرُهُ عَنْ سَوَادِهِ وَحُسْنِهِ. كَمَا قَالَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: (لَمْ يَرِ مِنَ الشَّيْبِ إِلَّا قَلِيلًا). اهـ

هذا هو الصواب، البعيد لا يرى شيئا، والقريب قد يرى بعضا.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ اثْبَاتِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ وَصِفَتِهِ وَمَحَلِّهِ مِنْ جَسَدِهِ ﷺ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٠ - (٢٣٤٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ قَالَ: رَأَيْتُ خَاتَمًا فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّهُ بَيَضَةُ حَمَامٍ.

١١٠ - (٢٣٤٤) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا حَسَنُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ سِمَاكِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلُهُ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمَّا (بَيَضَةُ الْحَمَامَةِ) فَهُوَ بَيَضَتُهَا الْمَعْرُوفَةُ، وَأَمَّا زُرُّ الْحَجَلَةِ فَبِرَازِي ثُمَّ رَاءٍ. وَالْحَجَلَةُ بَفَتْحِ الْحَاءِ وَالْجِيمِ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ، وَالْمُرَادُ بِالْحَجَلَةِ وَاحِدَةُ الْحِجَالِ، وَهِيَ بَيْتٌ كَالْقُبَّةِ لَهَا أَرْزَارٌ كِبَارٌ وَعُرَى، هَذَا هُوَ الصَّوَابُ الْمَشْهُورُ الَّذِي قَالَهُ الْجُمْهُورُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ بِالْحَجَلَةِ الطَّائِرُ الْمَعْرُوفُ، وَزَرُّهَا بَيَضَتُهَا، وَأَشَارَ إِلَيْهِ التِّرْمِذِيُّ، وَأَنكَرَهُ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ. اهـ

الحَجَل موجود في الحبشة بكثرة، ويوجد في بعض البلدان، فالحجلة فوق الدجاجة ولونها مختلف، وبيضها أكبر من بيض الدجاج، وحكمها من حيث الحل حكم الدجاجة.

لما ذهبنا دعوة نحن والشيخ حسين الحطبي إلى تنزانيا نزلنا في الحبشة، وأدخلونا فندقاً، وجاء الإفطار خشينا إذا أخذنا من هنا أو من ها هنا يكون من المحرمات، فرأينا البيض، فكان البيض لونه أحمر، وعندنا البيض المعتاد لون أبيض، ومع ذلك رأيناه أحسن ما يؤكل؛ حتى لا نفع في أكل لحم خنزير أو لحم دُبَح على غير الشريعة. وأزيدكم: مرة أردت أن أسافر إلى ترندات، مسافة بعيدة، فقلت للأخ محسن ضيف الله: يا أخي كيف أقول لهم إذا كنت لا أريد اللحم؟ قال: (إني ثينج نو ميت)، فجاءوا بالغداء قالوا: ماذا تريد؟ قلت: (إني ثينج نو إيت) يعني كل شيء إلا الأكل، والأولى معناها أريد أي شيء عدا اللحم، وأنا أكلهم: كل شيء إلا الأكل، وهم يستفسرون: كيف كل شيء إلا الأكل؟ بعد ذلك انتبهت.

ومرة قلت للأخوة في تنزانيا: أريد هذا يتغدى معنا، قال: قل له: (كولي ميمي نينا)، فأنا قلت له: (كولي مينا) أو بنحو هذه الكلمة، فانتبه: مالك؟ قالوا: أنت تقول: أنت تريد أن تأكلني؟ فنحن بالنسبة للغتهم عجم، وبالنسبة للغتنا عرب.

ومرة أريد أن أقول لواحد: أدخل في الإسلام فقلت: (إنتر ذا إسلام)، وأنا أقول له: (أوبن ذا إسلام) وهو يقول: (هواي)؟ يعني: افتح الإسلام.

المهم تقع لنا مواقف مع العجم، لكن نسأل الله أن يوفقنا، فالذي عنده لغة إنجليزية ننصح أنه يستفيد منها بالدعوة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، ترجمة وتوضيحا لا سيما وهي لغة أصبحت عالمية، وكثير من الدول التي استعمرت تتكلم بها.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١١ - (٢٣٤٥) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَا: حَدَّثَنَا حَاتِمٌ وَهُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْجَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ يَقُولُ: ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجَعٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زُرِّ الْحَجَلَةِ ^(١).

(وَجَعٌ) يعني مريض.

(فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ) دعاؤه ﷺ ببركة، ووضوؤه ببركة، ومسحه ببركة، فكانت تقع عليهم البركات الكثيرات من رسول الله ﷺ.

(ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ) لطلب البركة.

(فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زُرِّ الْحَجَلَةِ) قال الحافظ في "فتح الباري" (٦/

٥٦٢): قوله فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه في حديث عبد الله بن سرجس عند مسلم أنه كان إلى جهة كتفه اليسرى قوله قال بن عبيد الله الحجلة من حجل الفرس الذي بين عينيه وقال إبراهيم بن حمزة مثل زر الحجلة قلت هكذا وقع وكأنه سقط منه شيء لأنه يبعد من شيخه محمد بن عبيد الله أن يفسر الحجلة ولم يقع لها في سياقه ذكر وكأنه كان فيه مثل زر الحجلة ثم فسرهما وكذلك وقع في أصل النسفي تضبيب بين قوله بين كتفيه وبين قوله قال بن عبيد الله وأما التعليق عن إبراهيم بن حمزة فالمراد أنه روى هذا الحديث كما رواه محمد بن عبيد الله إلا أنه خالف في هذه الكلمة وسيأتي الحديث عنه موصولا بتمامه في كتاب الطب وقد زعم بن التين أنها في رواية بن عبيد الله بضم المهملة وسكون الجيم وفي رواية بن حمزة بفتحهما وحكى بن دحية مثله وزاد في الأول كسر

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٩٠).

المهملة مع ضمها وقيل الفرق بين رواية بن حمزة وبن عبيد الله أن رواية بن عبيد الله بتقديم الزاي على الراء على المشهور ورواية بن حمزة بالعكس بتقديم الراء على الزاي وهو مأخوذ من ارتز الشيء إذا دخل في الأرض ومنه الرزة والمراد بها هنا البيضة يقال ارتزت الجرادة إذا أدخلت ذنبها في الأرض لتبيض وعلى هذا فالمراد بالحجلة الطير المعروف وجزم السهيلي بأن المراد بالحجلة هنا الكلة التي تعلق على السرير ويزين بها للعروس كالشخانات والزر على هذا حقيقة لأنها تكون ذات أزرار وعرى واستبعد قول بن عبيد الله بأنها من حجل الفرس الذي بين عينيه بأن التحجيل إنما يكون في القوائم وأما الذي في الوجه فهو الغرة وهو كما قال إلا أن منهم من يطلقه على ذلك مجازاً وكأنه أراد أنها قدر الزر وإلا فالغرة لا زر لها وجزم الترمذي بأن المراد بالحجلة الطير المعروف وأن المراد بزرها بيضها ويعضده ما سيأتي أنه مثل بيضة الحمامة وقد وردت في صفة خاتم النبوة أحاديث متقاربة لما ذكر هنا منها عند مسلم عن جابر بن سمرة كأنه بيضة حمامة ووقع في رواية بن حبان من طريق سماك بن حرب كبيضة نعامة ونبه على أنها غلط وعن عبد الله بن سرجس نظرت خاتم النبوة جمعا عليه خيلان وعند بن حبان من حديث بن عمر مثل البندقة من اللحم وعند الترمذي كبضعة ناشزة من اللحم وعند قاسم بن ثابت من حديث قرة بن إياس مثل السلعة وأما ما ورد من أنها كانت كأثر محجم أو كالشامة السوداء أو الخضراء أو مكتوب عليها محمد رسول الله أو سرفانت المنصور أو نحو ذلك فلم يثبت منها شيء وقد أطنب الحافظ قطب الدين في استيعابها في شرح السيرة وتبعه مغلطاي في الزهر الباسم ولم يبين شيئاً من حالها والحق ما ذكرته ولا تغتر بما وقع منها في صحيح بن حبان فإنه غفل حيث صحح ذلك والله أعلم قال القرطبي اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة وإذا كبر جمع اليد والله أعلم ووقع في حديث عبد الله بن سرجس عند مسلم أن خاتم النبوة كان بين كتفيه عند ناغض

كتفه اليسرى وفي حديث عباد بن عمرو عند الطبراني كأنه ركة عنز على طرف كتفه الأيسر ولكن سنده ضعيف قال العلماء السر في ذلك أن القلب في تلك الجهة وقد ورد في خبر مقطوع أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان فرأى الشيطان في صورة ضفدع عند نغض كتفه الأيسر حذاء قلبه له خرطوم كالبعوضة أخرجه بن عبد البر بسند قوي إلى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز فذكره وذكره أيضا صاحب الفائق في مصنفه في م ص ر وله شاهد مرفوع عن أنس عند أبي يعلى وابن عدي ولفظه إن الشيطان واضع خطمه على قلب بن آدم الحديث وأورد بن أبي داود في كتاب الشريعة من طريق عروة بن رويم أن عيسى عليه السلام سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من بن آدم قال فإذا برأسه مثل الحية واضع رأسه على ثمرة القلب فإذا ذكر العبد ربه خنس وإذا غفل وسوس قلت وسيأتي لهذا مزيد في آخر التفسير قال السهيلي وضع خاتم النبوة عند نغض كتفه ﷺ لأنه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع يدخل منه الشيطان. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٢ - (٢٣٤٦) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، كِلَاهُمَا عَنْ عَاصِمِ الْأَخُولِ، (ح) وَحَدَّثَنِي حَامِدُ بْنُ عُمَرَ الْبَكْرَاوِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ يَعْنِي: ابْنَ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسَ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا، أَوْ قَالَ: ثَرِيدًا، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفِرُكَ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة محمد: ١٩]، قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عِنْدَ نَاعِضِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى جُمُعًا عَلَيْهِ خِيْلَانٌ كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ.

(أبو كامل) فضيل بن الحسين الجحدري.

(حامد بن عمر البكرائي) نسبة إلى أبي بكر.

(عاصم) الأحول.

(وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا، أَوْ قَالَ: ثَرِيدًا) الخبز واللحم يسمى ثريد.

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الشريد
(وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) نرجو أننا دخلنا في معنى هذه الآية؛
لأن النبي ﷺ في الأضحية ضحى عن نفسه وعن من لم يضح من أمته، قال العلماء:
حتى الذين يأتون بعده، وهكذا (وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [سورة محمد: ١٩] نرجو
أننا قد دخلنا في هذا المعنى، ونسأل الله أن يتوفانا على الإسلام والسنة.

(خِيْلَانٌ كَأَمْثَالِ النَّالِيلِ) الخيلان معروفة، هذه التي تظهر في الجسم سوداء والثآليل
معروفة التي تخرج في الجسم ناتئة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَبْعَثِهِ وَسِنِّهِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٣ - (٢٣٤٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ رِبْعَةَ بْنِ أَبِي
عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ
الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَلَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ وَلَا بِالْأَدَمِ، وَلَا بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ وَلَا
بِالسَّبْطِ، بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ
سِنِينَ، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلَحْيَيْهِ عَشْرُونَ شَعْرَةً
يَيْضَاءُ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٤٧).

١١٣ - (٢٣٤٧) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَاءَ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، كِلَاهُمَا عَنْ رِبْعَةَ يَعْنِي: ابْنَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِمِثْلِ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَزَادَ فِي حَدِيثِهِمَا: كَانَ أَزْهَرَ.

(ربيعة بن أبي عبد الرحمن) ربيعة الرأي.

(وَلَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ وَلَا بِالْأَدَمِ) يعني ليس بالأسود ولا شديد البياض.

(فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ) الصحيح بمكة ثلاثة عشر سنة.

(وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً) الصحيح على ثلاثة وستين سنة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ كَمْ سَنُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ قُبُضِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٤ - (٢٣٤٨) حَدَّثَنِي أَبُو عَسَانَ الرَّازِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا حَكَّامُ بْنُ سَلَمٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ زَائِدَةَ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَأَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَعُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

١١٥ - (٢٣٤٩) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً^(١).

وَقَالَ ابْنُ شَهَابٍ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ بِمِثْلِ ذَلِكَ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٣٦).

١١٥ - (٢٣٤٩) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَبَادُ بْنُ مُوسَى قَالَا: حَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ بِالْإِسْنَادَيْنِ جَمِيعًا مِثْلَ حَدِيثِ عُقَيْلٍ.

أي كان بين النبي ﷺ وبين أبي بكر في السن ستان، وكان بين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين رسول الله صل الله عليه وسلم في السن اثنا عشر سنة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: ذَكَرَ فِي الْبَابِ ثَلَاثَ رَوَايَاتٍ: إِحْدَاهَا: (أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُوْفِّيَ وَهُوَ ابْنُ سِتِّينَ سَنَةً)، وَالثَّانِيَةُ: (خَمْسٌ وَسِتُّونَ)، وَالثَّالِثَةُ: (ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ)، وَهِيَ أَصَحُّهَا وَأَشْهَرُهَا، رَوَاهُ مُسْلِمٌ هُنَا مِنْ رَوَايَةِ عَائِشَةَ وَأَنْسٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ أَصَحَّهَا ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ، وَتَأَوَّلُوا الْبَاقِيَ عَلَيْهِ، فَرَوَايَةُ سِتِّينَ اقْتَصَرَ فِيهَا عَلَى الْعُقُودِ وَتَرَكَ الْكُسْرَ، وَرَوَايَةُ الْخَمْسِ مُتَأَوَّلَةٌ أَيْضًا، وَحَصَلَ فِيهَا اشْتِبَاهٌ، وَقَدْ أَنْكَرَ عُرْوَةُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: (خَمْسٌ وَسِتُّونَ) وَنَسَبَهُ إِلَى الْعَلَطِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ أَوَّلَ النُّبُوَّةِ، وَلَا كَثُرَتْ صُحْبَتُهُ بِخِلَافِ الْبَاقِينَ.

وَاتَّفَقُوا أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَبِمَكَّةَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي قَدْرِ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَقَبْلَ الْهِجْرَةِ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ، فَيَكُونُ عُمُرُهُ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ. اهـ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ كَمْ أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٦ - (٢٣٥٠) حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْهَدَلِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو قَالَ: قُلْتُ لِعُرْوَةَ: كَمْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ؟ قَالَ: عَشْرًا. قَالَ: قُلْتُ: فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٤٦٤).

١١٦ - (٢٣٥٠) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو قَالَ: «قُلْتُ لِعُرْوَةَ: كَمْ لَيْثَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ؟ قَالَ: عَشْرًا، قُلْتُ: فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: بِضْعَ عَشْرَةَ، قَالَ: فَغَفَرَهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ.

١١٧ - (٢٣٥١) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ رَوْحِ بْنِ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَتَوَفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ^(١).

١١٨ - (٢٣٥١) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

١١٩ - (٢٣٥٢) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبَانَ الْجُعْفِيُّ، حَدَّثَنَا سَلَامٌ أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، فَذَكَرُوا سِنِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَكْبَرَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَقُتِلَ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يُقَالُ لَهُ عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَذَكَرُوا سِنِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَقُتِلَ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

١٢٠ - (٢٣٥٢) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٨٥١).

الْبَجَلِيِّ، عَنْ جَرِيرٍ: أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ فَقَالَ: مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

١٢١ - (٢٣٥٣) وَحَدَّثَنِي ابْنُ مِنْهَالٍ الضَّرِيرُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ عَمَارٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ كَمْ أَتَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ؟ فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَحْسِبُ مِثْلَكَ مِنْ قَوْمِهِ يَخْفَى عَلَيْهِ ذَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي قَدْ سَأَلْتُ النَّاسَ فَاخْتَلَفُوا عَلَيَّ، فَأَخْبَيْتُ أَنْ أَعْلَمَ قَوْلَكَ فِيهِ، قَالَ: أَتَحْسِبُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمْسِكْ أَرْبَعِينَ، بُعِثَ لَهَا خَمْسَ عَشْرَةَ بِمَكَّةَ يَأْمُنُ وَيَخَافُ، وَعَشْرَ مِنْ مَهَا جَرِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ^(١).

١٢١ - (٢٣٥٣) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ يُونُسَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ.

١٢٢ - (٢٣٥٣) وَحَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ يَعْنَى: ابْنُ مِفْضَلٍ، حَدَّثَنَا خَالِدُ الْحَذَّاءُ، حَدَّثَنَا عَمَّارٌ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوْفِيَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ.

١٢٢ - (٢٣٥٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُليَّةَ، عَنْ خَالِدٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

١٢٣ - (٢٣٥٣) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، أَخْبَرَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً يَسْمَعُ الصَّوْتُ، وَيَرَى الضَّوْءَ سَبْعَ سِنِينَ وَلَا يَرَى شَيْئًا، وَثَمَانِ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرًا.

(سفیان عن عمرو) هو ابن عیینة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٨٥١).

(ثَلَاثَ عَشْرَةَ) هذا هو الصحيح ثلاث عشرة.

البيت الذي أشار إليه عروة:

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةِ حَجَّةٍ يَذْكُرُ لَوْ يَلْقَى خَلِيلًا مُوَاتِيَا

قد جاء هذا البيت في بعض نسخ مسلم.

عمرو بن دينار وعبد الله بن دينار ليسا بأخوة، وهما في طبقة واحدة.

هذا الحديث جاء عن عدة من الصحابة، سني النبي ﷺ.

(أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً) أضاف ابن عباس الكسر فقد تقدم

أنه مكث في مكة ثلاث عشرة سنة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: فِي أَسْمَائِهِ ﷺ

أسماء النبي ﷺ أعلام وأوصاف، كما هو الحال في أسماء الله عزَّجَلَّ وأسماء القرآن.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٤ - (٢٣٥٤) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَأَبْنُ أَبِي عُمَرَ وَاللَّفْظُ لِيَزْهِيرٍ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، سَمِعَ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمَحِّي بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ»، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ ^(١).

١٢٥ - (٢٣٥٤) حَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِي

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٣٢).

أَسْمَاءُ؛ أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ
الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ» وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ
رَءُوفًا رَحِيمًا.

١٢٥ - (٢٣٥٤) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ
جَدِّي، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ،
(ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ،
كُلُّهُمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَفِي حَدِيثِ شُعَيْبٍ وَمَعْمَرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ، وَفِي حَدِيثِ عُقَيْلٍ قَالَ: قُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ: وَمَا الْعَاقِبُ؟ قَالَ: الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ،
وَفِي حَدِيثِ مَعْمَرٍ وَعُقَيْلٍ: الْكُفْرَةُ، وَفِي حَدِيثِ شُعَيْبٍ: الْكُفْرُ.

١٢٦ - (٢٣٥٥) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ،
عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْثَةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ،
وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ».

(زهير بن حرب) أبو خيثمة النسائي، له كتاب (العلم).

(ابن أبي عمر) له كتاب (الإيمان).

(أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ) اسمه في الإنجيل أحمد، واسمه بعد بعثته محمد، قيل: الفرق
بين الاسمين: أن معنى أحمد: أنه سيكون حامدا وسيُحمد، واسم محمد: أنه حامد
لربه. قال ابن القيم في جلاء الأفهام.

(وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ) ليس معنى ذلك أن الكفر يزول بالكلية.
(وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رَءُوفًا رَحِيمًا) في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨].
(إسحاق من إبراهيم الحنظلي) هو ابن راهويه.

فأسماءه أحمد، ومحمد، والمحي، والحاشر، والعاقب، والرؤوف والرحيم، ونبي التوبة، ونبي الرحمة، والمقفي، عشرة أسماء مذكورة في هذين الحديثين.

قال النووي رحمه الله: ذَكَرْنَا هَذِهِ الْأَسْمَاءَ، وَلَهُ ﷺ أَسْمَاءُ أُخْرُ^(١)، ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ فِي كِتَابِهِ الْأَخَوَذِيِّ فِي شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَلْفَ اسْمٍ، وَلِلنَّبِيِّ ﷺ أَلْفَ اسْمٍ أَيْضًا، ثُمَّ ذَكَرَ مِنْهَا عَلَى التَّفْصِيلِ بَعْضًا وَسِتِّينَ.

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: يُقَالُ: رَجُلٌ مُحَمَّدٌ وَمَحْمُودٌ إِذَا كَثُرَتْ خِصَالُهُ الْمَحْمُودَةُ.

وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ وَغَيْرُهُ: وَبِهِ سُمِّيَ نَبِيُّنَا ﷺ مُحَمَّدًا وَأَحْمَدًا، أَيُّ أَلْهَمَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَهُ أَنْ سَمَّوْهُ بِهِ لِمَا عَلِمَ مِنْ جَمِيلِ صِفَاتِهِ.

قَوْلُهُ ﷺ: (وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمَحِّي بِي الْكُفْرَ) قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْمُرَادُ مَحْوُ الْكُفْرِ مِنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَسَائِرِ بِلَادِ الْعَرَبِ، وَمَا زُوِيَ لَهُ ﷺ مِنَ الْأَرْضِ، وَوُعِدَ أَنْ يَبْلُغَهُ مُلْكُ أُمَّتِهِ.

قَالُوا: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ الْمَحْوُ الْعَامُّ بِمَعْنَى الظُّهُورِ بِالْحُجَّةِ وَالْغَلْبَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [سورة التوبة: ٣٣]، وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ تَفْسِيرُ الْمَاحِي بِأَنَّهُ الَّذِي مُحِيتْ بِهِ سَيِّئَاتُ مَنْ اتَّبَعَهُ، فَقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ بِمَحْوِ الْكُفْرِ هَذَا، وَيَكُونُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٨] وَالْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: «الْإِسْلَامُ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ». اهـ

وهذه من المبالغة أن يقولوا: له ألف اسم، أو حتى تسعة وتسعين اسما، ما علمنا لها أدلة، قد يوصف ﷺ بصفات كثيرة، فله من الصفات البشرية أكملها، سواء في الصفات الخلقية أو في الصفات الخلقية، والله أعلم

(١) بل إن بعضهم جعل للنبي ﷺ ألف اسم، وبعضهم جعل له تسعا وتسعين اسما.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ عِلْمِهِ ﷺ بِاللَّهِ تَعَالَى وَشِدَّةِ خَشْيَتِهِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٧ - (٢٣٥٦) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرًا فَتَرَخَّصَ فِيهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَكَانَتْهُمْ كَرَهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَقَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: «مَا بَالُ رِجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ فَكَرَهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ؟ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»^(١).

١٢٧ - (٢٣٥٦) حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، كِلَاهُمَا عَنْ الْأَعْمَشِ بِإِسْنَادِ جَرِيرٍ نَحْوَ حَدِيثِهِ.

١٢٨ - (٢٣٥٦) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَمْرٍ فَتَنَزَّهَ عَنْهُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَغَضِبَ حَتَّى بَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْعُبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ؟ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً».

(فَتَرَخَّصَ فِيهِ) يعني أخذ بالرخصة.

(فَكَانَتْهُمْ كَرَهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ) يعني كرهوا الترخص لأنفسهم، ما كرهوا ترخص

النبي ﷺ، إنما قالوا: النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ونحن بخلاف

النبي ﷺ، إذا لن نترخص بهذه الرخصة.

(فَقَامَ خَطِيبًا) منكرًا لهذا القول.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦١٠).

وهذا من تمام حرص النبي ﷺ على الأمة، وإلا لو أقرؤا على ترك ترخصهم وترخصه ﷺ لرأيت من يتعاطى كثيرا من الأمور ويستدل بصنيعهم، لكن صار إنكار النبي ﷺ عليهم إنكارا على من تعبد بغير طريقته، وأخذ بغير هديه وسنته، وإن ظنها حسنة، فالحسنة اتباع النبي ﷺ، ولهذا قال: «من رغب عن سنتي فليس مني».

قوله: (فَوَاللَّهِ لَا أَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً) دليل على التفاضل في الإيمان والتفاضل في العلم والعمل، والتفاضل في أعمال القلوب، وهذا رد على الطحاوي إذ يقول: وأهله في أصله سواء، أبدا ليس أهل الإيمان في أصله سواء، فليس إيمان أبي بكر كإيمان غيره من الصحابة فضلا عن كثير من المتأخرين، وكثير من عصاة الأمة وكثير من المفرطين، فالتفاضل حاصل، في الإيمان، وفي الأعمال، وفي أعمال القلوب.

(فَغَضِبَ حَتَّى بَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ) لا بد أن الإنسان يغضب إذا رأى ما يؤدي إلى الغضب، أما أن يكون على وتيرة واحدة لا يغضب هذا قصور عظيم، لا بد أن الإنسان يغضب لله **عَزَّجَلَّ**، ولكن ليس في جميع الحالات يكون على الغضب، يغضب للمصلحة الشرعية، هذا هو الغضب الممدوح، وأما إذا كان الغضب لغير مصلحة شرعية أو كان يتجاوز فيه الغضب الشرعي فهذا مذموم.

وفيه أن الإنسان يجوز أن يزكي نفسه للحاجة، وإلا فالأصل قد قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [سورة النجم: ٢٢]، وهكذا النبي ﷺ غير بعض الأسماء وقال: «الله أعلم بأهل البر منكم».

لكن الإنسان يحتاج أن يبين ما هو عليه من الخير والسنة؛ للرد على المبطلين، والرد على دعاوى المناوئين والمخالفين، ما يبقى يقول لك: أنت ما عندك علم وتقول له: صح، ما أنا إلا طالب علم، طالب علم بين العلماء الذين يعرفون مقدار هذه الكلمة. لكن إذا رأيت من يخالف شرع الله لا سيما من المبتدعين والضالين من المناوئين ويقول: ما أنت إلا طالب علم، قل: الحمد لله قد من الله علي بخير، وأرجو أني على

خير وعلى علم ودراية بكثير مما فتح الله به، فلا يبقى طاعنا محتقرا وأنت تزیده تواضعا.

التواضع في القلب والجوارح تنقاد له، لكن لا بد من البيان؛ لأن من طريقة أهل الباطل احتقار أهل الحق، فلا يجوز أن تمضيها لهم، لا بد أن تبين ما أنت عليه من الخير والصلاح والهدى، كما كان يفعل الصحابة **رَضَوُا اللَّهَ عَلَيْهِمْ**.

انظر إلى عثمان بن عفان، من أشد الناس تواضعا، ومن أحرصهم على خير، لكن لما طعن فيه وزُهد في طريقته قال أما قال رسول الله **ﷺ**: «**من يجهز جيش العسرة وله الجنة**»؟ أما قال رسول الله **ﷺ**: كذا؟ والله ما زنت في جاهلية ولا في إسلام، فالإنسان يدافع عن نفسه، والله المستعان.
قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ **ﷺ**

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٢٩ - (٢٣٥٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ **ﷺ** فِي شَرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرَّحَ الْمَاءَ يَمُرُّ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ **ﷺ**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** لِلزُّبَيْرِ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ، فَتَلَوْنَ وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ **ﷺ**، ثُمَّ قَالَ: «يَا زُبَيْرُ، اسْقِ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ»، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ

إِنِّي لَأَحْسَبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ [سورة النساء: ٦٥] ^(١).

(في شِراجِ الحَرَّةِ) الشراج: هو السانية التي يتجمع فيها الماء الذي ينزل من السماء حتى يدخل إلى المزرعة، أو إلى الأرض.

(فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرَّحَ الْمَاءَ يَمُرُّ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ)؛ لأنها كانت مزارع متصلة، وهذا إلى الآن حتى في البلد اليمني وفي أغلب البلدان، قد تجد مزرعة قريبة من الجبل وبعدها مزرعة أبعد من الجبل، وربما يكون بعدها مزرعة ثالثة، فيكون الشأن: أن الماء ينزل من السماء على الجبل، ثم يسيل في هذه الشراج، ويدخل إلى الأرض الأولى فيسقيها، ثم يدخل إلى الأرض الثانية فيسقيها، ثم يدخل إلى الأرض الثالثة فيسقيها.

وربما تجد أصحاب الأرض الثانية فتح الماء، فإذا أحب أن يفتح الماء بحيث يمر على المزرعة الأولى، ثم يدخل في المزرعة الثانية ثم يدخل في المزرعة الثالثة، لكن إذا قال: ما أريد أن أفتح يلزم بأن يفتح لكن بعد أن يستوعب الماء مزرعته.

وكثير من أهل الأرض يجعلون مقدار كعب، ثم يضعون حجرة ملساء، بحيث ما ينمو فيها العشب، ولا تمسك التراب، فإذا سقيت المزرعة الأولى مباشرة خرج الماء إلى المزرعة الثانية.

فهذا الذي وقع الأنصار يقول: يا زبير سرح الماء، يعني لا تجعله يتوقف في مزرعتك، فالنبي ﷺ قضى بما يستفيد منه الزبير وما يستفيد منه الآخر صلحا، فلما غضب الرجل قال: يا رسول الله لما كان ابن عمك؟ هذه كلمة ليست باليسيرة، لكن لم يؤاخذ رسول الله ﷺ بها لعظيم حلمه وعفوه وصفحه، لأنها تتضمن الطعن في عدالة رسول الله ﷺ ثم قال النبي ﷺ: (يَا زُبَيْرُ، اسْقِ، ثُمَّ اخْسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجَعَ إِلَى

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٣٥٩).

الجَدْرُ)، هذا هو الحكم، حتى تمتلئ المزرعة تماما، وتستوعب حظها وحقها، ثم يخرج بعد ذلك.

(فَاخْتَصِمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) وهذا هو الحل الشرعي في حل القضايا، لا تقفز مباشرة على أخيك بالسلاح، بالقتال، بالمضاربة، هذا من أسباب الفتن، من أسباب نزغة الشيطان، أغلب الفتن القتالية الشخصية في البلاد الإسلامية لا سيما اليمنية على الأراضي، على الأراضي، أخذ الأرض، توسع إلى الأرض، منعني الماء لا يصل إلى الأرض، وهكذا.

(اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ) من باب الصلح بين الخصمين، فلما غضب الأنصاري وقال ما قال، قال رسول الله ﷺ: **(اسْقِ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ)** هذا هو الحكم الشرعي.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدَرَهُ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَرْتَفَعَ الْمَاءُ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا حَتَّى يَبْتَلَّ كَعْبُ رَجُلِ الْإِنْسَانِ، فَلِصَاحِبِ الْأَرْضِ الْأُولَى الَّتِي تَلِي الْمَاءَ أَنْ يَحْبِسَ الْمَاءَ فِي الْأَرْضِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، ثُمَّ يُرْسِلَهُ إِلَى جَارِهِ الَّذِي وَرَاءَهُ.

وَكَانَ الزُّبَيْرُ صَاحِبَ الْأَرْضِ الْأُولَى، فَأَدَّلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: **(اسْقِ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ)** أَي: اسْقِ شَيْئًا يَسِيرًا دُونَ قَدْرِ حَقِّكَ، ثُمَّ أَرْسِلْهُ إِلَى جَارِكَ؛ إِذْ لَا عَلَى الزُّبَيْرِ، وَلِعَلِّمَهُ بِأَنَّهُ يَرْضَى بِذَلِكَ، وَيُؤَثِّرُ الْإِحْسَانَ إِلَى جَارِهِ، فَلَمَّا قَالَ الْجَارُ مَا قَالَ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ جَمِيعَ حَقِّهِ، وَقَدْ سَبَقَ شَرْحُ هَذَا الْحَدِيثِ وَاضِحًا فِي بَابِهِ. اهـ

(فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا)

وهذه آية عامة، ليست فقط في الخلافات الأرضية، بل حتى التحكيم في العقائد، والتحكيم في الأفعال، والتحكيم في العبادات، والتحكيم في الأقوال.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الإيمان الكامل الإيمان المطلق ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ من خلافات علمية أو عملية، فيرجع الجميع إلى ما بينه رسول الله ﷺ وقضاه.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقاً ولا تدمراً من هذا الحكم الشرعي؛ لأن الواجب على المسلمين الانقياد للكتاب والسنة.

﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ظاهراً باطناً، بل إن الموفق يفرح أنه لم يأخذ حق غيره، وأنه سلم من تبعات المخالفة، وفي العلميات يفرح إذ أنه وفق للصواب، ولم يبق على المخالفة الشرعية.

لكن من هو الذي يفرح بهذا الأمر؟ المحب لله، والمحب لرسول الله ﷺ، والمنقاد لله والمنقاد لرسول الله ﷺ، الحريص على الحق، وهذا قليل في الناس، إلا ما رحم ربي.

تناظر الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ مع بعضهم، ففي الظاهر أن الحجة للشافعي، فلما كان بعد ذلك تبين له أن الحجة لخصمه، فما طابت نفسه حتى يذهب إلى خصمه، ويقول له: ظهر لي أن الحجة لك عليّ، وأشاع ذلك، فقال بعض تلاميذ الشافعي: يا إمام، قال: والله ما ناظرت أحداً حتى أحببت أن يخصمني.

يعني أنه يريد إظهار الحق، يريد لا يريد أن يظهر أنه المنتصر، وأنه القوي، وأنه الأعلّم، وإنما يريد موافقة الصواب.

وهكذا حصلت نحو هذه القصة لابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ، وقعت بينه وبين بعض خصومه مناظرة، فظهر أنه صاحب الحق، ثم بعد ذلك، تبين له أن الحق مع خصمه فراجع الأمر إليه.

وهذا ينبغي أن يكون ديدن طالب العلم، في العلميات وفي العمليات، تختلف مع أخيك في مسائل من مسائل الدنيا تحاكم إلى الكتاب والسنة، وليس بالشرط أن تتحاكم

إلى الكتاب والسنة تذهب إلى القاضي، وتذهب إلى فلان يحكم بينكم، أنتم في أنفسكم، كل يعود إلى الدليل الشرعي الذي يعلمه.

وهكذا في المسائل العلمية اختلفنا في تحية المسجد، اختلفنا في حكم السترة، اختلفنا في غسل يوم الجمعة، اختلفنا في كذا وكذا وكذا، نرجع إلى الكتاب والسنة فكل يأخذ ما يقربه إلى الله، فإن الخلاف شر وضرر.

وانظروا إلى ما لحق الأمة من الضعف العسكري، والعلمي، والديني قبل ذلك، كله بسبب الخلاف، وعدم التحاكم إلى الكتاب والسنة وإلا فهذه الطوائف التي هي اثنتان وسبعون فرقة المخالفة لأهل السنة والجماعة لو كان تحاكمهم إلى الكتاب والسنة ما وقع هذا الخلاف، واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد لو تحاكما مع الحسن البصري إلى الكتاب والسنة ما كان سيقع مذهب الاعتزال.

وهكذا أهل الإرجاء لو تحاكموا إلى الكتاب والسنة ما وقع الإرجاء، وهكذا الخوارج لو تحاكموا مع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الكتاب والسنة ما قتلوا المسلمين وخرجوا عليهم، وهكذا أحمد بن أبي دؤاد لو تحاكم مع الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ومن إليه من أهل العلم إلى الكتاب والسنة ما وقع ذلك السجن لأحمد والابتلاء لبعض العلماء، حتى قُتل وسجن، وحصل الضرر العظيم.

وهكذا حتى الرافضة لو تحاكموا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما وقعوا في صحابة النبي ﷺ، وما وقعوا في الغلو في علي بن أبي طالب، وما وقعوا في عبادة القبور، وما وقع الضرر العظيم الذي هو حاصل الآن.

إذا فسبب ضلال الطوائف، وسبب الضعف الذي حصل في البلاد المسلمة هو عدم التحاكم إلى ما أوحاه الله إلى رسوله ﷺ، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة

بينما السلف **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** سلكوا هذا المسلك سلموا.

أولاً: مسألة البيعة كانت الأنصار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** يريدونها لهم، يريدونها لسعد بن عباد فحضر أبو بكر وعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، دعك من كلام الشيعة الذين يقولون: علي أحق، دعك من هذا، لا تلتفت إليه، وصل أبو بكر وعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وقالوا لهم حين قال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، قالوا: لا، الله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩]، يعني معناها: أن الأنصار وصفوا بالإيمان، والمهاجرون وصفوا بالصدق، كما قال الله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، فالأئمة من قريش، والخلافة فيهم، قال لهم عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**: أيكم يحب أن يتقدم أبا بكر في الصلاة وقد قدمه رسول الله ﷺ؟ فعند ذلك استسلم الأنصار، ومدوا أيديهم لمبايعة أبي بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فلما حصل التحاكم إلى الكتاب والسنة، عرفوا أن أبا بكر أحق بالخلافة؛ لأن النبي ﷺ قدمه يصلي بالناس، فهو إمام الناس، وإمام الناس هو خليفته، في ذلك الوقت كان يتولى الإمامة والخطابة الخليفة.

ثانياً: حين اختلف أبو بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مع فاطمة بنت محمد ﷺ و**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** في مسألة الأرض التي ظنتها ميراثاً من أبيها، فكان الحق مع أبي بكر، حيث أخذ وحاكم إلى قول النبي ﷺ: «**لا نورث ما تركناه صدقة**»، فهذا الحديث أقر به الجميع، أقر به علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، ولذلك لم يطلبوا ميراثاً، إنما طلبوا بعد ذلك أن يقوموا على الأرض، فدفعها إليهم عمر على أن يكونوا فيها كما كان رسول الله ﷺ، وكما كان فيها أبو بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وكما كان فيها عمر بعد ذلك.

فمسألة التحاكم إلى الكتاب والسنة تنضبط بها المسائل العلمية والمسائل العملية.

ثالثاً: في عهد الصحابة رضي الله عنهم أحدهم يقتل الآخر فيأخذه بنسعة، ويجره إلى النبي ﷺ، تقوم القبيلة كلها مع القاتل، وربما قُتل أعداد بسبب التعصب لهذا القاتل. وذلك قُتل أخوه، فأخذ القاتل، ما ضربه، ولا اعتدى عليه، ولا قتله، كأنه لم يفعل به شيء، ما عدا إلى أنه جره إلى النبي ﷺ، ليقضي فيه فقال: يا رسول الله، هذا قتل أخي، قال له النبي ﷺ: «لماذا قتلتَه؟» قال: يا رسول الله كنت أحتطب، فأغضبني، فضربته بالمعول على قرنه حتى مات، فدفعه ﷺ إليه وقال: «شأنك به»، يعني أباح له قتله إن أراد قتله، ثم قال النبي ﷺ: «إن قتله فهو مثله»، فرجع إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله دفعته إلي ثم تقول: «إن قتله فهو مثله»، فرغه النبي ﷺ في العفو والصفح، فعند ذلك عفا وصفح، وذهب الرجل وهو يجر النسعة التي قدر ربط فيها.

رابعاً: امرأة تزني ويبلغ النبي ﷺ أنها زنت، تحاكم إلى الكتاب والسنة، جاء زوجها، وجاء خصمه إلى رسول الله ﷺ فقال: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُنْشِدْكَ اللَّهَ إِلَّا قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ الْخَصْمُ الْآخَرُ وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ: نَعَمْ، فَأَقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ وَائْذَنْ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ» قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَأَفْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي جُلْدَ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ، وَعَلَى ابْنِكَ جُلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَاعْدُ يَا أُتَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمُهَا»، قَالَ: فَعَدَا عَلَيْهَا فَاعْتَرَفَتْ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَتْ، متفق عليه عن زيد بن خالد وأبي هريرة.

فهذه آية عامة، لو حققناها في شأننا لصلح الحال، ﴿فَلَا وَرَيْكَ﴾ [سورة النساء: ٦٥]، هذا قسم، يقسم الله عز وجل بنفسه المقدسة، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة النساء: ٦٥] الإيمان الكامل، وقد يكون مطلق الإيمان: ولا يؤمنون الإيمان المطلق، في بعض المسائل لا

بد من مطلق الإيمان، لا يدخل إلا بالتحاكم إلى الكتاب والسنة، ترك الشراكيات، ترك الكفريات، اعتقاد العقائد الصحيحة، وهكذا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ تَوْقِيرِهِ ﷺ وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ وَنَحْوِ ذَلِكَ

وهذا من فقه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كانوا لا يسألون إلا عن أمور تدعو الحاجة إليها، وتتعلق بشأن التكليف، قال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو كان الصحابة رائيون لكان أغلب القرآن ويسألونك ويسألونك، لكن ذكروا أن ويسألونك في القرآن من الصحابة شيء قليل، ربما لا يصل إلى خمسة عشر موطنًا.

وإذا جاء الحكم الشرعي لا يعارضونه، ولا يردونه، ولا يستفصلون استفسالات تدخل عليهم العنت كما فعل بنو إسرائيل في سؤالهم في شأن البقرة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٠ - (١٣٣٧) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التَّحِييِّيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ قَالَا: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»^(١).

١٣٠ - (١٣٣٧) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلْفٍ، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ وَهُوَ مَنصُورُ بْنُ سَلَمَةَ الْخُزَاعِيُّ، أَخْبَرَنَا لَيْثٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ سِوَاءً.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٢٨٨).

١٣١ - (١٣٣٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي الْحِزَامِيَّ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - كُلُّهُمْ قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ**» وَفِي حَدِيثِ هَمَّامٍ: «**مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»، ثُمَّ ذَكَرُوا نَحْوَ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدٍ وَأَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

هذا حديث عظيم، تضمن جملاً جليلاً:

الأولى: (**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ**) هذا دليل على أن الأصل في النهي التحريم وأن النهي طلب ترك، وشأنه أسهل من الأمر؛ لأن الأمر يحتاج إلى فعل، أما هذا لا يحتاج إلا إلى مجرد ترك، ولذلك النهي لم يعلق بالاستطاعة، والأمر علق بالاستطاعة.

(وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) موافق لقول الله تعالى: ﴿لَا يَكِلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن: ١٦]، ﴿لَا يَكِلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا﴾ [سورة الطلاق: ٧].

فقوله (**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**) إنشاء يقابل بالفعل أو بالترك، ففاعل المأمور مثاب بإذن الله كما أن تارك المحظور من أجل الله يثاب كما تقدم في كتاب الإيمان.

(**فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**) من اليهود والنصارى، (**كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ**) هذا خبر، أخبر النبي ﷺ عن سبب هلاك الأمم السابقة، (**كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ**) فيما لا حاجة فيه،

ولذلك نهى الله عز وجل هذه الأمة عن سؤال نبيها ﷺ يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ
إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوَأٌ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلْ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ
غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿المائدة: ١٠١﴾.

(وَاخْتَلَا فُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ) مخالفتهم لأنبيائهم إن أمروهم أو نهوهم، لم يلتزموا
فعل المأمور ولم يجتنبوا المحذور، فاستحقوا عند ذلك الهلكة.
وهذا الحديث أصل في كثير من الأبواب يستدل به أهل العلم، وبوب عليه البخاري
"باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ".

قال الحافظ في "فتح الباري" (١٣ / ٢٦١): ثم إن هذا النهي عام في جميع المناهي
ويستثنى من ذلك ما يكره المكلف على فعله كشرب الخمر وهذا على رأي الجمهور
وخالف قوم فتمسكوا بالعموم فقالوا الإكراه على ارتكاب المعصية لا يبيحها
والصحيح عدم المؤاخذه إذا وجدت صورة الإكراه المعتبرة واستثنى بعض الشافعية
من ذلك الزنا فقال لا يتصور الإكراه عليه وكأنه أراد التماضي فيه وإلا فلا مانع أن ينعظ
الرجل بغير سبب فيكره على الإيلاج حينئذ فيولج في الأجنبية فإن مثل ذلك ليس
بمحال ولو فعله مختاراً لكان زانياً فتصور الإكراه على الزنا واستدل به من قال لا يجوز
التداوي بشيء محرم كالخمر ولا دفع العطش به ولا إساعة لقمة من غص به
والصحيح عند الشافعية جواز الثالث حفظاً للنفس فصار كأكل الميتة لمن اضطر
بخلاف التداوي فإنه ثبت النهي عنه نصاً ففي مسلم عن وائل رفعه إنه ليس بدواء ولكنه
داء ولأبي داود عن أبي الدرداء رفعه ولا تداووا بحرام وله عن أم سلمة مرفوعاً إن الله
لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها وأما العطش فإنه لا ينقطع بشربها ولأنه في معنى
التداوي والله أعلم والتحقيق أن الأمر باجتنب المنهي على عمومته ما لم يعارضه إذن
في ارتكاب منهي كأكل الميتة للمضطر وقال الفاكهاني لا يتصور امتثال اجتناب المنهي
حتى يترك جميعه فلو اجتنب بعضه لم يعد ممثلاً بخلاف الأمر يعني المطلق فإن من

أتى بأقل ما يصدق عليه الاسم كان ممثلاً انتهى ملخصاً وقد أجاب هنا بن فرج بأن النهي يقتضي الأمر فلا يكون ممثلاً لمقتضى النهي حتى لا يفعل واحداً من آحاد ما يتناوله النهي بخلاف الأمر فإنه على عكسه ومن ثم نشأ الخلاف هل الأمر بالشيء نهي عن ضده وبأن النهي عن الشيء أمر بضده قوله وإذا أمرتكم بشيء في رواية مسلم بأمر فأتوا منه ما استطعتم أي افعلوا قدر استطاعتكم ووقع في رواية الزهري وما أمرتكم به وفي رواية همام المشار إليها وإذا أمرتكم بالأمر فأتتمروا ما استطعتم وفي رواية محمد بن زياد فافعلوا قال النووي هذا من جوامع الكلم وقواعد الإسلام ويدخل فيه كثير من الأحكام كالصلاة لمن عجز عن ركن منها أو شرط فيأتي بالمقدور وكذا الوضوء وستر العورة وحفظ بعض الفاتحة وإخراج بعض زكاة الفطر لمن لم يقدر على الكل والإمساك في رمضان لمن أفطر بالعذر ثم قدر في أثناء النهار إلى غير ذلك من المسائل التي يطول شرحها وقال غيره فيه أن من عجز عن بعض الأمور لا يسقط عنه المقدور وعبر عنه بعض الفقهاء بأن الميسور لا يسقط بالمعسور كما لا يسقط ما قدر عليه من أركان الصلاة بالعجز عن غيره وتصح توبة الأعمى عن النظر المحرم والمجبوب عن الزنا لأن الأعمى والمجبوب قادران على الندم فلا يسقط عنهما بعجزهما عن العزم على عدم العود إذ لا يتصور منهما العود عادة فلا معنى للعزم على عدمه واستدل به على أن من أمر بشيء فعجز عن بعضه ففعل المقدور أنه يسقط عنه ما عجز عنه وبذلك استدل المزني على أن ما وجب أدائه لا يجب قضاؤه ومن ثم كان الصحيح أن القضاء بأمر جديد واستدل بهذا الحديث على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتناؤه بالمأمورات لأنه أطلق الاجتناب في المنهيات ولو مع المشقة في الترك وقيد في المأمورات بقدر الطاقة وهذا منقول عن الإمام أحمد فإن قيل إن الاستطاعة معتبرة في النهي أيضاً إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها فجوابه أن الاستطاعة تطلق باعتبارين كذا قيل والذي يظهر أن التقييد في الأمر بالاستطاعة لا يدل على المدعى من الاعتناء به بل

هو من جهة الكف إذ كل أحد قادر على الكف لولا داعية الشهوة مثلا فلا يتصور عدم الاستطاعة عن الكف بل كل مكلف قادر على الترك بخلاف الفعل فإن العجز عن تعاطيه محسوس فمن ثم قيد في الأمر بحسب الاستطاعة دون النهي وعبر الطوفي في هذا الموضوع بأن ترك المنهي عنه عبارة عن استصحاب حال عدمه أو الاستمرار على عدمه وفعل المأمور به عبارة عن إخراجهم من العدم إلى الوجود وقد نوزع بأن القدرة على استصحاب عدم المنهي عنه قد تتخلف واستدل له بجواز أكل المضطر الميتة وأجيب بأن النهي في هذا عارضه الإذن بالتناول في تلك الحالة وقال بن فرج في شرح الأربعين قوله فاجتنبهوه هو على إطلاقه حتى يوجد ما يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة وشرب الخمر عند الإكراه والأصل في ذلك جواز التلفظ بكلمة الكفر إذا كان القلب مطمئنا بالإيمان كما نطق به القرآن انتهى والتحقيق أن المكلف في ذلك كله ليس منهيًا في تلك الحال وأجاب الماوردي بأن الكف عن المعاصي ترك وهو سهل وعمل الطاعة فعل وهو يشق فلذلك لم يباح ارتكاب المعصية ولو مع العذر لأنه ترك والترك لا يعجز المعذور عنه وأباح ترك العمل بالعذر لأن العمل قد يعجز المعذور عنه وادعى بعضهم أن قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم يتناول امتثال المأمور واجتناب المنهي وقد قيد بالاستطاعة واستويا فحينئذ يكون الحكمة في تقييد الحديث بالاستطاعة في جانب الأمر دون النهي أن العجز يكثر تصوره في الأمر بخلاف النهي فإن تصور العجز فيه محصور في الاضطرار وزعم بعضهم أن قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم نسخ بقوله تعالى فاتقوا الله حق تقاته والصحيح أن لا نسخ بل المراد بحق تقاته امتثال أمره واجتناب نهيه مع القدرة لا مع العجز واستدل به على أن المكروه يجب اجتنابه لعموم الأمر باجتناب المنهي عنه فشمّل الواجب والمندوب وأجيب بأن قوله فاجتنبهوه يعمل به في الإيجاب والندب بالاعتبارين ويجيء مثل هذا السؤال وجوابه في الجانب الآخر وهو الأمر وقال الفاكهاني النهي يكون تارة مع المانع من النقيض وهو المحرم وتارة

لا معه وهو المكروه وظاهر الحديث يتناولهما واستدل به على أن المباح ليس مأمورا به لأن التأكيد في الفعل إنما يناسب الواجب والمندوب وكذا عكسه وأجيب بأن من قال المباح مأمور به لم يرد الأمر بمعنى الطلب وإنما أراد بالمعنى الأعم وهو الإذن واستدل به على أن الأمر لا يقتضي التكرار ولا عدمه وقيل يقتضيه وقيل يتوقف فيما زاد على مرة وحديث الباب قد يتمسك به لذلك لما في سببه أن السائل قال في الحج أكل عام فلو كان مطلقه يقتضي التكرار أو عدمه لم يحسن السؤال ولا العناية بالجواب وقد يقال إنما سأل استظهارا واحتياطا وقال المازري يحتمل أن يقال إن التكرار إنما احتمل من جهة أن الحج في اللغة قصد فيه تكرار فاحتمل عند السائل التكرار من جهة اللغة لا من صيغة الأمر وقد تمسك به من قال بإيجاب العمرة لأن الأمر بالحج إذا كان معناه تكرار قصد البيت بحكم اللغة والاشتقاق وقد ثبت في الإجماع أن الحج لا يجب إلا مرة فيكون العود إليه مرة أخرى دالا على وجوب العمرة واستدل به على أن النبي ﷺ كان يجتهد في الأحكام لقوله ولو قلت نعم لوجبت وأجاب من منع باحتمال أن يكون أوحى إليه ذلك في الحال واستدل به على أن جميع الأشياء على الإباحة حتى يثبت المنع من قبل الشارع واستدل به على النهي عن كثرة المسائل والتعمق في ذلك قال البغوي في شرح السنة المسائل على وجهين أحدهما ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين فهو جائز بل مأمور به لقوله تعالى فاسألوا أهل الذكر الآية وعلى ذلك تنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما ثانيهما ما كان على وجه التعنت والتكلف وهو المراد في هذا الحديث والله أعلم ويؤيده ورود الزجر في الحديث عن ذلك وذم السلف فعند أحمد من حديث معاوية أن النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات قال الأوزاعي هي شداد المسائل وقال الأوزاعي أيضا إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط فلقد رأيتهم أقل الناس علما وقال بن وهب سمعت مالكا يقول المرء في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل وقال بن

العربي كان النهي عن السؤال في العهد النبوي خشية أن ينزل ما يشق عليهم فأما بعد فقد أمن ذلك لكن أكثر النقل عن السلف بكراهة الكلام في المسائل التي لم تقع قال وإنه لمكروه إن لم يكن حراما إلا للعلماء فإنهم فرعوا ومهدوا فنفع الله من بعدهم بذلك ولا سيما مع ذهاب العلماء ودروس العلم انتهى ملخصا وينبغي أن يكون محل الكراهة للعالم إذا شغله ذلك عما هو أعم منه وكان ينبغي تلخيص ما يكثر وقوعه مجردا عما يندر ولا سيما في المختصرات ليسهل تناوله والله المستعان وفي الحديث إشارة إلى الاشتغال بالأهم المحتاج إليه عاجلا عما لا يحتاج إليه في الحال فكأنه قال عليكم بفعل الأوامر واجتناب النواهي فاجعلوا اشتغالكم بها عوضا عن الاشتغال بالسؤال عما لم يقع فينبغي للمسلم أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ثم يجتهد في تفهم ذلك والوقوف على المراد به ثم يتشغل بالعمل به فإن كان من العلميات يتشغل بتصديقه واعتقاد حقيقته وإن كان من العمليات بذل وسعه في القيام به فعلا وتركها فإن وجد وقتا زائدا على ذلك فلا بأس بأن يصرفه في الاشتغال بتعرف حكم ما سيقع على قصد العمل به أن لو وقع فأما إن كانت الهمة مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع مع الإعراض عن القيام بمقتضى ما سمع فإن هذا مما يدخل في النهي فالتفقه في الدين إنما يحمد إذا كان للعمل لا للمراء والجدال.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٣٢ - (٢٣٥٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٢٨٩).

١٣٣ - (٢٣٥٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: أَحْفَظُهُ كَمَا أَحْفَظُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ أَمْرٍ لَمْ يُحَرِّمْ فَحَرَّمَ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ».

١٣٣ - (٢٣٥٨) وَحَدَّثَنِيهِ حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ مَعْمَرٍ: رَجُلٌ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ وَنَقَرَ عَنْهُ، وَقَالَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ: عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ أَنَّهُ سَمِعَ سَعْدًا.

(فَحَرَّمَ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ) هذا في زمان نزول الوحي، وربما شدد على السائل بسبب معارضته لأمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ، وأما المسألة التي لا بد منها للتعقُّق في الدين ورفع الجهل فهذا مما أمرنا به، قال الله عز وجل: ﴿فَتَسْلُكُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٣].

(أَعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجُرْمِ) قال النووي (١٥ / ١١٠): قال القاضي عياض المراد بالجُرم هنا الحرج على المسلمين لا أنه الجرم الذي هو الإثم المعاقب عليه لأن السؤال كان مباحاً ولهذا قال ﷺ سلوني هذا كلام القاضي وهذا الذي قاله القاضي ضعيف بل باطل والصواب الذي قاله الخطابي وصاحب التحرير وجماهير العلماء في شرح هذا الحديث أن المراد بالجُرم هنا الإثم والذنب قالوا ويقال منه جرم بالفتح واجترم وتجرم إذا أثم قال الخطابي وغيره هذا الحديث فيمن سأل تكلفاً أو تعنتاً فيما لا حاجة به إليه فأما من سأل لضرورة بأن وقعت له مسألة فسأل عنها فلا إثم عليه ولا عتب لقوله تعالى فاسألوا أهل الذكر قال صاحب التحرير وغيره فيه دليل على أن من عمل ما فيه إضرار بغيره كان آثماً. اهـ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٣٤ - (٢٣٥٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ وَمُحَمَّدُ بْنُ قُدَامَةَ السُّلَمِيُّ وَيَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ اللَّؤْلُؤِيُّ وَالْفَاطَهُمُ مِتْقَارِبَةُ، قَالَ مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، وَقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا النَّضْرُ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ، فَخَطَبَ فَقَالَ: عَرِضْتُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَلَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا. قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدَّ مِنْهُ. قَالَ: غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ، قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، قَالَ: فَقَامَ ذَاكَ الرَّجُلُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ فُلَانٌ»، فَتَزَلَّتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٠١] ^(١).

١٣٥ - (٢٣٥٩) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ بْنُ رَبِيعٍ الْقَيْسِيُّ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ فُلَانٌ»، وَتَزَلَّتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٠١]، تَمَامُ الْآيَةِ.

(بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ، فَخَطَبَ) يعني بلغه شيء من الكلام الذي

احتاج إلى تنبيهه.

(عَرِضْتُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ) هذا دليل على وجود الجنة والنار الآن.

(فَلَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ) رأى الجنة وما فيها من الخير، ورأى النار ما فيها

من الشر والضير.

(وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا) فإن الله عَزَّوَجَلَّ أطلع نبيه على كثير من شأن الغيب والمغيبات، ولو علم الإنسان بمثل ما علم به النبي ﷺ لضاق ذرعا، من ذلك: أن النبي ﷺ ربما كان يسمع من عذاب القبر ما لا يسمع غيره، ويعلم من وعد الله ووعيده ما لا يعلم غيره.

والكثير منا وإن علم من طريق الوحي الكثير مما أخبر الله به النبي ﷺ إلا أننا لا نستحضر أو لا نتفكر أو لا نتدبر أو لا نتخيل ما وصل إليه النبي ﷺ، ولذلك كان النبي ﷺ إذا صلى سُمع في صدره مثل أزيز المرجل؛ لأنه يتدبر، ويتعقل، ويتخشع، أما نحن نمر على آيات الوعد وآيات الوعيد، وربما لا تتحرك قلوبنا ولا تدمع أعيننا، ولا نقشر جلودنا، نسأل الله السلامة والعافية.

وسبب الضحك هو الغفلة، والركون إلى الدنيا، والطمع فيها، ونسيان الآخرة وسبب البكاء تذكر الآخرة، والبكاء أحيانا قد يكون عن خوف وأحيانا قد يكون عن خشية، وقد يكون عن رجاء، وقد يكون عن محبة، فالبكاء له أسباب كثيرة، ربما يبكي الإنسان حين يعلم ما أعد الله للمؤمنين من الخير العظيم، انظر إلى أبي ابن كعب لما قال له النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة البينة: ١]» (١)، وَسَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَبَكَى، بَكَى أَبِي.

وهكذا ثابت بن قيس بن شماس لما ظن أنه داخل في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٢]، فبكى بكاء شديدا.

فالبكاء أحيانا يكون عن رغبة، وأحيانا يكون عن رهبة، حتى يذكر بعض المصنفين أن بكاء الخوف غير بكاء الفرح، حتى في طعم الدمع يختلف، والله أعلم.

(١) تقدم، حديث (٧٩٩)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونلاحظ أن كثيرا من الناس لشدة فرحه يبكي، فهكذا لو علموا ما علم النبي ﷺ لبكوا طمعا فيما عند الله من الجنة، ومن الوعد العظيم الذي وعدهم إياه، وبكوا خوفا من الله، ومن وعيده الذي توعدهم إياه.

(فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَشَدُّ مِنْهُ) وعظهم حتى بكوا وأبكوا.
(غَطُّوا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَيْنٌ) يعني صوت البكاء يسمع، وفيه التخشع، غطوا رؤوسهم للتخشع، لأن الإنسان إذا بقي يقلب عينيه ها هنا وهنا هنا يذهب عنه الخشوع، ويذهب عنه الفكرة، والله المستعان.

(قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا) ومثل من هذا حاله يرجى له الخير، «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»^(١)، يعني استسلمنا وانقدنا، لا نخالف أمر الله، وننقاد شريعة الله ونتابع رسول الله ﷺ.

(قَالَ: فَقَامَ ذَاكَ الرَّجُلُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: أَبُوكَ فَلَانٌ) هذا من أسباب مغضبات النبي ﷺ، لأنه قال: «لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ»، (فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: أَبُوكَ فَلَانٌ) أظنه سالم، «أبوكَ حذافة»، حتى قالت له أمه: يا بني أكنت تأمن أن تكون أمك أملت بشيء مما ألم به أهل الجاهلية، قال: والله لو ألحقني بعد أسود للحقته. وأظنه والله أعلم ما سأل هذا السؤال إلا أنهم كانوا يطعنون فيه من هذه الناحية فأراد أن يبرئ نفسه.

(فَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾) يعني في ذلك الزمن، ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْءَانُ تُبَدَّ لَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٠١].

(١) تقدم برقم: (٣٤)، عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٦ - (٢٣٥٩) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ التَّحِيْبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى لَهُمْ صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ السَّاعَةَ وَذَكَرَ أَنَّ قَبْلَهَا أُمُورًا عِظَامًا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا»، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي»، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُدَافَةُ»، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي» بَرَكَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا.

قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلِي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضْتُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَنْفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ فَلَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ: مَا سَمِعْتُ بِابْنٍ قَطُّ أَعَقَّ مِنْكَ، أَأَمِنْتَ أَنْ تَكُونَ أُمُّكَ قَدْ قَارَفَتْ بَعْضَ مَا تُقَارِفُ نِسَاءَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فَتَفْضَحَهَا عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ: وَاللَّهِ لَوْ أَلْحَقَنِي بِعَبْدٍ أَسْوَدَ لِلْحَقِيقَةِ.

١٣٦ - (٢٣٥٩) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، كِلَاهُمَا عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَحَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ مَعَهُ، غَيْرَ أَنَّ شُعَيْبًا قَالَ: عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ قَالَتْ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ.

١٣٧ - (٢٣٥٩) حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ حَمَّادٍ الْمَعْنِي، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ النَّاسَ سَأَلُوا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْفَوْهُ بِالْمَسْأَلَةِ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «سَلُونِي، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنَّتهُ لَكُمْ»، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الْقَوْمُ أَرْمَوْا، وَرَهَبُوا أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيِ أَمْرِ قَدْ حَضَرَ.

قَالَ أَنَسٌ: فَجَعَلْتُ أَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لَأَفْ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي، فَأَنْشَأَ رَجُلٌ مِنَ الْمَسْجِدِ كَانَ يَلَاحِي فَيُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ»، ثُمَّ أَنْشَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا عَائِدًا بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ قَطُّ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، إِنِّي صُورْتُ لِي الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَرَأَيْتُهُمَا دُونَ هَذَا الْحَائِطِ».

١٣٧ - (٢٣٥٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، كِلَاهُمَا عَنْ هِشَامٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّيْمِيُّ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَا جَمِيعًا: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ.

١٣٨ - (٢٣٦٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَّادٍ الْأَشْعَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ غَضَبٌ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: «سَلُونِي عَمَّ شِئْتُمْ»، فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ»، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ»، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ^(١).

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ قَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ».

(فَذَكَرَ السَّاعَةَ وَذَكَرَ أَنَّ قَبْلَهَا أُمُورًا عِظَامًا) أهوال، قتل وقتال، وتغير أحوال وردة، وفتن عظيمة، نسأل الله السلامة والعافية، وسيأتي في كتاب الفتن شيء من ذلك.

(فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا) ومع ذلك تورعوا عن السؤال، فأحيانا العلم بالغيب لا يأتي بخير على الإنسان، نسأل الله السلامة، فخل الأمور في علم الله، والتزم ما أبداه لك من شرعه، التوحيد، والصلاة، والصيام، والإحسان، ولا تنقب عن الأقدار، وعما في علم الله.

وهنا قصة قد تكون صحيحة، أن رجلا جاء إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: يا نبي الله، علمني كلام القطط، فقال له: ليس لك حاجة إلى هذا العلم، فما زال به: يا نبي الله علمني يا نبي الله علمني، فعلمه فيينما هو في يوم من الأيام وإذا بقط يقول لصاحبه: جعنا، نريد لحما، فقال له: لا عليك، أيام ويذبحون الكبش، ونأكل منه، فلما سمعهم قال: ما سأذبح الكبش، ذهب وباع الكبش.

بعد مرة يتكلمون عن هذا فقال له القط الآخر: لا عليك سيذبح الثور ونأكل من لحمه وشحمه، ونتوسع، ذهب الرجل وباع الثور، وفي الثالثة لما قال: قد اشتقنا اللحم، قال: لا عليك سيموت صاحبنا، ويذبح أبنائوه للضيوف، ونأكل من اللحوم والدسوم، المهم أن الرجل سقط في نفسه، وذهب يريد أن يتخلص من هذا الحدث فلم يجد خلاصًا.

فهذه القصة وإن لم تكن صحيحة لكن الواقع لو علمنا من علم الغيب ستضيق أحوالنا، مثلا معك صاحب علمت من علم الغيب أنك ستتحرف سيقع منك كذا، أو ستموت على كذا، فلن ستجد سعادة، أو علمت من علم الغيب عن ابنك شيئا، أو عن زوجتك شيئا، أو عن صاحبك.

هذا باب طواه الله عَزَّوَجَلَّ لحكمة علمها، فلذلك قال النبي ﷺ لهم: (فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ) ما جعل كل منهم يسأل، مثلا يقول: يا رسول الله

أين أنا؟ والثاني يقول: يا رسول الله كيف ولدي؟ والثالث يقول: كيف زوجتي، لم يقع السؤال إلا من هذا الصحابي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وعمر علم أن هذا الأمر خطير، فجعل يبرك على ركبتيه ويقول: رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسول الله **ﷺ** نبياً، وفي بعض الروايات أنه قال: تبنا إلى الله وإلى رسوله، حتى سُري عن غضب رسول الله **ﷺ**.

(فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ **ﷺ**) بكوا من غضب النبي **ﷺ**؛ لأن غضب النبي **ﷺ** إن كان عليهم هلكوا، وهذا أحد الأوجه الذي من أجلها مُنع علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** من زواج بنت أبي جهل على فاطمة بنت محمد، قالوا: إنما رحمه رسول الله **ﷺ**؛ حتى لا يغضب عليه رسول الله **ﷺ** فيهلك.

(بَرَكَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** حِينَ قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ) هذا رجل مبارك، عمر بن الخطاب رجل مبارك على المسلمين، إنما يبغضه المنافقون، ويبغضه الكافرون، ويبغضه المخالفون؛ للبركات التي وقعت على المسلمين بسبب هذا الرجل العظيم.
قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا دُونَ مَا ذَكَرَهُ ﷺ مِنْ مَعَاشِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٣٩ - (٢٣٦١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ، وَهَذَا حَدِيثُ قُتَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سِمَاكِ، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ **ﷺ** بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟» فَقَالُوا: يُلْقَحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا»، قَالَ: فَأَخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرْكُوهُ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** بِذَلِكَ

فَقَالَ: «إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلًا».

(أَبُو عَوَانَةَ) وضح بن عبد الله الشكري، ثقة ثبت.

(سَمَاك) بن حرب البكري، صدوق مضطرب في روايته عن عكرمة.

(مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ) دليل على أنه لا يعلم الغيب.

(يُلْقِحُونَهُ) بمعنى يأبسون، وهو إدخال شيء من طلع الذكر في طلع الأنثى، فتعلق

بإذن الله.

(يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيُلْقِحُ) سبحان الله! حتى النخل منه ذكر وأنثى، الذكر إذا

أنتج يكون نتاجه قليل وضعيف، وربما أحيانا لا ينتج، والأنثى كذلك تحتاج إلى تلقيح، فيأخذون من عذق الذكر ويضربون به عذق الأنثى، فيقع الثمر الكثير.

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا) يعني لو تركوه على حاله ربما انتقل

هذا من هذا ووقع الخير.

(فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ) سرعة المبادرة إلى هدي رسول الله ﷺ.

(إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ) هذا في

شأن الدنيا، وسيأتي حديث رافع: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»، وأما شأن الدين فإلى رسول

الله ﷺ.

وهذا حديث عام، فكثير من الناس يقول لما تقول له: كذا بدعة، يقول لك: وأنتم

تستخدمون ساعة، وأنتم تستخدم مكبر الصوت، وأنتم تركب في السيارة، وأنتم تفعل

وتفعل فهذا الحديث رد عليهم، «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»، فأمر الدنيا قد جعل الله لنا فيه

سعة، وأمر الآخرة، أمر الدين جعل الله شأنه إلى الوحي المنزل على رسول الله ﷺ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٤٠ - (٢٣٦٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرُّومِيِّ الْيَمَامِيُّ وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَعْقَرِيُّ قَالُوا: حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّجَاشِيِّ، حَدَّثَنِي رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ قَالَ: قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ - يَقُولُونَ: يُلْقَحُونَ النَّخْلَ - فَقَالَ: «مَا تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ، قَالَ: «لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا»، فَتَرَكُوهُ فَتَفَضَّتْ أَوْ فَتَقَصَّتْ، قَالَ: فَذَكِّرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ».

قَالَ عِكْرِمَةُ: أَوْ نَحْوَ هَذَا. قَالَ الْمَعْقَرِيُّ: فَتَفَضَّتْ - وَلَمْ يَشْكُ

١٤١ - (٢٣٦٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرُو النَّاقِدُ كِلَاهُمَا عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ وَعَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلْقَحُونَ، فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ»، قَالَ: فَخَرَجَ شَيْصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: «مَا لِنَخْلِكُمْ؟» قَالُوا: قُلْتَ كَذًا وَكَذَا، قَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ».

(عباس بن عبد العظيم العنبري) كذب عبد الرزاق الصنعاني، ولم يقبل العلماء

تكذيب عباس لعبد الرزاق.

(فَخَرَجَ شَيْصًا): البسر الرديء الذي إذا بیس صار حَشَفًا.

وانظر إلى مسارعتهم إلى امتثال أمره، حتى في شأن الدنيا، وبعد ذلك رخص لهم.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ فَضْلِ النَّظَرِ إِلَيْهِ ﷺ وَتَمَنِّيهِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٤٢ - (٢٣٦٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ، مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ»^(١).
قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: الْمَعْنَى فِيهِ عِنْدِي لَأَنْ يَرَانِي مَعَهُمْ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَهُوَ عِنْدِي مُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ.

(عبد الرزاق) بن همام الصنعاني، أبو بكر.

(معمر) بن راشد، أبو عروة.

(همام بن منبه) الأناوي.

(لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِي) وأتت أيام، وسنن وأعوام لا أحد يراه، وهم كانوا قبل ذلك بين يديه، يصلون خلفه، يستفتونه، يذكرهم، يعلمهم يجاهدون معه.

(ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ) أي والله أن هذا من أحب ما يكون للمؤمنين المخلصين، المحققين لهذا الخير العظيم، يحب أحدهم لو يرى النبي ﷺ بأهله وماله، وما كان من ملذات الدنيا، النظر إلى النبي ﷺ مع الإيمان به ينقلك إلى شرف الصحبة الذي لا يوازيها شرف، إلا مثلها، وإلا فشرها عظيم، رضي الله عن أصحابها، ورضوا عنه، أثنى عليهم وبشرهم بالجنة، وبشرهم بما لهم عند الله، وتلقوا العلم عن رسول الله، عن جبريل، عن الله، أنت الآن تتلقى العلم والحمد لله كثيره قد

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٨٧).

هذب وصفي ونقي وأثبت، لكن كثير من الناس يتلقون العلم مع زيادات، مع نقصان، مع ضعف، حتى وإن تلقيت العلم كما هو عندك ضعف، ما أنت كالصحابة رَضُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ .

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: يَأْتِي عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ لَأَنْ يَرَانِي فِيهِ لَحْظَةٌ ثُمَّ لَا يَرَانِي بَعْدَهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ جَمِيعًا.

وَمَقْصُودُ الْحَدِيثِ: حَثُّهُمْ عَلَى مُلَازِمَةِ مَجْلِسِهِ الْكَرِيمِ وَمُشَاهَدَتِهِ حَضْرًا وَسَفَرًا لِلتَّأَدُّبِ بِآدَابِهِ، وَتَعَلُّمِ الشَّرَائِعِ وَحِفْظِهَا لِيُبَلِّغُوهَا، وَإِعْلَامُهُمْ أَنَّهُمْ سَيَنْدُمُونَ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ مِنْ مُشَاهَدَتِهِ وَمُلَازِمَتِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلْهَانِي عَنْهُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

فعلى هذا المعنى لا تفرط ولا تضيع طلب العلم، ولا تقصر فيه، ربما يأتي يوم من الأيام وتندم أنك ما حصلت العلوم، وما أتقنتها، وما حويتها، وما عملت بها؛ لأن الإنسان يلحقه الضعف، وكذلك العلوم يلحقها النقص، والناس يتفاوتون في العلم «وما من زمن إلا والذي بعده شر منه»، وأنقص منه.

قبل سنوات كان الأئمة، الإمام مقبل بن هادي الوادعي في اليمن، والإمام الألباني في الشام، والإمام ابن عثيمين والإمام ابن باز إمام المسلمين في بلد الحرمين الشريفين، أئمة كان عليهم مدار الفتوى، تنزل الفتنة يتصدى لها أحدهم بكلمة يسيرة، يجوز أو لا يجوز، أو بدعة أو سنة، أو هذه فتنة، وإذا بالناس يستفيدون، ويستجيون، وينقادون، ويحصل الخير العظيم.

حتى النصح للحكام كان نصحهم محل قبول؛ لتجردهم لله عَزَّ وَجَلَّ، ولمحبتهم ومتابعتهم لرسول الله ﷺ، ولحرصهم على النصيحة يعلمون أن ما من تحتهم فتنة، الحكام اطمئنوا إلى هؤلاء الأئمة أن ما من تحتهم فتنة ولا من تحتهم شر على الأمة،

فلذلك ارتاحوا إلى فتاواهم، وقاموا على أهل الزيغ والريب ديانة وصيانة، لا من أجل الدنيا، ولا للترف، ولا لشيء.

فلما قُبضوا لحق العالم نقص عظيم، إنما كثير من الناس لا يدرك ذلك، وإلا كم أشار الشيخ مقبل لما مات الشيخ ابن باز قال: سيعرف الناس أن ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ كان جاثماً على فتن كثيرة.

وهكذا الألباني، كان يناظر الخارجي فيصرعه، ويناضر الرافضي فيصرعه، ويتكلم في الحزبي فيصرعه، إن تكلم في الأحاديث أعطاها حقها، وهكذا ابن عثيمين في باب الفقه والمناظرة، وتقريب العلوم، وهكذا شيخنا مقبل في قرع المبطلين، والمخالفين لدين رب العالمين، فذهبوا، فحصل نقص على الأمة، ولا زال بحمد الله الخير ظاهراً. فمن باب أولى أن ذهاب النبي ﷺ حصل به نقص عظيم، ومع ذلك بقي الصحابة يجاهدون في الله حق جهاده، وسيأتي في أواخر كتاب فضائل الصحابة: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوْعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوْعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوْعَدُونَ». بهذا نكون قد انتهينا من فضائل النبي ﷺ، وننتقل إلى فضائل بقية الأنبياء، صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهو عيسى بن مريم، خلقه الله من أم بغير أب، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل. وعقيدة النصارى فيه أنه صُلب ودفن، ثم خرج من القبر بعد ثلاث ورفع، هذا من حيث الصلب، ويعتقدون أنه ابن الله، أو أنه الله، أو ثالث ثلاثة، وأن هذا الصلب الذي حصل له بسبب خطيئة آدم، أو أنه بسبب خطايا البشر، وأنه صاحب الخلاص.

المهم أن عقيدتهم مبناهما على الصلب، فإذا لم يؤمنوا بالصلب لا سيما نصارى هذا الزمان انتهت عقيدتهم جملة وتفصيلاً.

وأما اليهود فيعتقدون أنهم قتلوه، ومن عجيب ما حصل لبعض اليهود في بلاد البحرين: أنهم دخلوا على أميرها، فقال لهم: ما فعلتم بعيسى بن مريم؟ قالوا: قتلناه قال: تدفعون ديته، وحكم عليهم بدية مغلظة، دية نبي.

وأما عقيدة المسلمين في عيسى بن مريم أنه رسول الله، وأنه عبد الله وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن اليهود مكروا به، فرفعه الله إلى السماء، وأن الذي صلب شخص شُبِّه به، حتى هم اختلفوا فيه هل هو نفس عيسى أم هو الشبه؟ لكن بعد ذلك قرر لهم على يد بولس شاول ومن إليه أنه هو، وقال الله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١].

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

وقد تقدم حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»، وقد تقدم في كتاب الإيمان.

وجميع الأناجيل التي تذكر أنها إنجيل عيسى لم تثبت إليه، فإن أقرب إنجيل كتب بعد رفعه بثمانين سنة، وأغلبهم لم يروه، بل جميعهم هؤلاء، يوحنا ومرقص ولوقا،

ومتى فكلهم لم يروه، فهم إنما كتبوا كتابات الله أعلم من أملاها عليهم، أو هي في حكم المنقطعات.

زد على ذلك ما لحقها من التزويرات والتحريفات والزيادات فمثلا البشارة بمحمد ﷺ تارة بلفظ المعزي، وتارة بلفظ البارقليط، هذا لا يوجد إلا في إنجيل يوحنا، يقولون: هي كلمة يونانية بمعنى الباركلت، إلا أن اليونان يزيدون في آخرها واوا وسينا: الباركلتوس، هذه زيادة في كلامهم مثل الروس، محمدوف، وهكذا، معناها: الحامد أو كثير الحمد، لكن غيروها وبدلوها حتى يفسدوا المعنى الحقيقي لها، ثم فسروها بما لا يستقيم التفسير، وزعموا أن هذا البرقلط أو المعزي نزل على حواري عيسى في ليلة الخميس، وأصبح لسانا لكل واحد منهم، يعني جاؤوا بخزعبلات من أجل أن ينفوا أن يكون هذا وصف لمحمد ﷺ، مع أنه وصف لشخص، أنه كثير الحمد، وأنه كذا، وأنه كذا.

وفي أناجيلهم ما يدل على اضطرابهم، فمثلا يقول: الأب أرسلني إليكم، الأب قد تستخدم في غير معنى الأبوة المعروفة، وربما كانت الرب وحرفوها هم، (أرسلني إليكم) دليل على أنه مرسل، وأنه ليس برب لهم.

ومن عجيب ما ذكر في مناظرة بعض النصارى: أن المناظر قال لذلك النصراني: أسألك بسؤال: متى صار عيسى ربا؟ إن كان قبل وجوده هذا من المستحيلات كيف رب غير موجود؟ أم كان ربا حين كان في أحشاء مريم؟ فهذا لا يستقيم أن الرب تحيط به الأحشاء والقاذورات، وأشياء أم صار ربا لما خرج من بطن مريم ملطخا بالدم؟ أم صار ربا حين عمده يوحنا؟ إذا المعمد أحق أن يكون ربا؛ لأنه عمده يوحنا المعمدان، فهو أحق بالربوبية من عيسى لأنهم يغطسونه بالماء ونحو ذلك - إن كان الغطاس هو الذي صيره ربا، ثم أنتم تغطسون وتعمدون كل نصراني، إذا جميع النصارى أرباب. فما كان من ذلك النصراني بعد ذلك إلا أن أسلم، بعد مناظرات طويلة انتهى بهم المطاف إلى أن القول بربوبية عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قول فاسد.

بل من عجيب ما يذكرونه: أن عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بعد أن صلبه اليهود وقبروه خرج من القبر، وذهب إلى الأب فقال له: لماذا فعلت بي هكذا؟ ثم قال له: ما حكمك في القاتل؟ قال: أن يقتل، قال: إذا أنت قتلتني، فالحكم سيطبق عليك، قال: أنا سأعفو عن كل من يحبك، وكلام ريك بمعنى: لا تقتلني، هذا في أناجيلهم وفي كتبهم، هذا طعن في عيسى قبل أن يكون طعنا في الله **عَزَّوَجَلَّ**، نسأل الله السلام والعافية.

وأشوأ دين يتدين به مما ينسب إلى الرسالات دين النصرانية، لا يعرفون من ربهم، تجد أهل البيت الواحد يضطربون اضطرابا كثيرا في عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

أما عقيدة المسلمين فيه فهي أحسن العقائد، **﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ﴾** [سورة مريم: ٣٠-٣٤]، يعني: عيسى بن مريم الذي تقدم وصفه وقوله، **﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾** [سورة آل عمران: ٤٦]، كلمهم في المهد في صغره، وكهلا عند نزوله؛ لأنه رُفِعَ قبل الكهولة فيكون مكلمًا لهم في آخر الزمان عند نزوله.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٤٣ - (٢٣٦٥) حَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** يَقُولُ: «أَنَا أَوَّلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَالَتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤٤٢).

١٤٤ - (٢٣٦٥) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى، الْأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عَلَاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى نَبِيٌّ».

١٤٥ - (٢٣٦٥) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ»، قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ».

(حرمة بن يحيى) التجيبي المصري.

(ابن وهب) عبد الله المصري، قالوا: كان ربما وقعت منه الغيبة، فجعل على نفسه: إن اغتاب إنسانا صام يوما، فكان يغتاب ويصوم، ثم جعل على نفسه: إن اغتاب إنسانا أن يتصدق بدينار أو نحو ذلك، قال: فلما كان المال عزيزا على النفس تركت الغيبة، هنيئا لهم، جاهدوا أنفسهم فرفعهم الله.

(يونس) بن زيد الأيلي.

(ابن شهاب) أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري.

(أبا سلمة بن عبد الرحمن) قيل: اسمه كنيته، وعبد الرحمن هو ابن عوف، أحد

العشرة المبشرين بالجنة.

(عَلَاتٍ) العلات: الضرات.

قال الحافظ في "فتح الباري" (٦/ ٤٨٩): قوله أنا أولى الناس بابن مريم في رواية عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة أي أخص الناس به وأقربهم إليه لأنه بشر بأنه يأتي من بعده قال الكرمانى التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله تعالى إن أولى الناس بإبراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي أن الحديث وارد في كونه

ﷺ متبوعا والآية واردة في كونه تابعا كذا قال ومساق الحديث كمساق الآية فلا دليل على هذه التفرقة والحق أنه لا منافاة لاحتاج إلى الجمع فكما أنه أولى الناس بإبراهيم كذلك هو أولى الناس بعيسى ذاك من جهة قوة الافتداء به وهذا من جهة قوة قرب العهد به قوله والأنبياء أولاد علات في رواية عبد الرحمن المذكورة والأنبياء إخوة لعلات والعلات بفتح المهملة والضرائر وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها والعلل الشرب بعد الشرب وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهم شتى وقد بينه في رواية عبد الرحمن فقال وأمهم شتى ودينهم واحد وهو من باب التفسير كقوله تعالى إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع وقيل المراد أن أزمتهم مختلفة قوله ليس بيني وبينه نبي هذا أورده كالشاهد لقوله إنه أقرب الناس إليه ووقع في رواية عبد الرحمن بن آدم وأنا أولى الناس بعيسى لأنه لم يكن بيني وبينه نبي واستدل به على أنه لم يبعث بعد عيسى أحد إلا نبينا ﷺ وفيه نظر لأنه ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة يس كانوا من أتباع عيسى وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين وكانا بعد عيسى والجواب أن هذا الحديث يضعف ما ورد من ذلك فإنه صحيح بلا تردد وفي غيره مقال أو المراد أنه لم يبعث بعد عيسى نبي بشريعة مستقلة وإنما بعث بعده من بعث بتقرير شريعة عيسى وقصة خالد بن سنان أخرجها الحاكم في المستدرک من حديث بن عباس ولها طرق جمعتها في ترجمته في كتابي في الصحابة. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٤٦ - (٢٣٦٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَحْسُهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ نَحْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنُ مَرْيَمَ وَآمَةُ».

ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ ﴿وَلَايَ أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة آل عمران: ٣٦] ^(١).

١٤٦ - (٢٣٦٦) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ (ح) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ جَمِيعًا عَنْ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَا: «يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسَةِ الشَّيْطَانِ إِنَاءً»، وَفِي حَدِيثِ شُعَيْبٍ: «مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ».

١٤٧ - (٢٣٦٦) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ أَبَا يُونُسَ سَلِيمًا مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا».

(مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَحَسَّهُ الشَّيْطَانُ) أي طعنه باصبعه في جبينه حين يولد، وهي معنى قوله في الرواية الأخرى (من مس الشيطان).

(فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا) يعني يبيكي.

(إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ) لقول أم مريم ﴿وَلَايَ أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

والتوفيق والكرامة من الله، انظر إلى هذه المرأة لما نذرت ما في بطنها محررا تقبل الله منها واستجاب لها، فبارك في ابنتها، وبارك في سبطها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفيه أن الله عزَّوَجَلَّ يستجيب الدعاء، فرب دعوة يستجيبها الله يجعل فيها بركة عظيمة، ولهذا ينبغي لنا أن نكثر من الدعاء، قد ذكر النبي ﷺ: «إِنْ فِي الْيَوْمِ لَسَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدُ الْمُسْلِمِ يَدْعُو إِلَّا اسْتَجَبَ لَهُ»، «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٣٨٦).

يَسْأَلُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»^(١)، «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فِيهَا خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»^(٢)، فَأَوْقَاتُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ كَثِيرَةٌ.

فرب دعوة تكون سببا لصلاح الحال والمآل، تدعو بزوجة صالحة تنهياً لك، كثير منا ربما يدعو: اللهم إني أسألك ذرية، وبعضنا يدعو: اللهم إني سألك زوجة، وبعضنا يدعو: الله إني أسألك مالا، لكن ما يقيد بالصلاح، فربما يحصل على ما دعا، لكن لو قيد لكان أحسن، وربما ناله من الله الكرامة، إن أراد الزوجة: اللهم إني أسألك زوجة صالحة، إن أراد الجلوس كما قال ذلك: اللهم يسر لي جليسا صالحا، قال: فلقيت أبا هريرة، إن شاء الابن: اللهم إني أسألك ذرية طيبة صالحا مباركة، وهكذا.

فما تدري ما هو الوقت الذي يستجاب، وما هي الدعوة التي تستجاب لك فتحصل فيها على البركة العظيمة.

وفي هذا الحديث شدة عداوة الشيطان للإنسان، لا يتركه حتى عند ولادته، طفل صغير، يخرج من بطن أمه، يرحمه من يراه، في حال ضعفه، لا يستطيع أن يتناول الثدي، في اليومين الأولين والثلاثة والشيطان حريص على ضرره من أول ما يخرج يؤذيه، يصيب منه حظا، نسأل الله السلامة والعافية.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٨ - (٢٣٦٧) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِيَاحُ الْمَوْلُودِ حِينَ يَقَعُ نَزْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٣).

(أبو عوانة) ووضح.

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: (٧٥٧)، عن جابر رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٩٨٩٢).

(٣) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢٨٦).

(سهيل) ابن أبي صالح.

ومع ذلك في هذه الصيحة نفع للغلام، يذكر الأطباء: أن المولود الذي يخرج ولا يبكي ما تقع منه هذه الصيحة ربما يلحقه ضعف في الدماغ.

ومرة من المرات كان علي ابتتان، وتعبت في علاجهما، من مستشفى إلى مستشفى، وكانوا في اليمن يعالجهما على أن عندهما نقص كالسيوم، فذهبت دعوة إلى تنزانيا، وذهبت إلى طبيب هناك، وكان أول سؤال سألني به: لما وضعتهما أمهما بكتا أم لا؟ قلت: لا، قال: إذا هذا السبب، قال: ما معك علاج إلا العلاج الطبيعي، تدليك وتمارين، ومن هذه الأشياء.

وفعلا كانت إحدهما طريحة الفراش، مع أنها فوق السنة كأنها بنت يوم، لا تتحرك، ولا تذهب ولا تأتي، ذهبنا بها المستشفى ثلاثة أيام فإذا بها تقوم، تمارين ببعض أخشاب وبعض أشياء، وسبحان الله الذي سهل ويسر.

فالشاهد أن الله يجعل بركة في هذا البكاء الذي يحصل من الطفل. وأيضاً العطاس مهم، وهو رحمة من الله، ولذلك يحمد الله عليه؛ لأنه يخرج الأبرة التي في الدماغ، ويذهب الشيء الفاسد، فسبحان الله! ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢]. فصياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان، وهذا الذي يذكرونه طبياً أيضاً لا يمنع أن يكون نزغة من الشيطان، لكن الله فيه حكمة، الشيطان حريص على أذية الإنسان، ويجعل الله عزَّجَلَّ فيه حكمة ومصلحة للإنسان.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٤٩ - (٢٣٦٨) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ، مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: سَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَبْتَ نَفْسِي»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤٤٣).

(مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ) القشيري النيسابوري.

هذا لتعظيم عيسى عليه السلام لجناب الربوبية، قبل يمينه واتهم نفسه، ليس معناه أنه ما رآه يسرق، لكن لعله أخذ من مال هو له، أو لعله له حق في هذا المال، أو وجه من الوجوه؛ لأن الرجل حلف أنه ما سرق، فعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ آمن بيمينه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْقَاضِي: ظَاهِرُ الْكَلَامِ صَدَقْتُ مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَكَذَّبْتُ مَا ظَهَرَ لِي مِنْ ظَاهِرِ سَرِقَتِهِ، فَلَعَلَّهُ أَخَذَ مَا لَهُ فِيهِ حَقٌّ، أَوْ بِإِذْنِ صَاحِبِهِ، أَوْ لَمْ يَقْصِدِ الْعَصَبَ وَالِاسْتِيْلَاءَ، أَوْ ظَهَرَ لَهُ مِنْ مَدِّ يَدِهِ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا، فَلَمَّا حَلَفَ لَهُ أَسْقَطَ ظَنَّهُ، وَرَجَعَ عَنْهُ. اهـ

لكن الذي يهمننا تعظيم الربوبية، حتى قد جاء في شرعنا: «**من حلف له بالله فليصدق**»^(١)، وهذا ليس على الوجوب، لكن تعظيم اليمين بالله عَزَّجَلَّ أمر طيب وإن كان قد حلف لك كاذبا، «**أَمَّا لَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا لِيَلْقَيْنَ اللَّهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ**»^(٢)، فالذي استخف بجناب الربوبية وجعل يحلف بالله كاذبا، سمي يمينه بالغموس، قيل: تغمس صاحبها في الإثم، وقيل: تغمسه في النار، ومن عجيب شأنها أنها تدع الديار بلاقع، يعني كأن لم يكن فيها سكن، وفي بعضها: «**بلا قاع**»، يعني تذهب البيوت ومن فيها بسبب اليمين الغموس، اليمين الظالمة، اليمين الجائرة. المهم ما تقدم في شأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبعض فضائله، والإمام مسلم لم يستوعب، فلذلك يأتي بحديث أو حديثين، بخلاف البخاري في مثل هذا الشأن ربما يذكر الأحاديث الكثير المتوالية.

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٢١٠)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «**مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيُصَدِّقْ**».

(٢) تقدم برقم: (١٣٩).

قال رحمه الله:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ﷺ

أبو الأنبياء، بن آزر، فمن ذهب إلى أن آزر عمه قد أبعد، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٤]، والأصل في ظاهر القرآن والسنة الأخذ به، إلا أن تدل القرينة على صرفه إلى معنى مرجوح.

وهو خليل رب العالمين بنص القرآن، ومحمد ﷺ خليل رب العالمين بنص السنة، وقد حرم إبراهيم مكة، ودعا لأهلها، وحرم النبي ﷺ المدينة، ودعا لأهلها، وكل الأنبياء بعد إبراهيم من نسله، من ولد إسحاق، إلا ما كان من محمد ﷺ فإنه من ولد إسماعيل ﷺ جميعاً.

وقد ابتلى الله عز وجل إبراهيم بكلمات فأتمهن، قيل: هن الأوامر والنواهي وقيل: أمور الفطرة، وقد قال الله عز وجل مادحاً له: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [سورة النجم: ٣٧]، وفي بما أوجب الله عليه، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، أي يقتدي به في الخير، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٥١]، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٠-١٢٢]، فقد وُصف بأوصاف كثيرة، تدل على فضيلته وعلو منزلته، وهو ثاني أولي العزم من الرسل فضلاً، بعد نبينا محمد ﷺ.

انتحلته اليهود وليس منهم، وانتحلته النصارى وليس منهم، بل كان حنيفاً مسلماً، وسار على سيره وأخذ بسبيله في باب الدعوة إلى التوحيد والبراءة من الشرك والتنديد محمد ﷺ، ومن اقتفى أثره، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هَٰأَنَتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَّكُمْ فِيمَا

لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٨].

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ:**

١٥٠ - (٢٣٦٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ وَابْنُ فَضِيلٍ، عَنِ الْمُخْتَارِ، (ح) وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، أَخْبَرَنَا الْمُخْتَارُ بْنُ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

١٥٠ - (٢٣٦٩) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ قَالَ: سَمِعْتُ مُخْتَارَ بْنَ فُلْفُلٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ حَرْثٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِمِثْلِهِ.

١٥٠ - (٢٣٦٩) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْمُخْتَارِ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(أبو بكر بن أبي شيبة) عبد الله بن محمد.

(ابن فضيل) محمد بن فضيل بن غزوان.

(المختار) وهو ابن فلفل.

وخير البرية هو محمد ﷺ عند الإطلاق، وإبراهيم خير البرية بعد محمد ﷺ، فإن أفضل الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ونوح، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وإما أن يكون النبي ﷺ قال ذلك؛ تواضعا واحتراما لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإلا أنه قاله قبل أن يوحى إليه أنه خير البرية.

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ:**

١٥١ - (٢٣٧٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَزَامِيِّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْتَنَ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقُدُومِ»^(١).

اختلفوا في معنى القدوم، هل هو منطقة؟ أم الآلة التي يقطع بها اللحم والخشب ونحو ذلك، والذي يظهر أنها الآلة، إذ لم يختن بسكين أو شفرة إما لعدم وجودها، أو لأن القدوم أسهل، بحيث يضرب بها ضربة واحدة وتكون قد أخذت الزائد من اللحم، وجاءت مشدداً القدوم.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالُوا: وَالْآلَةُ النَّجَارُ يُقَالُ لَهَا قُدُومٌ بِالتَّخْفِيفِ لَا غَيْرٍ. وَأَمَّا (الْقُدُومُ) مَكَانٌ بِالسَّامِ فَفِيهِ التَّخْفِيفُ. فَمَنْ رَوَاهُ بِالتَّشْدِيدِ أَرَادَ الْقُرْيَةَ، وَمَنْ رَوَاهُ بِالتَّخْفِيفِ يُحْتَمَلُ الْقُرْيَةُ وَالْآلَةُ، وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى التَّخْفِيفِ، وَعَلَى إِرَادَةِ الْآلَةِ. وَهَذَا الَّذِي وَقَعَ هُنَا: (وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً) هُوَ الصَّحِيحُ، وَوَقَعَ فِي الْمَوْطَأِ: وَهُوَ ابْنُ مِائَةٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ مُتَأَوَّلٌ، أَوْ مَرْدُودٌ، وَسَبَقَ بَيَانُ حُكْمِ الْخِتَانِ فِي أَوَائِلِ كِتَابِ الطَّهَارَةِ فِي خِصَالِ الْفِطْرَةِ. اهـ

ثم جعل الله عزَّجَلَّ سنته وطريقته من أمور الفطرة على ما تقدم في كتاب الطهارة. قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٢ - (١٥١) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالسَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُخَيِّئُ الْمَوَدَّ﴾ قَالَ أَوْلَمَ تَوْمَنٌ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيُظْمِنَ قَلْبِي» [سورة البقرة: ٢٦٠]، وَيَرْحَمُ اللَّهُ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٣٥٦).

لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ طُولَ لَبِثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»^(١).

١٥٢ - (١٥١) وَحَدَّثَنَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْمَاءَ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ وَأَبَا عُبَيْدٍ أَخْبَرَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِيِّ.

١٥٣ - (١٥١) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لِلُّوطِ، إِنَّهُ أَوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ».

(نَحْنُ أَحَقُّ بِالشُّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ) يعني إذا كان قد شك، لكن هو لم يشك، إنما طلب ما يؤدي إلى زيادة الإيمان: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ قَالَ أَوَّلَمَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيُظْمِنَ قَلْبِي ﴿[سورة البقرة: ٢٦٠].

(وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا) ابن أخي إبراهيم، كان رسولا إلى قرية سدوم الذين شاعت فيه الفاحشة من إتيان الذكران من العالمين.

(لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ. (وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ طُولَ لَبِثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ) ومع ذلك يوسف سكن والتزم السجن حتى ظهرت براءته.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٤ - (٢٣٧١) وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي جَرِيرُ بْنُ حَارِثٍ، عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ: ثَنَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ: قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [سورة الصافات: ٨٩] وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [سورة

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٣٧٥).

الأنبياء: ٦٣]، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمَ أَنَّكَ امْرَأَتِي يَغْلِبُنِي عَلَيْكَ، فَإِنْ سَأَلَكَ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكَ أُخْتِي، فَإِنَّكَ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَأَاهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ، أَنَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضُكَ امْرَأَةً لَا يَتَّبِعِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَتَتْ بِهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَمَالِكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقَبِضَتْ يَدَهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضْرُكَ فَفَعَلَتْ، فَعَادَ فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَتْ، فَعَادَ فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكَ اللَّهُ أَنْ لَا أَضْرُكَ، فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطَاهَا هَاجِرًا.

قَالَ: «فَأَقْبَلْتُ تَمْشِي، فَلَمَّا رَأَاهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهْمِيمٌ؟ قَالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخَذَ خَادِمًا». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَلَكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ ^(١).

(أبو الطاهر) أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السرح القرشي الأموي، ثقة مشهور.

(لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطُّ) دليل على عظيم شأن الأنبياء والمرسلين في ملازمة الصدق.

(إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ) يحمل على المعارض، ليس بكذب صريح كما هو قول جماهير من أهل العلم.

(أَرْضَ جَبَّارٍ) أرض مصر، وفيها النمرود بن كنعان.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٢١٧).

(وَكَاثَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ) أي جميلة.

(ثَنَّتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ) يعني كذبها من أجل الله **عَزَّجَلَّ**، لنصرة الدين، لدفع باطل المبطلين.

(إِنْ يَعْلَمُ أَنَّكَ أَمْرَأَتِي يَغْلِبُنِي عَلَيْكَ) يعني يتخلص منه؛ ليستفرد بها، لكن إن علم أنه أخوها حاول في إرضائه، ونحو ذلك، وسلم من القتل.

(فَأَخْبَرِيهِ أَنَّكَ أُخْتِي، فَإِنَّكَ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ) كما قلت: هذا من المعارض، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

(فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرِكَ) لا إله إلا الله! إبراهيم الخليل ولا يعلم في الأرض من المسلمين غيره وغيرها! أو أنه يقصد أرض مصر التي دخلها كانوا في غربة شديدة، وهكذا كثير من الأنبياء عاش مع الغربة، حتى يأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد، ويأتي النبي ومعه الرجل والرجلان.

وهذه الغربة ليست بين أهله، بل قد هاجر من عندهم وتركهم؛ لما قاموا عليه من البغي والمكر، وإرادة القتل، لولا أن الله **عَزَّجَلَّ** سلمه من النار، فقال: ﴿يَكْنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٩].

ويطعن في هذا الحديث الرافضة، والرافضة جهال، لا يعلمون معاني الأحاديث، ولا طرق الطعن في الأحاديث، وليس لهم عناية بعلم الحديث، ففي فضائل علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يأتون بما هو مكذوب شرعا وعقلا، ويظهر لكل ذي عينين ولكل ذي لب أنه مكذوب موضوع، ويروونه، ويتناقلونه، ويسطرونه، وفي باب الثابت من فضائل الصحابة، ومن أمور الدين يردونها، مع أنها في الصحيحين أصح الصحيح، وما تلقته الأمة بالقبول.

فهؤلاء لا علم لهم، ولا حلم عندهم، ولا مروءة، ابتلى الله **عَزَّجَلَّ** المسلمين بهم، فكم من أحاديث بل كم آيات في القرآن في فضائل الصحابة يجعلونها عرض الحائط، ولا يلتفتون إليها، ولا يبالون بها، وإذا وجدوا مثل هذا الحديث ظنوا فيه مطعنا في

الصحيحين أو في أحدهما، وإذا بهم يقومون برده، وعدم قبوله، فلا عبرة بقبولهم ولا عبرة بردهم.

(فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَتَتْ بِهِ، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ) قالوا: كيف يسلم زوجته للجبار، هذه ديانة، الحديث ثابت، وهو على ثقة أن الله سيدفع عنها، وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** سيسلمها من بطش هذا الجبار، وهو نبي كريم، أعلم بالشرع، لو كان الأمر الذي حصل عليه ووقع فيه يخالف الشرع ما أمرها بما أمرها به، لكن قد وقع في أمر رأى أن الشرع يبيح له هذا التعريض بأنها أخته وليست بزوجه، وظنه في الله **عَزَّوَجَلَّ** الدفع، فلذلك قام إلى الصلاة، للدعاء فيها فهي من مواطن استجابة الدعاء، وفي هذا بركة الصلاة.

(فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا) كان جبارا فاسقا، قد تعود البطش بالنساء ونحو ذلك، وكان لا يرعوي، حتى عُلِمَ في مملكته أنه جبار، سيء الحال في هذا الباب، وقد ساء حاله في غير ذلك من الأبواب.

(فَقَبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً) كأنها شلت أو قيدت.

(فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدَيَّ وَلَا أَضْرُكِ) دليل على أنه يعرف الله في الجملة، وإن كان كافرا، وإن كان مشركا، إلا أن المشركين إن أصابهم الضرر **﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ أَلْيِينَ﴾** [سورة يونس: ٢٢]، أو علم من القرينة أن المرأة دافع عنها ربها **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وتكرمه هذا الفعل نقضاً لعهد ووعده لأن الكافرين لا عقد لهم ولا وعد.

(إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجِرًا) مع هذه الدلائل لم يقع له الإيمان، بل اتهم أن هذه المرأة الصالحة التي دافع الله **عَزَّوَجَلَّ** عنها وصرف عنها كيد الفاجر شيطانة وليست بإنسانة، وهذا شأن المبطلين، لا يعترفون بفضائل من ليس على هياتهم وطريقتهم.

(وَأَعْطِهَا هَاجِرًا) أي أخدمها هاجر جارية لها.

وفيه الفرج بعد الشدة، ذهبته مهمومة مغمومة، خائفة من بطش هذا الجبار، وزوجها في حالة، أقبل على الصلاة يدعو الله ويرجوه، ويؤمل منه الحفظ، فإذا بها ترجع بهاجر.

وكان إبراهيم قد عاش دهرا بدون أبناء، فيسر الله له بهذه الجارية التي أهديت إلى زوجته، وزوجته أعتقتها وزوجتها منه، فكان له الولد البكر إسماعيل، ثم من الله **عَزَّوَجَلَّ** بعد ذلك على سارة بولد آخر بكر لها، وهو إسحاق **عَلَيْهِ السَّلَام** جميعا، كما قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۚ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾، وقال: { وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ رَتَبًا يَاسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ }.

(فَلَمَّا رَأَاهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْصَرَفَ) يعني من صلاته.

(فَقَالَ لَهَا: مَهَيْم) أي ما الخبر؟ فيه أن الإنسان قد يتخوف على أهله، ويستفصل فيما يحصل وما يقع.

(قَالَتْ: خَيْرًا) أي ما حصل إلا الخير.

(وَأَخَذَ خَادِمًا) في رواية: (هاجر)، وفي رواية: (آجر).

(فَتِلْكَ أُمَّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ) يعني أم إسماعيل بن إبراهيم ومنه هؤلاء الذين ينسبون إليه، بل إن كثيرا من المؤرخين يذهبون إلى أن العرب الموجودة الآن ترجع في نسبها إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه وعلى أبيه السلام.

قال النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: قَالَ كَثِيرُونَ: الْمُرَادُ بِبَنِي مَاءِ السَّمَاءِ الْعَرَبُ كُلُّهُمْ، لِخُلُوصِ نَسَبِهِمْ، وَصَفَائِهِ.

وَقِيلَ: لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ أَصْحَابُ مَوَاشٍ، وَعَيْشُهُمْ مِنَ الْمَرْعَى وَالْخَضْبِ، وَمَا يَنْبُتُ بِمَاءِ السَّمَاءِ.

وَقَالَ الْقَاضِي: الْأَظْهَرُ عِنْدِي أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ الْأَنْصَارُ خَاصَّةً، وَنَسَبَتُهُمْ إِلَى جَدِّهِمْ عَامِرِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَازِنِ بْنِ الْأَدَدِ وَكَانَ يُعْرِفُ بِمَاءِ السَّمَاءِ،

وَهُوَ الْمَشْهُورُ بِذَلِكَ، وَالْأَنْصَارُ كُلُّهُمْ مِنْ وَلَدِ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ الْمَذْكُورِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مُعْجَزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال: وَأَمَّا قَوْلُهُ: **(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ)** فَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَطَائِفَةٌ: جَعَلَ النُّطْقَ شَرْطًا لِفِعْلِ كَبِيرِهِمْ، أَيْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ.

وَقَالَ الْكَسَائِيُّ: يُوقَفُ عِنْدَ قَوْلِهِ: **(بَلْ فَعَلَهُ)** [سورة الأنبياء: ٦٣] أَيْ فَعَلَهُ فَاعِلُهُ، فَأَضْمَرَ، ثُمَّ يَبْتَدِئُ فَيَقُولُ: **(كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَكَلَّمُوا)** [سورة الأنبياء: ٦٣] عَنْ ذَلِكَ الْفَاعِلِ، وَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إِلَى أَنَّهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَجَوَابُهَا مَا سَبَقَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

المهم أن سيرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مليئة بالعبر والآيات والحكم، ودلائل النبوة، والفرج بعد الشدة، في مواطن كثيرة، جاءه الفرج بعد الشدة من النار، وجاءه الفرج بعد الشدة بالهجرة من عند قومه، والفرج بعد الشدة بإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو قبل ذلك الفرج بعد الشدة بسلامة زوجته من هذا الجبار، والفرج بعد الشدة بإسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ، فعدة مواطن فرج عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من شدة مرت به.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهو موسى بن عمران، أفضل أنبياء بني إسرائيل، وثالث الأنبياء فضلا بعد نبينا وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ابتلي بلاء عظيمًا من فرعون، ثم من بني إسرائيل، ونصره الله نصرًا عزيزًا، وهو أكثر من ذكر في القرآن من الأنبياء والمرسلين، وشفاعته لأخيه كانت من أعظم الشفاعات في الدنيا، فإنه شفع أن يكون رسولًا فكان، ومن فضائله: أن الله كلمه، **(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)** [سورة النساء: ١٦٤].

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٥٥ - (٣٣٩) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ، مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاءَةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوَاءَةِ بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ، قَالَ: فَدَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، قَالَ: فَجَمَعَ مُوسَى بِأَثَرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرٌ، ثَوْبِي حَجَرٌ، حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوَاءَةِ مُوسَى، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، فَقَامَ الْحَجَرُ بَعْدَ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاللَّهُ إِنَّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ ضَرَبُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحَجَرِ ^(١).

١٥٦ - (٣٣٩) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا خَالِدُ الْحَدَّاءُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا حَيًّا، قَالَ: فَكَانَ لَا يُرَى مُتَجَرِّدًا، قَالَ: فَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ: إِنَّهُ آدَرُ، قَالَ: فَاعْتَسَلَ عِنْدَ مَوْتِهِ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَانْطَلَقَ الْحَجَرُ يَسْعَى، وَاتَّبَعَهُ بِعَصَاهُ يَضْرِبُهُ: ثَوْبِي حَجَرٌ ثَوْبِي حَجَرٌ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [سورة الأحزاب: ٦٩].

(يَغْتَسِلُونَ عُرَاءَةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوَاءَةِ بَعْضٍ) إما لجهلهم، وإما أن هذا كان مباحا

في شريعتهم، وإما أنهم كانوا يفعلون ذلك لقلّة حياتهم.

(إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ) أي كبير الخصيتين، وهذا معيب عندهم.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٧٨).

(فَقَرَّ الْحَجْرُ بِثُوبِهِ) ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٤].

(ثُوبِي حَجْرٌ! ثُوبِي حَجْرٌ) أي ثوبي يا حجر، أعطني ثوبي، وخاطبه؛ لأنه قد رآه تحرك.

هذا الحديث أخرجه الشيخان، ولا مطعن فيه من جهة الإسناد، ولا نكارة فيه من جهة المتن، وإنما ينكره الرافضة ومن إليهم من أصحاب العقلانيات الذين يتورعون عما لا ورع فيه، ويفجرون فيما في حقه الورع، فلو تأملت أقوال الرافضة في المتعة تجد العجب العجيب في إباحتها، وفي الدعوة إليها، وفي الترغيب فيها وفي الإشادة بها، وفي الكذب على آل البيت الصالحين في شأنها، ثم جاءوا إلى هذا الحديث وجعلوا ينكرونها، ويشمئزون منه؛ لأنهم أصلاً أصحاب أهواء، ليسوا أصحاب عقيدة، ليسوا أصحاب اتباع، ليسوا أصحاب إيمان، وهكذا من ينكره من العقلانيين.

وفيه عظيم قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، وجعل الإرادة للجمادات.

وفيه دفاع الله عن أوليائه.

وفيه دليل لكرامات الأولياء.

وفيه كثرة الظنون الفاسدة، وقد لا ينجو ويسلم منها خلص البشرية، كيف ظنت بنو إسرائيل بموسى ما ظنوه.

وفيه جواز الاغتسال عريان.

وفيه عظيم شأن الحياء وهو خلق الأنبياء.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٧ - (٢٣٧٢) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَقَفَا عَيْنُهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنُهُ وَقَالَ: ارْجِعْ

إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا عَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ»^(١).

١٥٨ - (٢٣٧٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ، مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جَاءَ مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ، قَالَ: فَاطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ فَقَقَّاهَا، قَالَ: فَارْجِعَ الْمَلِكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ: إِنَّكَ أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي»، قَالَ: «فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ: الْحَيَاةُ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَمْنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ».

١٥٨ - (٢٣٧٢) قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ.

وهذا الحديث أيضا ينكره العقلانيون ومن إليهم، مع أنه لا نكارة فيه، قيل: بأن موسى عليه السلام لطمه ما علم أنه ملك الموت إلا بعد أن وقع منه ما وقع، وقيل: لما سأله قبض روحه تعاضم هذا الأمر، فكان منه هذا الشيء في الدفاع عن نفسه، وقيل غير ذلك من الأوجه، والشاهد أن الحديث ثابت ولا مطعن فيه.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٣٣٩).

(أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ) كراهية الموت، كل الناس يكرهون الموت.

(يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَنْ ثَوْرٍ) أي: يضرب بيده على ظهر ثور.

(فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ) ستغطي سنوات كثيرة.

(قَالَ: أَيُّ رَبِّ، ثُمَّ مَهْ؟) يعني ماذا بعد هذه السنوات الطويلة والعمر المديد؟

(ثُمَّ تَمُوتُ) وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ

عَلَيْهَا فَاِنَّ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾.

(فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ) يعني من بيت المقدس، إذ أنه

في ذلك الزمن لم يكن قد دخله بنو إسرائيل بسبب تمردهم على أمر موسى، فإنه عَلَيْهِ السَّلَام قال لهم: ﴿أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى

أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢١]، فقالو معارضين: ﴿يَلْمُوسَى إِرَتَ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [سورة المائدة:

٢٢]، فحرمها الله عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، ثم قبض في زمن التيه عَلَيْهِ السَّلَام.

هذا الحديث يستدل به أهل العلم على فضيلة الموت في البلد الحرام؛ لأن موسى

عَلَيْهِ السَّلَام سأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة.

(فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكُثْبِ الْأَحْمَرِ) ورأى النبي

ﷺ موسى عَلَيْهِ السَّلَام يصلي في قبره، وقد جاء حديث عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البيهقي في

(البعث والنشور): أن الأنبياء أحياء عند ربهم يصلون، وبعضهم استنكر هذا الحديث،

وزعم أنه ينصر طريق الصوفية، والصحيح أن الحديث ثابت، يشهد له ما في

الصحيحين، والحياة حياة برزخية، ليست حياة دنيوية حتى يشكل.

قال الحافظ في "فتح الباري" (٦/ ٤٤٢): أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا إن كان موسى عرفه فقد استخف به وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه والجواب أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ وإنما بعثه إليه اختباراً وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدمياً دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له ولخص الخطابى كلام بن خزيمة وزاد فيه أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة وأن الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله فلماذا استسلم حينئذ وقال النووي لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحاناً للملطوم وقال غيره إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير فلماذا لما خيره في المرة الثانية أذعن قيل وهذا أولى الأقوال بالصواب وفيه نظر لأنه يعود أصل السؤال فيقال لم أقدم ملك الموت على قبض نبي الله وأخل بالشرط فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحاناً وزعم بعضهم أن معنى قوله فقء عينه أي أبطل حجته وهو مردود بقوله في نفس الحديث فرد الله عينه وبقوله لطمه وصكه وغير ذلك من قرائن السياق وقال بن قتيبة إنما فقء موسى العين التي هي تخيل وتمثيل وليست عيناً حقيقة ومعنى رد الله عينه أي أعاده إلى خلقته الحقيقية وقيل على ظاهره ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية ليرجع إلى موسى على كمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره وهذا هو المعتمد وجوز بن عقيل أن يكون موسى أذن له أن يفعل ذلك بملك الموت وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك كما أمر موسى بالصبر على ما يصنع الخضر وفيه أن الملك يتمثل بصورة

الإنسان وقد جاء ذلك في عدة أحاديث وفيه فضل الدفن في الأرض المقدسة وقد تقدم شرح ذلك في الجنائز واستدل بقوله فلك بكل شعرة سنة على أن الذي بقي من الدنيا كثير جدالان عدد الشعر الذي تواريه اليد قدر المدة التي بين موسى وبعثة نبينا ﷺ مرتين وأكثر واستدل به على جواز الزيادة في العمر وقد قال به قوم في قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب أنه زيادة ونقص في الحقيقة وقال الجمهور والضمير في قوله من عمره للجنس لا للعين أي ولا ينقص من عمر آخر وهذا كقولهم عندي ثوب ونصفه أي ونصف ثوب آخر وقيل المراد بقوله ولا ينقص من عمره أي وما يذهب من عمره فالجميع معلوم عند الله تعالى والجواب عن قصة موسى أن أجله قد كان قرب حضوره ولم يبق منه إلا مقدار ما دار بينه وبين ملك الموت من المراجعتين فأمر بقبض روحه أولاً مع سبق علم الله أن ذلك لا يقع إلا بعد المراجعة وإن لم يطلع ملك الموت على ذلك أولاً والله أعلم. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٩ - (٢٣٧٣) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْزِضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ أَوْ لَمْ يَرْضَهُ - شَكَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ - قَالَ: قَالَ: فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، قَالَ: تَقُولُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِنَا؟ قَالَ: فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، وَقَالَ: فُلَانٌ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» قَالَ: قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ، وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا.

قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

مَنْ شَاءَ اللَّهُ»، قَالَ: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذَ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَوْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلَ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١).

١٥٩ - (٢٣٧٣) وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ سَوَاءً.

١٦٠ - (٢٣٧٣) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ وَرَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْعَالَمِينَ. قَالَ: فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَشْنَى اللَّهُ».

١٦١ - (٢٣٧٣) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَا: أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، بِمِثْلِ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ عَنِ ابْنِ شَهَابٍ.

١٦٢ - (٢٣٧٣) وَحَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرُو بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: جَاءَ يَهُودِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٤١١).

ﷺ قَدْ لُطِمَ وَجْهُهُ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ الرَّهْرِيِّ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَلَا أُدْرِي أَكَانَ مِمَّنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ اكْتَفَى بِصَعْقَةِ الطُّورِ»^(١).

١٦٣ - (٢٣٧٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ». وَفِي حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ عَمْرِو بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنِي أَبِي.

(بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْزِضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ) كان شأنهم واحد، الأسواق واحدة، متداخلة.

(لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ) وهذه عقيدة اليهود، يرون أنهم أفضل البشرية، ويسمون أنفسهم بالسامية، ومن عاداهم أو تكلم فيهم أو حذر منهم قالوا: هذا يعادي السامية، وقاموا عليه بكل حجر ومدر، وربما إن كان مسؤولاً عزلوه في الدول الكافرة، وإن كان تاجراً سعوا في إسقاط تجارتهم، وإن كان مشهوراً شوهوه، حملة شديدة يقومون بها على كثير من الناس بدعوى معاداة السامية.

والعداوة لهم متعينة، شرعاً فهم مخالفون لدين الله، وعقلاً فهم مرتكبون لكثير من الشر والفساد، فمثلهم من يحبه؟ من يحب الثعبان، فكذلك اليهودي لا يُحب، إلا ممن هو على شاكلته وطريقته، وإلا فهم قد بلغوا في المكر مبلغاً ليس باليسير، وفي الحقد على غيرهم مبلغاً ليس باليسير، وفي التحكم في تجارة غيرهم مبلغاً ليس باليسير، وفي سفك الدماء المحرمة مبلغاً ليس باليسير، وفي غير ذلك من الانتهاكات التي تقع منهم. فلذلك لا بد من معاداتهم، وإن سموها معاداة للسامية هم ليسوا أصلاً على طريقة سام، وليسوا في فضيلة سام، هب أنهم في يوم من الأيام كانوا أهل فضل أي الذين آمنوا

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٤٢١).

بموسى واتبعوا موسى، ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٤٧]، ثم نقلت الفضيلة منهم إلى أمة محمد ﷺ؛ بسبب أعراضهم، وكفرهم، وبغيهم، ونفاقهم، وفجورهم.

(فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، قَالَ: تَقُولُ وَالَّذِي اضْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِنَا؟) كانوا يغضبون الله عزَّ وجلَّ ولرسوله ﷺ إذا تُنْقَصُ أو نحو ذلك.

(إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا) والمسلمون يفون بحق الذمي والمعاهد ما لم ينقض عهده ويخالف ما عوقد عليه، واليهود في هذا الباب في باب المخالفة، قاتلهم الله.

(فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)؛ لأن النبي ﷺ صاحب العدل والإنصاف، صاحب التواضع الداعي إلى مكارم الأخلاق، والمطبق لها.

(لَا تُفْضَلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ) قيل: هذا إذا كان على التنقص لأحدهما، وقيل: بأنه قال هذا قبل أن يوحى إليه بأنه أفضل الأنبياء والمرسلين.

(فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذَ بِالْعَرْشِ) هذه الأولوية لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا تدل على فضيلته على محمد ﷺ، لكن جازاه الله على تلك النفخة التي وقعت عليه بأن قدمه في البعث، والله أعلم.

أو يكون الشأن أنهم بعثوا جميعاً، ثم كانت المبادرة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الأخذ بقوائم العرش، المهم في أوجه يذكرها أهل العلم ليس فيها أنها دالة على الفضيلة المطلقة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم إن المفضل قد يفضل بما ليس عند الفاضل.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (مِمَّنِ اسْتَشَى اللَّهُ تَعَالَى) يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ حَيًّا، وَلَمْ يَأْتِ أَنَّ مُوسَى رَجَعَ إِلَى الْحَيَاةِ، وَلَا أَنَّهُ حَيٌّ كَمَا جَاءَ فِي عِيسَى، وَقَدْ قَالَ ﷺ: (لَوْ كُنْتُ نَمَّ لَأَرَبْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ) قَالَ الْقَاضِي: يَحْتَمِلُ أَنَّ هَذِهِ الصَّعْقَةَ صَعْقَةُ فَرَعٍ بَعْدَ الْبُعْثِ حِينَ تَنْشَقُّ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَتَنْتَظِمُ حِينَئِذٍ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ.

(وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ) هذا أيضا النهي عن التفضيل على يونس بن متى إذا كان على الاحتقار له والتنقص له؛ لأن بعضهم لما يطلع على أن يونس عليه السلام ذهب مغاضبا ونحو ذلك ربما يقول: أنا خير من يونس بن متى أو يقول: محمد صل الله عليه وسلم خير من يونس بن متى على سبيل التنقص ليونس هذا لا يجوز، أما من حيث العقيدة ومن حيث الواقع فمحمد ﷺ خير من جميع الأنبياء.

وقيل: بأن المنع في المفاضلة بين اثنين بعينهما، أما أن تقول: محمد أفضل من جميع الأنبياء أو أفضل البشرية هذا لا مانع منه، لكن القول الأول هو الصواب، أن المنع إذا كان على سبيل التنقص.

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ:**

١٦٤ - (٢٣٧٥) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ وَشَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ وَسُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَيْتُ**» وَفِي رِوَايَةِ هَدَّابٍ: «**مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**».

١٦٥ - (٢٣٧٥) وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ، أَخْبَرَنَا عِيسَى يَعْنِي ابْنَ يُونُسَ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ - كِلَاهُمَا عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسِ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**»، وَزَادَ فِي حَدِيثِ عِيسَى: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي**».

(مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي) وكان مسراه قبل الهجرة، قيل بثلاث سنوات، ولا يعلم أي ليلة كان.

دليل على أنه مات، وهذه حياة برزخية الله أعلم كيف يكون الشأن، وقد يقول بعضهم: كيف يصلي في قبره والقبر ليس موطن تكليف، فهذا ليس موطن تكليف وإنما موطن تنعم لموسى، الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون تنعماً، وقد ذكر أن أسلم البناي رَحِمَهُ اللهُ كان يقول: اللهم إن كنت كتبت لأحد أن يصلي في قبره فاجعلني منهم.
قال رَحِمَهُ اللهُ:

باب: فِي ذِكْرِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يَتَّبِعُنِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»

المعنى: أنه لا يفضل نفسه على يونس بن متى عليه السلام، وقيل: المعنى لا يفضل النبي ﷺ على يونس بن متى، ويكون النهي في حق النبي ﷺ من باب تواضع النبي ﷺ، أو من باب إذا كان على تنقص يونس عليه السلام، أو أنه من قبل أن يوحى إليه ﷺ أنه أفضل من يونس.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٦٦ - (٢٣٧٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: سَمِعْتُ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَعْنِي اللهُ ﷻ: «لَا يَتَّبِعُنِي لِعَبْدٍ لِي» وَقَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: «لِعَبْدِي أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١).
قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ.

١٦٧ - (٢٣٧٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ يَقُولُ: حَدَّثَنِي

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤١٤).

ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»، وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ ^(١).

هذا لا إشكال فيه، ليس فيه تفضيل النبي ﷺ على يونس بن متى، وإنما الشأن تفضيل العبد لنفسه على يونس من متى.

طريق قتادة عن أبي العالية فيها ما فيها، لكن قد صرح بالتحديث، والراوي عنه شعبة، وهذا الحديث قد ذكر أبو داود أنه سمعه قتادة من أبي العالية.

ويونس عَلَيْهِ السَّلَامُ قصته مشهورة، ذكرت في غير ما موطن في القرآن، قال تعالى: ﴿وَذَا التُّورِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧]، فسلمه الله ونجاه من الغم، وأرسله الله إلى مائة ألف أو يزيدون، فرجع إليهم فآمنوا بعد أن كانوا قد استحقوا العذاب والعقاب بسبب كفرهم، لكن تاب الله عليهم، ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِلْيَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة يونس: ٩٨].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦٨ - (٢٣٧٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتَقَاهُمْ»، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأُكَ. قَالَ: «يُوسُفُ بْنُ أَبِي اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ»، قَالُوا: لَيْسَ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٣٩٥).

عَنْ هَذَا نَسَأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا» (١).

(مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَتَقَاهُمْ) ظَنُّ أَنْ السُّؤَالَ عَلَى الْعَمُومِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَوْكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

(يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ) ظَنُّ أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَنْ شَخْصٍ بَعِيْنِهِ، فَأَجَابَهُمْ بِهَذَا الرَّجُلِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ بْنِ الْخَلِيلِ، ﷺ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، نَسَبٌ شَرِيفٌ، وَأَمْرٌ عَظِيمٌ، إِذَا كَانَ النَّاسُ يَتَّبِعُونَ عَلَى بَعْضِهِمْ وَيَقُولُونَ: بَيْتٌ عِلْمٌ؛ لِأَنَّ الْأَبَّ عَالِمٌ وَالْابْنَ عَالِمٌ وَنَحْوُ هَذَا، فَكَيْفَ بَيْتُ نَبْوَةٍ؟ الْجَدُّ نَبِيٌّ، وَابْنُهُ نَبِيٌّ، وَابْنُهُ نَبِيٌّ، وَآخِرُهُمْ يُوسُفُ نَبِيٌّ، كُلُّهُمْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

(فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ) أَيُّ خِيَارِ الْعَرَبِ، وَفِيهِ تَفَاضُلُ النَّاسِ فِي الْأَخْلَاقِ وَالصِّفَاتِ وَأَعْظَمُهُ التَّفَاضُلُ فِي الدِّينِ.

(خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا) فِيهِ فَضِيلَةُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَنْ مَنْ كَانَ ذَا شَرَفٍ فِي جَاهِلِيَّتِهِ أَوْ قَبْلَ اسْتِقَامَتِهِ ثُمَّ كَانَ مِنْ عِدَادِ الْعُلَمَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ فَإِنْ شَرَفَهُ يَزْدَادُ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْعِلْمُ لَا يَزِيدُ الشَّرِيفَ إِلَّا شَرَفًا، وَيَرْفَعُ الْمَمْلُوكَ عَلَى السَّرِيرِ.

ويوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ، قِصَّتُهُ مَذْكُورَةٌ فِي سُورَةِ يُوسُفَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ الْقِصَصِ، ذَكَرَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ شَأْنِهِ مِنْ رُؤْيَاهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ أَبَوَاهُ وَهُوَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَمَا لِحَقِّهِ مِنْ إِخْوَانِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبِحَمْدِ اللَّهِ قَدْ أَفْرَدْنَا مَا يَتَعَلَّقُ بِفَوَائِدِ تِلْكَ السُّورَةِ فِي رِسَالَةٍ مُسْتَقْلَةٍ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

(١) وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: (٣٣٥٣).

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهو والد يحيى بن زكريا، وهو الذي ربي مريم وكفلها، كما ذكر الله قصته ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، وامتدحه الله بقوله: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزُوجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠]، إذا كان المعنى: زكريا وابنه وزوجه، أما إذا كان جميع الأنبياء فهم داخلون أيضا في المدح.

قال الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ:

١٦٩ - (٢٣٧٩) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا».

يعني كان يأكل من عمل يده، والنجار هو الذي يصلح الخشب.

وهذه عبارة عن إشارات إلى فضائل هؤلاء الأنبياء والمرسلين، وإلا فعند التفصيل حقهم أكثر من ذلك، فقد جاء ذكرهم في القرآن، وجاء من القصص ما يدل على عظيم إيمانهم، وعظيم شأنهم، وعلو منزلتهم، صلوات الله عليه وسلامه أجمعين، وقد بينت ذلك في كتابي "صحيح قصص الأنبياء".

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الخضر اختلف الناس فيه اختلافا كثيرا، والصحيح أنه نبي، والصحيح أنه قد مات، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أفضل منه، إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ اختص الخضر بعلم ليس عند موسى،

وإلا فموسى أعلم من الخضر بالشرعية، فهو من أولي العزم من الرسل والخضر أطلعه الله **عَزَّوَجَلَّ** على بعض علم الغيب، وعلى شيء من علم القدر.

ومن زعم أن الخضر كان حيا في زمن النبي **ﷺ** أو إلى الآن فقد أبعد؛ لأنه لو كان حيا للزمه نصره النبي **ﷺ** في بدر، وفي غيره من المشاهد، ولم يعلم ذلك، **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾** [سورة آل عمران: ٨١] على نصره بعضهم، وعلى نصره محمد **ﷺ**، **﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا﴾** [سورة آل عمران: ٨١] الآية.

ثم إن النبي **ﷺ** قال: **«أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مَائَةٍ، لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ»**^(١)، فلو كان الخضر حيا في ذلك الزمان لمات في هذا الوقت المحدد، ولكن عباد القبور وعباد الأولياء من الصوفية ونحوهم اتخذوا الخضر سلما للشرك، فإذا ما احتاج أحدهم استغاثة، وربما تصورت له الشياطين، وظن أنه الخضر، جاء لنجدته، وجاء لنصرته.

ثم إنهم بسبب هذه القصة ذهبوا إلى أن علم القلب عن الرب فيقول أحدهم حدثني قلبي عن ربي، أو العلم المفقود مقدم على العلم الموجود، فضلوا ضلالا بعيدا، فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** أمرنا بالعلم الموجود، ونهانا عن البحث والتنقيب عن العلم المفقود، في أمور كثيرة، بينها أهل العلم.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٧٠ - (٢٣٨٠) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، كُلُّهُمْ عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ (وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي عُمَرَ)، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٥٧٦)، ومسلم حديث رقم: (٢٥٣٧)، عن عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبُكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبُ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، سَمِعْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قَالَ: فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ مُوسَى: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: أَحْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُ تَقْفُدُ الْحُوتَ فَهُوَ نَمٌّ».

«فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ وَهُوَ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ، فَحَمَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ، حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَقَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، قَالَ: وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتُهُمَا، وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِفَتَاهُ: ﴿إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾

[سورة الكهف: ٦٢]، قَالَ: «وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ،» قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَلَتَنَخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [سورة الكهف: ٦٣]، قَالَ مُوسَى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا

قَصَصًا﴾ [سورة الكهف: ٦٤] قَالَ: يَقْصَانِ آثَارَهُمَا حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ فَرَأَى رَجُلًا مُسَجًى عَلَيْهِ بَثُوبٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَنَّى بَارِضِكَ السَّلَامُ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ».

«قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ٦٩﴾ [سورة الكهف: ٦٦-٦٩]،

قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: ﴿إِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [سورة الكهف: ٧٠]، قَالَ: نَعَمْ، فَأَنْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمَاهُم أَنَّ يَحْمِلُوهُمَا فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَابِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَحَرَقْتَهَا ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَحْرِقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ٧١ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تَأْخُذْ بِمَا تَتَّبِعُ وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِ عُسْرٍ ﴿٧٣﴾ [سورة مريم: ٣٠-٧٣].

ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بَرَأْسِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ مُوسَى: ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ٧٤ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ [سورة الكهف: ٧٥] قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى. ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْرِحْ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ ٧٦ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ [سورة الكهف: ٧٦-٧٧] يَقُولُ: مَائِلٌ، قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا، ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ٧٧ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأْنِيكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ [سورة الكهف: ٧٧-٧٨].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِرَحْمِ اللَّهِ مُوسَى، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبْرًا حَتَّى يُقْصَ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا».

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا».

قَالَ: «وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ».

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: وَكَانَ يَقْرَأُ: (أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا) وَكَانَ يَقْرَأُ: (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا) ^(١).

١٧١ - (٢٣٨٠) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْقَيْسِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَقَبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى الَّذِي ذَهَبَ يَلْتَمِسُ الْعِلْمَ لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ! قَالَ: أَسَمِعْتَهُ يَا سَعِيدُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: كَذَبَ نَوْفٌ.

١٧٢ - (٢٣٨٠) حَدَّثَنَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ بَيْنَمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْمِهِ يَذْكُرُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ - وَأَيَّامُ اللَّهِ نِعْمَاؤُهُ وَبَلَاؤُهُ - إِذْ قَالَ: مَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ رَجُلًا خَيْرًا وَأَعْلَمُ مِنِّي، قَالَ: فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنِّي أَعْلَمُ بِالْخَيْرِ مِنْهُ أَوْ عِنْدَ مَنْ هُوَ، إِنَّ فِي الْأَرْضِ رَجُلًا هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، فدلّني عليه، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: تَزَوَّدْ حُونًَا مَالِحًا، فَإِنَّهُ حَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ، قَالَ: فَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَعَمِيَ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ وَتَرَكَ فَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمَاءِ، فَجَعَلَ لَا يَلْتَمِسُ عَلَيْهِ، صَارَ مِثْلَ الْكُوَّةِ»، قَالَ: «فَقَالَ فَتَاهُ: أَلَا الْحَقُّ نَبِيَّ اللَّهِ فَأُخْبِرُهُ؟» قَالَ: «فَنَسِيَ، فَلَمَّا تَجَاوَزَا ﴿قَالَ لِفَتَاهُ﴾ إِنَّا غَدَاةَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿[سورة الكهف: ٦٢]﴾»، قَالَ: «وَلَمْ يُصِبْهُمْ نَصَبٌ حَتَّى تَجَاوَزَا»، قَالَ: «فَتَذَكَّرَ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنَاهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾»

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٤)، (٧٨)، (١٤٢)، (٣٢٧٨)، (٣٤٠٠)، (٣٤٠١)، (٣٧٢٥)، (٣٧٢٧)،

وَلَتَجِدَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾
[سورة الكهف: ٦٣-٦٤]، فَأَرَاهُ مَكَانَ الْحُوتِ.

قَالَ: هَاهُنَا وَصِفْ لِي، قَالَ: فَذَهَبَ يَلْتَمِسُ فَإِذَا هُوَ بِالْخَضِرِ مُسَجًى ثَوْبًا مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْقَفَا، أَوْ قَالَ: عَلَى حَلَاوَةِ الْقَفَا، قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، قَالَ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: وَمَنْ مُوسَى؟ قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: مَعْجِيٌّ مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ [سورة الكهف: ٦٦-٦٨]: شَيْءٌ أُمِرْتُ بِهِ أَنْ أَفْعَلَهُ إِذَا رَأَيْتَهُ لَمْ تَصْبِرْ، ﴿٦٩﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٠﴾ قَالَ فَإِنْ أَتْبَعْتَنِي فَلَا تَتَّبِعْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧١﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٢﴾ [سورة الكهف: ٦٩-٧١]، قَالَ: انْتَحَىٰ عَلَيْهَا، قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿٧٣﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٥﴾ [سورة الكهف: ٧١-٧٣].

فَانْطَلَقَا، حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَمَانًا يَتْلُبُونَ، قَالَ: فَانْطَلَقَ إِلَىٰ أَحَدِهِمَا بَادِي الرَّأْيِ فَفَتَلَهُ، فَذَعَرَ عِنْدَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَعْرَةً مُنْكَرَةً، ﴿٧٦﴾ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٧﴾.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ هَذَا الْمَكَانِ: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ مُوسَى، لَوْلَا أَنَّهُ عَجَلَ لَرَأَى الْعَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ دِمَامَةً، ﴿٧٨﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِجْنِي فَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الدُّنْيِ عُدْلًا» [سورة الكهف: ٧٦]، وَلَوْ صَبَرَ لَرَأَى الْعَجَبَ.

قَالَ: وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بَدَأَ بِنَفْسِهِ: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ أَخِي، كَذَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا، ﴿٧٩﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴿٨٠﴾ [سورة الكهف: ٧٧]: لِئَامًا، فَطَافَا فِي

الْمَجَالِسِ فَاسْتَطَعَمَا ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ [سورة الكهف: ٧٧-٧٨] وَأَخَذَ بِثَوْبِهِ، قَالَ: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الكهف: ٧٨-٧٩]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَإِذَا جَاءَ الَّذِي يُسَخِّرُهَا وَجَدَهَا مُنْحَرَقَةً فَتَجَاوَزَهَا فَأَصْلَحُوهَا بِخَشْبَةٍ، وَأَمَّا الْغُلَامُ فَطُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيْهِ، فَلَوْ أَنَّهُ أَدْرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُعْيَانًا وَكَفَرًا، ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا حَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨٠﴾﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨١﴾﴾ [سورة الكهف: ٨١-٨٢]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

١٧١ - (٢٣٨٠) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، كِلَاهُمَا عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ بِإِسْنَادِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ نَحْوَ حَدِيثِهِ. ١٧٣ - (٢٣٨٠) وَحَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ: ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [سورة الكهف: ٧٧].

١٧٤ - (٢٣٨٠) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي صَاحِبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْخَضِرُ، فَمَرَّ بِهِمَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ:

يَا أَبَا الطُّفَيْلِ، هَلُمَّ إِلَيْنَا، فَإِنِّي قَدْ تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقْيِهِ، فَهَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ فَقَالَ أَبِي: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: بَلْ عَبْدُنَا الْخَضِرُ، قَالَ: فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقْيِهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا افْتَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَسَارَ مُوسَى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ، ثُمَّ قَالَ لِفَتَاهُ: ﴿إِنَّا عَدَاءُنَا﴾ [سورة الكهف: ٦٢]، فَقَالَ فَتَى مُوسَى حِينَ سَأَلَهُ الْغَدَاءَ: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْثَقْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [سورة الكهف: ٦٣]، فَقَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [سورة الكهف: ٦٤]، فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، إِلَّا أَنَّ يُونُسَ قَالَ: «فَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ».

(سعيد بن جبير) أبو محمد، قتله الحجاج ظلماً، والقصة المشهورة أنه قال: ما اسمك؟ قال: سعيد، قال: بل أنت شقي، لا تثبت.

(نوف البكالي) من التابعين، محدث من المحدثين، اشتبهت عليه هذه المسألة وظن أنه موسى آخر.

(كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ) يعني في هذه المسألة أخطأ، كذب بلغة الحجاز: أخطأ.

(فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ) فيه إثبات صفة العتب لله عزَّ وجلَّ، وهي من الصفات الفعلية، على ما يليق بجلاله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

وفيه أن الإنسان يرد العلم إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فإن الله أحاط بكل شيء علماً.

(قَالَ مُوسَى: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ لِي بِهِ؟) فيه أن الإنسان لا يزهد في طلب العلم وإن كان عالماً إن وجد سبيلاً إلى علم ليس عنده رحل إليه، والتمسه.

(فَهُوَ نَمَّ): فهو هناك، هناك فرق بين: نُمَّ ونَمَّ، ثم عطف، وثم: هناك، إشارة.
(وَأَنْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ وَهُوَ يُوشِعُ بَنُ نُونٍ) نبي من أنبياء بني إسرائيل، وعلى يديه فتحت بيت المقدس، إذ أنها لم تفتح في عهد موسى بسبب معارضة بني إسرائيل حرمها الله عليهم.

(وَأَنْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ) فيه الصحبة في السفر، وسفر الإنسان وحده مكروه فالإنسان بحاجة، لا سيما إن كان من أهل الشأن، إلى من يرافقه، ومن يقوم بخدمته في أمور قد تثقل عليه.

(فَاضْطَرَبَ الْحَوْتُ فِي الْمِكْتَلِ) مثلما تقول: نوع من، القدور.
(حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ) كان ميتا فأحياه الله.
(وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جَرِيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ): الطريق، يعني مشى، فلما قام موسى وفتاه نظرا في طريق سيره.

(فَكَانَ لِلْحَوْتِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا) عجبا من إحياء الله له، وعجبا من إمساك الله للماء، حتى ظهر الطريق على سطح الماء.
(﴿إِنَّا عَدَّاءُنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾) استدله العلماء على أن الدواعي تشد القوى، لما كانت همتهم بلوغ مجمع البحرين ما وجدوا التعب والنصب، فلما شعروا بالمجازاة وجدوا التعب والنصب.

(عَدَّاءُنَا) الغداء يطلق على ما نسميه نحن بالفطور أو الصبح.
(قَالَ مُوسَى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾) هذا هو الطلب، إذا فقدنا الحوت وجدنا الخبر.
(﴿فَارْتَدَّا﴾): رجعا.

(﴿عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصَا﴾) يقصان من مكان الأقدام والسير.
(فَرَأَى رَجُلًا مُسَجًى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ) يعني ممتد ملتحف.
(فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَنَّى بَارِضُكَ السَّلَامُ؟) يعني كان الناس على غير الإسلام.

(قَالَ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ) علم الشريعة، فموسى أعلم

منه .

(قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾) تواضع

الطالب لشيخه .

(﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾) نصيحة الشيخ لطالبه .

(﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾) بيان العلة في سبب عدم صبره؛ لأنه قد

يقول لك: لا، أنا أستطيع، فأشار إليه أنه ستأتي أمور قد لا يتحمل رؤيتها .

(﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾) ربط الأمور المستقبلية

بالمشيئة، وقد حصل عدم الاستثناء من سليمان عَلَيْهِ السَّلَام فلم يحصل على ما عزم عليه، فالاستثناء شأنه عظيم، إن كان في الإيمان لم يلحق صاحبها الحنث إن قدر عليه ترك اليمين ونحو ذلك، وإن كان في المستقبل ربطه بمشيئة الله، عسى أن يكون دركاً له في حاجته .

لكن بعض الناس يدخلون الاستثناء في كل شيء، ما اسمك؟ قال: محمد إن شاء

الله، من أين أنت؟ قال: من القاهرة إن شاء الله؟ الاستثناء يكون في أمور مستقبلية .

(قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: ﴿إِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾) . قَالَ:

نَعَمْ) الاشتراط، للشيخ أن يشترط على طالبه، فإذا ارتضى الشرط الذي لا يخالف الكتاب والسنة تعين الوفاء به .

(﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾) من العموم الذي يراد به الخصوص، يعني في الأمور التي

نهينا عن سؤالك فيها .

(فَعَرَفُوا الْخَضِرَ) رجل صالح، (فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ) يعني بغير إيجار .

(فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَابِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ) كسره، أزاله من مكانه .

(﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾) : أمراً منكراً عظيماً .

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾) فيه فضيلة الاعتذار، وفيه قبول العذر؛ لأن النبي ﷺ يقول: «ملكك فأسجح»، لا يصلح من المخطئ أن لا يعتذر، ولا يصلح ممن أخطئ عليه أن لا يعذر، يقول: لا أقبل منك شيئاً، إلا إذا تجاوز مجاوزة، العذر فيها ليس بإصلاح وإنما يكون من باب الإفساد أو نحو ذلك.

(فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَابِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ...) هذه إشارة إلى أقدار الله، كم من أمور تقع علينا ما ندري بالمصالح فيها، ربما يموت لك ولد وأنت تتحسر على هذا الولد، وتندم عليه، وتبكي عليه، وكان قبضه خير لك، وربما تبكي أو تتألم على أمر فاتك من مال أو جاه أو حصل عليك نوع مصيبة تتدمر منها، وكان في هذه المصيبة نوع خير لك، أنت ما تدري أين الخير، فكم من أمور حدثت وتحدثت على الإنسان ويتألم منها والخيرية فيها، لكن الخيرية بعد، وربما لا يشعر المسلم أن هذه خيرية.

فهؤلاء أصحاب السفينة ربما لا يعلمون أن في هذا خير، وحتى بعد أن تركهم الملك الله أعلم علموا أن الخيرية كان فيما فعله الخضر أو لم يعلموا. فهكذا نبقي نتألم من أمور تحدثت علينا والخير فيما حدث، قد يحدث أمر الحمد لله الذي جعله دون ما كان سيؤدي إليه.

(فَانْطَلَقَا، حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا يَلْعُبُونَ، قَالَ: فَاَنْطَلَقَ إِلَى أَحَدِهِمْ بِأَدْيِ الرَّأْيِ فَقَتَلَهُ) بأمر الله عزَّ وجلَّ له.

(فَدُعِرَ عَنْدَهَا مُوسَى) خاف وفزع من هذا الأمر لأنه أشد من الأول. ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾) يعني هذه أعظم من الأولى، كسر خشبة تألم منها، لكن قلع الرأس كان أشد، وسبحان الله الحق أنه صبر ووفى، وإلا ربما يغضب من هذه القتلة.

وهذه مسألة قد اختلف فيها العلماء مسألة الغلام هل كان بالغاً أو دون البلوغ؟ فإن كان دون البلوغ هل كان كافراً أم ليس بكافر؛ لأن الذين قالوا: كان دون البلوغ قالوا:

لا، قالوا: إذا قُلتُم بأنه دون البلوغ يلزمكم أن الله ظالم، كيف يعذب طفلاً وهو ليس بمكلف؟ فقال قوم: هو دون البلوغ، لكن مستثنى من عموم الأطفال، هذا قول غير صحيح، بعيد.

وقال قوم: كان دون البلوغ، لكن لو عاش سيكون كافراً، معناه أنه قبض على الإسلام.

وقال قوم: بل المراد أنه فوق البلوغ، والغلام قد يطلق على فوق البلوغ، كما يقال في حق النبي ﷺ قال طارق المحاربي: هذا غلام عبد المطلب، وكان في الأربعين بعد أن بُعث إليه وأُرسِل إليه.

واستدل هؤلاء منهم الطحاوي بقول موسى: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ على أنه كان غلاماً قد بلغ، قالوا: لو كان دون البلوغ لا يجوز قتله، ولا يقام عليه الحد، لكن تضمن عاقلته، فهنا موسى يقوله: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.

والمسألة تعود إلى قولين:

القول الأول: بأنه مخصوص من الأطفال، هذا قول بعيد.

القول الثاني: أنه كان كافراً قبل البلوغ، هذا قول بعيد، مع أن ابن القيم يذكر أنه قد يكون كافراً، لكن في الحكم، حتى يعرب عنه ولسانه، ويختبر يوم القيامة، هذا قول الذين جوزوا كفره قبل البلوغ، أنه يختبر يوم القيامة، وليس معناه أن الله يدخله النار قبل ذلك.

بقي معنا قولان:

القول الأول: أنه دون البلوغ، وليس بكافر، إنما لو عاش لكان كافراً.

القول الثاني: أنه فوق البلوغ، والاستدلال بهذه ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾.

ولي مبحثان في هذه المسألة: الأولى: (فتح البر في بيان حكم الغلام الذي قتله الخضر)، والثانية: (الذيل على فتح البر)، وذلك أن مجموعة في نيجيريا كفر بعضهم بعضا من أجل هذه المسألة، فبيناهم أن المسألة ليس فيها تكفير، هناك أربعة أقوال لأهل العلم، من قال بأي قول منها إن شاء الله ليس فيه طعن في الله، ولا مخالفة لكتاب الله، لكن أقرب الأقوال ما ذكرناه لكم:

الأول: أنه دون البلوغ، ومات على الإسلام، إنما لو عاش لكان كافرا؛ لما سيأتي في قراءة أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثاني: أنه فوق البلوغ، وإنما أطلق عليه غلام؛ لأن هذا السن يطلق عليه غلام، ولا إشكال، إذا قلنا أنه فوق البلوغ؛ لأنه مكلف، ويؤاخذ بجريمته لكن لو قلنا دون البلوغ معناها أنه ليس بكافر، رَحِمَهُ اللَّهُ، ورحم أبويه منه، رَحِمَهُ اللَّهُ لأنه مات قبل أن يكفر، ورحم أبويه منه؛ حتى لا يقع لهم الفتنة.

(﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَدِّقْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾) هذا كما يقال: فلان يعرف على نفسه، فموسى عَلَيْهِ السَّلَام حكم على نفسه، يعني إذا كان ما تحمل الصبر في ثلاث ربما لا يستطيع التحمل فيما بعدها.

(﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾) مدينة، أو قرية من القرى، سكان البحر. (﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾) مال، بعضهم استدل بهذه الآية على المجاز، والصحيح أن لا مجاز؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يجعل الإرادة فيما شاء من مخلوقاته.

(﴿قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ﴾) آية من آيات الله.

(﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾) الوفاء بالشرط.

(﴿سَأْنَبْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾) رفع الإشكالات ودفعها.

(وَكَانَ يَقْرَأُ: أَمَامَهُمْ) يعني وراءهم معناها أمامهم.

(قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: وَكَانَ يَقْرَأُ: (أَمَّا مَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا) هذا

تفسير وبيان.

(وَكَانَ يَقْرَأُ: (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا) يعني هذا رواية، وسيأتي أنه طبع كافر ولو

عاش.

المهم أن القول في الغلام على ما ذكرته في الأوجه المذكورة؛ حتى لا يقع الإنسان

في اللبس.

وهذا الغلام حين مات، أكيد بكته أمه، وحزن عليه أبوه، وأخلفهما الله، لكن هل علما أن هذا خلف من الله من أجل ذلك الغلام؟ ربما لم يعلما، فربما حزنا وندما وبكيا على الغلام، مع وجود العوض عنه، ويبقى الإنسان متألما، ما يدري أن في ذلك رحمة له.

فهذا علم القدر، إذا أردت أن تتبين علم القدر فانظر في هذه الأحداث التي سقت لنا في هذا الباب، رب مصيبة تدفع أعظم منها، رب محبوب العطب فيه فيسلمك الله عز وجل، رب مسيء الإحسان إليه رحمة، والإحسان إليه إحسان يعني بسبب فعل سابق، كما أحسن إلى هؤلاء بسبب صلاح أبيهما رَحْمَةُ اللَّهِ.

(رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى) استدلل العلماء بهذا الحديث على أن الإنسان إذا أراد أن يدعو لنفسه ولغيره أن يبدأ بنفسه.

وفي آخر الآية قال: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [سورة الكهف: ٨٢]، خفت؛ لتخفيف الأمر، يعني بعد أن اطلع على هذه الأمور رأى أنها أمور يسيرة، لكن لما تلاحظها قبل أن تطلع على عاقبتها وعلى الحكمة منها تشاهد أموراً عظيمة.

قال النووي رَحْمَةُ اللَّهِ: جُمُهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ مَوْجُودٌ بَيْنَ أَظْهَرِنَا، وَذَلِكَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ، وَأَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَحِكَايَاتُهُمْ فِي رُؤْيَاهِ وَالْإِجْتِمَاعِ بِهِ

وَالْأَخَذَ عَنْهُ وَسُؤَالِهِ وَجَوَابِهِ وَوُجُودِهِ فِي الْمَوَاضِعِ الشَّرِيفَةِ وَمَوَاطِنِ الْخَيْرِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ، وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُسْتَرَ. اهـ

أقول هذا قول باطل ما هو إلا جمهور الصوفية، أما جمهورهم علماء الشريعة فهم على أنه ميت، وقد ذكر ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: أنه لا يصح حديث في حياة الخضر. فلا يلتفت إلى هذه الكثرة، بسبب وساوس، بسبب ماخوليا، بسبب عقائد فاسدة يتخيلون خضرًا؛ لأن عندهم عقيدة: إذا لقوا مجذوبا في قمامة أو شبهه مجنون عندهم هذا هو الخضر، يعني قد رُفِعَ عنه التكليف، وإذا رأوا طيفا: هذا مرور الخضر، وإذا شعروا بقشعريرة: قرب الخضر، والشیطان يتلبس بهم، فالصحيح أن الخضر ميت، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٤]، **فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ** قد أماته وقبضه.

وسمي الخضر؛ لأنه جلس فروة على الأرض، فصارت خضراء. وفي هذا الحديث إثبات كرامات الأولياء، وآيات الأنبياء، فكرامات الأولياء هي في حق الأنبياء آيات. وفي هذا الحديث الحكم بالظاهر حتى يظهر خلافه، فإن موسى أنكر على خضر **عَلَيْهِ السَّلَامُ** قتل الصبي.

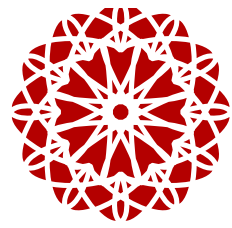
وفي هذا الحديث العمل بالأسباب، فالخضر ينام، وموسى يأكل، ونحو ذلك. **قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ**: قَوْلُهُ: ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ قُرِئَ فِي السَّبْعِ (زَاكِیَّةً) وَ(زَكِيَّةً) قَالُوا: وَمَعْنَاهُ طَاهِرَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ. وَقَوْلُهُ: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [سورة الكهف: ٧٤] أَيْ بِغَيْرِ قِصَاصٍ لَكَ عَلَيْهَا. وَالنُّكْرُ: الْمُنْكَرُ، وَقُرِئَ فِي السَّبْعِ بِإِسْكَانِ الْكَافِ وَضَمِّهَا، وَالْأَكْثَرُونَ بِالِإِسْكَانِ. **قَالَ الْعُلَمَاءُ**: وَقَوْلُهُ: إِذَا غَلَامٌ يَلْعَبُ فَقْتَلْهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ صَبِيًّا لَيْسَ بِبَالِغٍ؛ لِأَنَّهُ حَقِيقَةُ الْغَلَامِ، وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِالِغَا. وَرَعَمَتْ طَائِفَةٌ أَنَّهُ كَانَ بِالِغَا يَعْمَلُ

بِالْفَسَادِ، وَاحْتَجَّتْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [سورة الكهف: ٧٤]، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ مِمَّنْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْقِصَاصُ، وَالصَّبِيُّ لَا قِصَاصَ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ: (كَانَ كَافِرًا) فِي قِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا ذَكَرَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ، وَالْجَوَابُ عَنِ الْأَوَّلِ مِنْ وَجْهَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمُرَادَ التَّنْبِيهَ عَلَى أَنَّهُ قَتَلَ بِغَيْرِ حَقٍّ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّ شَرْعَهُمْ كَانَ إِجَابَ الْقِصَاصِ عَلَى الصَّبِيِّ. اهـ
 أقول: هذا لا يكون؛ لأن هناك أمور تتفق عليها الشرائع، مثل أمور التكليف، والإيمان، وهناك فوائد ذكرها النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ**، هذا أهم ما أردنا التنبيه عليه في هذا الحديث العظيم.

انتهيت من كتاب فضائل النبي ﷺ وما دخل فيه من الأبواب في الأربعاء، الثامن من جمادى الأولى لعام خمسة وأربعين وأربعمائة وألف، والله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة، ويليه كتاب فضائل الصحابة، ونسأل الله العون والسداد، وإليه المرجع والمآب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



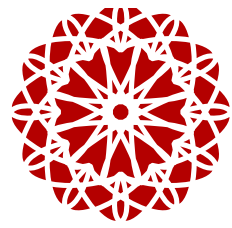


کتاب فضائل الصحابة

الإمام

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ

أولاً: الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك ولو تخللت ردة على الصحيح، وتعرف الصحبة بأمور ذكرها الحافظ ابن حجر في مقدمة "الإصابة" (١/ ١٥٨) حيث قال: فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى. اهـ

قال الحافظ ابن حجر في "الإصابة": الفصل الثاني في الطريق إلى معرفة كون الشخص صحابياً

وذلك بأشياء: أولها أن يثبت بطريق التواتر أنه صحابي، ثم بالاستفاضة والشهرة، ثم بأن يروى عن آحاد

(١) من الصحابة أن فلانا له صحبة مثلاً، وكذا عن آحاد التابعين، بناء على قبول التزكية من واحد، وهو الراجح ثم بأن يقول هو إذا كان ثابت العدالة والمعاصرة: أنا صحابي.

أما الشرط الأول - وهو العدالة - فجزم به الآمدي وغيره، لأن قوله قبل أن تثبت عدالته: أنا صحابي أو ما يقوم مقام ذلك - يلزم من قبول قوله إثبات عدالته، لأن الصحابة كلهم عدول، فيصير

(٢) بمنزلة قول القائل: أنا عدل، وذلك لا يقبل.

وأما الشرط الثاني - وهو المعاصرة - فيعتبر بمضي مائة سنة وعشر سنين من هجرة.

(٣) النبي ﷺ، لقوله ﷺ في آخر عمره لأصحابه: «أرأيتمكم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد». رواه البخاري، ومسلم من حديث ابن عمر.

زاد مسلم من حديث جابر أن ذلك كان قبل موته ﷺ بشهر. ولفظه: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: «أقسم بالله، ما على الأرض من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يؤمئذ» ولهذه النكتة لم يصدق الأئمة أحدا ادعى الصحبة بعد الغاية المذكورة. وقد ادعاها جماعة فكذبوا، وكان آخرهم رتن الهندي على ما سذكر تراجمهم كلهم في القسم الرابع، لأن الظاهر كذبهم في دعواهم على ما قررته.

ثم من لم يعرف حاله إلا من جهة نفسه فمقتضى كلام الآمدي الذي سبق ومن تبعه ألا تثبت صحبته. ونقل أبو الحسن بن القطان فيه الخلاف ورجح عدم الثبوت. وأما ابن عبد البر فجزم بالقبول بناء على أن الظاهر سلامته من الجرح، وقوي ذلك بتصرف أئمة الحديث في تخريجهم أحاديث هذا الضرب في مسانيدهم. ولا ريب في انحطاط رتبة من هذا سبيله عن مضي. ومن صور هذا الضرب أن يقول التابعي: أخبرني فلان. [مثلا]:

(١) أنه سمع النبي ﷺ يقول، سواء أسماء أم لا. أما إذا قال أخبرني رجل، مثلا عن النبي ﷺ بكذا فثبوت الصحبة بذلك بعيد، لاحتمال الإرسال. ويحتمل التفرقة بين أن يكون القائل من كبار التابعين، فيرجح القبول، أو صغارهم فيرجح الرد. ومع ذلك فلم يتوقف من صنف في الصحابة في إخراج من هذا سبيله في كتبهم. والله تعالى أعلم.

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتعين الكلام في فضائلهم لأمر عدة:

الأول: أن الله عَزَّوَجَلَّ أوجب علينا محبتهم.

الثاني: أن الله بين في كتابه ورسوله ﷺ بين في سنته كثيرا من فضائلهم، وأثنى عليهم.

الثالث: الاستغفار لهم، والترضي عنهم، والدعاء لهم.

الرابع: الكف فيما شجر بينهم.

الخامس: الدفاع عنهم.

السادس: البيان لمنزلتهم في العلم والعمل؛ ليقْتدى ويتأسى بهم.

السابع: أنهم السلف الكرام، والأئمة الأعلام، الذين اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ لنصرة نبيه، ونصر بهم الإسلام.

الثامن: للرد على أهل البدع الذين يبغضونهم ويحذرون منهم، ويزدرونهم والدفاع عنهم، من باب قول النبي ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، وإذا كان هذا في آحاد المسلمين فكيف بأئمة الدين؟ الذين الدفاع عنهم دفاع عن العقيدة والملة والشريعة، والطعن فيهم طعن في الله عَزَّوَجَلَّ، وطعن في رسوله صل الله عليه وسلم، وطعن في كتابه، وطعن في ملته.

ولذلك كفر الله عَزَّوَجَلَّ من كفرهم، ومن طعن فيهم لديانتهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَيْلَهُمْ وَعَائِلَتُهُمْ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۚ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٦٥-٦٦] وهؤلاء إنما هم قوم قالوا: ما رأينا أسمن بطونا ولا أجبن عند اللقاء من أصحاب محمد ﷺ، فكيف بمن كفر أبا بكر وعمر وعثمان وطعن في أم المؤمنين بما برأها الله عَزَّوَجَلَّ منه في كتابه الكريم؟ إلى غير ذلك.

فإن الطعن فيهم سيماء المنافقين، وديدن الكافرين، والرضا عنهم سبيل المؤمنين، في كل عصر وحين، ولهذا اهتم العلماء بالكتابة في فضائلهم، بين مطول ومختصر، وبين مضمن ومفرد، وبينوا ما لهم من الحقوق، وما لهم من المنازل؛ لأن الطعن فيهم كما قال بعض السلف: إنما الطاعن فيهم يريد الطعن في الدين، فما وجد سبيلا إلى ذلك فاتهم صحابة النبي الأمين محمد ﷺ بالخيانة والتغيير والتبديل.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢٧٥٤٣)، عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فُبِحَ مَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ، وَمَنْ كَانَ هَذَا طَرِيقَهُ، وَقَدْ اشتهر به الرافضة والباطنية ومن تشعب عنهم، ومبدؤهم عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي جعل النقمة على الصحابة والتحذير منهم سبيلاً لمحبة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخذوا قاعدة باطلة مخالفة للكتاب والسنة، وللمعقول والمنقول، والثابت من الأصول، حيث قالوا: لا ولاء إلا لبراء، بمعنى: من كان موالياً لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعمر فهو متبرئ من علي رضي الله، ومن كان موالياً لعلي بن أبي طالب فيلزمه البراءة من أبي بكر وعمر.

وهذا مذهب رديء، بل جميعهم أولياء الله، وأولياء للمؤمنين، يحبون لمحبة الله لهم، ولمحبة رسول الله ﷺ لهم، ولرضى الله عنهم، ولرضى رسول الله ﷺ عنهم، بُشرو بالجنة ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، أنفقوا الأموال، وبذلوا المَهَج، وهجروا الأوطان؛ نصرة للنبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والثناء عليهم في القرآن في مواطن، فهم السابقون الذين قال الله عنهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١١٠﴾، وهم الذين قال الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٢٩﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

وهم الذين قال الله عنهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ١٨﴾، وهم الذين قال الله عَزَّ وَجَلَّ محذراً من مخالفتهم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ١١٥﴾ [سورة النساء: ١١٥]، وهم

الذين أمر الله بالإيمان على طريقهم: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٣٧].

وكل آية فيها مدح المؤمنين فالصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** يدخلون فيها ابتداء؛ لأنهم هم المؤمنون ظاهراً باطناً، حققوا هذا الباب، ودعوا إليه، وبذلوا فيه، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة التوبة: ٢٠].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقد قال ابن عباس: هم الصحابة، أخرجه أحمد، وعلى القول بعمومها فهم يدخلون في معناها دخولاً أولياً.

وهكذا تتلمذوا على رسول الله ﷺ، وصلوا خلفه، ودعا لهم ورضي عنهم، وقدموا المهج، فلا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بغير الجميل فهو على غير السبيل.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريير المجامع
فهؤلاء هم الأسوة والقودة، إن تحدثنا عن العلم فهم أعلم الأمة، وإن تحدثنا عن الفقه فهم أفقه الأمة، وإن تحدثنا عن سلامة الصدور فلا أسلم من صدورهم، وإن تحدثنا عن الشجاعة فهم أهلها وأبطالها، وإن تحدثنا عن الزهد فهم ذروة الزاهدين وإن تحدثنا عن المسارعة فما دونهم محسر، ومن فوقهم مقصر، وهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم، وما من باب نتحدث فيه إلا وهم المقدمون فيه، في النفقات، في البذل والأعطيات، وفي الورع والزهديات.

وإنما رُفعت الأمة حين أخذت بسيرهم، واقتفت آثارهم، ولحقها الذل والهوان حين ابتعدوا عن طريقهم وسبيلهم، فلا عز للإسلام وأهل الإسلام إلا بالعودة إلى ما كان عليه الصحابة الكرام، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ

قَبْلَ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاكَ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتَلَوْا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ ﴿١٠﴾
[سورة الحديد: ١٠].

فإذا كان لا يستوي من آمن بعد الحديبية مع من آمن قبل الحديبية فكيف بمن آمن في آخر الزمان؟ ويأتي الرافضة اللئام، والباطنية أشباه الأنعام، ويطعنون فيهم ويحذرون منهم، ويسفهونهم، وهكذا النواصب الذين نصبوا العداء لآل البيت الصالحين، وهكذا الخوارج الذين كفروا الصحابة، وقتلوا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن جميع الصحابة.

فحبهم إيمان؛ لقول رسول الله ﷺ: «لا يحبهم إلا مؤمن» وبغضهم نفاق؛ لقول النبي ﷺ: «لا يبغضهم إلا منافق»، «من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»، فاشهدوا على الرافضة والباطنية ببغض الله لهم وأنتم في قرارة بال وطمأنينة حال؛ لقول النبي ﷺ الذي سقناه.

فالصحابة يتعين سلامة الصدور تجاههم، حتى نُهي الناس عن الخوض فيما جرى بينهم؛ وذلك حتى لا يقع في الصدور إيغار على أحدهم، وما وقعوا فيه من ذنب تابوا منه، أو كانوا متأولين فيه، أو لهم حسنات سابقات لا تتأثر بمثل هذا الشيء الذي وقعوا فيه، كما قال النبي ﷺ لعمر: «لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ إِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ»^(١).

وقد قلت في "منظومة الزعكرية في مهمات العقيدة":

وَحُبُّ صَحْبٍ لِلرَّسُولِ وَاجِبٌ يُبْغِضُهُمْ مُنَافِقٌ مُّجَانِبٌ
قَدْ عَاشُوا التَّنْزِيلَ وَالْقُرْآنَا وَفَضَّلَهُمْ وَخَيْرُهُمْ قَدْ بَانَ
فَضَّلَهُمْ رَبِّي عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَهُمْ حَقِيقٌ حَيْثُ أَبْلَوْا جُهْدَهُمْ

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٢٩١٥)، ومسلم حديث رقم: (٢٤٩٤)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَتَوْبَةٍ صَادِقَةٍ مِنَ الزَّلَلِ
صَاحِبُهُ فِي الْغَارِ وَالْعَتِيقُ
لَهُ مَنَاقِبٌ لَنَا فِيهَا عِبَرُ
أَبْلَى بَلَاءٍ لَنْ تَرَى مَثِيلًا
صَهْرُ الرَّسُولِ سَالِكُ سَبِيلِهِ
كَرِيمٌ طَبَعَ كَانَ ذَا النُّورَيْنِ
أَبُو تَرَابٍ يَا لَهَا مِنْ بُشْرَى
قَدْ صَحَّ هَذَا عَنْ طَرِيقِ السُّنَّةِ
خَيْرُ الصَّحَابِ وَالثَّقَاتِ الْبِرَّةِ
وَطَلْحَةُ أَفْعَالُهُ رَشِيدُهُ
بِجَنَّةٍ جَمِيعُهُمْ قَدْ ظَفِرُوا
وَقَذَفُهَا كُفْرٌ بِغَيْرِ رِيبَةٍ
مُهَاجِرِينَ ثُمَّ مِنْ أَنْصَارِ
أَخْصَ مِنْهُمْ صَالِحًا قَدْ اقْتَفَى
وَحَقُّ كُلِّ صَاحِبٍ فِي تَرْجَمَةٍ
فَضْلُهُمْ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ
مَنْهَجُهُمْ هُوَ الطَّرِيقُ الصَّائِبُ
مُسَطَّرٌ بِأَجْمَلِ الْأَثَارِ
فَاحْذَرْ هُدَيْتَ ذَا سَبِيلٍ مَاحِقُ

فَأَخْلَصُوا قَوْلًا وَفِعْلًا مَعَ عَمَلٍ
أَعْلَاهُمْ فَضْلًا هُوَ الصَّدِيقُ
يَلِيهِ فِي الْفَضْلِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ
قَدْ وَافَقَ الْقُرْآنَ وَالتَّنْزِيلَ
ثَالِثُهُمْ عُثْمَانُ فِي الْفَضِيلَةِ
مِنَ النَّبِيِّ زَوْجَ بَابِنَتَيْنِ
رَابِعُهُمْ خَيْرًا وَفَضْلًا طُرًّا
ابْنَاهُ سَيِّدَا شَبَابِ الْجَنَّةِ
تَمَامُهُمْ فِي الْفَضْلِ أَعْنِي الْعَشَرَةَ
سَعْدُ سَعِيدٌ وَأَبُو عُبَيْدٍ
ثُمَّ الزُّبَيْرُ وَابْنُ عَوْفٍ بُشُرُوا
عَائِشَةُ فِي الْفَضْلِ مَعَ خَدِيجَةَ
بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ الْأَخْيَارِ
وَمِثْلُهُ حَقٌّ لِآلِ الْمُصْطَفَى
سَيِّدَةُ النِّسَاءِ أَعْنِي فَاطِمَةُ
لَا يُذَكَّرُونَ بِسِوَى الْجَمِيلِ
وَحُبُّهُمْ فَرَضٌ عَلَيْنَا وَاجِبُ
أَزْكَى الْوَرَى شَهَادَةُ الْمُخْتَارِ
يُبْغِضُهُمْ رُؤُوفُضُ مُنَافِقُ

وَاحْدَزَ مِنَ الْغُلُوِّ فِي الْأَفَاضِلِ طَرِيقُ صُوفِيٍّ قَبِيحٍ عَاطِلٍ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مَنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي.

بدأ به؛ لأنه أفضل الصحابة، وأول الصحابة إسلاماً، وأكثر الصحابة إقداماً، وأكثر الصحابة إنفاقاً، وأكثر الصحابة مسارعة إلى خير، وألزم الصحابة لرسول الله صل الله عليه وسلم، وأتقى الصحابة لربه، بشره الله بقوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ ❶ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ❷ [سورة الليل: ٢٠-٢١]، بإجماع المفسرين أنها في أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بشره رسول الله ﷺ بالجنة من أي باب شاء.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ - (٢٣٨١) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ حَدَّثَهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِأَتَيْنِ اللَّهَ تَالِثُهُمَا» ❶.

وأنزل الله في شأنهم: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٢٥].

وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحق الصحابة بالخلافة؛ لأن النبي ﷺ قدمه يصلي بهم في حياته، فكان هو المقدم للصلاة بهم، ولإمامتهم بعد موته، ولأن الصحابة رَضُوا بِاللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أجمعوا على ذلك.

وقد اختلف العلماء هل كانت خلافته نصاً أم إشارة؟ والصحيح أنها نص غير جلي؛ لقوله ﷺ لتلك المرأة: «إِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»، «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ، فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ»، «ادْعُوا لِي أَبَاكَ وَأَخَاكَ حَتَّى أَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ، وَيَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ عَزَّجَلَّ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ».

(نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ) وهذا حين الهجرة إلى مدينة النبي ﷺ، حيث خرجوا إلى غار ثور، وهو جنوب مكة على جبل ثور، وهو الجبل الذي يسار بطحاء قريش وأنت متجه إلى طريق الطائف، أو يمين بطحاء قريش وأنت متجه إلى الحرم، خلف حي الهجرة الآن.

(فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ)؛ لأنهم على الغار، وعمى الله عليهم، وأما قصة الحمامة والعنكبوت فلا تثبت.

(فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا) فمن كان الله معه دافع عنه، وأعلى درجته، وسلمه من بطش أعدائه ومكرهم.

وهذا الحديث فيه تثبيت للمؤمنين، فالذي حفظ الدين وما بين المشركين وبين أن يقضوا على حملته إلا أن ينظر أحدهم تحت قدميه سيحفظ الدين، وقد كثر المسلمون، وإن تمالاً على هذا الدين من تمالاً، ومكر به من مكر، وأراد به الشر من أراد.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢ - (٢٣٨٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا مَعْنٌ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «عَبْدُ خَيْرِهِ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةُ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا

عِنْدَهُ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، لَا تُبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةً إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ»^(١).

٢ - (٢٣٨٢) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ سَالِمِ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ وَبُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمًا، بِمِثْلِ حَدِيثِ مَالِكٍ.

(جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ) ولا يلزم أن يكون هذا في الجمعة، فإن النبي ﷺ اتخذ المنبر ليحدث الناس عليه وهو جالس كأنه قائم، كما في بعض الروايات.
(عَبْدٌ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةُ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ) لأن زهرة الدنيا ونضارتها فانية غير باقية.

(فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى) يعني بكى وتابع البكاء.
(فَدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا) فيه تفدية النبي ﷺ بالآباء والأمهات ويجوز أن يفدى بالنفس، وقد فُدِّيَ غيره.

(وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ) فهذه شهادة أن أبا بكر عالم، وأعلم الصحابة على الإطلاق بمراد الله ومراد رسوله ﷺ، النبي ﷺ يحدثهم وهم يظنون أن التحديث عن عبد من عباد الله السابقين، أو من عباد الله اللاحقين، وما كان الظن أنه رسول الله ﷺ، ولكن أبا بكر فهم ذلك وعلمه من سياقة الكلام وسياقة الحال.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٦٦).

(إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ) لكثرة ما أنفق من أمواله، حتى جاء أنه أنفق أربعين ألف دينار، أموال كثيرة، شرى بها العبيد، وأعتقهم في ذات الله، وأسلم على يديه سبعة من البشرين بالجنة، دعك من غيرهم.

(وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا) والخلة صافي المحبة.

(لَا تَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا) لفضيلته ومنزلته عند رسول الله ﷺ.

(وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ) لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

والسبب أن الله اتخذ محمدا خليلا كما في بعض الروايات، فثبتت الخلة لرسول الله ﷺ بالسنة، وثبتت الخلة لإبراهيم بالقرآن.

(لَا تُبْقِنَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةً إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ) الخوخة هي الباب الصغير الذي يدخل منه إلى المسجد، وهذه إشارة إلى أن أبا بكر هو الذي سيكون إمام المسلمين بعد النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣ - (٢٣٨٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي الْهَدَيْلِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا».

٤ - (٢٣٨٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي أَحَدًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ».

٥ - (٢٣٨٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ

حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَيْسٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا».

٦ - (٢٣٨٣) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ وَاصِلِ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهَذِيلِ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ».

٧ - (٢٣٨٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكَيْعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ كُلُّهُمُ عَنِ الْأَعْمَشِ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُمَا، قَالَا: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلٍّ مِنْ خَلِّهِ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ».

(وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي) الله أكبر ما أعظم هذه الشهادة (أَخِي وَصَاحِبِي)، فقد تكون أخا لا صاحبا، وقد تكون صاحبا لا أخا، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع له بينهما أخ للنبي ﷺ وصاحب، يخرج معه، ويدخل معه، يجالسه ويؤانسه، ويواسيه، وينصره، ويدافع عنه، ما أعظم هذا! أن يكون للإنسان أخ وصاحب.

(وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا) أي محمد ﷺ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٨ - (٢٣٨٤) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي عُمَانَ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، قُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ»، فَعَدَّ رَجُلًا (١).

(يحيى بن يحيى) هو التميمي النيسابوري.

(خالد بن عبد الله) الطحان، (عن خالد) بن مهران الحذاء.

(أبو عثمان) النهدي، عبد الرحمن بن مُلٍّ، مخضرم.

(عمرو بن العاص) بن وائل، أبو محمد القرشي.

(ذَاتِ السَّلَاسِلِ) قيل: سميت بذات السلاسل؛ لأن الروم كانوا على هيئة السلسلة،

وقالوا: بأنهم قيدوا أنفسهم بالسلاسل حتى لا يقع منهم الفرار.

(أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟) يعني لأنه كان يراه ويتسم له، وجعله قائدا، وفي الصحابة

من هو أقدم منه، فظن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه المحبوب، والنبى ﷺ ربما كان يتسم لكثير من أصحابه، ويعاملهم المعاملة الحسنة، فيظن كل أحد أنه المقدم.

ولم يذكره منهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مع أنه من صحابة النبى الكرام، ومن الأئمة الأعلام، لا

يُذكر إلا بالجميل، سواء أبو بكر أو عمرو، كلاهما على خير وسنة، إلا أن أبا بكر أفضل وأعلم وأقدم.

وفي هذا الحديث فضيلة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وسيأتي، وفضيلة أبيها، وفضيلة عمر

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهؤلاء يذكرون كثيرا، أفي القوم محمد؟ أفي القوم أبو بكر؟ أفي القوم عمر؟ حتى

قال رَحِمَهُ اللهُ:

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

(عَبَادُ بْنُ مُوسَى) الختلى، ثقة.

(۱) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (۳۶۵۹).

هذه إشارة إلى خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد رسول الله ﷺ؛ لأن الخليفة هو الذي يقوم بشأن من قبله، ويؤدي عهده، ويقضي عنه وعده، إلى غير ذلك. وفيه فضيلة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث أحال إليه النبي ﷺ دون غيره من أصحابه. قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١ - (٢٣٨٧) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنِ الرَّهْزِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكَ وَأَخَاكَ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّيَ مُتَمَنٍّ وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْتِيَ اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ».

(عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ) بن يحيى الرخسي، ثقة مأمون سني، قال ابن حبان: وهو الذي أظهر السنة برخس ودعا الناس إليها.

هذا الحديث هو الحكم في أن ما أراد النبي ﷺ أن يكتبه في حديث ابن عباس وقال عمر: دعوا النبي ﷺ، ثم قال النبي ﷺ: «دعوني ما أنا فيه خير مما أنتم فيه»، أراد أن يكتب الاستخلاف لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم ترك الأمر على حاله، (وَيَأْتِيَ اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ) وقد كان.

ولو أراد النبي ﷺ كتابة الكتاب كما عزم فقد عاش بعد ذلك ثلاثة أيام، كما ذكر أهل العلم، كان باستطاعته أن يدعوهم مرة أخرى، ومع ذلك قال في آخر الحديث: «أَوْصِيَكُمْ بِثَلَاثٍ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أَجِيزُهُمْ» وترك سعيد أو نسي الثالثة.

فالشاهد أن حديث ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس لا مطعن فيه لا في أبي بكر ولا في عمر، والمراد بالكتابة هي كتابة العهد لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفيه الوصية لمرض الموت، والمرض المخيف. وفيه دعوة من يوصى له إن أحب ذلك، والإشهاد على ذلك.

وفيه أن الناس تتفاوت أمانيتهم، والمني المنضبطة ما كانت على وفق الشريعة. وفيه أن الأمانى لا أثر لها إن لم يكن ثمة عمل، فالإنسان قد يتمنى مالا، أو قد يتمنى جاها، وقد يتمنى ولدا، وقد يتمنى شيئا، فما كان من الأمانى بالطرق الصحيحة فلا حرج منه، وإن كان من أمانى باطلة فلا تجوز.

وقد ذكر عبد الرزاق في كتاب (الأمانى) وهو: أن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إني أعرف في وجه بني عبد المطلب الموت وقد رأيت في وجه النبي ﷺ ذلك، فهل لك أن ندخل عليه؟ فمنعه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يدخل عليه لسؤال الخلافة، قال: إن منعنيها والله لا نعطها أبدا، وكان من أصحاب الرأي الحازم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه. وفيه فضيلة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث أنه مرضي عند الله عَزَّ وَجَلَّ، وعند رسول الله ﷺ، وعند المؤمنين.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢ - (١٠٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْفَزَارِيُّ، عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا قَالَ: «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

(محمد بن أبي عمر المكي) هو العدني، صدوق، صنف المسند شيخ الحرم.

(أبو حازم) سليمان الأشجعي، ثقة، قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين.

(مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟) فيه فضيلة الصيام، والمبادرة إليه، التطوع، أما

الفرض فمتعين على الجميع.

(فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟) فيه فضيلة اتباع الجنائز، والصلاة عليها.

(فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟) فيه فضل إطعام المساكين، والإنفاق عليهم، والإعانة لهم، «ومن كان في عون أخيه كان الله في عونه».

(فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟) فيه فضيلة عيادة المريض، لا سيما المسلم، وغير المسلم يدعى إلى الخير والسنة والإسلام، كما فعل النبي ﷺ من عيادته لليهودي، وعيادته لعمه أبي طالب، وعيادته للرجل الأنصاري.

وفي هذا الحديث أن النية محلها القلب، وكذلك الإخلاص محلها القلب، ولا بأس أن يتحدث الرجل ببعض عمله إن سئل عنه، لا على التسمية أو العجب ولكن الإخبار بنعمة الله عليه، فهذا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخبر عن أربعة أعمال عظيمة قام بها في يومه، سأله عنها النبي ﷺ.

وهكذا جميع أيام السنة، ما من يوم إلا وفيه سبيل للخير، بل سبل، منذ أن يطلع الصباح إلى أن يأتي الليل، بل وفي الليل، فإن الله عَزَّجَلَّ قد نوع سبل الخير، منها العبادات اللازمة، ومنها العبادات المتعدية، ومنها الإحسان فيما بين العبد وبين الله، والإحسان فيما بين العباد أنفسهم.

هذا الحديث نرى الكثير يبادر إليه، لكن إذا أصبح صائما حرص على ما بقي وإن كان غير صائم ربما ما بالى بما جاء وما ذهب، وهنا نكتة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي العمل الذي أتى في فضله حديث إنما يؤجر عليه صاحبه ذلك الأجر إن عمله لله، وإن كان العمل لله من أجل الثواب أيضا لا بأس به، ومن المتعينات، ولذلك ذكرت فضائل الأعمال، لكن خلوص العمل لله عَزَّجَلَّ بحيث أن الإنسان يعمل علم بالفضل أم لم يعلم.

فبعض الناس مثلا لا يهتمه حضور تكبيرة الإحرام مجردة، لكن إذا سمع بحديث: «من شهد أربعين صلاة لم تفته تكبيرة الإحرام برئ من النفاق» فعند ذلك يحرص على

قال شيخ الإسلام في "الفتاوى الكبرى" (٦/ ٢٧٩): يذكر أن بعض الناس بلغه أنه من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، فأخلص في ظنه أربعين صباحا لينال الحكمة، فلم ينلها فشكا ذلك إلى بعض حكماء الدين فقال إنك لم تخلص لله سبحانه وإنما أخلصت للحكمة يعني أن الإخلاص لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إرادة وجهه فإذا حصل ذلك حصلت الحكمة تبعاً، فإذا كانت الحكمة هي المقصود ابتداء لم يقع الإخلاص لله سبحانه، وإنما وقع ما يظن أنه إخلاص لله سبحانه، وكذلك قوله - **ﷺ** - «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» فلو تواضع ليرفعه الله سبحانه لم يكن متواضعاً، فإنه يكون مقصوده الرفعة، وذلك ينافي التواضع، وهكذا إذا تزوجها ليطلقها كان مقصوده هو الطلاق، فلم يكن ما يقتضيه وهو النكاح مقصوداً فلم يكن اللفظ مطابقاً للقصد. اهـ

فشهود الجنازة مع الصيام، مع إطعام الطعام، مع عيادة المريض، من أفضل الأعمال، والنبي ﷺ قضى وحكم: (مَا اجْتَمَعَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ) لكن يكون هذا دأبه، يصوم، ويعود المريض، ويتبع الجنازة، ويطعم المسكين لقصد الطاعة.

فكثير منا سأل الله السلامة إذا لم يصبح صائماً لن يبحث عن مسكين، ولا سيبحث عن عيادة مريض، وإن تيسرت الجنازة اتبعها، وإلا جلس، لكن إذا أصبح صائماً وجاءت الجنازة بعد ذلك يذهب يبحث عن الشتين، فإذا هذا وإن كان عمله صالحاً إن أخلص فيه لكن ليس داخلاً في هذا الأجر بعينه، هذا الأجر بعينه لا يدخل فيه إلا من فعل هذه الأعمال الصالحة كما فعلها أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٣ - (٢٣٨٨) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ سَرْحٍ وَحَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى قَالَا: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُمَا سَمِعَا أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً لَهُ قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا التَّفَتُّ إِلَيْهِ الْبَقْرَةُ فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، وَلَكِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ - تَعَجُّبًا وَفَزَعًا - أَبَقْرَةُ تَكَلِّمُ؟» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الذُّبُّ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذُّبُّ فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ^(١)! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنِّي أَوْمِنُ بِذَلِكَ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»^(٢).

١٣ - (٢٣٨٨) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ قِصَّةَ الشَّاةِ وَالذُّبِّ، وَلَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ الْبَقْرَةِ.

١٣ - (٢٣٨٨) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَفِي حَدِيثِهِمَا ذِكْرُ الْبَقْرَةِ وَالشَّاةِ مَعًا، وَقَالَا فِي حَدِيثِهِمَا: «فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا نَمَّ».

(١) أي ذنب يتكلم.

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٣٢٤).

١٣ - (٢٣٨٨) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مِسْعَرٍ كِلَاهُمَا عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(أبو الطاهر، وحرمله بن يحيى، وابن وهب) كلهم مصريون.

(فَإِنِّي أُوْمِنُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا ثَمَّ) هذا دليل على فضيلة أبي بكر وعمر، وعلى حسن تصديقهما وإيمانهما، سواء أخبرهما رسول الله ﷺ بأمر من الأمور المعلومة أو الأمور التي هي من الدلائل والآيات، وذكر النبي ﷺ لهما دون غيرهما دليل على منزلتهما العلمية والعملية.

وهكذا في كثير من الأمور الرسول ﷺ يذكر أبا بكر وعمر، وسيأتي في فضائل عمر ما جاء عن علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): أنه كان يسمع النبي ﷺ كثيرا ما يقول: دخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخريت أنا وأبو بكر وعمر.

وهذا الكلام من البقرة والذئب هل هو إخبار عن أمر قد حصل في زمن ماضي أم كان إخبارا عن أمر سيأتي، والذي يظهر أنه في زمن ماضي؛ لأن الذئب قال: (مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي) وهذا إنما يكون في آخر الزمان كما هو مذكور في أشراط الساعة.

وقد حصل كلام بعض الحيوان مع بعض الإنسان، ومنه ما جاء عند النسائي في الكبرى (٨٠٥٧) في دلائل النبوة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً، فَأَرَادَ أَنْ يَرْكَبَهَا» فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِيُحْرَثَ عَلَيْنَا فَقَالَ مَنْ حَوْلَهُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «آمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا هُمَا ثَمَّ» قَالَ: «وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمٍ لَهُ، فَجَاءَ الذَّئْبُ فَأَخَذَ شَاةً مِنْهَا، فَتَبِعَهَا الرَّاعِي لِيَأْخُذَهَا» فَقَالَ الذَّئْبُ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي؟ فَقَالَ مَنْ حَوْلَهُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ» فَقَالَ: «آمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا ثَمَّ».

وروى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال ما سمعت عمر يقول لشيء قط إنني لأظنه كذا إلا كان كما يظن بينا عمر جالس إذ مر به رجل جميل فقال لقد أخطأ ظني أو أن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم على بالرجل فدعى له فقال له عمر لقد أخطأ ظني أو أنك على دينك في الجاهلية أو لقد كنت كاهنهم فقال ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم قال فإنني أعزم عليك إلا ما أخبرتني قال كنت كاهنهم في الجاهلية قال فما أعجب ما جاءتك به جنيتك قال بينا أنا في سوق يومًا جاءتنني أعرف فيها الفرع فقالت ... ألم تر إلى الجن وإبلاسها ... ويأسها بعد إبلاسها ولحوقها بالقلاص وأحلامها ...

قال عمر صدق بينا أنا قائم عند آلهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم اسمع قط صارخًا أشد صوتًا منه يقول يا جليح أمر نجيح رجل يصيح يقول لا إله إلا الله فوثب القوم فقلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى يا جليح أمر نجيح رجل يصيح يقول لا إله إلا الله قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى يا جليح أمر نجيح رجل يصيح يقول لا إله إلا الله فما نشبت أن قيل هذا نبي.

الشاهد من هذه الأحاديث التي ذكرت في هذا الباب وهي عبارة عن ثمانية: فضيلة لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وفضائله أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، ولو تأملت كتاب (فضائل الصحابة) للإمام أحمد بن حنبل، أو ما سطره الآجري في كتاب (الشرعة) في فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرأيت الكثير الطيب، وربما ساق البخاري أكثر من هذه الأحاديث.

فإن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدخل في أدلة عامة، دلت على فضيلة الصحابة أجمعين، أكتعين، أبصعين، ثم يدخل في أدلة دلت على فضيلة العشرة، وعلى فضيلة السابقين ثم يدخل في أدلة دلت على فضيلة من شهد بعض الغزوات، كغزوة بدر، وهكذا غزوة

الحديدية، ونحو ذلك من الغزوات، ثم يدخل في فضائل مستقلة، سواء كانت هذه الفضائل قد نص عليها أو تؤخذ بالاستنباط.

فإن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعلم الأمة بعد نبيها، بل ذكروا في ترجمته: أنها لم تؤثر عليه مخالفة لحديث من أحاديث النبي ﷺ، بل من عجيب شأنه أنه حين طولب بالميراث قال: أخشى أن غيرت شيئاً مما كان عليه النبي ﷺ أن أزيغ.

فأبو بكر آية من آيات الله العظيمة البينات، لو وُزن أبو بكر بمن بعده لوزنهم ورجح بهم، علماً وعملاً وانقياداً، وزهداً وورعاً، وذكرًا، وصلاةً وخشوعاً، وكم نتكلم في فضائل هذا الصحابي الجليل! المحبوب عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعند رسول الله ﷺ، وعند خلص المؤمنين.

وأما الرافضة اللئام لا التفات إلى بغضهم له، بل إن بغضهم له دليل على فضيلته ومنزلته، إذ أنهم لا يحبون إلا من كان على شاكلتهم، وعلى طريقتهم، وأما ما يدعونه من محبة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنما هي دعاوى، انتحلوها من أجل أن يغروا الناس به، وإلا فبعضهم يكفر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما فعل الحسن بن علي بن جابر الهبل لعنه الله فهو من الشيعة الغلاة، ومن الشعراء الذين صار شعرهم في البلاد اليمينية حتى قال قولا وبس ما قال:

العن أبا بكر الطاغى وثانيه والثالث الرجس عثمان بن عفانا
يارب فالعنهم والعن محبهم ولا تقم لهم في الحشر ميزانا
ثلاثتهم لهم في النار منزلة من تحت منزل فرعون وهامانا
لعنه الله، وقد فعل، فقد ذكروا: أن عند موته اسود لسانه، وتغير وجهه، وجعل يكفر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: هو الكافر، هو الذي تنازل عن حقه.

وهذا هو قول غلاتهم، وإنما يتزبون بحبه، وينتحلون، والحمد لله قد رد على الهبل غير واحد من علماء البلد اليميني، سواء من علماء الزيدية، أو من لم يكن زيدياً.

فإن سب الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** لم يكن مشتهراً في البلاد اليمنية، إلا بعد دخول الدعوة الرافضية، سواء عن طريق الهادوية الجارودية، أو الدعوة الخمينية، وإلا كان مذهبهم في الصحابة: العن يزيد ولا تزيد، ويزيد بن معاوية رضي الله عن أبيه ورحمه قد قال الناس فيه مقالات كثيرة، وكثيرها كذب وزور منقول عن الرافضة.

فالشاهد أن الناس كانوا على مذهب ليس بذاك الغالي في آل البيت الذي يؤدي إلى الوقعة في معاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، والوقعة في بقية الصحابة، حتى أنه لما كتب بعض الحضارم قصيدة شعرية يلعن فيها الصحابة ووصلت إلى يد الإمام يحيى حميد الدين رد عليه: هذا ليس مذهبي، بل إن يحيى بن حمزة الشيعي الزيدي ألف رسالة في عدم سب الصحابة، والدفاع عن الصحابة، وحققها شيخنا مقبل **رَحِمَهُ اللَّهُ**، وهكذا الشوكاني ألف رسالة، والشوكاني عالم سنة، إلا أن سب الصحابة كان غير شائع في اليمن إلى عهد قريب، وإن وجد عند بعض الهادوية، أما الزيدية كانوا يقولون: العن يزيد ولا تزيد.

أما الآن فساءت أفعالهم واعتقاداتهم، فإذا أراد أحدهم أن يذهب إلى الخلاء يقول: أريد معاوية، يعني الحمام، ثم ما زال بهم صنيعهم حتى تجرؤوا على أبي بكر، وعمر، وعائشة، وعثمان، وطلحة، والزبير، بل جماهير الصحابة، لا تستطيع أن تقول بأن الشيعة لا سيما الرافضة يرضون عن كثير من الصحابة.

بل إن الرافضة لا يترضون إلا على إحدى عشر وقيل: سبعة عشر صحابياً، جميع الصحابة الذين حضروا الموقف وكانوا فوق المائة والعشرين ألف وبعضهم يقول: مائة وأربعين ألفاً كلهم عند الرافضة مطرحون، إنما يترضون على علي، والحسن والحسين، وفاطمة، وابن عباس، وسلمان الفارسي، وعمار، والعباس، فيجمعون مجموعة يصلون إلى إحدى عشر أو سبعة عشر على قول لبعضهم، فُبِحت أفعالهم،

وقبح صنيعهم أن صار الإسلام العظيم بأئمة العظام إلى سبعة عشر، لا إله إلا الله ما أسوأ صنيع هؤلاء القوم على أمة الإسلام قديما وحديثا!

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي أبو حفص.

كان مولده بعد الفيل بثلاثة عشر سنة، وهو ثاني الأمة فضلا بعد نبيها ﷺ، فأول الأمة أبو بكر ثم عمر، **رَضَوُا اللَّهَ عَلَيْهِمُ أَجْمَعِينَ**.

وفضائله كثيرة، أسلم بعد إسلام أخته فاطمة، وزوجها سعيد بن زيد، ويكبره عمرو بن العاص في السن **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ويذكرون في سبب إسلامه: أنه سمع النبي صل الله عليه وسلم يقرأ سورة الحاقة، لكن لا أظنه يثبت، وكان آدم أصلع، وافق القرآن في كثير من المواطن، وفي عهده مصرت الأمصار وفتحت الفتوح، فهزم الله في زمنه دولة الفرس والروم وأغنى الله الناس، ولهذا تبغضه الرافضة والباطنية حبّ العظيم بركته على الإسلام والمسلمين.

وقد توسعت في ترجمته في كتاب اعرف سلفك، والحمد لله رب العالمين.

١٤ - (٢٣٨٩) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ وَأَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ، قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: وَضَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى سَرِيرِهِ فَتَكَتَمَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُثْنُونَ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، قَالَ: فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بَمَنْكِبِي

مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَلَيَّ، فَتَرَحَّمَ عَلَيَّ عُمَرُ وَقَالَ: مَا خَلَفْتُ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَإِيمُ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأُظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَكْثَرُ أَسْمَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَوْ لَأُظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا ^(١).

١٤ - (٢٣٨٩) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ، فِي هَذَا الْإِسْنَادِ بِمِثْلِهِ.

(وَضَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى سَرِيرِهِ) أي بعد أن طعن، وفارقت الروح الجسد.
(فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُثْنُونَ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ) أي أحاطوا به، يدعون له بالرحمة، ويشنون عليه بما له من الفضائل، والخصال والشمائل، ويصلون عليه بمعنى الدعاء له.
(فَلَمْ يَرْعُنِي) من الروع، وهو الإخافة والتحريك.
(فَإِذَا هُوَ عَلَيَّ) بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (فَتَرَحَّمَّ عَلَيَّ عُمَرُ)؛ لعلمه بفضيلته ومنزلته، وقد زوجه ابنته أم كلثوم بنت فاطمة بنت محمد رضوان الله عليهن، وصلى الله على محمد ﷺ.

(وَقَالَ: مَا خَلَفْتُ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ) كان أفضل أهل زمانه، كان عالما عاملا، ظاهرا باطنا، أغنى الله به المسلمين، وفتح الله به الفتوح، ومصر به الأمصار.

(إِنْ كُنْتُ لَأُظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ) أي في مكان واحد في قبورهم، واستدل بقرينة كثرة ملازمة لرسول الله ﷺ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٧٧).

(جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ) يعني كان شأن النبي ﷺ في كثير من ذهابه وإيابه وجلوسه ورجوعه مع أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فكانا له كالوزيرين، المجالسين، وهذا لمحبتهما له ولحرصهما على الاستفادة منه، ولرغبتهما في البقاء معه.

وفيه فضيلة لهما، إذ أن النبي ﷺ كان كثيرا ما يذكرهما ويذكرهما بالخير.

(فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَوْ لَأُظُنُّ) ظنا راجحا.

(أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا) قد جعله الله معهما، حيث استأذن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن يدفن مع صاحبيه في حجرتها، فأذنت له، وقد أخرج البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ قصة قتله والبيعة رقم (٣٧٠٠) فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: عَنْ عُمَرَوِ بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامِ الْمَدِينَةِ، وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، وَعُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ، قَالَ: "كَيْفَ فَعَلْتُمَا، اتَّخَفَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ؟ قَالَا: حَمَلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ، مَا فِيهَا كَبِيرٌ فَضْلٌ، قَالَ: انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ، قَالَ: قَالَا: لَا، فَقَالَ عُمَرُ: لَيْتَ سَلَّمَنِي اللَّهُ، لَأَدْعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَخْتَجِنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ، قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةً أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفْقَيْنِ، قَالَ: اسْتَوُوا، حَتَّى إِذَا لَمْ يَرِ فِيهِنَّ خَلَلًا تَقْدَمَ فِكْبَرٌ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، أَوِ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ أَفِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي - أَوْ أَكَلَنِي - الْكَلْبُ، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ الْعِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لَا يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّى طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْئُسًا، فَلَمَّا ظَنَّ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ،

فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلَاةً خَفِيفَةً، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي، فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: غُلَامٌ الْمُغِيرَةَ، قَالَ: الصَّنْعُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ، لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدْعِي الْإِسْلَامَ، قَدْ كُنْتُ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ الْعُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ، - وَكَانَ الْعَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا - فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ، أَيْ: إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا؟ قَالَ: كَذَبْتَ بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلَّوْا قِبَلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ. فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، وَكَانَ النَّاسُ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَيْهِ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لَا بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَيْذٍ فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنِ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَجَاءَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدِمَ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيَتْ فَعَدَلْتُ، ثُمَّ شَهَادَةٌ، قَالَ: وَدِدْتُ أَنْ ذَلِكَ كَفَافٌ لَأَعْلِيَّ وَلَا لِي، فَلَمَّا أَذْبَرَ إِذَا إِرَارُهُ يَمَسُّ الْأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوْا عَلَيَّ الْغُلَامَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِثَوْبِكَ، وَأَتَقَى لِرَبِّكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدِّينِ، فَحَسْبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ، مَا لِ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلَا تَعُدَّهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَدَّ عَنِّي هَذَا الْمَالَ انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ السَّلَامَ، وَلَا تَقُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ، فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّلَامَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ، فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَا وَثَرَنَ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَدْ جَاءَ، قَالَ: ارْفَعُونِي، فَاسْتَدَّ رَجُلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَذْنَتْ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلَّمَ، فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ

الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنْتَ لِي فَأَدْخُلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ، فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَاسْتَأْذَنَ الرَّجَالُ، فَوَلَجَتْ دَاخِلًا لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاحِلِ، فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ، قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، أَوِ الرَّهْطِ، الَّذِينَ تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَى عَلِيًّا، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْدًا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ - فَإِنْ أَصَابَتِ الْأَمْرَةَ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أَمَرْتُ، فَإِنِّي لَمْ أَعَزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ، وَلَا خِيَانَةٍ، وَقَالَ: أَوْصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي، بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأَوْصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ﴾، أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأَوْصِيهِ بِأَهْلِ الْأَنْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ رِذَاءُ الْإِسْلَامِ، وَجُبَاءُ الْمَالِ، وَغِيْظُ الْعَدُوِّ، وَأَنْ لَا يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ. وَأَوْصِيهِ بِالْأَعْرَابِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ، وَمَادَّةُ الْإِسْلَامِ، أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ، وَيُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، وَأَوْصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ، فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ، فَاَنْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَتْ: أَدْخُلُوهُ، فَأَدْخَلَ، فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبِيهِ، فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ مِنْكُمْ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ طَلْحَةُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ، وَقَالَ سَعْدُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمْ تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَتَجَعَلَهُ إِلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ، لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلُهُمْ فِي نَفْسِهِ؟ فَاسْكَتِ الشَّيْخَانِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لَا أَلَّ عَنْ أَفْضَلِكُمْ قَالَا: نَعَمْ، فَأَخَذَ بِيَدِ

أَحَدِهِمَا فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقَدَمُ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَيْنٌ أَمَرْتُكَ لَتُعَدِلَنَّ، وَلَيْنٌ أَمَرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ، وَلَتُطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلَا بِالْآخِرِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ: ارْزُقْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ فَبَايَعَهُ، فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ."

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥ - (٢٣٩٠) حَدَّثَنَا مَنصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، حَدَّثَنَا إِبرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، (ح) وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَاللَّفْظُ لَهُمْ، قَالُوا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي أَبُو أُمَامَةَ بْنُ سَهْلٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌّ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ»، قَالُوا: مَاذَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدِّين» ^(١).

(بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ) ورؤيا الأنبياء وحي، والناس من العام الذي

يراد به الخصوص، أي: الصحابة.

(وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌّ) نوع من اللباس.

(مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ) كل بحسب إيمانه، وبحسب عمله.

(وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ) أي قد جاوزه، حتى أصبح يجره كما

تجر النساء ما أذن لهن بإرخائه.

(مَاذَا أَوَّلَتْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ) أي غيرته فإن الرؤيا قد تحتاج إلى تأويل وتفسير، وكان رسول الله ﷺ ممن يؤل الرؤيا، ولذلك يعود في تفسيرها إلى الكتاب والسنة وأمثال العرب.

(الدين) وهذا من قول الله عز وجل: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ [سورة المدثر: ٤]، قد أول الشيا بأنه الدين، وفي قول لبيد:

فلاني بحمد الله لا ثوب فاجرٍ لبست، ولا من غدره أتقنع
فمثوب الفاجر: دين الفاجر الركيك، وعمله السيئ، وثوب المؤمن: دينه القويم.
وهذا دليل على أن الرؤيا إنما هي أمارات وعلامات لها دلالاتها، ولذلك إذا رؤي الرجل عريانا قد يفسر بقلة الدين، وقد يفسر بالسلامة من الذنوب، بحسب المرئي، فإن كان من أصحاب الصلاح يرجى أنه مغفور له، وإن كان من أصحاب السوء يخشى عليه الفضيحة.

وهذا دليل على فضيلة عمر رضي الله عنه في التدين والعمل بالعلم من شريعة الله، وسيأتي بيان فضيلته في العلم أيضاً بعد.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٦ - (٢٣٩١) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ أَخْبَرَهُ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ قَدَحًا أُتِيَتْ بِهِ فِيهِ لَبَنٌ فَشَرِبْتُ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَجْرِي فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»، قَالُوا: فَمَا أَوَّلَتْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْعِلْمُ»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٨٢).

١٦ - (٢٣٩١) وَحَدَّثَنَاهُ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، كِلَاهُمَا عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، بِإِسْنَادِ يُونُسَ نَحْوَ حَدِيثِهِ.

(قَدْ حَاقَتْ بِهِ) القدح: إناء، (فِيهِ لَبَنٌ) لشربه.

(حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَجْرِي فِي أَظْفَارِي) يعني ظهرت أمارات اللبن في أظفاره

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

(الْعِلْمُ)؛ لأن اللبن غذاء، وشراب، وطعام، فالدين كساء، والعلم طعام يستفيده

الإنسان.

قال الحافظ في "فتح الباري" (١٤ / ٣٩٤): قال بن العربي اللبن رزق يخلقه الله طيباً بين أخبات من دم وفرث كالعلم نور يظهره الله في ظلمة الجهل فضرب به المثل في المنام قال بعض العارفين الذي خلص اللبن من بين فرث ودم قادر على أن يخلق المعرفة من بين شك وجهل ويحفظ العمل عن غفلة وزلل وهو كما قال لكن اطردت العادة بأن العلم بالتعلم والذي ذكره قد يقع خارقاً للعادة فيكون من باب الكرامة وقال بن أبي جمرة تأول النبي ﷺ اللبن بالعلم اعتباراً بما بين له أول الأمر حين أتى بقدح خمر وقدح لبن فأخذ اللبن فقال له جبريل أخذت الفطرة الحديث قال وفي الحديث مشروعية قص الكبير رؤياه على من دونه وإلقاء العالم المسائل واختبار أصحابه في تأويلها وأن من الأدب أن يرد الطالب علم ذلك إلى معلمه قال والذي يظهر أنه لم يرد منهم أن يعبروها وإنما أراد أن يسألوه عن تعبيرها ففهموا مراده فسألوه فأفادهم وكذلك ينبغي أن يسلك هذا الأدب في جميع الحالات قال وفيه أن علم النبي ﷺ بالله لا يبلغ أحد درجته فيه لأنه شرب حتى رأى الري يخرج من أطرافه وأما إعطاؤه فضله عمر ففيه إشارة إلى ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا يأخذه في الله لومة لائم قال وفيه أن من الرؤيا ما يدل على الماضي والحال والمستقبل قال وهذه أولت على

وسياقي معنا في فضائل عبد الله بن سلام ذكر السمن والعسل، وأنه يؤول بالقرآن والسنة، واللبن أيضا يؤول بالفطرة، وقد يؤول بالشفاء، لبنها شفاء وسمنها دواء، وله عدة تأويلات.

ويحذر المؤول من تأويل الأضغاث، ومن التعمق في التأويل، ومن التحديد الزمني، لا سيما مع الجزم ولكن مع الرجاء وإذا كان في الرؤيا حسن وقبيح يؤول الحسن ويترك القبيح.

وإنما تقع الرؤيا على وفق التعبير إذا صدقت الرؤيا وصدق المفسر، وأحيانا قد تختلف الرؤيا، وقد يختلف التفسير .

وأما رؤيا النبي ﷺ فهي جميلة في حق عمر وفي حق غيره، لكن عمر نال قسطاً من رؤى النبي ﷺ رؤياً أنه يلبس ثوباً يجره، ورؤياً أنه شرب فضلة النبي ﷺ من اللبن ورؤياً أنه ضرب الناس بِعَطَنٍ في زمنه وستأتي، ورؤياً القصر الذي في الجنة وقيل: لعمر. عدة رؤى من رسول الله ﷺ مبشرة لهذا الرجل العظيم والإمام الكريم، المحبوب إلى المسلمين، المبعوض من الكافرين والمنافقين، في زمنه وبعد زمنه، وإلى أن تقوم الساعة، تجد المؤمنين يحبون عمر بن الخطاب حتى وإن كانوا عصاة، وتجد الكافرين والمبتدعين الضالين يبغضون عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإن أظهروا النسك والصلاح، فأصبح عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محنة يُختبر به الناس. حتى وجدت في بعض كتب الرافضة: أن عمر بن الخطاب يعذب في النار أشد من إبليس بسبعين مرة، يعني جعلوه أسوأ من إبليس، قاتلهم الله أنى يؤفكون؟ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧ - (٢٣٩٢) حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَزَعَهَا بِهَا ذُنُوبًا أَوْ ذُنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ - وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ - ضَعْفٌ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ»^(١).

١٧ - (٢٣٩٢) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَالْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، بِإِسْنَادِ يُونُسَ نَحْوَ حَدِيثِهِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٣٤).

١٧ - (٢٣٩٢) حَدَّثَنَا الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ قَالَ: قَالَ الْأَعْرَجُ وَغَيْرُهُ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ يَنْزِعُ»، يَنْحُو حَدِيثَ الزُّهْرِيِّ.

١٨ - (٢٣٩٢) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ أَبَا يُونُسَ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُرِيتُ أَنِّي أَنْزِعُ عَلَى حَوْضِي أَسْقِي النَّاسَ، فَجَاءَنِي أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ الدَّلْوَ مِنْ يَدَيَّ لِيُرْوِحَنِي، فَنَزَعَ دَلْوَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، فَجَاءَ ابْنُ الْخَطَّابِ فَأَخَذَ مِنْهُ فَلَمْ أَرْ نَزْعَ رَجُلٍ قَطُّ أَقْوَى مِنْهُ، حَتَّى تَوَلَّى النَّاسُ وَالْحَوْضُ مَلَأَنُ يَتَفَجَّرُ».

١٩ - (٢٣٩٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَالِمٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُرِيتُ كَأَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوٍ بِكَرَّةٍ عَلَى قَلْبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنْوَبًا أَوْ ذَنْوَبَيْنِ فَنَزَعَ نَزْعًا ضَعِيفًا وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَاسْتَقَى فَاسْتَحَالَتْ غَرَبًا فَلَمْ أَرْ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّتَهُ حَتَّى رَوَى النَّاسُ، وَضَرَبُوا الْعَطَنَ»^(١).

١٩ - (٢٣٩٣) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَنْحُو حَدِيثَهُمَا.

(عَلَى قَلْبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ) القليب: البئر، والدلو: الغرب، معروف.

(ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ) أبو بكر.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٨٢).

(فَنَزَعَ بِهَا ذَنْبًا أَوْ ذَنْبَيْنِ) نزعاً أو نزعتين، إشارة إلى سني حكمه، حيث كان خليفة لرسول الله ﷺ لمدة سنتين.

(وَفِي نَزْعِهِ - وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ - ضَعْفٌ)؛ لما حصل من الردة وضعف المسلمين بعد موت النبي ﷺ، فلم يستطع تلك الفتوحات العظيمة التي استطاعها عمر، ولا مطعن في هذه الرؤيا في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ فِي أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ) فَلَيْسَ فِيهِ حَظٌّ مِنْ فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَلَا إِبْتَاتٌ فَضِيلَةٍ لِعُمَرَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَنْ مُدَّةٍ وَلَا يَتَّبَعُهَا، وَكَثْرَةُ انْتِفَاعِ النَّاسِ فِي وَلَايَةِ عُمَرَ لِطُولِهَا، وَلَا تَسَاعِ الْإِسْلَامِ، وَبِلَادِهِ، وَالْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْغَنَائِمِ وَالْفُتُوحَاتِ، وَمَصَرِّ الْأَمْصَارِ، وَدَوْنِ الدَّوَاوِينِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: (وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ) فَلَيْسَ فِيهِ تَنْقِصٌ لَهُ، وَلَا إِشَارَةٌ إِلَى ذَنْبٍ، وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَدْعُمُونَ بِهَا كَلَامَهُمْ، وَنَعَمَتِ الدَّعَاةُ، وَقَدْ سَبَقَ فِي الْحَدِيثِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّهَا كَلِمَةٌ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَهَا: أَفْعَلْ كَذَا، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَكَ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَفِي كُلِّ هَذَا إِعْلَامٌ بِخِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَصِحَّةٍ وَلَا يَتَّبَعُهَا، وَانْتِفَاعُ الْمُسْلِمِينَ بِهَا. اهـ

(ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا) يعني دلوا كبيرا.

(عَبْقَرِيًّا): سيدا.

(يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) ينزع بقوة.

(حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنِ) يعني استفاد الناس واجتمعوا، وأكلوا وشربوا.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ ﷺ: (حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنِ) سَبَقَ تَفْسِيرُهُ، قَالَ الْقَاضِي: ظَاهِرُهُ أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ خَاصَّةً.

وَقِيلَ: يَعُودُ إِلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ جَمِيعًا، لِأَنَّهُ بِنَظَرِهِمَا وَتَدْبِيرِهِمَا وَقِيَامِهِمَا بِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ تَمَّ هَذَا الْأَمْرُ، وَضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنِ؛ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَمَعَ أَهْلَ الرَّدَّةِ،

وَجَمَعَ شَمَلَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْفَهْمُ، وَابْتَدَأَ الْفُتُوحَ، وَمَهَّدَ الْأُمُورَ، وَتَمَّتْ ثَمَرَاتُ ذَلِكَ وَتَكَامَلَتْ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. اهـ

(أَنْزَعُ بِدَلْوٍ بَكَرَةً) يعني دلو مركب في بكرة، بحيث يسهل سحبه.

أشارة إلى كثرة الأموال التي يسرها الله في الفتوحات، وإلى ما انتفع به الناس في زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والله المستعان.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠ - (٢٣٩٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو وَابْنِ الْمُنْكَدِرِ، سَمِعَا جَابِرًا يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (ح) وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ وَعَمْرِو، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا دَارًا أَوْ قَصْرًا، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ» فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ، أَوْ عَلَيْكَ يُعَارُ؟ (١).

٢٠ - (٢٣٩٤) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو وَابْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو، سَمِعَ جَابِرًا، (ح) وَحَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ سَمِعْتُ جَابِرًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ وَزُهَيْرٍ.

٢١ - (٢٣٩٥) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ أَخْبَرَهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى

عُمَرُ وَنَحْنُ جَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا أَبَايَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟ ^(١).

٢١ - (٢٣٩٥) وَحَدَّثَنِيهِ عُمَرُو النَّاقِدُ وَحَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

وهذا دليل على فضيلة عمر بن الخطاب، وأنه من المبشرين بالجنة، فإن رؤيا الأنبياء وحي، وهذا مما لا خلا فيه بين أهل الحق والاستقامة، والله المستعان. وفيه دليل على وجود الجنة الآن.

وفيه أن النبي ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله تعالى.

(فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ) وهذه صفة طيبة، الغيرة علامة الرجال، والديانة علامة الأئدال، ومن عجيب هذه الغيرة في عمر بن الخطاب أنه جعل يقول: يا رسول الله حجب نساءك قبل أن ينزل الحجاب، فأنزل الله عز وجل بعد ذلك آيات الحجاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَبِيزَةٍ ذَلِكَ أَذْفَى أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿[سورة الأحزاب: ٥٩]، فصاحب الغيرة تجد عنده عفة، وصاحب الديانة قليل العفة، نسأل الله السلامة والعافية.

ومن سار على طريق عمر تجد عنده العفة، ومن سار على طريق الرافضة تجد عنده الديانة، ولذلك تجد عندهم زواج المتعة بأسوأ ما يكون من الحال، يتمتعون بالصغيرات والكبيرات والمزوجات، نسأل الله السلامة والعافية.

بل ذكر بعضهم: أن في إيران سوق للمتعة، ينزل الناس بناتهم وخواتهم ومن معهم إلى سوق، ويأتي أولئك التيوس، وينظر في المرأة عرضاً وطولاً، وربما فتش عن فرجها أمام الناس، فإن ناسبتها أخذها، يستمتع بها ساعة ساعتين، يوم يومين، كل شيء بحقه،

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢٤٢).

ولذلك كثرت فيهم الدياثة، واتهموا المؤمنين بما هم منه براء، تجد فيهم اتهاماً لأهل السنة بالزنا، وباللواط، حتى ما سلم من تهمتهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا لخستهم ونذالتهم، ووقوع هذا الأمر فيهم بكثرة، ومن وقعت في المتعة أكثر عظموها، وهكذا من وقع منهم في المتعة أكثر عظموه، كما شهد عليهم الميساوي: بأن من تمتع مرة كان كالحسن، ومن تمتع مرتين كان كالحسين، من تمتع ثلاثاً كان كعلي، ومن تمتع أربعاً كان كالنبي ﷺ، ومن تمتع خمسا أفضل منهم؟ قُبِحت هذه العقائد وهذه الأفعال، إذ كانت المكرمات عندهم بالمتعة.

المكرمات بتوحيد الله، واتباع سنة رسول الله ﷺ، والقيام بشرع الله، لا بقضاء الأوطار في غير ما أحل الله.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٢ - (٢٣٩٧) حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُرَاجِمٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ (ح) وَحَدَّثَنَا حَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنِي، وَقَالَ حَسَنٌ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدٍ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ سَعْدًا قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمُهُ وَيَسْتَكْثِرُنَّهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُفِيَ بَتَدْرُنَ الْحِجَابِ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ»، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَهْبَنَ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَدَوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَنْ يَهْبَنَنِي وَلَا تَهْبَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفْظُ مِنْ رَسُولِ

اللَّهُ ﷻ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ» ^(١).

٢٢ - (٢٣٩٧) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا بِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنِي سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ قَدْ رَفَعْنَ أَصْوَاتَهُنَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ.

(سعد) ابن أبي وقاص، أحد العشرة، أبو إسحاق.

(يُكَلِّمُهُ وَيَسْتَكْثِرُ نَهْ) يسألنه شيئا من العطاء، ويكلمه في بعض حاجة، وحديث المرأة مع الرجل إذا أمنت الفتنة ليس بممنوع، إنما الممنوع الخضوع بالقول، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٢].

(عَالِيَةٌ أَصْوَاتُهُنَّ) كان النبي ﷺ لهن بمنزلة الوالد.

(وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ) ورسول الله ﷺ ضحكه التبسم.

(فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَهْبَنَ) لعظيم منزلته، ولرفعته، ولجلالته، ولما أمر الله عَزَّوَجَلَّ من تعزيره وتوقيره.

(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ)

وسياقي قوله: «إني لأحسب الشيطان يفرق منك يا عمر»، وهذا دليل على فضيلة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلو منزلته، ودليل على الهيبة التي وضعها الله عَزَّوَجَلَّ في قلوب الناس لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذه الهيبة لا سيما بعد أن تولى الخلافة كان فيها نفعها العظيم.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: الْفَطُّ الْعَلِيْظُ بِمَعْنَى، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْخُلُقِ وَخُشُوَّةِ

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَلَيْسَتْ لَفْظَةً أَفْعَلَ هُنَا لِلْمُفَاضَلَةِ، بَلْ هِيَ بِمَعْنَى فَطَّ غَلِيظًا.

قَالَ الْقَاضِي: وَقَدْ يَصِحُّ حَمْلُهَا عَلَى الْمُفَاضَلَةِ، وَأَنَّ الْقَدْرَ الَّذِي مِنْهَا فِي النَّبِيِّ ﷺ هُوَ مَا كَانَ مِنْ إِغْلَظِهِ عَلَى الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة: ٧٣] وَكَانَ يَعْصَبُ وَيُعْلِظُ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضْلُ لَيْنِ الْجَانِبِ وَالْحِلْمِ وَالرَّفْقِ مَا لَمْ يُفَوِّتْ مَقْصُودًا شَرْعِيًّا،
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَاخِفْضَ جَنَاحِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الحجر: ٨٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ
 فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨].

قَوْلُهُ **وَعَلَيْهِ السَّلَامُ** : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ) الْفَجُّ الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْمَكَانِ الْمُنْخَرِقِ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ أَنَّ الشَّيْطَانَ مَتَى رَأَى عُمَرَ سَالِكًا فَجًّا هَرَبَ هَيْبَةً مِنْ عُمَرَ، وَفَارَقَ ذَلِكَ الْفَجَّ، وَذَهَبَ فِي فَجٍّ آخَرَ لِشِدَّةِ خَوْفِهِ مِنْ بَأْسِ عُمَرَ أَنْ يَفْعَلَ فِيهِ شَيْئًا. اهـ

(وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ قَدْ رَفَعْنَ أَصْوَاتَهُنَّ) لِلْفَتْوَى، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْمَشْرُوعَةِ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٢٣ - (٢٣٩٨) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ سَرْحٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ».

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: تَفْسِيرُ مُحَدِّثُونَ مُلْهَمُونَ.

٢٣ - (٢٣٩٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِهِذَا الْإِسْنَادِ مِثْلُهُ.

(مُحَدِّثُونَ) أي ملهمون بالخير، والقول به، والنطق به، وهذا دليل على صلاح قلوبهم، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لصلاح قلبه نطق بأمور كثيرة جاء القرآن بالموافقة فيها، في أسارى بدر، وفي الصلاة على ابن أبي، وفي الحجاب، وفي الصلاة عند مقام إبراهيم، وغير ذلك من المواطن.

(فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ) وربما وجد غيره.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا الْإِسْنَادُ مِمَّا اسْتَدْرَكَهُ الدَّارِقُطِيُّ عَلَى مُسْلِمٍ، وَقَالَ: الْمَشْهُورُ فِيهِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَاخْتَلَفَ تَفْسِيرُ الْعُلَمَاءِ لِلْمَرَادِ بِمُحَدِّثُونَ، فَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: مُلْهَمُونَ، وَقِيلَ: مُصِيبُونَ، وَإِذَا ظَنُّوا فَكَانَتْهُمْ حَدَّثُوا بِشَيْءٍ فَظَنُّوا، وَقِيلَ: تُكَلِّمُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ: (مُتَكَلِّمُونَ) وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: يَجْرِي الصَّوَابُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، وَفِيهِ إِثْبَاتُ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ. اهـ

ومن ذلك: ما جاء في البخاري^(١) عن ابن عمر قال: مَا سَمِعْتُ عُمَرَ لَشَيْءٍ قَطُّ يَقُولُ: إِنِّي لَا ظَنُّهُ كَذَا، إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ، بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ، إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ، فَقَالَ: لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي، أَوْ إِنَّ هَذَا عَلَى دِينِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنُهُمْ، عَلَيَّ الرَّجُلُ، فَدَعَيْتُهُ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ اسْتَقْبَلَ بِهِ رَجُلٌ مُسْلِمًا، قَالَ: فَإِنِّي أَعِزُّمُ عَلَيْكَ

إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي، قَالَ: كُنْتُ كَاهِنُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جَنِّيَّتُكَ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا فِي السُّوقِ، جَاءَتْنِي أَعْرِفُ فِيهَا الْفَزَعَ، فَقَالَتْ: أَلَمْ تَرَ الْجِنَّ وَإِبِلَاسَهَا، وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا، وَلُحُوقَهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَاسَهَا، قَالَ عُمَرُ: صَدَقَ، بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ آلِهَتِهِمْ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعَجَلٍ فَذَبَحَهُ، فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ، لَمْ أَسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ يَقُولُ: يَا جَلِيحُ، أَمْرٌ نَجِيحٌ، رَجُلٌ فَصِيحٌ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، فَوَثَبَ الْقَوْمُ، قُلْتُ: لَا أَبْرُحُ حَتَّى أَعْلَمَ مَا وَرَاءَ هَذَا، ثُمَّ نَادَى: يَا جَلِيحُ، أَمْرٌ نَجِيحٌ، رَجُلٌ فَصِيحٌ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقُمْتُ، فَمَا نَشِينَا أَنْ قِيلَ: هَذَا نَبِيٌّ.

الشاهد من هذا: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نظر إلى الرجل فتوسم فيه إما أن يكون كافرا على كفره ما قد أسلم، وإما أن يكون كان كاهنا في جاهليته، فكان الأمر الآخر، قالوا: ما قال عمر لشيء أظن إلا في هذه المسألة، يعني احتار فيها بين أمرين، وإلا كان ظنه إصابة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

وهذا معنى: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ» ^(١)، وإن كان الحديث فيه كلام إلا أن المؤمن لديه فِرَاسَةٌ قد يميز بها بين الناس، ولو لبعض شيء، مع أن المتعين الأخذ بالظاهر، لكن أحيانا يرى الإنسان من تصرفات أو من أقوال أو أفعال ما يأخذ معه الحيلة والحذر.

وهذا الذي سلكه عمر، حتى مع أبي لؤلؤة المجوس كان قد تخوفه لما سمع كلامه قال: يا أمير المؤمنين لقد صنعت لك شيئا تتحدث عنه الناس، فالتفت عمر وقال لمن معه: ألا ترى الصُّنْعَ يهددني، وما أردت به إلا الخير، ففهم عمر أن الرجل يهدده بالقتل، هذا الذي يتحدث به الناس كثيرا، والله المستعان، لا سيما والصانع عدو لله ولرسوله

(١) أخرجه الترمذي، حديث رقم: (٣١٢٧)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وللمسلمين، ومن قوم أعداء وهم الفرس الذين امتلأت قلوبهم غيظا على عمر بسبب الفتوحات التي حصلت في عهده.

ولو تتأمل في التاريخ في سنة واحدة كم هي الفتوحات التي قام بها سعد بن أبي قاصد لعجبت من كثرة المدن التي تهاوت أمام الجيش الإسلامي، فما بالك بما فعله غير سعد بن أبي أفاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؟ وعمر كان هو المجهز لتلك الجيوش، وهو المشرف عليها، وهو القائد لها.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢٤ - (٢٣٩٩) حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ أَخْبَرَنَا عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أَسَارَى بَدْرٍ ^(١).

(**عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ**) البصري المالكي، ثقة، قال أبو داود: هو عندي فوق غندر.

(**سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ**) الضبي، ثقة صالح، قال أبو حاتم: ربما وهم.

(**جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ**) أبو مخراق الضبي، صدوق.

(**فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ**) حيث قال: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل

الله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة: ١٢٥].

(**وَفِي الْحِجَابِ**) حيث قال: يا رسول الله حجب نساءك فأنزل الله: ﴿يَتَّيِبُهَا لِنِسَائِكَ وَلَا يُؤْذِنُ فِيهَا لِلَّذِينَ لَا هُمْ يَحْجُبُونَ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩].

لَا تَزُولُ جَانِبُكَ وَبَنَاتُكَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهَا ذَلِكَ أَذْنًا أَنْ يُعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ﴿ [سورة الأحزاب: ٥٩].

(**وَفِي أَسَارَى بَدْرٍ**) حيث قال: يا رسول الله ادفع لي فلانا وفلانا، وادفع إلى فلان

وفلان فلانا وفلانا، نقلهم، وأبو بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أشار بأخذ الفداء فيهم، فأنزل الله **عَزَّ وَجَلَّ**:

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٠٢).

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ [سورة الأنفال: ٦٧]، قال: «لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة».

وقوله: (وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ) ليس على الحصر، فقد وافقه بأكثر من ذلك، وسيأتي في الحديث الآتي قول الله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لم تصلي عليه يا رسول الله وقد نهيت؟ فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ [سورة التوبة: ٨٤].

حتى قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه" أخرجه أحمد (٥١٤٥).

وللسيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ قصيدة بعنوان "قطف الثمر في موافقات سيدنا عمر" شرحها الشيخ محمد بدر الدين الحسني في "فتح الوهاب في موافقات سيدنا عمر بن الخطاب".

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٥ - (٢٤٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُولَ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يُكْفَنَ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّيَ عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا خَيْرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [سورة التوبة: ٨٠] وَسَازِيدُ عَلَى سَبْعِينَ» قَالَ ^(١): إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [سورة التوبة: ٨٤] ^(١).

٢٥ - (٢٤٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ الْقَطَّانُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ فِي مَعْنَى حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ، وَزَادَ قَالَ: فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ.

(عبد الله بن أبي بن سلول) رأس النفاق، الذي تولى كبره، وأشاع عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما أشاع.

(عبد الله بن عبد الله) صحابي فاضل.

(فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يُكْفَنَ فِيهِ أَبَاهُ) ولو علم أن أباه كافرا ما سأل ذلك لكن كان شأنه معمى على بعضهم، ويؤملون له المغفرة والتجاوز.

(فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ) مع شدة عداوته لرسول الله ﷺ، لكن كان رسول الله ﷺ من أصحاب التجاوز والعفو، امثالاً لأمر الله عَزَّجَلَّ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿[سورة المائدة: ١٣].

(فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) كالمنكر للصلاة على المنافق.

(أَتَصَلِّيَ عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ) هذا الذي فهمه عمر من قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٨٠]، وأما الذي علمه النبي ﷺ أنه على التخير.

وبلا شك ولا ريب أن هذه المواطن التي ظاهرها أن عمر وُفق للصواب فيما كان النبي ﷺ يعزم عليه أن الصواب في مآلها، وأما في ابتدائها فالصواب مع النبي ﷺ، في مثل هذا، وفي مثل أسارى بدر الصواب مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ابتدائها، والصواب مع

النبي ﷺ فيما آلت إليه، فإن أكثر الذين تُجوز عنهم وسلموا من القتل يوم بدر صاروا من أهل الإسلام وتاب الله عليهم، وصلاح حالهم.

(فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ) امتثالاً لأمر الله، وأخذاً بشريعة الإسلام.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ عَظِيمٌ مَكَارِمِ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ مِنَ الْإِيذَاءِ، وَقَابَلَهُ بِالْحُسْنَى، فَأَلْبَسَهُ قَمِيصًا كَفَنًا، وَصَلَّى عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى حُبْلٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤] وَفِيهِ تَحْرِيمُ الصَّلَاةِ، وَالِدُّعَاءِ لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ، وَالْقِيَامِ عَلَى قَبْرِهِ لِلدُّعَاءِ. اهـ

وفيه ما كان عليه الصحابة من التبرك بآثار النبي ﷺ، وهذه من خصائصه، فإن عبد الله بن عبد الله ما سأل الثوب إلا رجاء البركة.

وفيه فضيلة صلاة الصالحين على الأموات، فإن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَلَّى عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شُفِعُوا فِيهِ».

وفيه كذلك حسن المشاورة والمراجعة بين النبي ﷺ وأصحابه، ولا بأس بها بين الشيخ وطلابه، وبين الأب وأبنائه، وبين المتخاطبين.

وفيه دلالة لمسألة الظاهر والنص في أصول الفقه، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ من قول الله **عَزَّوَجَلَّ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾** [سورة التوبة: ٨٠] أن ظاهره النهي عن الصلاة عليهم، والنبي صلى الله عليه وسلم أخذ منه أنه ليس بالنص في النهي عن الصلاة عليهم، وإنما هو على التخيير.

وفي هذا الحديث حرمة الصلاة على الكافرين، والدعاء لهم؛ لأن الدعاء لهم بالرحمة اعتداء في الدعاء، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا كَانَ أَسْتَعْفَاؤُاِبِرْهِيْمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيْمٌ﴾ [سورة التوبة: ١١٤].

هذه بعض فوائد هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في فضيلة عمر بن الخطاب، وفضائله أكثر من ذلك، وقد ألف الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ (نعم السمر على سيرة عمر)، إلا أنه لعله مفقود، ولم يذكر الإمام مسلم في هذا الموطن قصة قتل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر البخاري بطولها عند حديث (٣٧٠٠)، بوب عليه: باب قصة البيعة، وقد تقدمت، فذكر فيها ما كان من قتل عمر، وما كان فيها من بيعة عثمان، وفيها من السياقة ما يبكي معه المؤمنون المتدبرون المتعقلون؛ لما يرى من أخلاق ذلك الرجل العظيم، كيف يحسن ويساء إليه من قبل من أحسن إليه، فإنه قد كلم سيده أن يخفف عنه في الخراج.

وشدة بغض الكافرين للمسلمين، حتى أن أبا لؤلؤة المجوسي لعنة الله أعد خنجرا، ووضع في السم، حتى تمكن من قتل عمر مع مجموعة من المصلين، ثم قتل نفسه. وكيف بادر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى تقديم الإمام ليصلي بالناس في شدة هذا الفزع، لم يلتق بنفسه إلى الأرض مهتما بها تاركا للمسلمين لشأنهم، بل قدم عبد الرحمن بن عوف يصلي بالناس، وحين أفاق قال: أصلى الناس، قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، قال: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

وكيف أنكر على حفصة وأنكر على صهيب البكاء.

وهكذا أنكر على ذلك الشاب الذي دخل يسحب إزاره: ارفع إزارك؛ فإنه أبقي لثوبك، وأتقى لربك.

وكيف أوصى بتلك الوصية العظيمة، أوصى بالمهاجرين والأنصار وأوصى بأهل الذمة، وأوصى بأهل البيعة، أهل الحل والعقد والمشورة، الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض، وتلطف بابنه عبد الله بن عمر وقال: أشركوه، وليس له شيء.

المهم قصة عظيمه عجيبة، عاش وسيرته زكية طاهرة، ومات بسيرة زكية طاهرة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. زوج ابنتي النبي ﷺ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد المكثرين في الإنفاق في سبيل الله عزَّجَلَّ، حتى قال النبي ﷺ: «من يشتري بئر رومة الجنة وله الجنة؟ من يجهز جيش العسرة وله الجنة؟» وكان ذلك عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قتله الخوارج شهيدا، وعمره ستة وثمانون سنة، لم يراعوا حرمة الخلافة، ولا حرمة الإسلام، ولا حرمة الشيخوخة، فنسأل الله أن يرضى عنه.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٦ - (٢٤١١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ، قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَرْمَلَةَ، عَنْ عَطَاءٍ وَسَلِيمَانَ ابْنَيْ يَسَارٍ وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذِهِ أَوْ سَاقِيهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَى ثِيَابِهِ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتُ وَسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ! فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟».

(مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي) إما في قيلولة، أو نحو ذلك من الأوقات، فإن الإنسان يحتاج إلى الراحة.

(كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ) الفخذ وإن كان عورة إلا أنه ليس بمغلظة.

(وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ) لكثرة مخالطته وكثرة دخوله وخروجه لم يقع منه ذلك الاحتشام الذي وقع من عثمان كما سيأتي.

(ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ) على المعنى السابق.

(ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَى ثِيَابَهُ)؛ لأن عثمان كان أقلهم دخولا، وكان حياءً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما بينه رسول الله ﷺ، ربما لا يُبلغ في حاجته؛ لشدة حيائه.

(أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟) فيه فضيلة لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا دليل على علو منزلته في ملكوت الأرض وملكوت السماء.

ولا يُعلم غيره تزوج ابنتي نبي على وجه الأرض، تجمع له يوم القيامة في الجنة، وهذه فضيلة عظيمة ومنزلة رفيعة، ما وصل إليها إلا بما حباه الله عزَّجَلَّ من العلم والإيمان والخيرية، زوجه النبي ﷺ الأولى، فلما ماتت أعقبها الثانية.

غاب عن بدر ومع ذلك ضُرب له من غنيمتها، فر في أحد عفا الله عنه، غاب عن بيعة الرضوان، كانت من أجله، وبائع النبي ﷺ عن عثمان، نقم عليه الخوارج، وحاول في إصلاح ما نقموا، من عزل بعض الولاة، إلا أن هناك من حرَّف كتابا على لسانه يأمر والي مصر إن عادوا إليه بقتلهم، فعند ذلك عادوا إليه وتمالؤوا عليه، وقتلوه وهو يقرأ المصحف، ووقعت نقطة من دمه على قول الله عزَّجَلَّ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٣٧].

ولو أراد الفتنة والقتل والقتال لكان، ولكنه أثر نفسه وضحى بها؛ حفاظا على الأمة، نصحهم ووجههم، ولكنهم أبوا وأعرضوا، قال: والله لأن قتلتموني لا تجتمع كلمتكم بعدها أبدا، وفعل ما وقع الاجتماع للمسلمين إلا في فترات وجيزة، فإن الجرأة على الخلفاء والجرأة على العلماء نتائجها سيئة، إما في الحال وإما في المال لكن عند من يعقل.

الجرأة على العلماء تزهّد الناس في العلم، وتجريّ الناس على القول على الله بغير علم، وربما تضمنت الاستهزاء والسخرية بالعلماء، وحقهم الاحترام والتقدير وحسن الظن، والاستفادة مما يكون منهم.

والجرأة على الأمراء تؤدي إلى الخروج، والثورات، وإلى قطع السبل، وإلى إزهاق الأنفس، وإلى كثير من الفساد، فما من ثور قامت على مر العصور إلا وحصل فيها من القتل والقتال والفساد والأضرار ما الله به عليم.

ألا فلتحذر الأمة من الجرأة على العلماء، والجرأة على الأمراء، ولتتقيد الأمة بهدي رسول الله ﷺ، وطريقة السلف الصالح **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** في هذا الباب العظيم، هذا إن أرادوا الفلاح لأنفسهم.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢٧ - (٢٤٠٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْعَاصِ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ وَعُثْمَانُ حَدَّثَاهُ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ لَا بَسَ مِرْطَ عَائِشَةَ، فَأَذَنَ لِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ كَذَلِكَ فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذَنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ، قَالَ عُثْمَانُ: ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، وَقَالَ لِعَائِشَةَ: «**اجْمَعِي عَلَيَّ ثِيَابَكَ**»، فَقَضَيْتُ إِلَيْهِ حَاجَتِي ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لِي لَمْ أَرَكَ فَرَعْتَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** كَمَا فَرَعْتَ لِعُثْمَانَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ أَذْنَتْ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ**».

٢٧ - (٢٤٠٢) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، كُلُّهُمَا عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ ابْنِ

شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ أَخْبَرَهُ أَنَّ عُثْمَانَ وَعَائِشَةَ حَدَّثَاهُ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ عُقَيْلٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ.

(عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ) اللهم بارك، عالم، عن أبيه العالم، عن جده الإمام.

(أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ وَعُثْمَانَ حَدَّثَاهُ) إِذَا هَذَا الْحَدِيثُ كَانَ حَقُّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ رَقْمًا آخَرَ مَعَ هَذَا الرِّقْمِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ.

(مِرْطَ) كَسَاءٌ مِنْ صُوفٍ، أَوْ كِتَانٍ.

(أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ) يَتَحَرَّجُ مِنْ طَرَحِهَا، وَمَدَحُ عُثْمَانَ بِهَذَا الْمَدْحِ لَيْسَ مَعْنَاهُ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَيْسُوا كَذَلِكَ، فَعِنْدَهُمْ مِنَ الْحَيَاءِ الشَّيْءُ الْعَظِيمُ، «إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرْنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ»، وَمَعْلُومٌ أَنَّ إِيْمَانَ أَبِي بَكْرٍ أَعْظَمَ مِنْ إِيْمَانِ عُمَرَ، وَإِيْمَانِ عُمَرَ أَعْظَمَ مِنْ إِيْمَانِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَفِي الْحَدِيثِ جَوَازُ رَفْعِ الْحَاجَاتِ إِلَى السُّلْطَانِ، وَإِلَى صَاحِبِ الشَّأْنِ.

وَفِي الْحَدِيثِ جَوَازُ سُؤَالِ الْمَرْءِ عَمَّا نَابَهُ، وَعَنْ السَّبَبِ الَّذِي جَعَلَهُ يَتَصَرَّفُ هَذَا التَّصَرُّفَ.

وَفِيهِ مَا عَلَيْهِ خَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ السَّكِينَةِ مَعَ الزَّوْجَةِ، وَالتَّلَطُّفِ بِهَا، وَعَدَمُ الْمَعَارِضَةِ لَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَرُبَ بَعْضُنَا إِذَا كَانَ مَعَ زَوْجَتِهِ وَتَسَاءَلَهُ مِثْلَ هَذَا السُّؤَالِ يَقُولُ لَهَا: مَا دَخَلَكَ؟ لَيْشَ تَتَدَخَّلِينَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ؟ وَنَحْوُ هَذَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَبِينُ لَهَا.

هَذَا الْحَدِيثُ يَطْعَنُ فِيهِ الرَّاغِضَةُ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ قَدْ غَطَى فُخْذَهُ، وَهَذَا طَعْنٌ فِي النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْأَدَبَ، كَلَامُ السُّفَهَاءِ، الْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحِ وَلَا مَطْعَنُ فِيهِ، وَلَيْسَ فِي طَعْنٍ لَا فِي النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا فِي عُثْمَانَ، وَلَا فِي عَائِشَةَ، وَلَا فِي أَحَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٢٨ - (٢٤٠٣) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَحْفَظَ الْبَابَ، بِمَعْنَى حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ غِيَاثٍ.

(ابن أبي عدي) محمد.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٧٤).

(فِي حَائِطٍ مِنْ حَائِطِ الْمَدِينَةِ) الحائط: النخل المجموع في مكان واحد.
(وَهُوَ مُتَكَيٍّ يَرْكُزُ بِعُودٍ مَعَهُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ) سيأتي في اللفظ الآخر: أنه كان على قف بئر.

(إِذَا اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ) وهو أبو بكر كما في الرواية الأخرى.
(افْتَحَ وَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ) تبشير المؤمنين بما لهم عند رب العالمين من الفضل العظيم،
والخير العميم، فإن البشارة مفرحة للمؤمن، مغیظة للعدو.
(عَلَى بَلْوَى تَكُونُ) مصيبة وفتنة تقع عليه.

أولاً: الحديث دليل على فضيلة الثلاثة: على فضيلة أبي بكر وعمر وعثمان
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ فِي بَعْضٍ لِيُتَبَيَّنَ لِلْغَايَةِ بِأَحْسَنِ مَا هِيَ فِي حَقِّهِمْ.

ثانياً: الحديث فيه فضيلة لعثمان من حيث أنه لم يتسخط، بل دعا الله **عَزَّجَلَّ** بالصبر
والعون على هذه البلوى.

ثالثاً: الحديث فيه من دلائل نبوة النبي **ﷺ**، إذ أن هذا الغيب أطلعه الله عليه، وإلا
فقد قال الله **عَزَّجَلَّ** عن نبيه: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [سورة
الأعراف: ١٨٨]، ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ
يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النمل: ٦٥].

وفي هذا الحديث: جواز اتخاذ البوابين، إذ أن النبي **ﷺ** اتخذ أبا موسى بواباً.
وفي هذا الحديث: جواز الخروج للنزهة ونحو ذلك، وجواز دخول أموال الغير إن
لم يكن له فيها حُرْم، ولم يكن في ذلك ضرر عليه.

وفي هذا الحديث: حسن المجالسة: والمؤانسة للعالم والإمام ونحو ذلك.
وفيه أيضاً: الاستئذان، وأن المستأذن يقول باسمه، من؟ قال: أبو بكر، من؟ قال:
عمر، من؟ قال: عثمان، لم يقل: أنا أنا، ونحو ذلك.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٩ - (٢٤٠٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْكِينٍ الْيَمَامِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ بِلَالٍ، عَنْ شَرِيكَ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَخْبَرَنِي أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: لَا لَزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَا كُؤُنَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، قَالَ: فَجَاءَ الْمَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: خَرَجَ وَجَهَ هَاهُنَا، قَالَ: فَخَرَجْتُ عَلَى أَثَرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتُ أَرِيْسٍ، قَالَ: فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ جَلَسَ عَلَى بَيْتِ أَرِيْسٍ، وَتَوَسَّطَ قَفَّهَا وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي الْبَيْتِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، فَقُلْتُ: لَا كُؤُنَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، قَالَ: ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «أُذِّنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، قَالَ: فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ. قَالَ: فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ فِي الْقُفِّ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبَيْتِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقْنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ - يُرِيدُ أَخَاهُ - خَيْرًا يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «أُذِّنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَجِئْتُ عُمَرَ فَقُلْتُ: أَدْنِ، وَبَشِّرْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ، قَالَ: فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبَيْتِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا - يَعْنِي أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَحَرَّكَ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، قَالَ: وَجِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «أُذِّنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ مَعَ بَلَوَى تُصِيبُهُ» قَالَ:

فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ، وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ مَعَ بَلَوَى تُصِيبُكَ، قَالَ: فَدَخَلَ
فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِيَ، فَجَلَسَ وَجَاهَهُمْ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ.
قَالَ شَرِيكَ: فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَّلَتْهَا قُبُورُهُمْ.

٢٩ - (٢٤٠٣) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَفْرِ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ
بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنِي شَرِيكَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ:
حَدَّثَنِي أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ هَاهُنَا - وَأَشَارَ لِي سُلَيْمَانُ إِلَى مَجْلِسِ سَعِيدِ نَاحِيَةِ
الْمَقْصُورَةِ - قَالَ أَبُو مُوسَى: خَرَجْتُ أُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَلَكَ فِي
الْأَمْوَالِ، فَتَبِعْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ دَخَلَ مَا لَا فَجَلَسَ فِي الْقُفِّ وَكَشَفَ عَنْ سَاقِيهِ وَدَلَّاهُمَا
فِي الْبَرِّ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ حَسَّانَ، وَلَمْ يَذْكُرْ قَوْلَ سَعِيدِ
فَأَوَّلَتْهَا قُبُورُهُمْ.

٢٩ - (٢٤٠٣) حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَا: حَدَّثَنَا
سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، أَخْبَرَنِي شَرِيكَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ يَوْمًا إِلَى حَائِطٍ بِالْمَدِينَةِ لِحَاجَتِهِ، فَخَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ، وَافْتَضَّ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى
حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ: قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَتَأَوَّلْتُ ذَلِكَ
قُبُورَهُمْ، اجْتَمَعَتْ هَاهُنَا وَانْفَرَدَ عُثْمَانُ.

(أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ) فيه استحباب الوضوء حتى ولو لم يرد الصلاة، لعله
يصلّي الضحى، ويذكر الله على طهارة.

(لَأَزْمَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَا كُؤُنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا) فيه خدمة الفاضل، والمجالسة له.
(بِئْرٍ أَرِيَسٍ) بئر في مؤخرة المسجد الآن، على ما أظن أنه عند باب الملك فهد،
وهناك علامة له تميزه، وفيه سقط الخاتم الذي كان مع عثمان نقشه: محمد رسول الله

(حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ) بشر في شأن الحاجة، وهذا من الكنايات.

(وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا) أي جلس على رأسها، ودلى رجله إلى جهة الماء الذي في البئر.
(فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ) فيه فضيلة السلام، وهو من حقوق المسلمين.
(إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ - يُرِيدُ أَخَاهُ - خَيْرًا يَأْتِ بِهِ) يعني لعله أن تناله بشارة من النبي ﷺ.

(فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبُئْرِ) يعني الثلاثة اجتمعوا على قف البئر، ودلوا أرجلهم إلى الماء.

(فَأَوَّلَتْهَا قُبُورُهُمْ) يعني جُمِعُوا الثلاثة في حجرة عائشة، وانفرد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قال شيخ الإسلام: وَلِهَذَا كَانَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ الْخُرُوجَ عَلَى الْأَئِمَّةِ وَقَتَالَهُمْ بِالسَّيْفِ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ، ظُلْمٌ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الْمُسْتَفِيضَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّ الْفَسَادَ فِي الْقِتَالِ وَالْفِتْنَةَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الْحَاصِلِ بِظُلْمِهِمْ بِدُونِ قِتَالٍ، وَلَا فِتْنَةٍ فَلَا يُدْفَعُ أَعْظَمُ الْفَسَادَيْنِ بِالتَّزَامِ أَدْنَاهُمَا وَلَعَلَّهُ لَا يَكَادُ يَعْرِفُ طَائِفَةٌ خَرَجَتْ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ إِلَّا وَكَانَ فِي خُرُوجِهَا مِنَ الْفَسَادِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي أَرَاكَ. اهـ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ابن عم النبي ﷺ، وزوج ابنته سيدة نساء العالمين، وأول من آمن من الصبيان، وقيل: أول من آمن على الإطلاق، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان كريما، شجاعا، عالما، ناصحا، وفضائله مشهورة، وفي غير كتاب مسطورة ومزبورة، ومن

ذلك ما ألفه الإمام النسائي أحمد بن شعيب المتوفى سنة ثلاثة وثلاثمائة في كتاب (الخصائص)، وفضائله منها المذكور في الصحيحين وغيرهما.

وهو رابع الأمة فضلاً بعد نبيها، ورابع الخلفاء الراشدين، ابتلي بالمحبين والمبغضين، فالمحبين الذين تجاوزوا فيه الرافضة، وإن كان حُبهم دعوى، قلنا: محبين من باب ما يظهرون، وإلا فحبهم دعوى، إذ لو كانوا يحبونه حقاً لما تجاوزوا فيه الشرع، ولكنهم غلوا فيه، وألَّهه بعضهم، وحرَقهم، ومتأخروهم طعنوا في أبي بكر وعمر وعثمان، وبقيت الصحابة؛ زعموا لحب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولو كانوا يحبونه محبة شرعية لأحبوا أحبابه.

ولكن محبتهم بدعية دعية، كما يزعم النصارى محبة عيسى فآلهوه وعبدوه، فلم تكن هذه محبة شرعية، وكما يدعي كثير من عباد القبور من الصوفية محبة النبي ﷺ وعبدوه وغلوا فيه، وفي غيره ممن يسمونهم بالأولياء والصالحين. فالمحبة الشرعية: أن يلازم المرء العمل بالكتاب والسنة.

وهكذا أُوذي من مبغضيه الخوارج، قاتلوه، وكفروه، وقاموا عليه، بل وقتلوه كما هو الحال، حيث قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي.

وهكذا النواصب، نصبوا له العداً ولأهل بيته، ولعنوه، واحتقروهم، وغير ذلك مما لا يليق بجناهم، وهم على دين الله الحق، وعلى سنة النبي ﷺ.

الشاهد أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس فيه ثلاث أقسام: القسمان الأولان: ما ذكرنا: من أفرط في المحبة - زعم - حتى أخرجهم عما يليق به ويجوز له، ومن أبغضه حتى وصل الحال إلى تكفيره.

والقسم الثالث: هم أهل السنة حقاً وصدقاً، الذين أحبوهم؛ لمحبة الله له، ولمحبة رسول الله صل الله عليه وسلم له، ولاستقامته على دين الله، ولفضيلته، قال عنه النبي

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: «يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، وقال النبي ﷺ: «لَا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ».

وقد وُضعت فيه من الأحاديث المكذوبة ما لم يوضع على غيره من الصحابة فمن ذلك: علي خير البشر، من أبي فقد كفر، ونحو ذلك من الأحاديث التي هي من صنع الرافضة.

حتى قال الشعبي: لو شئت أن تملأ لي الخشبية بيتي ذهباً على أن أكذب لفعلوا، كانوا يتمنون من الشعبي أن يأتي بحديث مكذوب في فضائل علي بن أبي طالب، ثم يضيفون إليه غيرها من الأحاديث.

ولذلك قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: أقبل شهادة جميع أهل الأهواء إلا الخطابية، أي الرافضة؛ لأنهم يستحلون الكذب لنصرة مذهبهم وطريقهم.

وما زالت الأمة إلى الآن تن من المخالفين لهدي النبي ﷺ في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الرافضة، والخوارج، ومن إليهم، على مر العصور، ليس الآن فقط، بل في كل عصر ومصره فتجد الذين ينتحلون محبة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انتحالاً قتلوا الأمة، وعذبوها، وحاصروها، وأضعفوها، وحالهم مع اليهود والنصارى، ومع الكافرين غير، يعرف ذلك من قرأ التاريخ، وتأمل الأحوال.

وما طمع النصارى في البلاد الإسلامية إلا بعد أن استولى القرامطة العبيدية وتملكوا، وعند ذلك تجرأ الكفار على بلاد أهل الإسلام، وتفرغ العبيدية لقتل أهل الإسلام، وأقرب مرجع لمعرفة ما حصل منهم من البغي والظلم والبطش كتاب شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ (إلحاد الخميني في أرض الحرمين)، لمن أراد أن يعرف شيئاً مما كانوا عليه، ومما فعلوه.

حتى وصل الحال ببعض النساء أن كتبت إلى من يسمى بمعز الدولة: أسألك بالذي أعز النصارى بفلان، وأعز اليهود بفلان، وأذلنا بك أن تقضي لي حاجتي، يعني سلط

عليهم اليهود والنصارى، فرفع شأن أهل الذمة إن كانت لهم ذمة، وطرح شأن أهل الملة، نسأل الله السلامة والعافية.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٣٠ - (٢٤٠٤) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَأَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ وَعَبِيدُ اللَّهِ الْقَوَارِيرِيُّ وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ كُلُّهُمْ عَنْ يُونُسَ بْنِ الْمَاجِشُونَ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا يُونُسُ أَبُو سَلَمَةَ الْمَاجِشُونَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي».

قَالَ سَعِيدٌ: فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشَافَهُ بِهَا سَعْدًا، فَلَقِيتُ سَعْدًا فَحَدَّثْتُهُ بِمَا حَدَّثَنِي عَامِرٌ، فَقَالَ: أَنَا سَمِعْتُهُ، فَقُلْتُ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ؟ فَوَضَعَ إصْبَعِيهِ عَلَى أُذُنِيهِ فَقَالَ: نَعَمْ، وَإِلَّا فَاسْتَكْتَأَ (١).

٣١ - (٢٤٠٤) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْحَكَمِ، عَنْ مُضْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ! فَقَالَ: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي».

٣١ - (٢٤٠٤) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ.

هذا حديث عظيم، فيه فضيلة لعلي بن أبي طالب، لكن الإشكال في فهمه على غير الفهم الصحيح، فإن الرافضة فهمت هذا الحديث على أن منزلة علي بن أبي طالب

وذلك أن النبي ﷺ استخلف عليا على المدينة، كما استخلف موسى عليه السلام هارون على بني إسرائيل حين ذهب لميقات ربه، ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٢]، فقال بعض الشائئين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: خلفك رسول الله ﷺ مع النساء والأطفال ونحو ذلك فلحق النبي ﷺ وذكر له ما ذكر، فكان هذا القول.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ الْقَاضِي: هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا تَعَلَّقَتْ بِهِ الرَّوَافِضُ وَالْإِمَامِيَّةُ وَسَائِرُ فِرْقِ الشَّيْعَةِ فِي أَنَّ الْخِلَافَةَ كَانَتْ حَقًّا لِعَلِيِّ، وَأَنَّهُ وَصَّى لَهُ بِهَا.

وَقَالَ الْقَاضِي: وَلَا شَكَّ فِي كُفْرٍ مَنْ قَالَ هَذَا؛ لِأَنَّ مَنْ كَفَرَ الْأُمَّةَ كُلَّهَا وَالصَّدْرَ الْأَوَّلَ فَقَدْ أَبْطَلَ نَقْلَ الشَّرِيعَةِ، وَهَدَمَ الْإِسْلَامَ، وَأَمَّا مَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ الْغُلَاةِ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْلُكُونَ هَذَا الْمَسْلَكَ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا حُجَّةَ فِيهِ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، بَلْ فِيهِ إِبْطَاتٌ فَضِيلَةٌ لِعَلِيٍّ، وَلَا تَعَرُّضُ فِيهِ لِكَوْنِهِ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ أَوْ مِثْلَهُ، وَلَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ لِاسْتِخْلَافِهِ بَعْدَهُ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا قَالَ هَذَا لِعَلِيٍّ حِينَ اسْتَخْلَفَهُ فِي الْمَدِينَةِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا أَنَّ هَارُونَ الْمُشَبَّهَ

بِهِ لَمْ يَكُنْ خَلِيفَةً بَعْدَ مُوسَى، بَلْ تُوفِّيَ فِي حَيَاةِ مُوسَى، وَقَبِلَ وَفَاةَ مُوسَى بِنَحْوِ أَرْبَعِينَ سَنَةً عَلَى مَا هُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ الْأَخْبَارِ وَالْقَصَصِ.

قَالُوا: وَإِنَّمَا اسْتَخْلَفَهُ حِينَ ذَهَبَ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ لِلْمُنَاجَاةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا نَزَلَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَزَلَ حَكَمًا مِنْ حُكَّامِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَحْكُمُ بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا يَنْزِلُ نَبِيًّا، وَقَدْ سَبَقَتْ الْأَحَادِيثُ الْمُصَرِّحَةُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ. اهـ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٣٢ - (٢٤٠٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَادٍ، وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَاتِمٌ وَهُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ مِسْمَارٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التَّرَابِ؟ فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَنْ أُسَبَّهُ لَأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةً مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ خَلَفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَلَفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي»، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: فَتَطَوَّلْنَا لَهَا، فَقَالَ: ادْعُوا لِي عَلِيًّا! فَأْتِيَ بِهِ أَرْمَدَ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ، وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٦١] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي».

٣٢ - (٢٤٠٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ

إِبْرَاهِيمَ، سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيٍّ: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى».

(أَمَّا مَا ذَكَرْتُ) مكتوب (ذَكَرْتُ)، لعله ذكرت، أو ما ذكرتُ أنا، بمعنى الذي ذكرت أنا.
(أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ) يعني من الإبل السوداء الحمراء الجميلة.
(يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ) شهادة عظيمة من نبي كريم لعلي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، حب الله ورسوله،
(وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ) شهادة أعظم.
(فَبَصَّقَ فِي عَيْنِهِ) وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ.

(وَدَفَعَ الرَّأْيَةَ إِلَيْهِ) كان النبي ﷺ يتخذ راية ولواء، قال بعض أهل العلم: الراية واللواء شيء واحد، وقال بعضهم: اللواء أبيض والراية سوداء، وقيل غير ذلك، لكن لم يثبت أن راية النبي ﷺ كانت فيها كتابة، (لا إله إلا الله) ولا غير (لا إله إلا الله). ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٦١] آية المباهلة، حيث طلب النصارى المباهلة ثم تركوا.

(دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي) وهؤلاء أيضا غلوا فيهم، وسموهم الخمسة، وربما أحدهم إذا اشتد حاله قال: يا الخمسة، بدل أن يقول: يا الله فرج كربتي واقض حاجة أنزلها بالخمسة بل اتخذوا هؤلاء الخمسة سترا من النار، حتى قال بعضهم:

لي خمسة هم الحجا
المصطفى، والمرضى
نسأل الله السلامة والعافية.

وأما قوله: (أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟) هذا إن صح فهو من تأول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومعاوية صحابي جليل، وعلي أفضل منه ومع ذلك والخلافات تقع بين الناس، لا يجوز لأحد أن يطعن في معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بسبب مثل هذه الأحاديث التي نرجو أن الله **عَزَّوَجَلَّ** قد تجاوز عنهم جميعاً، **﴿تَكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [سورة البقرة: ١٣٤].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ الَّتِي فِي ظَاهِرِهَا دَخَلَ عَلَى صَحَابِيٍّ يَجِبُ تَأْوِيلُهَا، قَالُوا: وَلَا يَقَعُ فِي رِوَايَاتِ الثَّقَاتِ إِلَّا مَا يُمْكِنُ تَأْوِيلُهُ. فَقَوْلُ مُعَاوِيَةَ هَذَا لَيْسَ فِيهِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُ أَمَرَ سَعْدًا بِسَبِّهِ، وَإِنَّمَا سَأَلَهُ عَنِ السَّبَبِ الْمَانِعِ لَهُ مِنَ السَّبِّ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: هَلِ امْتَنَعْتَ تَوَرُّعًا، أَوْ خَوْفًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ. فَإِنْ كَانَ تَوَرُّعًا وَإِجْلَالًا لَهُ عَنِ السَّبِّ فَأَنْتَ مُصِيبٌ مُحْسِنٌ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَهُ جَوَابٌ آخَرُ، وَلَعَلَّ سَعْدًا قَدْ كَانَ فِي طَائِفَةِ يَسْبُونَ فَلَمْ يَسُبَّ مَعَهُمْ، وَعَجَزَ عَنِ الْإِنْكَارِ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ، فَسَأَلَهُ هَذَا السُّؤَالَ.

قَالُوا: وَيَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا آخَرَ أَنَّ مَعْنَاهُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخَطِّئَهُ فِي رَأْيِهِ وَاجْتِهَادِهِ، وَتُظْهِرَ لِلنَّاسِ حُسْنَ رَأْيِنَا وَاجْتِهَادِنَا، وَأَنَّهُ أَخْطَأَ؟

وهذا توجيه طيب، فليس معناه أنه قال: سب علي بن أبي طالب، وإنما قال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فأبي حديث تجد فيه مدخلا على الصحابة أحمله على المحمل الحسن وإلا أترك الخوض فيه، دع الصحابة فيما جرى بينهم، فكلهم في الحشر مغفور لهم.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللهُ:**

٣٣ - (٢٤٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرٍ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ».

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَتَسَاوَرَتْ لَهَا رَجَاءً أَنْ أُدْعَى لَهَا، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا وَقَالَ: «امْشِ».

وَلَا تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ»، قَالَ: فَسَارَ عَلَيَّ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى مَاذَا أَقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: «قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(١).

٣٤ - (٢٤٠٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ حَارِثٍ، عَنْ أَبِي حَارِثٍ، عَنْ سَهْلٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَاللَّفْظُ هَذَا، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي حَارِثٍ، أَخْبَرَنِي سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرٍ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «فَارْسُلُوا إِلَيْهِ»، فَأَتِي بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَاتِلْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يُحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(٢).

٣٥ - (٢٤٠٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَاتِمٌ يَعْنِي ابْنَ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرٍ، وَكَانَ رَمِدًا، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ عَلَيَّ فَاحَقَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءَ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ فِي صَبَاحِهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ - أَوْ لِيَأْخُذَنَّ بِالرَّايَةِ - عَدَا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٣٩٩).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٩٤٢).

اللَّهُ عَلَيْهِ»، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيِّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرِّايَةَ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ^(١).

(مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ) لهذه الشهادة العظيمة، لأن الإنسان قد يدعي محبة الله عز وجل ومحبة رسوله ﷺ وفي الواقع قد لا تكون هي المحبة الشرعية، فإن الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

(فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ) التزام بالأمر، ومبادرة إلى الطاعة، وعدم تأول.

سيأتي أنه يقاتلهم على الإسلام، وهذا هو ابتداء شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم بعد ذلك تطلب منهم بقية الفرائض، وفيه ملازمة الأمراء لطاعة من هو أعلى منهم؛ لأن ذلك من أسباب ثبات الجيش، ومن أسباب النصر. وفيه أن رفع الصوت عند النبي ﷺ ممنوع منه إن لم يكن لحاجة، ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [سورة الحجرات: ٢]، وهنا صرخ علي بن أبي طالب للحاجة إلى ذلك.

وهذا قبل أن تفرض الجزية، كما بين ذلك ابن القيم في (زاد الميعاد)؛ لأنه لم يقل له: قاتلهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فالجزية إنما فرضت بعد ذلك، كما في سورة التوبة، وهي من آخر ما أنزل من القرآن.

(فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا) أي أن النفس معصومة إلا بما يوجب ذلك، وقد تقدم بيانه.

الشاهد أن الحديث ساقه المصنف في فضائل علي بن أبي طالب رضي الله.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٩٧٥).

وفيه دليل من دلائل نبوة النبي ﷺ حيث أخبر بفتح علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل وقوعه.
(فَبَاتَ النَّاسُ يُدْوِكُونَ لِبَلِّئِهِمْ أُيُّهُمْ يُعْطَاهَا) منافسة في الخير، **(وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)** [سورة المطففين: ٢٦]، **(إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ)** [سورة الأنبياء: ٩٠]، لما يعلمون في أنفسهم من محبة الله، ومحبة رسول الله ﷺ، ويأملون الخير بسبب ذلك.

(فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ) هذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، ولو تأملنا ما جاء من الآيات على يد النبي ﷺ لرأينا أن الله جمع له ما كان للأنبياء قبله، فقد اتخذه خليلا، وقد كلم ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَكْلِيمًا**، ويرى الله **عَزَّ وَجَلَّ** على يديه من شاء من المرضي والزمي وهكذا جعل الله **عَزَّ وَجَلَّ** على يديه الآيات الكثيرات الباهرات، التي جمعت في غيره من الأنبياء والمرسلين، واستجاب دعوته، ونصره، ومكن له، أمور كثيرة.

(انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ) يعني امض إليهم على رسلك، بالسكينة والوقار.
(حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ) أي لا تبدأ القتال حتى تنزل بساحتهم، والساحة: العرصة التي غالب أن يكون فيها الكر والفر.
(وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وما يلزمهم بعد ذلك.

(فَوَاللَّهِ) القسم والحلف بغير استحلاف للتأكيد.
(لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ) فيه فضيلة الدعوة إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وأن الدال على الخير له كأجر فاعله، كما تقدم: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»**.
(كَانَ عَلَيَّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْرٍ) بسبب المرض.
(وَكَانَ رَمِدًا) مرض يكون في العينين.

(فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ) يعني كانوا يظنون أنه لم يأت.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٦ - (٢٤٠٨) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَشُجَاعُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُليَّةَ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي أَبُو حَيَّانَ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ وَغَزَوْتَ مَعَهُ وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدَّثَنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي وَقَدِمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعْمِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَأَقْبَلُوا، وَمَا لَا فَلا تَكْلُفُونِيهِ. ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ وَوَعِظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

٣٦ - (٢٤٠٨) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ بْنُ الرِّيَّانِ، حَدَّثَنَا حَسَّانُ يَعْنِي ابْنَ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ بِمَعْنَى حَدِيثِ زُهَيْرٍ.

٣٦ - (٢٤٠٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي حَيَّانَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: «كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، مَنْ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ».

٣٧ - (٢٤٠٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ بْنُ الرِّيَّانِ، حَدَّثَنَا حَسَّانُ يَعْنِي ابْنَ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَعِيدٍ وَهُوَ ابْنُ مَسْرُوقٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا لَهُ: لَقَدْ رَأَيْتَ خَيْرًا، لَقَدْ صَاحَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ، مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ».

وَفِيهِ: فَقُلْنَا: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ نِسَاؤُهُ؟ قَالَ: لَا، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ الْمَرْأَةُ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ الْعَصْرَ مِنَ الدَّهْرِ ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَتَرْجِعُ إِلَى أَبِيهَا وَقَوْمِهَا، أَهْلُ بَيْتِهِ أَصْلُهُ وَعَصْبَتُهُ الَّذِينَ حُرِّمُوا الصَّدَاقَةُ بَعْدَهُ.

(لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدٌ خَيْرًا كَثِيرًا) هذا دليل على أن صحبة النبي ﷺ منزلة رفيعة، لا يوازيها شيء من العمل، تكون لصاحبها رتبة خاصة، ثم بعد ذلك التفاضل في بقية الأعمال، فمهما جاء بعدهم فلن يصل إلى مرتبتهم؛ لأنهم يزيدون عليه بشرف الصحبة.

(لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي) إبداء العذر، (وَقَدَّمَ عَهْدِي) يعني: بعد.

(فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَأَقْبَلُوا، وَمَا لَا فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ) ومع ذلك صان الله ﷻ الصحابة أن يكون منهم مختلطاً، بل كلهم عدول في جميع أوقاتهم، في حال شبابهم وحال شيخوختهم، بخلاف غيرهم، ربما تجد فيهم من اختلط وذهب علمه، أو لبس عليه بعض شيء.

(قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ) وهذا عند عودته من حجة الوداع.

(فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ) كعادته في ابتداء الخطب ﷺ.

(وَوَعَّظَ وَذَكَرَ) يعني بالترغيب والترهيب.

(يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ) أي الموت، وفي هذا دليل أنه لا يجوز أن يرفع فوق منزلته التي أعطاه الله إياها، فلا يدعى من دون الله، ولا يرجى من دون الله، ولا ينذر له، ولا يجعل له شيء من خصائص الربوبية والألوهية، وفيه أن كل نفس ذائقة الموت.

(وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ) أي تارك فيكم أمرين عظيمين.

(أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى) القرآن فيه الهدى، الدلالة والإرشاد إلى الخير.

(وَالنُّورُ): الوحي.

(فُخِّدُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ) أي تمسكوا به، واعملوا به، وانقادوا له.

وإذا أفرد الكتاب دخلت فيه السنة، وإذا أفردت السنة دخل فيها الكتاب، والعمل بالكتاب يلزم منه العمل بالسنة، ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

(فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ) أي ذكر من فضائله، وعظيم منزلته وبركته.

(أَذَكَّرَكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي) ظن الظان أنه أمر بهذين الثقلين: الكتاب وأهل البيت،

وقد جاءت رواية خارج الصحيح: «كتاب الله وستي»، وأما أهل البيت إنما ذكر ما لهم

من الحق وأن لا يضيع، ولا يفرط فيه، إذ كيف يكون الاستمسك بهم؟ وإنما قال:

(وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذَكَّرَكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي) أي: أدوا لهم حقوقهم، واقبلوا من محسنهم،

وتجاوزوا عن مسيئتهم، كما فعل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: لأن أصل قرابة النبي ﷺ أحب

إلي من أن أصل قرابتي.

وهذه الفضيلة ليست لجميع آل البيت، إنما من كان منهم من الصالحين، وإلا فإن آل محمد ﷺ جميع أتباعه، كما هو قول سفيان، وقول عبد الرزاق، وقول غير واحد من أهل العلم، من المتقدمين والمتأخرين.

(نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ) وهذا هو الموافق للقرآن ولكن المراد بالحديث من حُرِّم الصدقة، قال الله عزَّجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣]، ونسأؤه داخلات في هذه الآية.

(وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ حُرْمِ الصَّدَقَةِ بَعْدَهُ) أي: مُنْع منها.
(أَلْ عَلِيٍّ وَأَلْ عَقِيلٍ وَأَلْ جَعْفَرٍ) وكل هؤلاء أبناء أبي طالب.

فمثلا حمزة بن عبد المطلب لم يكن له ذرية، كان له بنت واحدة، والغالب أن آل الرجل من الذكور، فكان من حرم الصدقة هم: بنو أبي طالب وآل عباس، وأيضا بنو المطلب كما في الحديث الذي تقدم في الزكاة.

(مَنْ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ) ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢].

وهذه قصة مشهورة، كما ترى في الصحيح، ولكن الرافضة زادوا فيها، وزعموا أن النبي ﷺ قام في ماء خم وأوصى بالخلافة لعلي بن أبي طالب وليس في شيء من طرق الأحاديث ما ذهبوا إليه، ولو كان قد أوصى له لسمع هذه الوصية المهاجرون والأنصار، وما كان لهم أن يتخلفوا عن وصية رسول الله ﷺ.

وكان هذا الأمر في الثامن عشر من ذي الحجة للعام العاشر، واتخذ الرافضة هذا اليوم عيداً، بل هو العيد الأكبر عندهم، ويقدم على عيد الأضحى.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٨ - (٢٤٠٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: اسْتُعْمِلَ عَلَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ آلِ مَرْوَانَ، قَالَ: فَدَعَا سَهْلٌ بْنُ سَعْدٍ فَأَمَرَهُ أَنْ يَشْتِمَ عَلِيًّا، قَالَ: فَأَبَى سَهْلٌ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِذْ أَبَيْتَ فَقُلْ لَعَنَ اللَّهُ أَبَا التُّرَابِ، فَقَالَ سَهْلٌ: مَا كَانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَبِي التُّرَابِ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ إِذَا دُعِيَ بِهَا، فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنَا عَنْ قِصَّتِهِ، لِمَ سَمَّيْتَ أَبَا تُرَابٍ؟ قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَحِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمَلٍ؟» فَقَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فغَاضِبَنِي فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنَّسَاءِ: «انْظُرْ أَيْنَ هُوَ»، فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ فَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: «قُمْ أَبَا التُّرَابِ، قُمْ أَبَا التُّرَابِ»^(١).

(اسْتُعْمِلَ عَلَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ آلِ مَرْوَانَ) كأنه مروان بن الحكم.

(فَأَمَرَهُ أَنْ يَشْتِمَ عَلِيًّا، قَالَ: فَأَبَى سَهْلٌ) لفضيلة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعض أمراء بني أمية

كان فيهم نوع نصب.

(فَاطِمَةُ) زوج علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فغَاضِبَنِي فَخَرَجَ) هذا من أحسن الحلول للسلامة من معرفة

النساء، إذا وقعت مغاضبة اخرج، ترجع وهي في أحسن حال، متألمة مما لحقها من زوجها، ولحق زوجها منها، أما البقاء عندها هي تتكلم وأنت تريد وهي تنقص أو تزيد ربما يؤدي إلى ما لا يُحمد.

(فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي) قيلولة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٤١).

(انْظُرْ أَيْنَ هُوَ) دليل على أنه لا يعلم الغيب ﷺ.

(هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ) أيضا النوم يذهب الحزن، يذهب الغيظ، ولا يقوم من النوم إلا وقد ذهب كثير مما كان يهمله، أما إذا بقي بدون نوم يستمر الحزن وربما تولد، ويستمر الغيظ، وربما تولد.

فمن كان يسهل عليه النوم فهو أسهل علاج لذهاب الأحزان والأنكاد، ينام نومه يرتاح فيها جسمه وبدنه، ويرتاح فيها فكره، لا سيما إذا كانت النوم بعد إرهاق وتعب ونصب وسهر، فإن الجسم بطبيعته لا بد أن يأخذ حظه وقسطه من النوم. وهذا من رحمة الله عز وجل، جعل لنا الليل لباسا والنهار معاشا، ومع ذلك في النهار ينام الإنسان نومة يقوي بها جسمه.

وفيه جواز النوم في المسجد.

(قُمْ أَبَا التَّرَابِ) فصار بعد ذلك لقب له، فكنيته أبو الحسن ولقبه أبو التراب وبعضهم ربما كناه: أبو الحسن والحسين.

وفي هذا الحديث استحباب ملاطفة الغضبان، والمشي إليه لاسترضائه، ودخول الأولياء في الإصلاح بين الأزواج، فمن أهم المهمات القيام بهذا الأمر، والسعي في إصلاح ذات البين، فقد أصلح أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين رسول الله ﷺ وزوجه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وهكذا النبي ﷺ أصلح بين فاطمة وبين زوجها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهكذا بين صفوان بن معطل وزوجه، بعد أن ضربها حتى اخضر جلدتها، وهي إنما أمرته بخير، قالوا: كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدث وهو يصلي، فأخبرته أن هذا ناقض للوضوء، فغضب عليها وضربها، ثم أصبح النبي ﷺ بينهم، وحصل خير.

انتهينا مما ذكره المصنف من فضائل علي بن أبي طالب، وكما تقدم أنه قد ألف في فضائل المصنفات، بل يذكرون أن سبب موت النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه دخل الشام وهم

يقعون في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فألف كتاب (الخصائص)، ثم بعد ذلك قالوا له: نريد كتابا في فضائل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لا أجد إلا حديث: «**لَا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ**»، فركلوه وضربوه على خصيته حتى انتفخت ولحقه بعد ذلك الموت، نسأل الله أن يرحم جميع المسلمين، والله المستعان.

قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

بَابُ فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سعد بن مالك وهو سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن وهيب، وقيل: أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القشي الزهري يكنى أبا إسحاق وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، وقيل: حمنة بنت أبي سفيان بن أمية، أحد العشرة المبشرين بالجنة، قائد المسلمين في غزوة القادسية، وكان مجاب الدعوة، أسلم قديماً حتى ذكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان ربع الإسلام، وقد توسعت في ترجمته في كتابي "اعرف سلفك" والحمد لله.

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

٣٩ - (٢٤١٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «**لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَخْرُسُنِي اللَّيْلَةَ**» قَالَتْ: وَسَمِعْنَا صَوْتَ السَّلَاحِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ هَذَا؟**» قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أَخْرُسُكَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَتَأْمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٨٨٥).

٤٠ - (٢٤١٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ رَبِيعَةَ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ لَيْلَةً، فَقَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ أَخْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَامَ. وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ فَقُلْنَا: «مَنْ هَذَا».

٤٠ - (٢٤١٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ بْنِ رَبِيعَةَ يَقُولُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: أَرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، بِمَثَلِ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ.

(أَرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ) أي لم يأتِه النوم، فالأرق هو تأخر النوم، وليس ثمة يثبت في دعاء الأرق، هناك حديث فيه كلام: اللهم نامت العيون، وغارت النجوم وأنت الحي القيوم^(١).

(لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ) فيه جواز الحراسة، وأنها ليست من خوارم المروءة، وإنما ترك النبي ﷺ استخدام الحراسة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل في شأنه: ﴿وَاللَّهُ يَعَصَمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [سورة المائدة: ٦٧].

وفيه أهمية الانتباه، فإن أهل الباطل يترصدون ويتربصون بأهل الحق. وفيه أن من أعظم أسباب الراحة النفسية الأمن، فإذا خاف الإنسان تأخر في نومه، وزهد في طعامه، وكثرت همومه وغمومه، وإذا آمن انشرح صدره، وهذا باله واطمأنت نفسه، فكان الأمن من أعظم نعيم الله عَزَّوَجَلَّ على عباده المؤمنين الموحدين، ولذلك

(١) أخرجه مالك في (الموطأ)، حديث رقم: (٦٣٣)، عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، موقوفاً عليه.

كانت الجنة دار الأمن، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢]، في دنياهم وأخراهم، لكن الأمن المطلق في الجنة، إذا دخلوها لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

(وَسَمِعْنَا صَوْتَ السَّلَاحِ) حقق الله رجاءه، وهذا من الآيات البينات والكرامات العظيمة لرسول الله ﷺ.

وهذا أيضا من فضائل سعد، علم أن النبي ﷺ بحاجة إلى حراسة فانطلق لحراسته، وهذا دليل على نباهته، وقوة عقله، وأيضا عظيم محبته لرسول الله ﷺ، ويدل على شجاعته، ومروءته.

(يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أَخْرُسُكَ) فأقره النبي ﷺ على ذلك.

(غَطِيطُهُ) وهو النفخ حين النوم.

(لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا)؛ لأن الصالحين تعمل معرتهم، تعمل خيانتهم، تأمن مكرهم. **(فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَامَ)** فيه مجازاة فاعل المعروف بالإحسان إليه، والدعاء له، وقد دعا النبي ﷺ لأبي قتادة حين حفظه من السقوط من على رحلته فقال: **«حفظك الله بما حفظت نبيه»**، وقد قال رسول الله ﷺ: **«وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا اللَّهَ لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنْ قَدْ كَافَتْهُ»**.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٤١ - (٢٤١١) حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَوِيهِ لِأَحَدٍ غَيْرِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: **«إِزِمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»** ^(١).

٤١ - (٢٤١١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَاقُ الْحَنْظَلِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بِشْرِ، عَنْ مِسْعَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مِسْعَرٍ، كُلُّهُمْ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَادٍ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

٤٢ - (٢٤١٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ بِلَالٍ، عَنْ يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبُويهِ يَوْمَ أُحُدٍ ^(١).

٤٢ - (٢٤١٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَابْنُ رُمْحٍ، عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، كِلَاهُمَا عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

٤٢ - (٢٤١٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا حَاتِمٌ يَعْنِي ابْنَ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ مِسْمَارٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ لَهُ أَبُويهِ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَخْرَقَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»، قَالَ: فَتَزَعْتُ لَهُ بِسَهْمٍ لَيْسَ فِيهِ نَضْلٌ فَأَصَبْتُ جَنْبَهُ فَسَقَطَ فَاِنْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى نَوَاجِذِهِ.

(مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ) التركي البغدادي، ثقة صاحب سنة.

فيه جواز التفدية من الفاضل للمفصول، وهذا دليل على فضله.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ جَوَازُ التَّفْدِيَةِ بِالْأَبْوَيْنِ، وَبِهِ قَالَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ، وَكَرِهَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكَرِهَهُ بَعْضُهُمْ فِي التَّفْدِيَةِ بِالْمُسْلِمِ مِنْ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٧٢٥).

أَبُوَيْهِ. وَالصَّحِيحُ الْجَوَازُ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقِيقَةُ فِدَاءٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ وَالْطَّافُ وَإِعْلَامٌ بِمَحَبَّتِهِ لَهُ، وَمَنْزِلَتِهِ، وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِالتَّفْدِيَةِ مُطْلَقًا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (مَا جَمَعَ أَبُوَيْهِ لِغَيْرِ سَعْدٍ)، وَذَكَرَ بَعْدُ أَنَّهُ جَمَعَهُمَا لِلزُّبَيْرِ، وَقَدْ جَاءَ جَمَعُهُمَا لِغَيْرِهِمَا أَيْضًا، فَيَحْمَلُ قَوْلُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى نَفْيِ عِلْمِ نَفْسِهِ، أَيْ لَا أَعْلَمُهُ جَمَعَهُمَا إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ.

وَفِيهِ فَضِيلَةُ الرَّمْيِ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ، وَالِدُّعَاءُ لِمَنْ فَعَلَ خَيْرًا. اهـ

وهذا دليل على شجاعته، كما أشرنا آنفاً، والقوة الرمي، كما قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنَّ

الْقُوَّةَ الرَّمْيُ».

وفيه تحريض المقاتلين على القتال في سبيل الله.

(يحيى بن سعيد) الأنصاري.

لأن يوم أحد يوم قتال شديد، لم يثبت فيه إلا القلة القليلة، لا سيما بعد الهزيمة ولذلك أفرد النبي ﷺ في تسعة من الأنصار وقرشين، فمات جميع الأنصار التسعة الذين كانوا حول النبي ﷺ، وخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ، لولا أن الله حرسه، وإلا الواقع أنهم وصلوا إليه وضربوه ضربة الموت، ضربة الرأس هذه ضربة الموت، لا سيما إذا كُسر المغفر؛ لأن المغفر هو الذي يدفع عن الرأس ضرب السيف ورمي النبل، فإذا كسر وصلت الضربة إلى الرأس، فلذلك انكسرت رباعيته ﷺ.

(كَانَ رَجُلٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَخْرَقَ الْمُسْلِمِينَ) بالرمي، أو بالضرب، آذاهم

وأتعبهم.

(فَنَزَعْتُ لَهُ بِسَهْمٍ لَيْسَ فِيهِ نَصْلٌ) قلة السلاح، قلة العتاد والعدة، ومع ذلك جعل الله

فيه بركة.

(فَأَصَبْتُ جَنْبَهُ فَسَقَطَ)؛ لقوة الرمية.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ: وَأَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنِيمَةً عَظِيمَةً، فَإِذَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذَتْهُ، فَاتَّيَتْ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ فَقُلْتُ: نَفْلُنِي هَذَا السَّيْفَ فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ، فَقَالَ: «رُدَّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ»، فَاِنْطَلَقْتُ حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَهُ فِي الْقَبْضِ لَأَمْتَنِي نَفْسِي، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: أَعْطِنِيهِ، قَالَ: فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ: «رُدَّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ»، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [سورة الأنفال: ١].

قَالَ: وَاتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ فَقَالُوا: تَعَالَ نُطْعِمَكَ وَنَسْقِكَ خَمْرًا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ، قَالَ: فَاتَيْتُهُمْ فِي حُشٍّ - وَالْحُشُّ: الْبُسْتَانُ - فَإِذَا

رَأْسُ جَزُورٍ مَشُويٍّ عِنْدَهُمْ وَزُقٌّ مِنْ خَمْرٍ، قَالَ: فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ، قَالَ: فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ، فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيْ الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي بِهِ فَجَرَحَ بَأَنفِي، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِيَّ - يَعْنِي نَفْسَهُ شَأْنَ الْخَمْرِ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [سورة المائدة: ٩٠].

٤٤ - (١٧٤٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ قَالَ: أَنْزِلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ زُهَيْرٍ عَنْ سِمَاكِ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ قَالَ: فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا بِعَصَا ثُمَّ أَوْجَرُوهَا، وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضًا: فَضَرَبَ بِهِ أَنْفَ سَعْدٍ فَفَزَرَهُ، وَكَانَ أَنْفُ سَعْدٍ مَفْزُورًا.

(عن أبيه) سعد بن أبي وقاص.

(أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ) أي في شأنه، وهذا دليل على فضله، أن الله أنزل في

شأنه قرآنا يتلى على الممدح والثناء، لا على الذم.

(حَلَفْتُ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ) وكان محبا لها محبة له، لكنه

حين أسلم أثر محبة الدين على محبة الأم، ومع ذلك ما آذاها، إلا أنها طلبت منه أمرا لا يجوز، فلذلك لم يواتيها.

(رَعِمْتَ أَنْ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ) دليل على أن أوامر القرآن تصل إليهم وتبلغهم

والحجة قائمة، ويفهمون مراد الله ومراد رسوله ﷺ.

(مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ) من الجوع؛ لأن الجوع يضعف البدن

ويفسده، ويذهب المدارك، وربما فقد الإنسان الذاكرة، وإذا استمر عليه هلك ومات.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي إحسانا.

﴿وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي أحسن إليهما بالمعروف، بدون أن يقع منك تفريط في دينك، أو ميل إلى بدعة أو معصية بسببهما، وإنما يطاعان في المعروف، ويحسن إليهما به.

(حَتَّىٰ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَهُ فِي الْقَبْضِ لَأَمْتِي نَفْسِي) يعني كالذي يقول: لو زدت أتلف به ربما أعطاني إياه.

وفيه طاعة سعد لرسول الله ﷺ.

(دَعْنِي أَقْسِمُ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ) أراد أن يتصدق بجميعه.
(فَكَانَ بَعْدَ الثُّلُثِ جَائِزًا) في رواية: «الثلاث والثلاث كثير»، ومع ذلك قال ابن عباس:
لو أن الناس غضبوا من الثلاث إلى الربع.

(فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَّشْوِيٍّ عِنْدَهُمْ): رأس جمل، ومليء باللحم.
(وَزَقُّ مِنْ حَمْرٍ): إناء، جفنة ونحو ذلك.

(فَدَكَّرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ) أي بعد أن سكرُوا، جعلُوا يتفاخرون.

(الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ) وهذا هو الواقع.

(فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيْ الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي بِهِ فَجَرَحَ بَأْنْفِي) يعني حمية للأَنْصَارِ لكن

كان سكرانا لا إثم عليه، ويلزمه الضمان، إلا أن يعفو في أرشه.

فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ﴾ (الخمير معروف، والميسر:

القمار، والأنصاب: الأصنام، وقيل: ما يذبح عليه الكفار لأصنامهم، والأزلام:

الاستقسام بالنبل ونحو ذلك.

(﴿رَجَسَ مَنْ عَمَلَ الشَّيْطَانَ﴾) يعني حرام، وهذا من الأدلة على أن الرجس لا يراد به

النجس؛ لأن بعض الذين يتكلمون عن الخمر ذهبوا إلى نجاسته، والصحيح أنه ليس

بنجس من أوجه:

الوجه الأول: لو كان نجسا ما جاز شربه، ولا جاز تعاطيه في زمن الحل.

الوجه الثاني: إن كانت النجاسة لحقته بالتحريم فقد صُبَّ في طرق المدينة، ومشى

الناس عليه، ولم يُذكر أنهم غسلوا من أثره.

الوجه الثالث: أنه قد قُرِنَ بالميسر القمار، فما النجاسة في القمار والأنصاب:

الأصنام، أحيانا ينظفونها بالأشنان، وهكذا الأزلام: القداح، فدل على أن الرجس

الحرام وعلى أن الحرام لا يلزم منه النجاسة، هذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم.

وإنما هي من أعمال وسبل وطرق الشيطان.

(فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَطْعَمُوها شَجَرُوا فَأَهَا بِعَصَا ثُمَّ أَوْجَرُوها) وهذا في الطفل إذا

مرض وأبى أن يتناول الطعام كانوا يفعلون به هكذا، يعني يدخلون شيئا في فيه حتى

ينفتح، ثم يصبون فيه، فربما بلع بعضه ورد بعضه.

وفي الحديث رواية خارج صحيح: قال سعد: لو كان يحبني ما ضربني، أو ما فعل

به كذا، فأنزل الله تحريم الخمر.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٤٥ - (٢٤١٣) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدٍ: فِي نَزَلَتْ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [سورة الأنعام: ٥٢]، قَالَ: نَزَلَتْ فِي سِتَّةِ آثَانَا وَابْنِ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا لَهُ: تُذْنِبِي هَؤُلَاءِ.

٤٦ - (٢٤١٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنِ الْمُقْدَامِ بْنِ شَرِيحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هَذِيلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أَسْمِيَهُمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [سورة الأنعام: ٥٢].

(اَطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا) وهذا من كبر المشركين، لا يرضون بالجلوس مع ضعفاء المسلمين.

(وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيَهُمَا) لعله نسي التسمية لهما.

(فَوَقَّعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ) يعني ينحيهم من أجل: لعلهم أن يسلموا، لعلهم أن يؤمنوا.

(فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾) ومثلها: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [سورة الكهف: ٢٨]، فلا تطرد الموحدين، بل وجالسهم.

وفي هذا فضيلة للمهاجرين الأولين، وفضيلة لهؤلاء السابقين، وفيه سبل الكفار في إغراء المستقيم، لكن الإنسان عليه أن يثبت على دينه، ويستعين بالله **عَزَّجَلَّ** وعسى الله أن يقبل بقلوب العباد عليه، وإلا كفاه شرهم، وبور مكرهم.

بهذا نكون قد انتهينا مما سطره المصنف **رَحْمَةُ اللَّهِ** في فضائل سعد بن أبي وقاص، وفضائله أكثر من ذلك، ولكن هذه إشارات.

قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا

طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، أبو محمد، القرشي التيمي، وأمه الصعبة بنت عبد الله بن مالك الحضرمية، يعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض.

والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الأسدي، يكنى أبا عبد الله، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ فهو ابن عمة رسول الله، وابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي.

وهما أيضا من العشرة المبشرين في الجنة، طلحة بن عبيد الله التيمي، والزبير بن العوام، وكان قتلهم في يوم الجمل، أما طلحة يذكرون: أن الذي قتله مروان بن الحكم، والزبير قتله ابن محيريز، وفيه قال رسول الله ﷺ: (بشر قاتل ابن صفية بالنار) إذ أنه ابن عمة رسول الله ﷺ.

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

٤٧ - (٢٤١٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ وَحَامِدُ بْنُ عُمَرَ الْبَكْرَاوِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالُوا: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ وَهُوَ ابْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: لَمْ يَبْقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ، عَنْ حَدِيثِهِمَا ^(١).

(أبو عثمان) هو النهدي.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٧٢٢).

وهذا اليوم يوم أحد، حيث بقي النبي ﷺ في مواجهة المشركين، مع من بقي من المسلمين، وكانوا تسعة من الأنصار، كلهم قُتل وهكذا سعد بن أبي وقاص يرمي، والنبي ﷺ يقول: «**ارم فداك أبي وأمي**»، وهكذا طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جاء: أن النبي ﷺ قال: «**قَدْ أُوجِبَ طَلْحَةُ**»، وفيه أن النبي ﷺ رقى على ظهره إلى الجبل، وأيضا أنه لما رُمي بالسهم وشام عن النبي ﷺ قال: حس، قال النبي ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ: بِسْمِ اللَّهِ، لَرَفَعْتَكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ**»^(١).

وكان طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جوادا كريما، باذلا للندى في أهله.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٤٨ - (٢٤١٥) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَاَنْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَاَنْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَاَنْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**»^(٢).

٤٨ - (٢٤١٥) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنْ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، كِلَاهُمَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ عُيَيْنَةَ.

(نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَاَنْتَدَبَ الزُّبَيْرُ) يعني طلب منهم القيام

للجهاد وحرصهم عليه، فأجاب الزبير أول من أجاب.

(ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَاَنْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَاَنْتَدَبَ الزُّبَيْرُ) وهذا دليل على شجاعته وعلى

مسارعته للخير.

(١) أخرجه النسائي، حديث رقم: (٤٣٤٢)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٨٤٧).

(لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٍّ، وَحَوَارِيٍّ الزُّبَيْرِ) الحواري: الناصر، النبي ﷺ أثنى على الزبير بن العوام بهذا الشناء العظيم.

ولا تعارض بين هذا الحديث وبين قول النبي ﷺ: «يَأْتِي النَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»، فالغالب أن الأنبياء وجدوا من يناصرهم، ولو العدد اليسير، لكن قد يوجد من لم ينصر من الأنبياء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وهذه الفضيلة للزبير دليل على علو منزلته، وهو ابن عمه النبي ﷺ، وله حظ من الشجاعة، حتى أن أمه صفية بنت عبد المطلب كانت مذكورة بالشجاعة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

ومما يدل على شجاعة الزبير وقوة بطشه وحذقه بباب الجهاد: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسله مدداً بألف، فلما كان في غزوة اليرموك طلب المجاهدون من الزبير أن يقتحم ويقتحموا معه، قال: إنكم لن تستطيعوا، ومع ذلك حضضوه ووعدوه، فلما اقتحم لم يستطيعوا ما فعل، فَضُرِبَ بالسيف على عاتقه حتى كان ولده بعد ذلك يدخل يده في عاتقه للعب، لأن الحروب كانت تقوم على الكر والفر، وعلى الإقبال والإدبار، فأيهما أسرع وأسبق كان النصر بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ إليه.

بينما في هذه الأيام الحرب تقوم على الرمي من بعيد، قد يرمي الجبان، ويستقوي الضعيف، بخلاف ذلك الزمن.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٩ - (٢٤١٦) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْخَلِيلِ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ مُسْهَرٍ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهَرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ مَعَ النِّسْوَةِ فِي أُطْمِ حَسَّانَ، فَكَانَ يُطَاطِئُ لِي مَرَّةً فَأَنْظَرُ وَأُطَاطِئُ لَهُ مَرَّةً فَيَنْظُرُ، فَكُنْتُ أَعْرِفُ أَبِي إِذَا مَرَّ عَلَى فَرَسِهِ فِي السَّلَاحِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

قَالَ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي فَقَالَ: وَرَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ أَبُوتِي فَقَالَ: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» ^(١).

٤٩ - (٢٤١٦) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ كُنْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي الْأُطَمِ الَّذِي فِيهِ النَّسْوَةُ، يَعْنِي نِسْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ مُسْهَرٍ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَذْكُرْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْوَةَ فِي الْحَدِيثِ، وَلَكِنْ أَدْرَجَ الْقِصَّةَ فِي حَدِيثِ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ.

(فِي أُطَمٍ حَسَنًا): حصن حسان، جعلوا النساء في الحصون؛ خشية دخول الكفار والأذى لهن.

وفيه فعل الأسباب التي يُحفظ بها العار والعرض والنفس والمال، ونحو ذلك. وفيه أن الصغار يبقون مع أمهاتهم؛ لأن خروجهم في الجيش قد يؤدي إلى ضرر والولد مبخله مجبنة، إذا كان الأب يقاتل ويرى ولده بين يديه ربما جبن عن الإقدام وخاف على ولده.

(يُطَاطِيءُ) يخفض لي ظهره.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ لِحُصُولِ ضَبْطِ الصَّبِيِّ وَتَمْيِيزِهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ، فَإِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ وُلِدَ عَامَ الْهَجْرَةِ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ الْخَنْدَقُ سَنَةً أَرْبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ عَلَى الصَّحِيحِ، فَيَكُونُ لَهُ فِي وَقْتِ ضَبْطِهِ لِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ دُونَ أَرْبَعِ سِنِينَ، وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَى مَا قَالَهُ جُمْهُورُ الْمُحَدِّثِينَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ سَمَاعُ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ خَمْسَ سِنِينَ، وَالصَّوَابُ صِحَّتُهُ مَتَى حَصَلَ التَّمْيِيزُ، وَإِنْ كَانَ ابْنُ أَرْبَعٍ أَوْ دُونَهَا.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٧٢٠).

وَفِيهِ مَنْقَبَةُ لِابْنِ الزُّبَيْرِ لِحُجُودَةِ صَبْطِهِ لِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ مُفَصَّلَةً فِي هَذَا السَّنِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

اهـ

(فَكُنْتُ أَعْرِفُ أَبِي إِذَا مَرَّ عَلَى فَرَسِهِ فِي السَّلَاحِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ) هذا دليل على أنهم بقوا في حصونهم حتى توجه المسلمون إلى بني قريظة.

(أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي) فيه ذكر الفضيلة إذا احتج إلى ذلك، لا من باب التبجح بها، ولكن من باب الإخبار بفضل الله عزَّ وجلَّ.

وفيه مؤانسة الأب لولده، ولو كان صغيرا يدخل معه في الكلام، وربما نزل في حال محادثته إلى حال كلام الأطفال، بحيث لا يكلمه كلام الكبار، ويحدثه بما يدخل عليه السرور، والأبناء الصغار لا سيما يرون آباءهم في أعلى ما يكون من الكمال الإنساني، فتجده إذا أراد أن يستنصر يستنصر بأبيه، وإذا أراد أن يفتخر يفتخر بأبيه، وإذا أراد الاستنجاد استنجد بأبيه، وهكذا.

فانظر إلى الزبير كيف يتحدث مع ولده، ويخبره بفضيلته.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٠ - (٢٤١٧) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اهْدَأْ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ».

٥٠ - (٢٤١٧) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَزِيدَ بْنِ حُنَيْسٍ وَأَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْأَزْدِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى جَبَلٍ حِرَاءٍ، فَتَحَرَّكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْكُنْ حِرَاءً، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ

صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ، وَعَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ
وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حراء: جبل جنوب الكعبة، على طريق الطائف الآن، عند حي يقال له: حي النور، وأصبح الناس يسمونه بجبل النور، وهو جبل مرتفع شاهق، كان النبي ﷺ يتحنث فيه قبل أن يوحى إليه.

(هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ) وهذا دليل على سابقيتهم وعلى فضلهم.

(اهْدَأْ) يعني اسكن.

(فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ) وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، فالنبي هو محمد ﷺ، والصديق هو أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والشهيد هو عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكلهم قُتل شهيدا، والله المستعان.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥١ - (٢٤١٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ وَعَبْدَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: أَبَوَاكَ وَاللَّهِ مِنَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ.

٥١ - (٢٤١٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ: تَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ.

٥٢ - (٢٤١٨) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ الْبَهِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: كَانَ أَبَوَاكَ مِنَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ.

وهذا كان في غزوة حمراء الأسد، حيث جاء الخبر أن أبا سفيان ومن إليه قد هموا بالعودة لاستئصال جيش رسول الله ﷺ ومن معه، فندب النبي ﷺ من كان حاضرا غزوة أحد، للاستعداد لمواجهة الكفار، فقام الناس، فأنزل الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٢]، فأكرمهم الله عز وجل بهذا الثواب.

قال رحمه الله:

بَابُ فَضَائِلِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر القرشي الفهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة، مات في الطاعون في خلافة عمر رضي الله عنه، وكان محبوبا إلى النبي ﷺ بشهادة عائشة رضي الله عنها، وكان عمر مستخلفه لو كان حيا؛ لما يعلم من خيره وبره.

ومع ذلك قاد فتوحات الشام في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فتحت على يده دمشق، وبيت المقدس، وإنما جاء عمر رضي الله عنه لاستلام المفاتيح، على ما قد علم في كتب أهل الكتاب.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٥٣ - (٢٤١٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عَلِيَّةَ، عَنْ خَالِدٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عَلِيَّةَ، أَخْبَرَنَا خَالِدٌ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ قَالَ: قَالَ أَنَسُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا آتِيهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٧٤٤).

٥٤ - (٢٤١٩) حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ: «هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأَمَّةُ».

٥٥ - (٢٤٢٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنْ صِلَةَ بْنِ زُفَرٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا أَمِينًا، فَقَالَ: «لَا بَعْثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ حَقَّ أَمِينٍ» قَالَ: فَاسْتَشَرَفَ لَهَا النَّاسُ، قَالَ: فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ ^(١).

٥٥ - (٢٤٢٠) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ) وفيه حرص أهل اليمن على العلم، وفيه ما ذكر من أجله، وهو فضيلة أبي عبيدة بن الجراح **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، إذ أن النبي ﷺ أثنى عليه بالأمانة العظيمة مع أن الغالب أن المسلمين أصحاب أمانة، لكن خصه؛ لمزيد فضل وفضيلة.

وفي هذا الحديث فضل تعلم السنة والإسلام، وأن الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام، وإنما هو من باب عطف الشيء على نفسه، أو المراد بالسنة: الطريقة التي يتعبد بها رسول الله ﷺ في الإسلام، فقد قال البرهاري: واعلم أن السنة هي الإسلام، والإسلام هو السنة.

وفيه اختيار الداعي الذي يرجى نفعه وعلمه.

وفيه التعديل لأهل العدالة، فهو من الدلالة على الخير.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٧٤٥).

(فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ) استشرف الناس لهذه المرتبة وهذا الثناء الحسن؛ رجاء أن يكون كل منهم مشهود له بهذا الفضل وهذه المنزلة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ) أَي تَطَلَّعُوا إِلَى الْوِلَايَةِ، وَرَغِبُوا فِيهَا حِرْصًا عَلَى أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَمِينُ الْمَوْعُودُ فِي الْحَدِيثِ، لَا حِرْصًا عَلَى الْوِلَايَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ. اهـ

ولم يثبت أن أبا عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتل أباه يوم بدر.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَضَائِلِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وهما ابنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جميعا، وأمهم فاطمة بنت النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد بشرهما الرسول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالجنة، كما قال رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

وقد قُتل الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهيدا في كربلاء، في العاشر من محرم سنة واحد وستين، وقصة مقتله محزنة وكانت من أسباب فتنة عظيمة، والله المستعان.
والمأمل في سبب قتله يجد أنهم شيعته في الحالين: الأول: حين اغروه على الخروج، والثاني: حين عاجلوا برميهِ والمواجهة حتى يشروا فعلهم القبيح، والآن يتباكون عليه، قبحهم الله.

قال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٣/ ٤٣-٤١١) في كلام له عن يزيد بن معاوية: وجرت في إمارته أمور عظيمة:

أحدها: مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو لم يأمر بقتل الحسين، ولا أظهر الفرح بقتله، ولا نكت بالقضيب على ثناياه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا حمل رأس الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الشام،

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٠٩٩٩)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لكن أمر بمنع الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبدفعه عن الأمر، ولو كان بقتاله، فزاد النواب على أمره، وحض الشمر ذي الجيوش على قتله لعبيد الله بن زياد، فاعتدى عليه عبيد الله بن زياد، فطلب منهم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يجيء إلى يزيد، أو يذهب إلى الثغر مرابطاً، أو يعود إلى مكة فمنعوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا أن يستأسر لهم، وأمر عمر بن سعد بقتاله فقتلوه مظلوماً له ولطائفة من أهل بيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وكان قتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المصائب العظيمة، فإن قتل الحسين، وقتل عثمان قبله، كانا من أعظم أسباب الفتن في هذه الأمة، وقتلتهم من شرار الخلق عند الله.

ولما قدم أهلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على يزيد بن معاوية أكرمهم وسيرهم إلى المدينة، وروى عنه أنه لعن ابن زياد على قتله. وقال: كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين، لكنه مع هذا لم يظهر منه إنكار قتله، والانتصار له، والأخذ بثأره كان هو الواجب عليه، فصار أهل الحق يلومونه على تركه للواجب مضافاً إلى أمور أخرى. وأما خصومه فيزيدون عليه من الفرية أشياء. اهـ

وقال ابن كثير في "البداية والنهاية" (١١/ ٥٥٧): أن يزيد بن معاوية قال: كُنْتُ أَرْضَى مِنْ طَاعَتِكُمْ بِدُونِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ، لعن الله ابن سمية، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي صَاحِبُهُ لَعَفَوْتُ عَنْهُ، ورحم الله الحسين.

ولم يصل الذي جاء برأسه بشئ.

ولما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد قال: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي صَاحِبُكَ مَا قَتَلْتُكَ. اهـ
 قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٦ - (٢٤٢١) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِحَسَنِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ».

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ) وهذه فضيلة عظيمة للحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من دعاء النبي ﷺ له أن الله يحبه، وإخبار أن النبي ﷺ أنه يحبه، ومعلوم أن النبي ﷺ محبته للصالحين، محبته للخيرين، ومحبته لأهل الفضل والدين.

وأما قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [سورة القصص: ٥٦] فإما أن تحمل على المحبة الجبلية، وإما أن تحمل على المعنى الذي يقوله بعض أهل العلم: إنك لا تهدي من أحببت هدايته.

(وَأَحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ) أي حباً شرعياً من المؤمنين، وأما محبة الغلاة من الرافضة والباطنية وعباد القبور من الصوفية، فلا عبرة بها، ولا التفات إليها لأنها محبة تفيض إلى الشرك والكفر ومحاداة الله ورسوله ﷺ، فالحسن والحسين وأبوهما وأمهما كانوا على مرتبة عليّة، ومنزلة رفيعة، لكن لا يجوز تجاوز المنزلة البشرية الإيمانية فيهم، فقد غلوا فيهم حتى عبدوهم من دون الله، ودعوهم ورجوهم في المعضلات، والله المستعان.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٥٧ - (٢٤١) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ لَا يُكَلِّمُنِي وَلَا أَكَلِمُهُ، حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنِقَاعَ، ثُمَّ انْصَرَفَ حَتَّى أَتَى خِباءَ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ لَكُمْ؟ أَنْتُمْ لَكُمْ؟» يَعْنِي حَسَنًا، فَظَنْنَا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحَبَّسَهُ أُمُّهُ لِأَنَّهُ نَغَسَلَهُ وَتَلْبَسَهُ سَخَابًا، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ» ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢١٢٢).

(لَا يُكَلِّمُنِي وَلَا أَكَلِمُهُ) لعله ﷺ كان مشغولاً بالذكر ونحوه وفيه أن الإنسان لا يتبادل أطراف الحديث مع غيره إلا إذا وجد الرغبة في ذلك.

(بني قينقاع) قوم من اليهود، أجلاهم النبي ﷺ؛ بسبب مكرهم وبغيهم.

(خِباءَ فَاطِمَةَ) المكان الذي تسكن فيه وتختبئ فيه من الناس حتى لا يروها.

(لُكْعُ) كلمة تطلق على عدة معاني منها: التصغير، وأما حديث: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكْعُ بْنُ لُكْعٍ»^(١)، فالمراد به: السيء، أو المراد به: الذي لا عقل له، ولا يبالي بما كان أو يكون.

(وَتُلْسِيهِ سَحَابًا) السحاب: قِلَادَةٌ مِنَ الْقَرْنَفْلِ وَالْمِسْكِ وَالْعُودِ وَنَحْوِهَا مِنْ أَخْلَاطِ الطَّيِّبِ، يُعْمَلُ عَلَى هَيْئَةِ السُّبْحَةِ، وَيُجْعَلُ قِلَادَةً لِلصِّبْيَانِ وَالْجَوَارِي.

(فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ) النبي ﷺ يحبه، والحسن يحب جده.

وكانت وفاة الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سنة تسعة وأربعين، وقيل خمسين، وقيل واحد وخمسين، ويذكرون أنه مات مسموماً والله أعلم، أما القول بأن الذي أمر معاوية لا يثبت فيه شيء.

قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (١١/٢٠٨): وَرَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّ زَيْدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ بَعَثَ إِلَى جَعْدَةَ بِنْتِ الْأَشْعَثِ أَنَّ سُمِّيَ الْحَسَنَ وَأَنَا أَتَزَوَّجُكَ بَعْدَهُ، فَفَعَلْتُ، فَلَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ بَعَثَتْ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنَّا وَاللَّهِ لَمْ نَرْضَكَ لِلْحَسَنِ أَفْتَرَضَاكَ لِنَفْسِنَا؟ وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَعَدَمُ صِحَّتِهِ عَنْ أَبِيهِ مُعَاوِيَةَ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَالْأُخْرَى. اهـ
وأنكر بعضهم أن يكون مات مسموماً بل مات كما يموت الناس، والله أعلم.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢٣٣٠٣)، عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٨ - (٢٤٢٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيِّ وَهُوَ ابْنُ ثَابِتٍ، حَدَّثَنَا الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ قَالَ: رَأَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ»^(١).

٥٩ - (٢٤٢٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ ابْنُ نَافِعٍ: حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيِّ وَهُوَ ابْنُ ثَابِتٍ، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاضِعًا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ».

(عبد الله بن معاذ) وهو العنبري.

(عدي بن ثابت) قاص الشيعة.

وفيه تواضع النبي ﷺ، وحمل الصبيان على العواتق، وإدخال السرور عليهم، وعلى الأب أو من يقوم بشأن الطفل أن ينزل نفسه في التحدث ونحو ذلك على قدر ما يسعد الطفل، لا يعامل الطفل معاملة نفسه الكبيرة، التي قد شبت عن الطوق، وأصبحت تمل اللهو، أما الطفل فيحب اللهو، لا سيما اللهو المباح لا يمنع منه، ما دام لا يؤدي به إلى ارتكاب حرام، ولا يمنعه مما هو أولى منه.

فلا بد أن يأخذ الطفل ما هو له من الحق، إن أردنا منه الاستقامة وأردنا منه العقالة في زمن تمييزه وكبره، فلا بد أن يأخذ حقه، ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة النساء: ٩٤]، ربما كثير من الرجال لا يحب من ولده أن يقوم ببعض الأعمال وهو في أيام صغره كان يتعاطى تلك الأمور.

فالنبي ﷺ يحمل ولده، وربما لاعب امرأته عائشة، وأذن للبنات أن يدخلن عليها إذ تزوجها صغيرة، وكان ربما ضاحكها وسابقها، إلى غير ذلك.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٧٤٩).

ومما يدل على ما قلناه آنفا: أن أبا عمير كان يلعب بعصفور، ومعلوم أن الطفل قد يؤذي العصفور شيئا ما، ومع ذلك لم يمنحه النبي ﷺ، وما زال يلعب به حتى مات العصفور، ثم جعل النبي ﷺ يداعبه: «يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْر؟». قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٠ - (٢٤٣٣) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرُّومِيِّ الْيَمَامِيُّ وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا إِيَّاسٌ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَقَدْ قُدْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ بِغَلْتِهِ الشَّهْبَاءَ حَتَّى أَدْخَلْتُهُمْ حُجْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ، هَذَا قَدَامُهُ وَهَذَا خَلْفُهُ.

(إِيَّاسٌ) بن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(بَغْلَتُهُ الشَّهْبَاءُ) البغلة: حيوان متولد بين الحمار والفرس، ينزو ذكر الحمار على الفرس، فيتولد البغل، وحكمه من حيث الأكل حكم الحمار، لا يجوز أن يؤكل، إلا أنه أشد تحملا من الحمار، وظهره أوسع من ظهر الحمار. ولذلك يحبه الملوك والتجار والأمرء في ذلك الزمن الماضي؛ لأن الحمار مسنم، والركوب عليه لمسافة طويلة يتعب، والبعير يرهق في مشيته، لكن البغلة للأماكن القريبة مريحة.

وهكذا إذا قدم الإنسان من سفر إن استطاع أن يردف أبناءه وأن يكونوا في استقباله يفرحون بمجيئه أمر طيب، وإن كان معه شيء من الهدايا ولو الرخيصة المعبرة عن احترامه لهم ومحبته لهم فإنه يعجبهم ذلك، أو شيء من الحلوى، فلا بد من العناية بالأسرة، والعمل بما يؤدي لإدخال السرور عليهم، ولراحة لهم. وفيه جواز الإرداف من الأمام والخلف.

قال رحمه الله:

بَابُ فَضَائِلِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ

أي جملة، وهم: آل علي، وآل عباس، وآل جعفر وآل عقيل، وهكذا زوجاته من أهله.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٦١ - (٢٤٤٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ - قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ، عَنْ زَكَرِيَاءَ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ شَيْبَةَ، عَنْ صَفِيَّةِ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ: قَالَتْ عَائِشَةُ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

(مصعب بن شيبه) القرشي، ضعيف.

(صَفِيَّةُ بِنْتُ شَيْبَةَ) لها رؤية، وفي البخاري التصريح بسماها من النبي ﷺ.

(غَدَاةً): أي في الصباح.

(وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ) هُوَ الْمُوَشَّى الْمَنْقُوشُ عَلَيْهِ صُورُ رِحَالِ الْإِبِلِ، وَبِالْجِيمِ عَلَيْهِ صُورُ الْمَرَاكِجِ وَهِيَ الْقُدُورُ، وَأَمَّا الْمِرْطُ فَبِكْسَرِ الْمِيمِ، وَهُوَ كِسَاءٌ، جَمْعُهُ: مُرُوطٌ.

(مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ) أي خطوطه من شعر، أو هو من شعر وهو مرحل.

(فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ) أي أدخلهم جميعاً في المِرْطِ.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:

٣٣]) هذه الآية وإن كان الحديث فسرها بهؤلاء الخمسة، وقد غلا الشيعة فيهم،

وتوسلوا بذواتهم وربما دعوهم من دون الله، فتجد بعضهم يقول: يا الخمسة، ويقصد به هؤلاء: النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وربما توسلوا بذواتهم، كما قال قائلهم:

لي خمسة هم الحجا من نار لظى والحاطمة
المصطفى، والمرضى وابناهما، والفاطمة

وليس معنى ذلك أنهم هم المخصوصون بهذه الآية، فهذه الآية يدخل فيها غيرهم، كزوجات النبي ﷺ؛ لأن الله عزَّ وجلَّ أنزل هذه الآية في سياق الوصايا لزوجات النبي ﷺ، فلا بد أن يؤخذ بدلالة سياقة الآيات، فإن كانت خاصة السبب إلا أنها عامة اللفظ، وممن استدل بعموم الآية رسول الله ﷺ، حيث نزلت في زوجاته، وأدخل الحسن والحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم جميعاً في هذه الفضيلة.

لأن بعض من لا يحسن الاستدلال بالقرآن والسنة يذهب إلى إخراج زوجات النبي ﷺ من هذه الفضيلة، مع أن الآية كما قلت: في سياق فضلهن ومنزلتهن، وأن الله أمرهن أن لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى؛ لأن يذهب الرجس عن أهل بيت النبي ﷺ من زوجاته وبناته وغيرهن.

فأهل السنة يذكرون في باب الفضائل ما يتعلق بفضائل الصحابة على العموم، وبفضائل الصحابة على الخصوص، ثم ما يتعلق بفضائل آل البيت على الخصوص؛ لأنه قد وجدنا نواصب ينصبون العداء لهم، فكان ذكر مثل هذه الأحاديث رد على هذه الطائفة، ولشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ محاضرة فُرِغت في كتابه (تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب) في فضائل آل بيت النبي ﷺ.

وأما الأحاديث التي فيها: «اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد» ونحو ذلك فأغلب العلماء يفسرون الآل بالاتباع، وذهب بعض أهل العلم إلى تفسير الآل بمن حرم الصدقة، ولا مانع أن يفسر الحديث بالمعنيين.

فإن كانوا من الصالحين فقد جمعوا في الانتساب إلى آل النبي ﷺ بين نسبة النسب ونسبة الاستقامة، وإن كانوا من الطالحين لا تنفعهم النسبة مع عدم الاستقامة، فإن أبا لهب عم النبي ﷺ ومع ذلك لم ينتفع بهذه الخصلة والمزية العظيمة.

وفي تفسير ابن كثير: وَهَذَا نَصٌّ فِي دُخُولِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ هَاهُنَا، لِأَنَّهُنَّ سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ وَسَبَبُ النُّزُولِ دَاخِلٌ فِيهِ قَوْلًا وَاحِدًا إِمَّا وَحْدَهُ عَلَى قَوْلٍ أَوْ مَعَ غَيْرِهِ عَلَى الصَّحِيحِ، إِلَى أَنْ قَالَ: فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّهُنَّ كُنَّ سَبَبَ النُّزُولِ دُونَ غَيْرِهِنَّ فَصَحِيحٌ، وَإِنْ أُريدَ أَنَّهُنَّ الْمُرَادُ فَقَطْ دُونَ غَيْرِهِنَّ فَفِيهِ نَظَرٌ، فَإِنَّهُ قَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ. اهـ

فالآية نزلت في سياقهن، والعموم يشمل بقية آل بيت النبي ﷺ ممن حُرِّمَ الصدقة، لكن الإشكال فيمن اتخذ الآية في فضائل آل بيت النبي ﷺ الذين حرّموا الصدقة وفي المقابل يذم بيت وزوجات النبي ﷺ التي نزلت فيهن الآية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَضَائِلِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

مولى النبي ﷺ، زيد أعتقه النبي ﷺ وأسامه بن زيد ولده، ومع ذلك كان النبي ﷺ قد تبني زيد بن حارثة وأحسن إليه أيما إحسان، حتى نسخ الله التبني حيث قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿[الأحزاب: ٤٠]﴾.

كما هو معلوم لمن طالع السيرة والفضائل، ولم يُذكر من الصحابة في القرآن باسمه غيره.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٦٢ - (٢٤٢٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيُّ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَا كُنَّا نَدْعُو زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ، حَتَّى نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [سورة الأحزاب: ٥] ^(١).

٦٢ - (٢٤٢٥) قَالَ الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى: أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ السَّرَاجُ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ الدُّوْرِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، بِهَذَا الْحَدِيثِ ^(٢).
٦٢ - (٢٤٢٥) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، حَدَّثَنِي سَالِمٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بِمِثْلِهِ.

٦٣ - (٢٤٢٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ، قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ النَّاسُ فِي إِمْرَتِهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنْ تَطَعْنُوا فِي إِمْرَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمْرَةِ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَيَّ بَعْدَهُ»^(٣).

٦٤ - (٢٤٢٦) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ عُمَرَ يَعْنِي ابْنَ حَمْزَةَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «إِنْ تَطَعْنُوا فِي إِمَارَتِهِ» يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ «فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ كَانَ لَخَلِيفًا لَهَا، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ كَانَ لِأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ هَذَا لَهَا لَخَلِيفٌ» يُرِيدُ

(۱) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٧٨٢).

(۲) یعنی من غیر طریق مسلم بن الحجاج.

(٣) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٧٣٠).

أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، «وَأَيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَأَحَبَّهُمْ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَوْصِيكُمْ بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ».

(وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ) بن حارثه، وأمه أم أيمن، بركة، وكان لونه إلى أمه وشبهه إلى أبيه.

(فَطَعَنَ النَّاسُ فِي إِمْرَتِهِ) كان صغير السن.

(إِنْ تَطَعْنُوا فِي إِمْرَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعُونُونِي فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ)؛ لأنه كان مولى وعادة العرب تقديم غير الموالي، لكن جاء الاسلام وقدم الأفضل، إن كان المولى أو كان غير المولى.

وربما قدم لا لفصيلة مطلقة، وإنما لكونه يحسن هذا العمل، فقد كلف النبي ﷺ عمرو بن العاص بقيادة جيش ذات السلاسل وفي القوم من هو أفضل من عمرو بن العاص، وهكذا جيش أسامه، وفي القوم من هو أفضل من أسامة. وأما قول الرافضة: بأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما تخلفا عن جيش أسامة والنبي ﷺ قد ذم من تخلف عن جيش أسامة فالجواب من وجوه:

الوجه الأول: كثير من الرافضة لا يثبتون الأحاديث، فلماذا يستدلون علينا بما لا يثبتون؟

الوجه الثاني: لم يثبت أن النبي ﷺ أمر أبا بكر وأمر عمر أن يكونا من جيش أسامة، بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية يكذب هذه الرواية.

الأمر الثالث: لو قُدر وثبت فقد صار أبو بكر خليفة المسلمين، في مقام النبي ﷺ، فلا يصلح له أن يترك الخلافة ويذهب، وهكذا عمر صار وزيرا لأبي بكر رضي الله عنه، وتقديم المصلحة العامة أولا من هذا الأمر، لكن مع ذلك نقول: لم يثبت، لكن لو ثبت سيكون لهم وجه، من حيث الاجتهاد، وبقاؤهم كان محل إجماع، وإجماع الصحابة حجة.

بل إن بعض أهل العلم يرى أن إجماع أبي بكر وعمر حجة؛ لقول النبي ﷺ: «فَإِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْضُوا»، «اقتدوا بالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ»، إلى غير ذلك من الأحاديث.

(وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ بَعْدَهُ) ثناء على أسامة وعلى أبيه، وهما من كلب من اليمن، وكلب من بلاد صعدة، وكان مبدأ شأنه: أن زيد بن حارثة اختطف صغيرا وبيع في مكة، وما زال أبوه وأعمامه يتطلبونه، حتى جاءهم الخبر أنه بمكة، فجاءوا إليه فرحين مسرورين، فلما بلغهما مكانه طلبا منه الرجوع معهما، ودفعوا لرسول ﷺ ما أراد فيه، فقال لهم النبي ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قالوا: وما هو يا محمد؟ قال: «خير»، قالوا: قد أنصفتنا، فخيروه، فاختار محمدا ﷺ، فعند ذلك تبناه النبي ﷺ، وكانت العرب تتبنى في ذلك الوقت من تقربه، وفرح أبوه وأعمامه بتبني النبي ﷺ، ورجعوا إلى بلدانهم بعد أن رأوه.

(فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ) شهادة من النبي ﷺ بالصلاح لأسامة بن زيد. وفيه جواز تولية الصغير إن كان يحسن الولاية والقيادة، مع وجود من هو أفضل منه وأكبر.

والسبب في تولية النبي ﷺ له: حتى يأخذ بثأر أبيه من الروم وكان في جيش أسامة فتح عظيم، إذ حصلت الردة الكبيرة، وعزم بعضهم على أبي بكر أن يؤخر جيش أسامة، فيذكر أنه قال: والله لا أؤخره ولو جرت الكلاب بنساء النبي ﷺ، ثم لما أرسل جيش أسامة قالت العرب الذين كانوا يفكرون في الردة ونحو ذلك: لو كان فيهم ضعف ما أرسلوا جيش أسامة، فعند ذلك تهيأوا، وثبت من ثبت، ورجع من رجع إلى الإسلام، وحصل الخير العظيم، والله المستعان.

وكان أول عمل يقوم به أبو بكر بعد تولية الخلافة، إرسال وإمضاء هذا الجيش، والله المستعان.

قال رحمه الله:

بَابُ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، صحابي صغير أبوه صحابي، قتل في مؤتة، وأمه أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان جوادا كريما، وما يُذكر عنه من استخدام آلات اللهو والطرب مثل هذا لا يثبت ولا يلتفت إليه.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٦٥ - (٢٤٢٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُليَّةَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ لابْنِ الزُّبَيْرِ: أَتَذْكُرُ إِذْ تَلَقَّيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَأَنْتَ وَابْنُ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَحَمَلْنَا وَتَرَكَكَ.

٦٥ - (٢٤٢٧) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ، بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ عُليَّةَ وَإِسْنَادِهِ.

(إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُليَّةَ) إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، وعليه أمه ثقة سني، وله ولد اسمه إبراهيم معتزلي، يقول بعد حجية خبر الأحاد.

(فَحَمَلْنَا وَتَرَكَكَ) يعني ردفهم على دابته، وتركه إما أن يكون لم يجد له مكانا، أو أن الدابة قد حملت فوق قدرتها، والنبي صل الله عليه وسلم كان رحيفا رقيقا بالإنسان والحيوان.

ولا يلزم من كونه لم يحمله أن عبد الله بن جعفر أفضل من عبد الله بن الزبير فالذي يظهر أن الفضيلة لعبد الله بن الزبير مقدمة، فأبوه من العشرة المبشرين بالجنة، وجدته صفية عمة النبي ﷺ، وأمه أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، من السابقات، وجده لأمه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزد على ذلك أنه بايع النبي ﷺ صغيرا، زد على ذلك ما كان عليه

من العلم، فهو أعلم من عبد الله بن جعفر، والمزية تكون بالعلم والعمل، ومع ذلك هذه تعتبر فضيلة ومنقبة لعبد الله بن جعفر كونه حُمل، وردفه النبي ﷺ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٦ - (٢٤٢٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، عَنْ مُورِقِ الْعِجْلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلَقِّي بِصَبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ، قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبقَ بِي إِلَيْهِ، فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرَدَفَهُ خَلْفَهُ، قَالَ: فَأَدْخَلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَلَى دَابَّةٍ.

٦٧ - (٢٤٢٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَاصِمٍ، حَدَّثَنِي مُورِقٌ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلَقِّي بِنَا، قَالَ: فَتُلَقِّي بِي وَبِالْحَسَنِ أَوْ بِالْحُسَيْنِ، قَالَ: فَحَمَلْنَا أَحَدَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْآخَرَ خَلْفَهُ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ.

(تُلَقِّي بِصَبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ) لإدخال السرور عليهم، والفرحة على قلوبهم.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ أَنْ يَتَلَقَّى الصَّبْيَانُ الْمُسَافِرَ، وَأَنْ يُرَكَّبَهُمْ وَأَنْ يُرَدَّفَهُمْ، وَيَلَا طِفْهَهُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

(فَسُبقَ بِي إِلَيْهِ) ومن سبق إلى مباح فهو أحق وأولى به.

(فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ) وليس من خوارم المروءة أن يُركب الإنسان أحدا بين يديه أو خلفه، لا سيما على ما يسمى بالمتز، أو على حمار، أو على فرس، لأن بعضهم يتخرج من هذا الباب، ولا حرج فيه.

حتى المرأة لها أن تركب على المتر، خلف زوجها أو أحد محارمها بالطريقة التي يسهل لها، ليس بالضرورة أن تركب على جانب، ربما يؤدي إلى سقوطها، لكن الناس قد يتخرجون مما لا حرج فيه، وقد يفتحون فيما الحرج فيه، والله المستعان.

(ثُمَّ جِيَءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ) إما الحسن أو الحسين.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٨ - (٢٤٢٩) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ مَوْلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: أُرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، فَأَسْرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ.

هذا دليل على فقه عبد الله بن جعفر، وعلى عنايته بسر رسول الله ﷺ، وهكذا جميع الأسرار ينبغي للإنسان أن يكون كاتما للسر إذا أسر إليه بشيء.
وأنس بن مالك أسر إليه النبي ﷺ بشيء فلم يفشه لأمه، ثم قالت له: يا بني لا تفش سر رسول الله ﷺ لأحد.

وهكذا فاطمة بنت محمد أسر إليها النبي ﷺ بسر فلم تفشه حتى مات، وهو إخبارها أنها أول أهله لحاقا به.

ويقولون: بأن الرجل إذا كشف سره لا يلم من أشاعه، إذا لم يستطع أن يكتم سر نفسه فكيف يلوم غيره؟ فالسر اكتمه ولا تظهروه، حتى للزوج ربما تكشف السر، والأم تكشف السر، والصاحب قد يكشف السر، وأسوأ الناس من يكشف سر صاحبه إذا اختلف معه، هذا من أسوأ ما يكون، فإن المجالس بالأمانات، والله المستعان.

وهذا الحديث له تنمة قد تقدمت في كتاب الطهارة، وهو: أن النبي ﷺ كان أحب ما استتر به هدف أو حائش نخل، فنزل لحاجته.

وقصة الجمل في (المستخرج): أنه جاءه جمل فشكى صاحبه إليه، قال النبي ﷺ: «مَنْ صَاحِبُ الْبَعِيرِ؟ فَإِنَّهُ اشْتَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْبِيهِ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ، ارْكَبُوهَا صَحَاحًا وَكُلُّوْهَا صَحَاحًا»، أو كما قال النبي صلى الله عليه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا

وهي خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم، واسمه جندب بن هدم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي.

أول من أسلم على التحرير؛ لأن النبي ﷺ أول من أخبر بخبر الوحي من بني آدم خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا واسته وأخذته إلى ورقة بن نوفل.

فالذي يظهر أنها أول من أسلم، وإن كان بعضهم يذهب إلى أن أول من أسلم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعضهم يذهب إلى أنه علي بن أبي طالب، لكن الذي يظهر من السياق أنها صدقت النبي ﷺ أول ما أخبرها، ولذلك قالت له: والله لا يخزيك الله أبدا.

وهي أول امرأة تزوجها النبي ﷺ، وكانت تكبره: بخمسة عشر سنة، ومع ذلك لم يتزوج عليها، وما زال يذكرها بعد موتها.

وفضائلها كثيرة، واست النبي ﷺ بمالها، وهي أم ولده، إلا ما كان من إبراهيم فإنه من مارية، وكانت من السابقات إلى المبرات والخيرات، وبشرها رسول الله ﷺ بالجنة، وسلم الله ﻋَزَّوَجَلَّ عليها، وغير ذلك من الفضائل.

وذهب بعض أهل العلم إلى تفضيل عائشة رضي الله عن عنها عليها، وبعضهم فصل، وقال: بالعلم والفقہ عائشة، وبالنصرة والسابقة خديجة، والذي يظهر أن خديجة أفضل؛ لما تقدم من الأوجه، والله المستعان، مع أن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ذهبا إلى التفصيل.

لكن الحق أنها سبقت عائشة بأمور كثيرة، كون الله يسلم عليها هذه منقبة عظيمة، وكونها من السابقات، والله يقول: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ [سورة

الحديد: [١٠]، فهي من السابقات مطلقاً، كونها كانت مناصرة ومؤازرة للنبي ﷺ، كونها أم أولاده جميعاً، ومنها أنها أم سيدة نساء العالمين.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٩ - (٢٤٣٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو أُسَامَةَ (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ وَوَكَيْعٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، وَاللَّفْظُ حَدِيثُ أَبِي أُسَامَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَلِيًّا بِالْكُوفَةِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ»، قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: وَأَشَارَ وَكَيْعٌ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ^(١).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ: أَرَادَ وَكَيْعٌ بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ تَفْسِيرَ الضَّمِيرِ فِي نِسَائِهَا، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ جَمِيعُ نِسَاءِ الْأَرْضِ، أَيْ كُلُّ مَنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنَ النِّسَاءِ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا خَيْرُ نِسَاءِ الْأَرْضِ فِي عَصْرِهَا، وَأَمَّا التَّفْضِيلُ بَيْنَهُمَا فَمَسْكُوتٌ عَنْهُ. **قَالَ الْقَاضِي:** وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُمَا مِنْ خَيْرِ نِسَاءِ الْأَرْضِ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٠ - (٢٤٣١) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، جَمِيعًا عَنْ شُعْبَةَ (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ،

وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الشَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(١).

جاء خارج الصحيح زيادة: «وَحَدِجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ»، وهي في (الصحيح المسند)^(٢)، للشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ، إلا أن هذه الزيادة كأن فيها كلام، فقد ردها بعض أهل العلم.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ الْقَاضِي: هَذَا الْحَدِيثُ يَسْتَدِلُّ بِهِ مَنْ يَقُولُ بِبُؤَةِ النِّسَاءِ وَبُؤَةِ آسِيَةَ وَمَرْيَمَ، وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُمَا لَيْسَتَا نَبِيَّتَيْنِ، بَلْ هُمَا صِدِّيقَتَانِ وَوَلِيَّتَانِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَفْظَةُ (الْكَمَالِ) تُطْلَقُ عَلَى تَمَامِ الشَّيْءِ وَتَنَاهِيهِ فِي بَابِهِ، وَالْمُرَادُ هُنَا التَّنَاهِي فِي جَمِيعِ الْفَضَائِلِ وَخِصَالِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى.

قَالَ الْقَاضِي: فَإِنْ قُلْنَا: هُمَا نَبِيَّانِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ غَيْرَهُمَا لَا يُلْحَقُ بِهِمَا، وَإِنْ قُلْنَا: وَلِيَّتَانِ لَمْ يَمْتَنِعْ أَنْ يُشَارِكَهُمَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ غَيْرُهُمَا.

هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي، وَهَذَا الَّذِي نَقَلَهُ مِنَ الْقَوْلِ بِنُبُوَّتِهِمَا غَرِيبٌ ضَعِيفٌ، وَقَدْ نَقَلَ
جَمَاعَةُ الْإِجْمَاعِ عَلَى عَدَمِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

وذهب إلى نبوتها أيضا ابن حزم، والقرطبي، وغير واحد من أهل العلم، إلا أنه قول ضعيف كما تقدم، فليس من النساء نبية ولا رسولة، ومريم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** ورحمها قد وصفها الله **عَزَّوَجَلَّ** بالصديقية على أكمل ما توصف به، فلو كان لها مرتبة أكمل من الصديقية لوصفت بها.

والشاهد من سوق هذا الحديث: أن خديجة بنت خويلد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** نالت فضلا ومكانه، إلا أن الحديث ساقه المصنف كأنه يميل إلى تفضيل عائشة: **(وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الشَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)** والثريد: الخبز بلحم.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤١١).

(۲) حدیث رقم: (۶۱)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إذا ما اللحم تأدمه بخبز فذاك أمانة الله الثريد
لكن الذي يظهر ما قدمناه أن خديجة أكمل وأفضل، والله أعلم، وعائشة لها فضل
عظيم، ومنزلة رفيعة، لو لم يكن إلا أن الله برأها، وسيأتي الكلام على فضائل عائشة
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في موطنه إن شاء الله.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧١ - (٢٤٣٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ كُرَيْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا ابْنُ
فُضَيْلٍ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ
فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا
هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأِ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ وَمَنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا
صَحَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»^(١).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِوَايَتِهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَلَمْ يَقُلْ: سَمِعْتُ، وَلَمْ يَقُلْ فِي الْحَدِيثِ:
«وَمَنِّي».

٧٢ - (٢٤٣٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشْرِ
الْعَبْدِيِّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى: أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرَ
خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، بَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَحَبَ فِيهِ
وَلَا نَصَبَ^(٢).

٧٢ - (٢٤٣٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ
أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ
وَجَرِيرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، كُلُّهُمُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ،
عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٨٢٠).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٨١٩).

٧٣ - (٢٤٣٤) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُهُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: بَشَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ بَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ ^(١).

(قَدْ أَتَيْتُكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ) عناية بزوجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لإكرامه.
(فَإِذَا هِيَ أَتَيْتُكَ فَاقْرَأِ الْكِتَابَ مِنْ رَبِّهَا عَزَّوَجَلَّ) مكرمة عظيمة، مكرمة جلييلة أن يسلم عليها ربها **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهذا؛ لفضلها، وبشارة لها، ومحبة وإكرام لها ولبعْلِها.
(وَمِنْهُ) وأيضا سلم عليها جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

وهذا دليل على أن المبشرين بالجنة أكثر من العشرة، فبشرت بيت في الجنة فيه الخير العظيم، ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ [سورة الغاشية: ١١].
(مِنْ قَصَبٍ): اللؤلؤ المجوف، وقيل: الذهب، وقيل غير ذلك، لكنه الذي يظهر هو هذا، فالشاهد أن الله سلم عليها، وهذا دليل على سلامتها، وعلو منزلتها.
(لَا صَحَبَ فِيهِ) لا أصوات عالية تسمع فيه مما يذهب السكينة.
(وَلَا نَصَبٍ) ولا تعب يلحقها في الجنة فهي دار المكرمات، وقد رفعت المنغصات،
والحمد لله.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٧٤ - (٢٤٣٥) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، -وَلَقَدْ هَلَكْتُ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ-؛ لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ **عَزَّوَجَلَّ** أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِلِهَا ^(٢).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٤٨٤).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٨١٦).

٧٥ - (٢٤٣٥) حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عَثْمَانَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا غَرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: «أَرْسَلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ»، قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا».

٧٥ - (٢٤٣٥) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ إِلَى قِصَّةِ الشَّاةِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الزِّيَادَةَ بَعْدَهَا.

٧٦ - (٢٤٣٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا غَرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ؛ لِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا، وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ.

(مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ) مع أنها قد ماتت، لكن الغيرة في النساء مغروسة، ولا يسلم منها إلا من سلمه الله، والنساء تتفاوت في هذا الباب فبعضهن شديدة الغيرة، وبعضهن متوسطة، وهكذا دواليك.

فالغير المحموده: هي التي لا تتجاوز فيها المرأة الاعتدال، وهكذا الرجل لا يتجاوز فيها الاعتدال، أما الغيرة التي تؤدي إلى الإساءة من الزوجة إلى زوجها أو من الزوج إلى زوجته فهذه غيرة غير محموده، لا سيما إذا لم يكن لها ما يستدعيها، فكثير من أفعال أهل الغيرة قائمة على ظنون، وعلى شكوك، ونحو ذلك.

(لَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا) يذكر فضلها ومنزلتها، وسابقتها ونصرتها.

(وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يَهْدِيهَا إِلَى خَلَائِهَا) صاحباتها من باب «حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»، كما جاء خارج الصحيح: جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ: لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَنْتِ؟» قَالَتْ: أَنَا جَثَامَةُ الْمُزْنِيَّةُ، فَقَالَ: «بَلْ أَنْتِ حَسَانَةُ الْمُزْنِيَّةُ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟» قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرک)، حديث رقم: (٤٠)، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

فَقُلْتُ: وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمَرَاءِ الشُّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ
فَأَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا ^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهَا: (فَارْتَاخَ لِدَلِكْ) أَي: هَشَّ لِمَجِيئِهَا، وَسَرَّ بِهَا لِتَذْكُرِهِ بِهَا
خَدِيجَةَ وَأَيَّامَهَا.

وَفِي هَذَا كُلُّهُ دَلِيلٌ لِحُسْنِ الْعَهْدِ، وَحِفْظِ الْوَدِّ، وَرِعَايَةِ حُرْمَةِ الصَّاحِبِ وَالْعَشِيرِ فِي
حَيَاتِهِ وَوَفَاتِهِ، وَإِكْرَامِ أَهْلِ ذَلِكَ الصَّاحِبِ.

قَوْلُهَا: (عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمَرَاءِ الشُّدْقَيْنِ) مَعْنَاهُ: عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ جِدًّا حَتَّى قَدْ
سَقَطَتْ أَسْنَانُهَا مِنَ الْكِبَرِ، وَلَمْ يَبْقَ لِشِدْقِهَا بَيَاضُ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْنَانِ، إِنَّمَا بَقِيَ فِيهِ حُمْرَةٌ
لثَاتِهَا.

قَالَ الْقَاضِي: قَالَ الْمِصْرِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالْغَيْرَةِ مُسَامَحٌ لِلنِّسَاءِ فِيهَا، لَا عُقُوبَةٌ
عَلَيْهِنَّ فِيهَا؛ لِمَا جُبِلْنَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَلِهَذَا لَمْ تُزَجَّرْ عَائِشَةُ عَنْهَا.

قَالَ الْقَاضِي: وَعِنْدِي أَنَّ ذَلِكَ جَرَى مِنْ عَائِشَةَ لِصِغَرِ سِنَّهَا، وَأَوَّلِ شَيْبَتِهَا، وَلَعَلَّهَا
لَمْ تَكُنْ بَلَغَتْ حَيْثُئِذٍ. اهـ

أُظِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَقْرَبُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ لَمْ يُوَاخِذْهُمْ بِالْغَيْرَةِ فِي مَسَائِلَ غَيْرِ هَذَا،
وَهِيَ قَوْلُهُنَّ: اْعْدِلْ، أَوْ: نِسَاءُكَ يَطْلُبُنكَ الْعَدْلَ، وَقَدْ ذُمُّ ذُو الْخَوِصْرَةِ وَزَيْنُ الْبُلْغَامِ لِمَا
قَالَ: اْعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «وَمَنْ يَعْدِلْ إِذَا لَمْ اْعْدِلْ؟»، وَمَعَ ذَلِكَ
زَوَّجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ يَكْرُرْنَ عَلَيْهِ وَيَطْلُبْنَ الْعَدْلَ فِي بَنَاتِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِنَ مِنْ
ذَلِكَ بَأْسٌ وَلَا عَتَبٌ، لَا مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَلَا مِنْ زَوْجِهِنَّ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ التَّخْيِيرِ الَّذِي
خَيَّرَهُنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَ أَنْ هَجَرَهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ شَهْرًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا

وهي أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر الصديقة بنت الصديق، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، كما قال عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ولم يتزوج النبي ﷺ بكرا غيرها البريئة المبرأة من الله عَزَّوَجَلَّ.

ووقع فيها المنافقون قديما وحديثا، لرفع درجتها، وبيان عظيم منزلتها، وقد تكلم الله عَزَّوَجَلَّ في شأنها ببراءتها، وأثنى عليها بخير ما يكون من الثناء، فهي الطيبة الطاهرة، المبرأة، كما قال حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ عَرَّتَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
أحبها النبي ﷺ، وصرح بذلك، ففي حديث عمرو بن العاص قال: يا رسول الله من أحب الناس إليه؟ قال: «عائشة»، قال: من الرجال؟ قال: «أبوها».

سلم عليها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان لا يأتي النبي ﷺ وهو في لحف أزواجه إلا ما كان مع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وهي فقيهة الأمة، فما زالت الأمة تنتهل من علمها وفقهها وفضلها الخير العظيم. وحبها ميزان بين السني والرافضي، فالرافضة لا أبغض إليهم من عائشة، وأهل السنة لا أحب إليهم من عائشة في رتبته، فهي أم المؤمنين، ولما كان الرافضة ليسوا بمؤمنين طعنوا في أمهم، ولذلك لم ينسبوا إليها، فلو كانوا مؤمنين لأحبوها، ورضوا عنها، وترحموا عليها.

ولكنهم ليسوا بمؤمنين، طعنوا في زوج النبي ﷺ، والطعن فيه طعن في رسول الله ﷺ، والطعن في رسول الله ﷺ طعن في الله عَزَّوَجَلَّ، وطعن في القرآن؛ لأن النبي ﷺ

قد بين فضلها، ولازم العشر معها، بعد ظهور براءتها، وهؤلاء لم يقبلوا فعل النبي ﷺ، ولم يقبلوا خبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٩ - (٢٤٣٨) حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ هِشَامٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ، جَمِيعًا عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ: هَذِهِ أَمْرَاتُكَ! فَكَشِفُ عَنْ وَجْهِكَ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمَضِّهِ» ^(١).

٧٩ - (٢٤٣٨) حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، جَمِيعًا عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(أُرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ) إما متتابعة أو متفرقة، ورؤيا الأنبياء وحي.

(جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ) أي جبريل.

(فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ): ملفوفة بقطعة من حرير تحيط بها.

رؤيا الأنبياء وحي، لكن هل هذه الرؤيا على ظاهرها أو أنها تحتاج إلى تأويل؟

والذي يظهر أنها على ظاهرها، فالنبي ﷺ لما يتشكك في الخبر.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْقَاضِي: إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الرُّؤْيَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَقَبْلَ تَخْلِيصِ

أَحْلَامِهِ ﷺ مِنَ الْأَضْعَاثِ، فَمَعْنَاهَا إِنْ كَانَتْ رُؤْيَا حَقٍّ، وَإِنْ كَانَتْ بَعْدَ النُّبُوَّةِ فَلَهَا ثَلَاثَةُ مَعَانٍ:

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٨٩٥).

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ إِنْ تَكُنِ الرُّؤْيَا عَلَى وَجْهِهَا وَظَاهِرُهَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَعْيِيرٍ وَتَفْسِيرٍ فَسَيُضْمِضُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَنْجِزُهُ، فَالشَّكُّ عَائِدٌ إِلَى أَنَّهَا رُؤْيَا عَلَى ظَاهِرِهَا أَمْ تَحْتَاجُ إِلَى تَعْيِيرٍ وَصَرَفٍ عَلَى ظَاهِرِهَا.

الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الزَّوْجَةُ فِي الدُّنْيَا يُمَضِّهَا اللَّهُ، فَالشَّكُّ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا أَمْ فِي الْجَنَّةِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ لَمْ يَشَكَّ، وَلَكِنْ أُخْبِرَ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَأَتَى بِصُورَةِ الشَّكِّ كَمَا قَالَ: أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ؟ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْبَدِيعِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ يُسَمُّونَهُ تَجَاهُلُ الْعَارِفِ، وَسَمَاءُ بَعْضُهُمْ مَزَجَ الشَّكَّ بِالْيَقِينِ. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٠ - (٢٤٣٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: وَجَدْتُ فِي كِتَابِي عَنْ أَبِي أُسَامَةَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبَّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ غَضَبِي قُلْتُ: لَا وَرَبَّ إِبْرَاهِيمَ»، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ^(١).

٨٠ - (٢٤٣٩) وَحَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، إِلَى قَوْلِهِ لَا وَرَبَّ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.

(وَجَدْتُ فِي كِتَابِي عَنْ أَبِي أُسَامَةَ) والوجادة معمول بها، ولعله هو الذي كتبها.

وهذا دليل على علم النبي ﷺ بالفراصة، مع ما منحه الله عزَّ وجلَّ من علم الوحي.

وفيه ما يقع بين الزوج وزوجته من المغاضبة، إلا أن المرأة ينبغي لها أن تلزم الأدب الشرعي مع زوجها، فلا تصخب عليه، ولا تسبه، ولا تعيبه، ولكن لها إن غضبت أن تستخدم بعض ما يظهر غضبها ليرضيها، بغير إساءة قولية أو إساءة فعلية.

وهذا دليل على رعاية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لحق زوجها ولمقام النبوة، لا تهجر إلا اسم النبي ﷺ، مع أن النبي ﷺ تزوج عليها مجموعة من النساء، وكانت امرأة شديدة الغيرة، ولكنها مع ذلك لا يظهر منها هذا الأمر.

قَالَ الْقَاضِي: مُغَاضِبَةُ عَائِشَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ هِيَ مِمَّا سَبَقَ مِنَ الْغَيْرَةِ الَّتِي عُفِيَ عَنْهَا لِلنِّسَاءِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ كَمَا سَبَقَ؛ لِعَدَمِ انْفِكَاحِهِنَّ مِنْهَا حَتَّى قَالَ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ: يَسْقُطُ عَنْهَا الْحَدُّ إِذَا قَذَفَتْ زَوْجَهَا بِالْفَاحِشَةِ عَلَى جِهَةِ الْغَيْرَةِ.

قَالَ: وَاحْتَجَّ بِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا تَدْرِي الْغَيْرَاءُ أَعْلَى الْوَادِي مِنْ أَسْفَلِهِ»، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ عَلَى عَائِشَةَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَرَجِ مَا فِيهِ، لِأَنَّ الْغَضَبَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهَجْرَهُ كَبِيرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَلِهَذَا قَالَتْ: لَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ قَلْبَهَا وَحُبُّهَا كَمَا كَانَ، وَإِنَّمَا الْغَيْرَةُ فِي النِّسَاءِ لِفَرْطِ الْمَحَبَّةِ.

قَالَ الْقَاضِي: وَاسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِهَذَا أَنَّ الْإِسْمَ غَيْرُ الْمُسَمَّى فِي الْمَخْلُوقِينَ، وَأَمَّا فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فَالْإِسْمُ هُوَ الْمُسَمَّى. أفاده النووي

هذه مسألة كلامية، حتى أن الشافعي يقول: من سألك عن الاسم هل هو المسمى؟ فاعلم أنه مبتدع، فلا يقال: الاسم عين المسمى، ولا يقال: الاسم غير المسمى، والاسم تارة يكون للمسمى وتارة يراد به المسمى، جاء زيد أي: جاء المسمى نفسه.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨١ - (٢٤٤٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهَا كَانَتْ تَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: وَكَانَتْ تَأْتِينِي صَوَاحِبِي، فَكُنَّ يَنْقِمْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ ^(١).

٨١ - (٢٤٤٠) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ، كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامٍ بِهِذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ فِي بَيْتِهِ وَهَنَّ اللَّعْبُ.

(يُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ) أي: يأتي بهن، ويدخلهن على عائشة؛ لإدخال الأنس عليها والسرور عليها؛ لأنه تزوجها صغيرة السن، والصغير يحتاج إلى ملاعبة وملاطفة أكثر من الكبير. (كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ) المراد بالبنات: يعني ما يكون على هيئة لعبة، تصنعها الصغيرة كأنها ترعى ابنة لها أو ابناً لها، لكن ليس كالصور التي هي موجودة الآن في الأسواق، فلا يستدل بهذا الحديث على شراء هذه الدمي الموجودة في الأسواق التي ربما تكون في صورة امرأة وربما يلبسونها الملابس التي اعتادها الغرب الكافر، وربما نشأت البنت على محبة ما تعاشره في صغرها.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَنَّ مَخْصُوصَاتٌ مِنَ الصُّورِ الْمُنْهَيَّ عَنْهَا لِهَذَا الْحَدِيثِ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ تَدْرِيبِ النِّسَاءِ فِي صِغَرِهِنَّ لِأَمْرِ أَنْفُسِهِنَّ وَبُيُوتِهِنَّ وَأَوْلَادِهِنَّ، قَالَ: وَقَدْ أَجَازَ الْعُلَمَاءُ بَيْعَهُنَّ وَشِرَاءَهُنَّ، وَرُويَ عَنْ مَالِكٍ كَرَاهَةُ شِرَائِهِنَّ، وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى كَرَاهَةِ الْاِكْتِسَابِ بِهَا، وَتَنْزِيهِ دَوَى الْمُرُوءَاتِ عَنْ تَوَلِّي بَيْعِ ذَلِكَ، لَا كَرَاهَةَ اللَّعْبِ، قَالَ:

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦١٣٠).

وَمَذْهَبُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ جَوَازُ اللَّعِبِ بِهِنَّ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: هُوَ مَنْسُوخٌ بِالنِّهْيِ عَنِ الصُّورِ هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي. اهـ

ولا يلزم أن تكون صورة ظاهرة، ربما كانت كهيئة البنات، أما أن يكون لها الرأس والوجه ونحو ذلك فليس في الحديث ذلك، لكن تكون كهيئة البنت الصغيرة.

وقوله: (وَيُسَرَّبُهُنَّ) أي: يُرْسَلُهُنَّ، وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ ﷺ وَحُسْنِ مُعَاشَرَتِهِ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٢ - (٢٤٤١) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُهُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ؛ يَتَغَوْنَ بِذَلِكَ مَرْضَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١).

فيه الهدية إلى الغير، وهي من أسباب المحبة، وقد قال رسول الله ﷺ: «تَهَادُّوا

تَحَابُّوا».

وفيه أن فضل عائشة قد شاع عند الناس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حتى أنهم كانوا يتحرون بهداياهم يومها؛ ابتغاء مرضاة النبي ﷺ، والإحسان إلى النبي ﷺ، وهذا أمر دال على فضيلتها وعلو منزلتها.

وبهذا ترى في كثير من الأحاديث أنه قد شاع عند الناس فضل عائشة وفضل أبي بكر وفضل عمر، وهكذا غير واحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذه الاستفاضة دالة على فضيلة هؤلاء، فإن التعديل يعرف بالاستفاضة، وهو أقوى من تعديل الواحد وتعديل الاثنين، الآن حين يقول واحد: أبو بكر كذا أو يقول آخر: عمر كذا، بينما نرى استفاضة الأحاديث، واستفاضة الثناء والمدح، وشهرة الصحبة من هؤلاء لرسول الله ﷺ، هذا يدل على عظيم فضلهم، وعلو منزلتهم بالنص والاستنباط والاستفاضة وغير ذلك.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٥٧٤).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٣ - (٢٤٤٢) حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ عَبْدُ: حَدَّثَنِي، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: أَرْسَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنْتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِيَ فِي مِرْطِي فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلُنكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ بِنْتِ، أَلَسْتَ تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ؟» فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ: «فَأَحِبِّي هَذِهِ».

قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَ لَهَا: مَا تَرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدُنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ. فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللَّهِ لَا أَكَلِمُهُ فِيهَا أَبَدًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَرْسَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ أَرِ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَاتَّقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِدَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سُورَةَ مَنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةُ، قَالَتْ: فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنِي إِلَيْكَ يَسْأَلُنكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ وَقَعْتُ بِي فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَرْقُبُ طَرَفَهُ هَلْ يَأْذُنُ لِي فِيهَا؟ قَالَتْ: فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

ﷺ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ، قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حَتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَسَّمَ: «إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ»^(١).

٨٣ - (٢٤٤٢) حَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُهْزَادٍ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ حَدَّثَنِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلُهُ فِي الْمَعْنَى، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا أَنْ أَنْحَيْتُهَا غَلَبَةً.

(وَأَنَا سَاكِتَةٌ) هذا من أدبها، وعدم التقدم بين يدي رسول الله ﷺ، وإلا كثير من النساء لا تصبر على مثل هذا الحال، ربما طردتها من البيت، وربما تكلمت عليها ورفعت صوتها، لكنها بنت أبي بكر، واستفادت من النبي ﷺ كثيرا من الأخلاق العظيمة، وتعلم فضل فاطمة، ومنزلتها عند أبيها وأنها شافعة، والشافع لا يخاصم. وهذا من الفقه الذي يجهله الكثير، ربما إذا دخل أحدهم يشفع في مسألة من المسائل وإذا به يدخل في الخصام، وهو كما يقال: لا ناقة له فيها ولا جمل.

وأيضا فيه عذر الغبراء، فقد سألن النبي ﷺ العدل والنبي ﷺ هو القائل: «ومن يعدل إذا لم أعدل؟»، لكن تجاوز الله عنهن للغيرة التي في قلوبهن، وإلا فهو ملازم للعدل.

ولا يلزم من العدل المساواة في كل شيء، فالقول بأن دين الإسلام دين المساواة غلط، بل هو دين العدل؛ لأن المساواة يدعو إليها أناس ما فهموا الإسلام فيدعون إلى مساواة المرأة بالرجل، وإلى مساواة دية المرأة بدية الرجل، وإلى مساواة ميراث المرأة بميراث الرجل، في أمور كثيرة، المخالفة للشريعة.

ولو لزم المساواة لكان الناس في شأن الميراث سواء، وفي شأن الديات سواء، وفي شأن العقيقة سواء، وفي شأن الشهادة سواء، وفي كثير من الشؤون سواء.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٥٨١).

لكن لا، هناك فرق بين العدل والمساواة، فمن العدل: أن يُعطى كل ذي حق حقه، صاحبة الثمن تُعطى الثمن، لو أعطيت الربع في موطن الثمن هذا ليس من العدل بل هذا ظلم وجور، وهكذا.

فما كان من الله وما كان من رسول الله ﷺ فهو العدل والإنصاف، ففي باب الميراث: الأب يأخذ السدس مع وجود الابن، والأم تأخذ السدس، مع أنهما السبب في مجيء الابن، ولهما فضل عليه، في تربيته، وتعليمه، وكثير من الشأن، لكن هذا هو العدل، بينما ابنه يأخذ العصبه، وربما كانت أكثر المال، وربما بقي له القليل إذا كثر الورثة من هاهنا ومن هاهنا، والله المستعان.

(وَاللَّهُ لَا أَكَلَّمُهُ فِيهَا أَبَدًا) وهذا من فقهها، قد سمعت من النبي ﷺ، وقد أبلغت في الأولى، فكيف تعود مرة ثانية؟

(وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِنِي) في جمالها، في قرب نسبها منه، وفي فصاحتها، في علمها، في كثير من الأشياء.

(وَلَمْ أَرِ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ) انظر إلى عائشة تثني عليها بما رأت فيها من الدين والخير والمروءة، وقد صانها الله من الوقعة في عائشة فيما اتهمها به أهل الإفك، فسألها النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أصون سمعي وبصري، أو كما قالت.

(وَأَتَقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِدَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى) لا إله إلا الله والصفات في هذه المرة العظيمة! **(خَيْرًا فِي الدِّينِ)** هذا إجمال في الشئاء عليها.

(وَأَتَقَى لِلَّهِ) وهذا أيضا تفصيل فيه إجمال؛ لأن التقوى تدل على فعل المأمور وترك المحذور.

(وَأَصْدَقَ حَدِيثًا) في رضاها وسخطها.

(وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ) بالنفقات ونحو ذلك.

(وَأَشَدَّ ابْتِدَاءً لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى) يعني أنها تحسن، حتى قال النبي ﷺ: «أَسْرَعُكُمْ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُمْ يَدًا» وكن يتناولن الأيدي، وإذا بها زينب كانت تعمل وتتصدق، وماتت بعد النبي ﷺ في سنة عشرين أو نحو ذلك، والله أعلم.

(مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا) يعني إذا غضبت ربما تكون شديدة نوعا ما.
(تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةُ): الرجوع والاعتذار.

(فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَرْوَاجَكَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلُكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ) وهذا أيضا من أدبها وعلمها، أنها ما قامت تخاصم، بل جعلت نفسها كالوسيط في هذه المسألة.

(ثُمَّ وَقَعَتْ بِي) التفتت إليها وأعطتها من هذا الكلام.
(فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ) يعني بالتأنيب والعتاب، كما هو حال النساء: أنت وأنت وأنت.
(وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَرْقُبُ طَرَفَهُ) يعني هل يأذن لها أو لا يأذن؟
(حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ) لكن كان لا يشير بطرفه، قال: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ حَائِثَةٌ أَعْيُنٌ»^(١).
(فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حَتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا) يعني مثل ذاك الذي يقول: ضربته وضربني أو نحو ذلك، يعني عائشة بنت أبي بكر أبلغ، وأعلم، وأفقه، وأفصح، في أمور كثيرة.

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَسَّمَ: إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ) موقف جميل ورسول الله ﷺ لا يغضب في جميع الحالات.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ اخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي أَنَّهُ ﷺ هَلْ كَانَ يَلْزِمُهُ الْقَسْمُ بَيْنَهُنَّ فِي الدَّوَامِ، وَالْمُسَاوَاةِ فِي ذَلِكَ كَمَا يَلْزَمُ غَيْرَهُ أَمْ لَا يَلْزِمُهُ، بَلْ يَفْعَلُ

(١) أخرجه النسائي، حديث رقم: (٤٠٦٧)، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَا يَشَاءُ مِنْ إِثَارٍ وَحَرْمَانٍ؟ فَالْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ طَلَبُ الْمُسَاوَاةِ فِي مَحَبَّةِ الْقَلْبِ لَا الْعَدْلِ فِي الْأَفْعَالِ، فَإِنَّهُ كَانَ حَاصِلًا قَطْعًا، وَلِهَذَا كَانَ يُطَافُ بِهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ عَلَيْهِنَّ، حَتَّى ضَعُفَ، فَاسْتَأْذَنَهُنَّ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لَهُ.

قَوْلُهَا: (هِيَ الَّتِي تُسَامِينِي) أَيِ تَعَادِلُنِي وَتُضَاهِينِي فِي الْحِظْوَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، مَأْخُودٌ مِنَ السُّمُوِّ، وَهُوَ الِارْتِفَاعُ. اهـ

وفي الحديث محبة رسول الله ﷺ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وما أحبه رسول الله ﷺ فهو محبوب.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٤ - (٢٤٤٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: وَجَدْتُ فِي كِتَابِي عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَتَفَقَّدُ يَقُولُ: «أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ؟ أَيْنَ أَنَا عَدَا؟» اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ^(١).

هذا في مرض موته ﷺ، وهذا دليل أنه كان يأنس بعائشة أكثر من أنسه بغيرها، والنساء تتفاوت في الخدمة، وحسن الملاطفة، وحسن الرعاية.

وفيه وجوب القسمة بين النساء، والاستئذان فيمن لم يكن يومها.

وفيه أن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب، خلافا لما يدعيه في حقه المبطلون من الغلاة، مع أن النبي ﷺ قد أنكر على تلك المرأة التي قالت: وفينا رسول الله يعلم ما في الغد، فقال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٣٨٩).

والسَّحَر: المراد به الرئة وما تعلق بها، والنحر معروف، يعني أنه مات وهي مسندته إليها، وهذا من فضائلها، إذ أنها آخر من لامست النبي ﷺ في حال حياته، وآخر من خدمته وهو حي، وقامت على شأنه، ودليل على براءتها، ولو كان الشأن كما يقول الرافضة ما اطمأن إليها، فهو طيب لا يطمئن إلا إلى الطيب ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [سورة النور: ٢٦].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٥ - (٢٤٤٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ عَبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَى صَدْرِهَا وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَالْحَقِيقِي بِالرَّفِيقِ»^(١).

٨٥ - (٢٤٤٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامِ بْنِ هِشَامٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

٨٦ - (٢٤٤٤) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ: «لَنْ يَمُوتَ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، قَالَتْ: فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَأَخَذَتْهُ بَحَّةٌ يَقُولُ: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء: ٦٩] «قَالَتْ: فَظَنَنْتُهُ خَيْرَ حِينَدٍ»^(٢).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٤٣٦).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٤٣٥).

٨٦ - (٢٤٤٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ هَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلُهُ.

(عبد الله بن عبد الله بن الزبير عن عائشة) جدته، خالت أبيه يقولون: جدة، وإلا هي في مرتبة أيضا الخالة.

(وَأَخَذَتْهُ بِحُجَّةٍ) لشدة النزع، ولانقطاع النفس، وكذلك ربما حصول العطش ونحو ذلك؛ لأن الإنسان مع شدة المرض والموت قد لا يستخدم الماء، فهو من أسباب حصول البحة.

(مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) وهؤلاء هم المنعم عليهم: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) [سورة النساء: ٦٩] وذكر الآية، أنعم عليهم بالرسالة والنبوة، وأنعم على الصديقين بالتصديق، وحسن المسارعة والمسابقة، وأنعم على الشهداء مع إيمانهم ببذل النفس؛ لإعلاء كلمة الله، وأنعم على الصالحين بكثرة ملازمة الخيرات والمبرات والطاعات، فصلحت قلوبهم، وألستهم، وأعمالهم، ولهذا صلحت آخرتهم.

(وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) أي في الجنة، تكون مرافقا لهم كما كنت معهم في الدنيا من حيث الاستقامة والملازمة للخيرات والمبرات، «والمرء مع من أحب».

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٧ - (٢٤٤٤) حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي رَجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ».

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَأْسُهُ عَلَى فِخْذِي غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةٌ، ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»، قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِذَا لَا يَخْتَارُنَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يَخِيرُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»^(١).

(فَلَمَّا نَزَلَ) أي الموت.

(غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةٌ، ثُمَّ أَفَاقَ)؛ لشدة الألم، وشدة النزاع.

(إِذَا لَا يَخْتَارُنَا) ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [سورة القمر: ٥٥]، ما كان له أن يختار أهل الدنيا على الآخرة وما فيها من الخير العظيم.

(اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى) وهي بمعنى التوحيد، لا تتعارض مع «لَقِنَا مَوْتَائِكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فالنبي ﷺ كان قبل ذلك يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ»، كما في البخاري^(٢)، وفي اللحظة الأخيرة قال: (اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى) فهي من التوحيد.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٨ - (٢٤٤٥) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ، قَالَ عَبْدٌ: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَيْمَنَ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَطَارَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ فَخَرَجَتَا مَعَهُ جَمِيعًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ مَعَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: أَلَا تَرَكِينِ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي وَأَرْكُبُ بَعِيرَكَ فَتَنْظُرِينَ وَأَنْظُرِي! قَالَتْ: بَلَى، فَرَكِبَتْ عَائِشَةُ عَلَى

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٤٣٧).

(٢) حديث رقم: (٤١٨٤)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بَعِيرٍ حَفْصَةَ وَرَكِبَتْ حَفْصَةُ عَلَى بَعِيرٍ عَائِشَةَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَمَلٍ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةُ فَسَلَّمَ، ثُمَّ سَارَ مَعَهَا حَتَّى نَزَلُوا، فَافْتَقَدَتْهُ عَائِشَةُ فَغَارَتْ، فَلَمَّا نَزَلُوا جَعَلَتْ تَجْعَلُ رِجْلَهَا بَيْنَ الإِذْخِرِ وَتَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أَوْ حَيَّةً تَلْدَغُنِي، رَسُولُكَ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئًا^(١).

(أَفَرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ) أي في السفر، يخرج من جاءت القرعة عليها، والآن كثير ممن تزوج أكثر من واحدة تجد عنده القصور في هذا الباب، والتحليلات التي تفضي إلى أذية الزوجة التي تظلم وتهضم، فالنبي ﷺ مع تفاضل زوجاته في العلم والمنزلة ومع تفاضل حبه لهن كان يلزم العدل بينهن، وما كان يحابي ﷺ.

(إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ)؛ لصغر سنها، ولشدة مؤانستها له.
(فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ أَلَا تَرَ كَيْنَ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي وَأَرْكَبُ بَعِيرِكِ فَتَنْظُرِينَ وَأَنْظُرُ) أي ما الذي يحصل.

(فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَمَلٍ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةُ فَسَلَّمَ، ثُمَّ سَارَ مَعَهَا) وهذا أيضا دليل على أنه لا يعلم الغيب، وهذه مسألة ينبغي أن تكرر وتقرر، ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النمل: ٦٥]. وفيه تسليم الرجل على زوجته، والصاحب على صاحبه، وإشاعة السلام في الحضر والسفر، والليل والنهار.

(وَتَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أَوْ حَيَّةً تَلْدَغُنِي) فيه شدة الغيرة من النساء على أزواجهن، ولذلك يُعذرن في حال غيرتهن، سواء ما صدر منهن من كلام أو فعال، ما لم يخرج فعلها إلى أذية الغير، فإن عائشة لما كسرت البرمة التي أرسلت إليه بها زينب في طعام عوض النبي ﷺ زينب بدل تلك البرمة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٥٩٣).

(رَسُولُكَ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئًا) هذا دليل على علمها، وعلى حكمتها وعلى رزانتها، فكم من امرأة في حال الغيرة تنسى ما بينها وبين زوجها من الألفة والمحبة، وربما رمته بكلمة أدت إلى نفرة بينهما.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٩ - (٢٤٤٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ بِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(١).

٨٩ - (٢٤٤٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِمَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَفِي حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ.

تقدم بيان معناه في حديث أبي موسى في فضائل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٠ - (٢٤٤٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ سُلَيْمَانَ وَيَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ زَكَرِيَّاءَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّ جَبْرِيلَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ^(٢).

٩٠ - (٢٤٤٧) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا الْمَلَائِيُّ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَامِرًا يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا، بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٧٧٠).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢١٧).

٩٠ - (٢٤٤٧) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا أَسْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ زَكَرِيَاءَ،
بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلُهُ.

٩١ - (٢٤٤٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا
شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشُ، هَذَا جَبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ»، قَالَتْ:
فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لَا أَرَى.

وهذا من فضائلها، وقد تقدم أن خديجة أفضل منها، فقد سلم الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عليها، وسلم عليها أيضا جبريل.

(يَا عَائِشُ) هذا يسمى الترخيم.

(وَهُوَ يَرَى مَا لَا أَرَى) أي النبي ﷺ يرى جبريل وهي لا تراه.

وفيه جواز تسليم الرجل على المرأة والعكس إذا أمنت الفتنة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ ذِكْرِ حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٢ - (٢٤٤٨) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ جَنَابٍ، كِلَاهُمَا عَنْ
عِيْسَى، وَاللَّفْظُ لِابْنِ حُجْرٍ، حَدَّثَنَا عِيْسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَخِيهِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً
فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا:

قَالَتِ الْأُولَى: زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ، لَا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى وَلَا
سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ.

قَالَتِ الثَّانِيَةُ: زَوْجِي لَا أَبْتُ حَبْرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَدْرُهُ، إِنْ أَذْكَرُهُ أَذْكَرُ عَجْرَهُ
وَبُجْرَهُ.

قَالَتِ الثَّلَاثَةُ: زَوْجِي الْعَسَنُ، إِنْ أَنْطِقُ أُطَلِّقَ، وَإِنْ أَسْكُتُ أُعَلِّقَ.
قَالَتِ الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلِيلُ تَهَامَةٍ لَا حَرٌّ وَلَا قُرٌّ، وَلَا مَخَافَةٌ وَلَا سَامَةٌ.
قَالَتِ الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهَدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسَدَ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهْدَ.
قَالَتِ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفٌّ، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ، وَلَا
يُولِجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ.
قَالَتِ السَّابِعَةُ: زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ شَجَكَ أَوْ فَلَكَ أَوْ
جَمَعَ كُلًّا لَكَ.

قَالَتِ الثَّامِنَةُ: زَوْجِي الرِّيحُ رِيحُ زَرْبٍ، وَالْمَسُّ مَسُّ أَرْبٍ.
قَالَتِ التَّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ، طَوِيلُ النَّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ
النَّادِ.

قَالَتِ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ! مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ
الْمَبَارِكِ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ، إِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيقَنَ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ.
قَالَتِ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ فَمَا أَبُو زَرْعٍ! أَنَاسٌ مِنْ حُلِيِّ أَدْنِيٍّ، وَمَلَأَ
مِنْ شَحْمِ عَضْدِيٍّ، وَبَجَحَنِي فَبَحَحْتُ إِلَيَّ نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشَقٍّ
فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ، وَأَرْقُدُ فَاتَّصَبَحُ،
وَأَشْرَبُ فَاتَّقَتَّحُ، أُمُّ أَبِي زَرْعٍ فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ! عُكُومُهَا رَدَاحٌ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ، ابْنُ أَبِي
زَرْعٍ فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ! مَضْجَعُهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ، وَيُسْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ، بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ
فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ! طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلْءُ كِسَائِهَا وَغَيْظُ جَارِيَتِهَا، جَارِيَةُ أَبِي
زَرْعٍ فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ! لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْشِيئًا، وَلَا تُنَقِّتْ مِيرَتَنَا تَنْفِيئًا، وَلَا تَمْلَأْ بَيْتَنَا
تَعْشِيئًا.

قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمَخَّضُ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَاتَيْنِ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ سَرِيًّا، وَأَخَذَ خَطِيئًا وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا، قَالَ: كُلِّي أُمُّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلِكَ، فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةِ أَبِي زَرْعٍ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ»^(١).

٩٢ - (٢٤٤٨) وَحَدَّثَنِيهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: عَيَاءُ طَبَاقَاءُ وَلَمْ يَشُكَّ، وَقَالَ: قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ، وَقَالَ: وَصَفَرُ رِدَائِهَا، وَخَيْرُ نِسَائِهَا، وَعَقْرُ جَارَتِهَا، وَقَالَ: وَلَا تُنْقِثُ مِيرَتَنَا تَنْقِثًا، وَقَالَ: وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ ذَابِحَةٍ زَوْجًا.

(فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقِدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَخْبَارِ أَرْوَاجِهِنَّ شَيْئًا) وهذا الغالب في النساء،

القليل والقال إلا من رحم الله.

(قَالَتِ الْأُولَى: زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ، لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ، قَالَتِ الثَّانِيَةُ: زَوْجِي لَا أَبْتُ خَبْرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذَرَهُ، إِنْ أَذْكُرُهُ أَذْكُرُ عَجْرَهُ وَبُجْرَهُ) وكلاهما ذمت زوجها بدمٍ مذقع فلعلم الجميل: السيء، على رأس جبل

يصعب الوصول إليه، ولا رغبة فيه، يعني وصف سيء.

(قَالَتِ الثَّالِثَةُ: زَوْجِي الْعَشَنُّ، إِنْ أَنْطَقَ أُطْلِقَ، وَإِنْ أَسْكُتَ أُعْلَقَ) وهذه أيضا ذمته،

تقول: إن نطقت ببعض ما فيه طلقها، وإن سككت لم تنكر عليه علقها، أي لم تحصل عليه بكثير عشرة.

(قَالَتِ الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلِيلُ تَهَامَةٍ لَا حَرٌّ وَلَا قُرٌّ، وَلَا مَخَافَةٌ وَلَا سَامَةٌ) قيل: بأنها مدحته، فليل تهامة لا بارد شديد البرودة ولا شديد الحرارة، وإنما متوسط، (وَلَا مَخَافَةٌ وَلَا سَامَةٌ) من مجالسته ولا تسأم أيضا من غيابه، ولا مخافة منه.

(قَالَتِ الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهَدَى، وَإِنْ خَرَجَ أَسَدَ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ) هذا قيل: بأنه مدح، وقيل: بأنه دم، قال بعضهم: دم من حيث أنه كثير النوم، وفي أمام الناس رجل شجاع قوي، ومدح من حيث الكرم، وقيل: بأنه على المدح.

(قَالَتِ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفًّا، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ، وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ) هذا دم، يعني: أنه إذا أكل أكلا شديدا، وإن شرب شربا كذلك شربا يُسمع، وإن اضطجع التف ما ينسبط إليها، (وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ) يعني لبثه من زوجته، والحال معه.

(قَالَتِ السَّابِعَةُ: زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ شَجَكَ أَوْ فَلَكَ أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكَ) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ الَّذِي لَا يُلْقَحُ، وَقِيلَ: هُوَ الْعَيْنُ الَّذِي تَعْيِيهِ مَبَاضَعَةُ النِّسَاءِ، وَيَعْجِزُ عَنْهَا.

وَقَالَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ: غَيَايَاءُ بِالْمُعْجَمَةِ صَحِيحٌ، وَهُوَ مَاخُودٌ مِنَ الْعَيَايَةِ، وَهِيَ الظُّلْمَةُ، وَكُلُّ مَا أَظْلَّ الشَّخْصَ، وَمَعْنَاهُ: لَا يَهْتَدِي إِلَى سَلَكٍ، أَوْ أَنَّهَا وَصَفَتْهُ بِثَقَلِ الرُّوحِ، وَأَنَّهُ كَالظِّلِّ الْمُتَكَثِفِ الْمُظْلِمِ الَّذِي لَا إِشْرَاقَ فِيهِ، أَوْ أَنَّهَا أَرَادَتْ أَنَّهُ غُطِّيَتْ عَلَيْهِ أُمُورُهُ، أَوْ يَكُونُ غَيَايَاءُ مِنَ الْغَيِّ. المهم ذمته.

(قَالَتِ الثَّامِنَةُ: زَوْجِي الرِّيحُ رِيحُ زَرْبٍ، وَالْمَسُّ مَسُّ أَرْزَبٍ) قيل: هذا مدح يعني رائحته طيبة ومسه طيب.

(قَالَتِ التَّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ، طَوِيلُ النَّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ) هذه مدحته بالكرم، (رَفِيعُ الْعِمَادِ) أي: الخيام، (طَوِيلُ النَّجَادِ): من الكرم

والنجادة، (عَظِيمُ الرَّمَادِ): عظيم النار التي يكرم بها الضيوف، (قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ): يعني قريب البيت من الضيف.

وقيل: بأنه على الذم، أنه يكثر مجالسة الضيوف، وترك المرأة لحالها.
(قَالَتِ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ! مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ، إِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمَرْهَرِ أَيقَنَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ) هذه مدحته بالكرم والجود.

(قَالَتِ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ فَمَا أَبُو زَرْعٍ! أَنَاسٌ مِنْ حُلِيِّ أُذُنَيَّ) هذه مدحته، يعني أنه آنسها، وأعطاهما، وأكرمها بالحلي وغيره.

(وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضْدِيَّ) من كثرة ما يؤكلها، يحسن إليها بالماكل والمشرب.
(وَبَجَّحَنِي فَبَجَّحْتُ إِلَيَّ نَفْسِي) يعني: مدحها حتى رأت نفسها أنها امرأة لها شأن، ففيه استحباب مدح المرأة، سواء بطبخها، وبحسن عشرتها.

(وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشَقٍّ) يعني بدوية.
(فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ): أكرمها، صارت مع أهل القرى.
(وَدَائِسُ): هُوَ الَّذِي يَدُوسُ الزَّرْعَ فِي بَيْدَرِهِ.
(وَمُنَقٍّ) وبعضهم يفتحها، وَهُوَ أَصَوَاتُ الْمَوَاشِي.

(فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ) يعني ما يرد كلامها، لأن بعض الناس يكون شديدا على زوجته إذا حدثته قال: اسكتي، ما معك إلا هذا الكلام؟ خلها تتكلم يا أخي.

(وَأَزُقْدُ فَأَتَصَبَّحُ) يعني تنام في الصبحة؛ لأنه قد كثر لها الموالى والعبيد والإماء ونوم الصبحة قد يكون محمودا عند بعضهم.

(وَأَشْرَبُ فَأَتَفَنِّحُ) في نسخة: (فَأَتَقْمَحُ) وهو أصح، يعني: حَتَّى أَدَعَ الشَّرَابَ مِنْ شِدَّةِ الرَّيِّ.

(أُمُّ أَبِي زَرْعٍ فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ! عَكُومُهَا رَدَاخٌ، وَبَيْتُهَا فَسَاخٌ) امتدحت حتى أمه، مع أن كثيراً من النساء لا تمدح ما تسمى بالحماة، وهذه رأت في أمه كرماً فمدحتها. العُكُومُ: الْأَعْدَالُ وَالْأَوْعِيَةُ الَّتِي فِيهَا الطَّعَامُ وَالْأَمْتَعَةُ. يعني مليئة، كبيرة، فيها الخير العظيم.

(ابْنُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ! مَضْجَعُهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ) يعني مضجعه وجنبه خفيف اللحم كالشطبة ما شطب من جريد النخل.

(وَيْشْبَعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ): قليل الأكل، وهذا قد يمدح في بعض المواطن، بخلاف الأكل كثير الأكل، أنه كالسيف سُلَّ من غمده، يعني ليس بالسمين. (بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمِّهَا) حسنة الكلام، حسنة الفعال. (وَمِلْءُ كِسَائِهَا): ممتلئة، ليست بال نحيفة وليست بالسمنة؛ لأن النحيفة لا يُرغب فيها، والسمنة كذلك قد لا يُرغب فيها، وأما البيت:

هويـت السـمان فشـيبنـي وما كنت قبل هويـت السـمانا
ما أظنه إلا من أجل حروف الزوائد.

(وَعَظُ جَارَتِهَا)؛ لأن الجارة إذا رأت ابنة جارتها ما شاء الله تحسن الطبخ تحسن الكلام تحسن الفعال تتمنى أن تكون ابنتها مثلها.

(جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ! لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبِثْنَا، وَلَا تُنْقِثُ مِيرَتَنَا تُنْقِثْنَا، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِشُنَا) حتى الجارية من أحسن ما يكون من الجواري، لا تنقل الكلام، مع أن كثيراً من الجواري ما عندهن كتم سر، ولا تفسد الطعام، وأيضاً كثيرة النظافة في البيت، ما يشعش داخله الحيوان والحشرات.

(قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوَطَابُ تُمَخَضُ) لكن هنا تأتي الحسرة على أم زرع ومع ذلك ما نسيت معروفه، يعني اللبن يُمخض والنعم كثيرة.

(فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ) كأنها ثيب، أو أنها مدحت ما يتعلق بشدييها وكذلك ما يتعلق بشأنها، ليس معناه أن لها ابنان، فإما أن يكون على ظاهرها أن لها ابنان جميلان، فطمع أن يكون له أبناء مثل هذين، وإما أن تكون جميلة في شأنها، من حيث جمال الصدر، وجمال العجز؛ لأن كثيرا ممن يتغنون بالنساء يصفون القدود والحدود ونحو ذلك.

(فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا) لو أبقاها، إلا أن يكون عندهم لا يصلح الجمع بين اثنتين وإلا لو أبقاها مع هذا الحب الذي كانت تكنه له.

(فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا) يعني: كريما معطاء.

(رَكِبَ سَرِيًّا): سيدا، شريفا، سخيا، ويركب الفرس السريع الجميل.

(وَأَخَذَ خَطِيْبًا وَأَرَاكَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا) يعني منحها وأعطاه وأكرمها.

(قَالَ: كُلِّي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلِكَ) يعني أكرمها وأكرم أهلها وعشيرتها، ومع ذلك قالت: (فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةِ أَبِي زَرْعٍ) لم تكفر عشرته حتى بعد طلاقه لها وانتقالها إلى من يحسن إليها.

(كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ) يعني إكراما وإحسانا ومعروفا.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِي حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ هَذَا فَوَائِدُ:

مِنْهَا: اسْتِحْبَابُ حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ لِلْأَهْلِ، وَجَوَازُ الْأَخْبَارِ عَنِ الْأُمِّ الْخَالِيَةِ، وَأَنَّ الْمُسَبَّهَ بِالشَّيْءِ لَا يَلْزَمُ كَوْنُهُ مِثْلَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

وَمِنْهَا: أَنَّ كِنَايَاتِ الطَّلَاقِ لَا يَقَعُ بِهَا طَلَاقٌ إِلَّا بِالنِّيَّةِ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَائِشَةَ:

(كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ)، وَمِنْ جُمْلَةِ أَفْعَالِ أَبِي زَرْعٍ أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ أُمَّ زَرْعٍ كَمَا سَبَقَ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ طَلَاقٌ بِتَشْبِيهِهِ لِكَوْنِهِ لَمْ يَنْوَ الطَّلَاقَ.

قَالَ الْمَازِرِيُّ: قَالَ بَعْضُهُمْ: وَفِيهِ أَنَّ هَؤُلَاءِ النِّسْوَةَ ذَكَرَ بَعْضُهُنَّ أَرْوَاجَهُنَّ بِمَا يَكْرَهُ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ غِيْبَةً لِكُونِهِمْ لَا يُعْرِفُونَ بِأَعْيَانِهِمْ أَوْ أَسْمَائِهِمْ، وَإِنَّمَا الْغِيْبَةُ الْمُحَرَّمَةُ أَنْ يَذْكُرَ إِنْسَانًا بِعَيْنِهِ، أَوْ جَمَاعَةً بِأَعْيَانِهِمْ.

قَالَ الْمَازِرِيُّ: وَإِنَّمَا يُحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْإِعْتِدَارِ لَوْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَمِعَ امْرَأَةً تَعْتَابُ زَوْجَهَا، وَهُوَ مَجْهُولٌ، فَأَقَرَّ عَلَى ذَلِكَ. وَأَمَّا هَذِهِ الْقَضِيَّةُ فَإِنَّمَا حَكَتْهَا عَائِشَةُ عَنْ نِسْوَةِ مَجْهُولَاتٍ غَائِبَاتٍ، لَكِنْ لَوْ وَصَفَتِ الْيَوْمَ امْرَأَةً زَوْجَهَا بِمَا يَكْرَهُهُ وَهُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ السَّامِعِينَ كَانَ غِيْبَةً مُحَرَّمَةً، فَإِنْ كَانَ مَجْهُولًا لَا يُعْرِفُ بَعْدَ الْبَحْثِ فَهَذَا لَا حَرَجَ فِيهِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ كَمَا قَدَّمْنَا، وَيَجْعَلُهُ كَمَنْ قَالَ: فِي الْعَالَمِ مَنْ يَشْرَبُ أَوْ يَسْرِقُ، قَالَ الْمَازِرِيُّ: وَفِيمَا قَالَ هَذَا الْقَائِلُ احْتِمَالٌ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: صَدَقَ الْقَائِلُ الْمَذْكُورُ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ مَجْهُولًا عِنْدَ السَّامِعِ وَمَنْ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ غِيْبَةً، لِأَنَّهُ لَا يَتَأَذَى إِلَّا بِتَعْيِينِهِ. اهـ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأمها خديجة بنت خويلد، وزوجها علي بن أبي طالب، وأبناؤها الحسن الحسين، ولها غيرهم، **رضي الله عنهم** جميعا، وهي سيدة نساء العالمين، وفضائلها كثيرة وعظيمة، الوحيدة من بنات النبي ﷺ وأبنائه التي ماتت بعده فاحتسبت أباه، فكان لها الأجر العظيم.

كانت تشبه النبي ﷺ في هديه وسمته ودله، وكثير من شأنه، وكان يفرح لفرحها، ويغضب لغضبها، وإذا دخلت عليه قام لها، فهنئها لها ما حباها الله **عَزَّوَجَلَّ** به من الفضائل والشمائل.

غلا فيها الرافضة كغلوهم في غيرها من آل البيت الصالحين، حتى دعوها من دون الله ورجوها وكفروا غيرها من الصحابة الكرام والأئمة الأعلام.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٣ - (٢٤٤٩) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، كِلَاهُمَا عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ ابْنُ يُونُسَ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ أَنَّ الْمُسَوْرَ بْنَ مَخْرَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا أَدْنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا أَدْنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا أَدْنُ لَهُمْ، إِلَّا أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلَّقَ ابْنَتِي وَيُنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِنِي مَا آذَاهَا»^(١).

٩٤ - (٢٤٤٩) حَدَّثَنِي أَبُو مَعْمَرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْهَذَلِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْمُسَوْرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُؤْذِنِي مَا آذَاهَا».

٩٥ - (٢٤٤٩) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَةَ الدُّؤَلِيُّ أَنَّ ابْنَ شَهَابٍ حَدَّثَهُ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ حَدَّثَهُ أَنَّهُمْ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَقِيَهِ الْمُسَوْرُ بْنُ مَخْرَمَةَ فَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ إِلَيَّ مِنْ حَاجَةٍ تَأْمُرُنِي بِهَا؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: لَا، قَالَ لَهُ: هَلْ أَنْتَ مُعْطِي سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَغْلِبَكَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَنْ أَعْطِيَنِيهِ لَا يُخْلَصُ إِلَيْهِ أَبَدًا حَتَّى تَبْلُغَ نَفْسِي، إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ عَلَى فَاطِمَةَ، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ عَلَى مَنْبَرِهِ هَذَا وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُحْتَلِمٌ، فَقَالَ: «إِنَّ فَاطِمَةَ

مِنِّي، وَإِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا»، قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ صِهْرًا لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ فَأَحْسَنَ، قَالَ: «حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَأَوْفَى لِي، وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ مَكَانًا وَاحِدًا أَبَدًا»^(١).

٩٦ - (٢٤٤٩) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ أَنَّ الْمُسَوَّرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيُّ نَاكِحًا ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ، قَالَ الْمُسَوَّرُ: فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشْهَدُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ مَضْغَةٌ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَكْرَهُ أَنْ يَفْتَنُوهَا، وَإِنَّهَا وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَدًا» قَالَ: فَتَرَكَ عَلِيُّ الْخُطْبَةَ.

٩٦ - (٢٤٤٩) وَحَدَّثَنِيهِ أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ، حَدَّثَنَا وَهْبٌ يَعْنِي ابْنَ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ يَعْنِي ابْنَ رَاشِدٍ يُحَدِّثُ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) وهي بنت أبي جهل، عمرو بن هشام.
(إِلَّا أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلَّقَ ابْنَتِي وَيُنْكِحَ ابْنَتَهُمْ)؛ لأنه ما كان له أن يحرم ما أحل الله.

(فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي يَرْبِيْنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِنِي مَا آذَاهَا) كما يقال: فلذة كبده.
وهذا الحديث فيه أن النبي ﷺ فعل ذلك؛ خشية أن يلحق علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شيئاً من غضب رسول الله ﷺ أو من أذى رسول الله ﷺ فيهلك، فكانت

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣١١٠).

المصلحة في منع هذا الزواج لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهكذا أن لا يدخل الحزن على ابنة النبي ﷺ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَحْرِيمُ إِيْذَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِكُلِّ حَالٍ، وَعَلَى كُلِّ وَجْهِ، وَإِنْ تَوَلَّدَ ذَلِكَ الْإِيْذَاءُ مِمَّا كَانَ أَصْلُهُ مُبَاحًا، وَهُوَ حَيٌّ، وَهَذَا بِخِلَافِ غَيْرِهِ.

قَالُوا: وَقَدْ أَعْلَمَ ﷺ بِإِبَاحَةِ نِكَاحِ بِنْتِ أَبِي جَهْلٍ لِعَلِّيٍّ بِقَوْلِهِ ﷺ: «لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا»، وَلَكِنْ نَهَى عَنِ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا لِعِلَّتَيْنِ مَنْصُوصَتَيْنِ: **إِحْدَاهُمَا:** أَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى أَذَى فَاطِمَةَ، فَيَتَأَذَّى حَبِيبُ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَهْلِكُ مَنْ أَذَاهُ، فَنَهَى عَنِ ذَلِكَ لِكَمَالِ شَفَقَتِهِ عَلَى عَلِيٍّ، وَعَلَى فَاطِمَةَ. **وَالثَّانِيَةُ:** خَوْفُ الْفِتْنَةِ عَلَيْهَا بِسَبَبِ الْغَيْرَةِ.

وَقِيلَ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ النَّهْيُ عَنِ جَمْعِهِمَا، بَلْ مَعْنَاهُ: أَعْلَمَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَنَّهُمَا لَا تَجْتَمِعَانِ، كَمَا قَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: وَاللَّهِ لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرَّبِيعِ. وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ تَحْرِيمَ جَمْعِهِمَا، وَيَكُونُ مَعْنَى **(لَا أُحَرِّمُ حَلَالًا)**، أَيُّ: لَا أَقُولُ شَيْئًا يُخَالِفُ حُكْمَ اللَّهِ، فَإِذَا أَحَلَّ شَيْئًا لَمْ أُحَرِّمْهُ، وَإِذَا حَرَّمَ لَمْ أُحَلِّلْهُ، وَلَمْ أَسْكُتْ عَنِ تَحْرِيمِهِ، لِأَنَّ سُكُوتِي تَحْلِيلٌ لَهُ، وَيَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ مُحَرَّمَاتِ النِّكَاحِ الْجَمْعُ بَيْنَ بِنْتِ نَبِيِّ اللَّهِ وَبِنْتِ عَدُوِّ اللَّهِ.

(ثُمَّ ذَكَرَ صَهْرًا لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ) هُوَ الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، زَوْجُ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَالصَّهْرُ يُطْلَقُ عَلَى الزَّوْجِ وَأَقَارِبِهِ، وَأَقَارِبِ الْمَرْأَةِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ صَهَرْتُ الشَّيْءَ وَأَصْهَرْتُهُ إِذَا قَرَّبْتُهُ. اهـ

وفيه أن على الإنسان أن يحسن إلى زوجته، ويحسن إلى وليها، وفيها بما أخذ عليه من العهود والمواثيق، سواء كانت هذه العهود منصوص عليها، أو كانت في حكم

المنصوص، فإنه من المعلوم أن من زوج أحداً فيلزمه الإحسان إلى زوجته والإحسان إلى صهره.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٩٧ - (٢٤٥٠) حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فَسَارَهَا فَبَكَتْ، ثُمَّ سَارَهَا فَضَحِكَتْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِفَاطِمَةَ: مَا هَذَا الَّذِي سَارَكَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَكَيتِ ثُمَّ سَارَكَ فَضَحِكَتِ؟ قَالَتْ: سَارَنِي فَأَخْبَرَنِي بِمَوْتِهِ فَبَكَيتُ، ثُمَّ سَارَنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ مَنْ يَتَّبِعُهُ مِنْ أَهْلِهِ فَضَحِكَتُ ^(١).

هذا اللفظ فيه اختصار؛ لأنها لم تخبرها بسر النبي ﷺ إلا بعد موت النبي ﷺ. وفي فضيلة لفاطمة بحيث خصها النبي ﷺ بسره لعمله بأمانتها وحفظها لما استودعته.

وفيها فضيلة: أنه بشرها بالجنة، وكذلك بشرها بلحوقها به إلى الجنة.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٩٨ - (٢٤٥٠) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ فِرَاسٍ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ لَمْ يُعَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُخْطِي مَشْيَئُهَا مِنْ مَشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَّبَ بِهَا فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا:

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٢٣).

خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسَّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَتْهَا مَا قَالَ لِكَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ أَفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ.

قَالَتْ: فَلَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا حَدَّثْتَنِي مَا قَالَ لِكَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَرَنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَأَخْبَرَنِي: أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ عَارِضُهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، «وَإِنِّي لَا أَرَى إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ»، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتُ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَرَنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أَمَّا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ» أَوْ «سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟» قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتُ.

٩٩ - (٢٤٥٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ زَكَرِيَاءَ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ، عَنْ فِرَاسٍ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَادِرْ مِنْهُنَّ امْرَأَةً، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مَشْيَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، فَأَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسْرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَاطِمَةُ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَرَهَا فَضَحِكَتْ أَيْضًا، فَقُلْتُ: لَهَا مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأَفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَقُلْتُ لَهَا حِينَ بَكَتْ: أَخَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثِهِ دُونَكَ ثُمَّ تَبْكِينَ وَسَأَلَتْهَا عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأَفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا قُبِضَ سَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ حَدَّثَنِي أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُهُ بِهِ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ، «وَلَا أَرَانِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ»، فَبَكَيْتُ لِذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَرَنِي فَقَالَ: «أَلَا

تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ» أَوْ «سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟» فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ.

(تَمْشِي مَا تُخْطِي مَشِيَّتَهَا مِنْ مَشِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا) ابنة أبيها.

(بِالسَّرَارِ) أي بالسر.

(ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ) يعني هذه فضيلة خصها.

(وَإِنَّهُ عَارِضُهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ) وهذا دليل على قرب أجله، عرض عليه القرآن.

(وَإِنِّي لَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ) علامات جعلها الله له.

(فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي) أمرها بتقوى الله؛ لأنها من أعظم دواعي الصبر والتزام الأمور

والبعد عن المحذور.

(فَإِنَّهُ نِعَمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ) السلف: المتقدم، بهذا الحديث استدل على مشروعية

الانتساب إلى السلفية.

(فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتُ)؛ لشدة حزنها ووجدتها على رسول الله ﷺ.

وأيضا بشرها بلحاقها به، جمعا بين الأدلة التي تقدمت وذكر.

وكان وفاتها بعد النبي ﷺ بستة أشهر، ودفنها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وهي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية

المخزومية، زوج النبي ﷺ.

آخر من مات من زوجات رسول الله ﷺ، اختلف في زمن موتها، وذهب ابن حزم

أنه سنة (٦١).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٠ - (٢٤٥١) حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْقَيْسِيُّ، كِلَاهُمَا عَنِ الْمُعْتَمِرِ، قَالَ ابْنُ حَمَّادٍ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو عَثْمَانَ، عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: لَا تَكُونَنَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ وَبِهَا يَنْصَبُ رَأْيَتُهُ.

١٠١ - (٢٤٥١) قَالَ: وَأَنْبِئْتُ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، قَالَ: فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، قَالَ: فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَيُّمُ اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُ خَبَرَنَا، أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي عَثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ.

(لَا تَكُونَنَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ وَبِهَا يَنْصَبُ رَأْيَتُهُ) هذا الحديث وإن كان ظاهره الوقف إلا أن له حكم الرفع. قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ أَهْلُ اللَّعَةِ: الْمَعْرَكَةُ بِفَتْحِ الرَّاءِ مَوْضِعُ الْقِتَالِ لِمُعَارَكَةِ الْأَبْطَالِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِيهَا، وَمُصَارَعَتِهِمْ، فَشَبَّهَ السُّوقَ وَفَعَلَ الشَّيْطَانُ بِأَهْلِهَا وَتَبَلَّهَ مِنْهُمْ بِالْمَعْرَكَةِ؛ لِكَثْرَةِ مَا يَقَعُ فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَاطِلِ كَالْغِشِّ وَالْخِدَاعِ، وَالْأَيْمَانِ الْخَائِنَةِ، وَالْعُقُودِ الْفَاسِدَةِ، وَالنَّجْشِ، وَالْبَيْعِ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَالشِّرَاءِ عَلَى شِرَائِهِ، وَالسُّومِ عَلَى سَوْمِهِ، وَبَخْسِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ.

قَوْلُهُ: (وَبِهَا تَنْصَبُ رَأْيَتُهُ) إِشَارَةٌ إِلَى ثُبُوتِهِ هُنَاكَ، وَاجْتِمَاعِ أَعْوَانِهِ إِلَيْهِ لِلتَّحْرِيشِ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَمْلِهِمْ عَلَى هَذِهِ الْمَفَاسِدِ الْمَذْكُورَةِ، وَنَحْوِهَا، فِيهِ مَوْضِعُهُ وَمَوْضِعُ أَعْوَانِهِ، وَالسُّوقُ تُؤَنَّثُ وَتُذَكَّرُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِقِيَامِ النَّاسِ فِيهَا عَلَى سُوقِهِمْ. اهـ

(أُمُّ سَلَمَةَ) وهي هند بنت أبي أمية، وأخوها عبد الله، أسلم.

(قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ) الكلبي، ظنته هو.

(مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ) يعني أنه حديث ثابت.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِيهِ جَوَازُ رُؤْيَةِ الْبَشَرِ الْمَلَائِكَةِ، وَوُقُوعِ ذَلِكَ، وَبَرَوْنَهُمْ عَلَى صُورَةِ الْأَدَمِيِّينَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى رُؤْيَتِهِمْ عَلَى صُورِهِمْ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرَى جِبْرِيلَ عَلَى صُورَةِ دَحْيَةَ غَالِبًا، وَرَأَاهُ مَرَّتَيْنِ عَلَى صُورَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ. اهـ
ليلة الإسراء و ليلة البعثة.

وذكر من فضائل أم سلمة فقط هذا الحديث، مع أنها هاجرت الهجرتين، وهي من السابقات الأولات إلى الإسلام، ومن الصابرات.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ زَيْنَبُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

المراد بها زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ أخت عبد الله بن جحش.
وهي أسدية من أسد بن خزيمة، وأمها أئمة بنت عبد المطلب، عمة النبي ﷺ تقدم نسبها عند ذكر أخيها، وتكنى أم الحكم.
وهناك زينب أخرى أم المؤمنين وهي زينب المخزومية، تزوجها النبي ﷺ، وماتت بعد شهرين من زواجه لها وهي المعروفة بأم المساكين.
وهذه أيضا زينب بنت جحش كانت كريمة، تعمل بيدها وتتصدق، وقد امتدح النبي ﷺ بما يأتي.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠١ - (٢٤٥٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ أَبُو أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى السَّيْنَانِيُّ، أَخْبَرَنَا طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْرَعُكُمْ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُمْ يَدًا»، قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَوَّلْنَ أَيُّهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٤٢٠).

(أَسْرَعُكُنَّ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا) والمراد به طول النفقة لا طول اليد الحسية وقد ظنن أنه الطول الحسي، فكن يتناولن الأيدي.

وقد توفيت زينب بعد النبي ﷺ بعشر سنين، توفيت في سنة عشرين، وقيل: في سنة واحد وعشرين، وكانت نعم المرأة، تقوم الليل، وربما ربطت حبلا تتكى عليه، فنهاها النبي ﷺ عن ذلك.

وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ.

وفيه فضل النفقة في أوجه الخير، فإن ذلك من أسباب رفعة المرء، أن يكون باذلاً للمعروف، فإن بذل المعروف من الصدقات العظيمة، المتعديات الواصلات إلى الغير.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ أَيْمَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بركة الحبشية، كانت مولاة النبي ﷺ وأعتقها وزوجها زيد بن حارثة بعد طلاقه لزَيْنَب بنت جحش.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٢ - (٢٤٥٣) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَنَآوَلْتُهُ إِنَاءً فِيهِ شَرَابٌ، قَالَ: فَلَا أَذْرِي أَصَادَفْتُهُ صَائِمًا أَوْ لَمْ يُرْذِهِ، فَجَعَلْتُ تَصْحَبُ عَلَيْهِ وَتَذَمُّرُ عَلَيْهِ.

لأنها كانت تدل عليه، فهي من المحسنات إليه، ومن حواضنه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (تَصْحَبُ) أَي تَصِيحُ وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا إِنْكَارًا لِإِمْسَاكِهِ عَنْ شُرْبِ الشَّرَابِ.

وَقَوْلُهُ: (تَذْمُرُ) هُوَ بَفَتْحِ التَّاءِ وَإِسْكَانِ الدَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَضَمِّ الْمِيمِ، وَيُقَالُ: تَذَمَّرَ بِفَتْحِ التَّاءِ وَالدَّالِ وَالْمِيمِ، أَيُّ: تَتَذَمَّرُ وَتَتَكَلَّمُ بِالْغَضَبِ، يُقَالُ: ذَمَرَ يَذْمُرُ كَقَتَلَ يَقْتُلُ إِذَا غَضِبَ، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِالْغَضَبِ.

وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَدَّ الشَّرَابَ عَلَيْهَا إِمَّا لِصِيَامٍ، وَإِمَّا لِغَيْرِهِ، فَغَضِبَتْ وَتَكَلَّمَتْ بِالْإِنْكَارِ وَالْغَضَبِ، وَكَانَتْ تَدُلُّ عَلَيْهِ ﷺ لِكُونِهَا حَضَنَتْهُ وَرَبَّتُهُ ﷺ، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي».

وَفِيهِ أَنَّ لِلضَّيْفِ الْإِمْتِنَاعَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ الَّذِي يُحْضِرُهُ الْمُضَيْفُ إِذَا كَانَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ صَوْمٍ أَوْ غَيْرِهِ مِمَّا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي كِتَابِ الْفِقْهِ. اهـ
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٠٣ - (٢٤٥٤) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ الْكِلَابِيُّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا.

(انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا) ﷺ، كانوا يعجبهم التأسي بالنبي ﷺ في جميع شأنه، العلمي والعملية، ما كان من العبادة وما كان من المباحات، وهذا دليل على تعظيمهم للمتابعة، وهذا من البر، ف«إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدَّ أَبِيهِ»^(١)، وهؤلاء وصلوا ود النبي ﷺ.

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: (٢٥٥٢)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ) يعني هي تعلم ما أعد الله لرسوله من الخير وأن الآخرة خير له من الأولى، لكن انظروا إلى ما أبكاها (وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ) وهذا دليل على فقهاها، وعلى تعظيمها للدين، بخلاف كثير من الرجال الذين لا يلتفتون إلى مثل هذه المعاني البليغة، والاستنباطات البديعة.

تبكي، على أن جبريل لا ينزل بالوحي، وانقطاع الوحي ونزول الوحي انقطاع خير، لكن مع ذلك قد أتم الله الدين وأكمل الملة، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣].
(فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا)؛ لرقعة قلوبهما، ولا استفادتهما مما يلقي عليهما.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ زِيَارَةُ الصَّالِحِينَ وَفَضْلُهَا، وَزِيَارَةُ الصَّالِحِ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ، وَزِيَارَةُ الْإِنْسَانِ لِمَنْ كَانَ صَدِيقُهُ يَزُورُهُ، وَلِأَهْلِ وَدِّ صَدِيقِهِ، وَزِيَارَةُ جَمَاعَةٍ مِنَ الرِّجَالِ لِلْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ، وَسَمَاعُ كَلَامِهَا، وَاسْتِصْحَابُ الْعَالِمِ وَالْكَبِيرِ صَاحِبًا لَهُ فِي الزِّيَارَةِ، وَالْعِيَادَةِ، وَنَحْوِهِمَا، وَالْبُكَاءُ حُزْنًا عَلَى فِرَاقِ الصَّالِحِينَ وَالْأَصْحَابِ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ انْتَقَلُوا إِلَى أَفْضَلٍ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ أُمِّ سُلَيْمٍ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَبِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وهي أم أنس بن مالك.

روت عنها عائشة، وأم سلمة، وابنها أنس بن مالك، وغيرهم.

وهي امرأة أبي طلحة، وهي بكنيتها أشهر، وكنيتها أم سليم.

ويقال لها: الرميضاء، ويقال لها: الغميضاء، كانت امرأة كريمة، مهرها إسلام خاطبها، وقد أسلم أبو طلحة وتزوجها على هذا المهر، وكان أعظم مهر في الإسلام، ولها مواقف مع النبي ﷺ في صبرها، وفي جهادها، في بذلها في كثير من حالها، وهي من فقيحات الصحابة، لم يمنعها الحياء أن تتفقه، وهذه خلة وخصلة عظيمة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٤ - (٢٤٥٥) حَدَّثَنَا حَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَدْخُلُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ، إِلَّا أُمُّ سُلَيْمٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنِّي أَرْحَمُهَا، قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي» ^(١).

(إِلَّا أُمُّ سُلَيْمٍ) ذكر العلماء: أن بينه وبينها محرمة.

(إِنِّي أَرْحَمُهَا، قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي) هذا مع وجود المحرمية، وفي هذا منقبة عظيمة لأم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: فَفِيهِ جَوَازُ دُخُولِ الْمَحْرَمِ عَلَى مَحْرَمِهِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَنْعِ دُخُولِ الرَّجُلِ إِلَى الْأَجْنَبِيَّةِ وَإِنْ كَانَ صَالِحًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ فِي تَحْرِيمِ الْخُلُوةِ لِلْأَجْنَبِيَّةِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: أَرَادَ امْتِنَاعَ الْأَمَةِ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الْأَجْنَبِيَّاتِ.

وقال: قَدْ قَدَّمْنَا فِي كِتَابِ الْجِهَادِ عِنْدَ ذِكْرِ أُمِّ حَرَامٍ أُخْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ: أَنَّهُمَا كَانَتَا خَالَتَيْنِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَحْرَمَيْنِ إِمَّا مِنَ الرِّضَاعِ، وَإِمَّا مِنَ النَّسَبِ، فَتَحَلَّلَ لَهُ الْخُلُوةُ بِهِمَا، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمَا خَاصَّةً، لَا يَدْخُلُ عَلَى غَيْرِهِمَا مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَزْوَاجُهُ. اهـ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٩٤٤).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٥ - (٢٤٥٦) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا بِشْرُ يَعْنِي ابْنَ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغَمِيصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ».

١٠٦ - (٢٤٥٧) حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ امْرَأَةً أَبِي طَلْحَةَ، ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَةً أَمَامِي فَإِذَا بِلَالٌ»^(١).

(خَشْفَةٌ): حركة، مشي، وصوت المشي، ونحو ذلك.

هذه بشارة بالجنة، فإن رؤيا الأنبياء وحي.

وبلال بن أبي رباح، أُوذِيَ في الله، وصبر على أذى المشركين، فكان من المبشرين

بهذا الخير العظيم، وكان مؤذن النبي ﷺ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

زيد بن سهل بن الأسود بن حرام ابن عمر بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، أبو طلحة الأنصاري الخزرجي النجاري عقبي، بدري، نقيب، وأمه عبادة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة بن عدي، يجتمعان في زيد مناة، وهو مشهور بكنيته، وهو زوج أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٧٩).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٧ - (٢١٤٤) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا بِهِزٌ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَاتَ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِإِبْنِهِ حَتَّى أَكُونُ أَنَا أُحَدِّثُهُ. قَالَ: فَجَاءَ فَفَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً، فَأَكَلَ وَشَرِبَ، فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَعْتَ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصْنَعُ قَبْلَ ذَلِكَ فَوَقَعَ بِهَا، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ، قَالَ: فَعُضِبَ وَقَالَ: تَرَكْتَنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتَنِي بِإِبْنِي.

فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَابِرٍ لَيْلَتِكُمَا»، قَالَ: فَحَمَلْتُ.

قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا، فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ، فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخَلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدْ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى، قَالَ: تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ، انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا.

قَالَ: وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدْتُ غُلَامًا، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ، لَا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُو بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مَيْسَمٌ، فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ: «لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَوَضَعَ الْمَيْسَمَ، قَالَ: وَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَجْوَةٍ مِنَ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلَاكَهَا فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ ثُمَّ قَدَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ فَجَعَلَ

الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الْأَنْصَارِ التَّمَرِّ»، قَالَ: فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ ^(١).

١٠٧ - (٢١٤٤) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خِرَاشٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: مَاتَ ابْنُ لَأْبِي طَلْحَةَ، وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ.

هذا حديث عظيم، يدل على فضيلة أبي طلحة، حيث استجاب الله دعاءه، وهو ممن بذل ماله لله، كما هو معلوم في تفسير قول الله عز وجل: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٢]، وهو ممن جاهد مع رسول الله ﷺ، ومن السابقين إلى الإسلام، لا سيما بعد هجرة النبي عليه الصلاة والسلام أو قبل ذلك بأيام، وله فضائل غير ذلك، ومن قوله:

أنا أبو طلحة واسمي زيد وكل يوم في شباكي صيدٌ وهذا الحديث يدل على فقه أما سليم رضي الله عنهما، وصبرها واحتسابها وحسن كلامها وتلطفها، وأدائها لحق بعلها وزوجها، وضرب الأمثال؛ لأنه أوقع في فهم المقال والحال.

وفيه خدمة المرأة لزوجها، وأنه واجب عليها، والقول بأن خدمة المرأة لزوجها إنما هو مستحب قول ضعيف باطل، بل إن الله عز وجل أمر بطاعته ورسول الله ﷺ أمر بطاعته، ثم الواقع يدل على تعيين الطاعة للزوج، فإن المرأة إذا كانت متمردة على زوجها لحق البيت الضرر الكثير.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٣٠١).

وفيه أن الإحداد لا يجب على الولد، فها هي أمه تتجمل لزوجها، وينال منها مطلبه، فالإحداد إنما يكون من المرأة على زوجها أربعة أشهر وعشرا، ورُخص للمرأة على غير الزوج ثلاث ليال، وإن أحبت أن لا تحد لا تحد.

وأما الرجل ليس عليه إحداد، وقد قالت عائشة لرسول الله ﷺ: والله لا أراك إلا أن تمسي معرسا بإحدى نسائك؛ لعلمها أن الزوج ليس عليه إحداد، حتى وإن ماتت زوجته، يجوز أن يتزوج في ليله أو في نهاره، وإن كانت له زوجة أخرى أن يوقعها، ولا محذور في ذلك.

لأن الناس قد يحرمون على أنفسهم أشياء؛ تورعا في أيام الموت والوفاة، وليست من الدين في شيء.

وفيه فضيلة احتساب الميت، لا سيما إن كان ابنا، «مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّةً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ اخْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ»^(١).

وفيه غضب الزوج على زوجته، ولكن ترجع الأمور إلى مجراها، ويقع الصلح والتراضي.

وفيه العودة إلى أهل الشأن لإصلاح ما يقع بين الأزواج وغيرهم، فإن الصلح خير. وفيه الدعاء للمتزوج، سواء في أول نكاحه أو في سائرته، (بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا) أي فيما مضى من ليلكما السابق، فاستجاب الله هذه الدعوة وحملت، فكان هذا الابن خلفا للابن الذي مات، وفيه بركة أكثر منه، ذكروا في ترجمته: أن الله رزقه تسعة من الولد كل واحد منهم يحفظ القرآن، هذا عبد الله، الذي حنكه النبي ﷺ، ومسح وجهه، سماه بهذا الاسم، ففي هذا بركة الدعاء وفضله.

وفي هذا الحديث أيضا كرامات الأولياء، حيث نزل بها المخاض وهناك لا إبر تمسك الجنين ولا شيء من ذلك، وإنما توصل إلى الله عز وجل بحبه للنبي ﷺ وحرصه

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٢٤).

على مرافقته في حضره وسفره فإذا بها تقول: يا أبا طلحة ما أجد ما كنت أجد، فالأمر إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وفيه محبة مرافقة الصالحين، والدخول معهم، والخروج معهم، والاستئناس بهم، والسماع منهم، هذه فضيلة تدل على الصلاح، وعلى حسن الحال.

وفيه استحباب تحنيك المولود، أما من النبي **ﷺ** فهو لطلب البركة، وأما من غيره فيحنك لإصلاح فمه، لكن بعض النساء لا تحسن التحنيك والرجال، ربما يدخل الأصبع بشدة، فيؤدي إلى تهتك الأنسجة، وإلى إتلاف اللوز وما إليها، وهو عبارة عن شيء يسير، حركة يسيرة.

وأيضا فيه بركة التمر، وأنه يصلح حتى للصغار، لكن الشيء اليسير، ما يذهب يؤكله الشيء الكثير، ويبعد منه ما يؤدي إلى عدم استطاعت الأمعاء له من القشر الخارجي؛ لأن النبي **ﷺ** لاكها.

وفيه وسم الدواب؛ لتعليمها، لكن قد جاء أن النبي **ﷺ** وسم في غير الوجه. وفيه تواضع النبي **ﷺ**، وفيه أنه لا يعلم الغيب، وفيه مباشرة الإنسان لأعمال نفسه والقيام بها، وفيه فضل تمر العجوة عجوة المدينة. قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ بِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بلال بن رباح، وأمه حمامة الحبشي، مولى أبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، توفي سنة ثمانية عشرة، وقيل عشرين بدمشق، والله أعلم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٠٨ - (٢٤٥٨) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ يَعِيشَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ: «يَا بِلَالُ، حَدَّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْفَعَةً، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشَفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ» قَالَ بِلَالٌ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةً مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طَهُورًا تَامًا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ^(١).

وهذا على خلاف ما عليه أكثر الناس يقولون: أصلي ركعتي الطهور وركعتي الوضوء، بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يصلي ما يسره الله، لا يخصص بالركعتين، ثم إن بلالا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ممن حُبب إليه الطهور، فيكثر الوضوء، ويصلي به ما يسر الله وهذا من ذوات الأسباب.

وفيه بشارة لبلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالجنة، وقد تقدم، والله المستعان.

وفي أن أعمال الإسلام تتفاوت، وأن الفرائض المقدمة، ثم النوافل، يتميز كل إنسان بنوع نافلة، فتجد بعض الناس يتميز بالصيام، وبعضهم يتميز بالصلاة، وبعضهم يتميز بقراءة القرآن، أهم شيء أن الإنسان يبقى مع الطاعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكل يأخذ ما يناسبه من العبادات والقربات والطاعات، والله المستعان.

وفيه فضيلة الوضوء، وفضيلة الصلاة، والتنفل، والله المستعان.

وفيه تبشير المؤمنين.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١١٤٩).

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَمِّهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا

أبو عبد الرحمن الهذلي، عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، أسلم قديما، وابتلي فصبر، من أعلم الناس بالكتاب والسنة، وكانت وفاته سنة اثنين وثلاثين في المدينة النبوية، وعمره بضع وستون سنة.

قال الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ:

١٠٩ - (٢٤٥٩) حَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ وَسَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ بْنُ زُرَّارَةَ الْحَضْرَمِيُّ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ وَالْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ^(١)، قَالَ سَهْلٌ وَمِنْجَابٌ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَلَسْ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا﴾ [سورة المائدة: ٩٣] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قِيلَ لِي: أَنْتَ مِنْهُمْ».

(قَالَ سَهْلٌ وَمِنْجَابٌ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا) دقة في العبارة وضبط، مع أن البخاري يرى أن أخبرنا وحدثنا واحد.

(الأعمش) سليمان بن مهران، أبو محمد.

(إبراهيم) النخعي.

(علقمة) النخعي، يسر الله لعبد الله بن مسعود تلاميذ من النخع، وهم من اليمن.

(١) خمسة أئمة يأخذ عنهم الحديث.

الآية ليس فيها تحليل الخمر أو الإباحة لمن اتقى، إنما الآية فيها لمن كان يشربه قبل نزول التحريم، ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ [سورة المائدة: ٩٣] أي: في حال حله.

(قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»)^(١) أي من أهل الإيمان الذين عملوا الصالحات. وهذه فضيلة لعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه من الذين آمنوا، والمؤمن عند الإطلاق صفة مدح.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٠ - (٢٤٦٠) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ رَافِعٍ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ، فَكُنَّا حِينًا وَمَا نَرَى ابْنَ مَسْعُودٍ وَأُمَّهُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَثْرَةِ دُخُولِهِمْ وَلَزُومِهِمْ لَهُ^(١).

١١٠ - (٢٤٦٠) حَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ أَنَّهُ سَمِعَ الْأَسْوَدَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى يَقُولُ: لَقَدْ قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ، فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

١١١ - (٢٤٦٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَرَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، أَوْ مَا ذَكَرَ مِنْ نَحْوِ هَذَا.

(إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ) ابن راهويه.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٧٦٣).

(قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ) يريد قدومهم من الحبشة، ولكن جعله من اليمن؛ لأنه مبدئ الانطلاق.

(مِنْ كَثْرَةِ دُخُولِهِمْ وَلُزُومِهِمْ لَهُ)؛ لأن النبي ﷺ أذن لعبد الله بن مسعود أن يدخل بيته متى رأى الستارة مرفوعة، إذن مطلق، فكان عبد الله بن مسعود كثير الدخول والخروج، وهذه فضيلة عظيمة نال بها علماً وعملاً، ف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى كان ساقه أثقل في الميزان من أحد، والله أعلم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٢ - (٢٤٦١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ - وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى - قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْأَحْوَصِ قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا مُوسَى وَأَبَا مَسْعُودٍ حِينَ مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَتَرَاهُ تَرَكَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ؟ فَقَالَ: إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنْ كَانَ لَيُؤَذِّنُ لَهُ إِذَا حُجِبْنَا وَيَشْهَدُ إِذَا غَبْنَا.

١١٣ - (٢٤٦١) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا قُطَيْبَةُ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ قَالَ: كُنَّا فِي دَارِ أَبِي مُوسَى مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فِي مُصْحَفٍ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: مَا أَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ بَعْدَهُ أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْقَائِمِ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَمَا لَيْنُ قُلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ كَانَ يَشْهَدُ إِذَا غَبْنَا وَيُؤَذِّنُ لَهُ إِذَا حُجِبْنَا.

١١٣ - (٢٤٦١) وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَاءَ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ هُوَ ابْنُ مُوسَى، عَنْ شَيْبَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا مُوسَى فَوَجَدْتُ عَبْدَ اللَّهِ وَأَبَا مُوسَى، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ حُذَيْفَةَ وَأَبِي مُوسَى، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَحَدِيثُ قُطَيْبَةَ أَتَمُّ وَأَكْثَرُ.

(أَتَرَاهُ تَرَكَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ؟) أي في العلم والفضل والمنزلة.

(إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنْ كَانَ لَيُؤْذَنُ لَهُ إِذَا حُجِبْنَا وَيَشْهَدُ إِذَا غِبْنَا) يعني إن كنت قد مدحته

بهذا المدح العظيم فإنه كان يشهد النبي ﷺ إذا غبنا عنه وشغلنا، ويؤذن له إذا حجبنا، يدخل متى أراد، بعد العلامة التي ذكرتها.

وهذا المدح له ليس معناه أنه أفضل من غيره ممن قارنه، لا، فعاش بعد ابن مسعود من هو أفضل من ابن مسعود من المبشرين في الجنة، ولكن فيه أن ابن مسعود كان عنده تخصص في هذا الباب.

ومن هذا تعلم أن طالب العلم ينبغي له أن يتخصص، ويتعلم من علوم الشريعة ما يستفيده، لكن التخصص من المهمات، فإن المتخصص يتقن فنه، ويجيد فيه، تأليفا تدريسا، ونحو ذلك.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٤ - (٢٤٦٢) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٦١]، ثُمَّ قَالَ: عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ تَأْمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ؟ فَلَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بَكِتَابِ اللَّهِ، وَلَوْ أَعْلَمَ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ. قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي حَلْقِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَلَا يَعْيبُهُ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٠٠٠).

وكونه أخذ من في النبي ﷺ أو قرأ على النبي ﷺ بضعا وسبعين سورة هذا ليس بالعدد اليسير، من البقرة، وبقي خمسين سورة أقل من عشر القرآن، وربما أخذه مشافهة من غير النبي ﷺ، ومع ذلك فقد حصل الخير العظيم.

وابن مسعود كان ينكر عليه بعض القراءة، لكنه أبى أن يرجع إلى قولهم؛ لأنه أخذها من النبي ﷺ، وقيل: بأنه في آخر الأمر بعد أن رأى أن الصحابة أجمعوا على المصحف الجامع ترك ما كان يقرأ.

وفيه معرفة أصحاب محمد ﷺ لفضل ابن مسعود، ولذلك لم يردوا عليه قوله، ولم يروا فيه تبجحا وخروجا عن الاعتدال، وإنما هو من باب الإخبار، وهذا يقرر ما ذكره من: أن المدح للنفس قد يتعين في بعض المواطن؛ لدفع كثرة التهم التي تلقى على الشخص، فقد تجد من لا يعلم لهذا العالم قدره ومنزلته، أو من يطعن فيه، فيحتاج أن يقول: ليس الأمر كما تقولون أو تظنون فإني قلت بهذه الفتوى وأفتيت بهذه المسألة على علم ودراية.

وفيه فضيلة العلم بالقرآن، فإن أصل لكل العلوم وما كان من غيره فهو مفسرٌ أو مبين له.

وفيه دلالة على تعيين الرحلة لطلب العلم، من قوله: **(وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ).**

وفيه أن العلم يأخذه الآخذ ممن دونه، وممن فوقه، وممن مثله، وقد قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٧٦]، إن لم يكن جملة يكون في بعض المسائل.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٥ - (٢٤٦٣) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا قُطَيْبٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ ^(١).

هذا لا يعارض الحديث الأول من أنه تلقى من النبي ﷺ بضعا وسبعين سورة، لعل بقية السور أخذها مراسيل عن الصحابة، ومراسيل الصحابة كلها مقبولة.

فقد علم من علوم القرآن أسباب النزول، وهذا من أهم العلوم، حتى قال الشيخ مقبل في مقدمة كتابه (الصحيح المسند من أسباب النزول) بمعنى كلامه: والسبب في تأليفي لهذا الكتاب؛ لأننا نعد أنفسنا أن نكون دعاة إلى الله عزَّوَجَلَّ، أو نحو ذلك، فالداعي إلى الله يحتاج أن يعرف أسباب النزول، فكم من سبب نصر الله فيه محمدا ﷺ! وكم من سبب رد الله به باطلا!

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وعلوم القرآن كثيرة، منها: أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، ومعرفة مواطن النزول، المكي والمدني، وبعضهم ربما يقول: الليالي والنهار، والصيفي والشتائي، وغير ذلك.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٦ - (٢٤٦٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنَّا نَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو فَتَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ، وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ عِنْدَهُ: فَذَكَّرْنَا يَوْمًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ: لَقَدْ ذَكَّرْتُمْ رَجُلًا لَا أَرَأَى أَحَبَّهُ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

يَقُولُ: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ» فَبَدَأَ بِهِ، «وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ»^(١).

١١٧ - (٢٤٦٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَذَكَرْنَا حَدِيثًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ لَا أَرَأَى أُحِبُّهُ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: اقْرَأُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ، فَبَدَأَ بِهِ، «وَمِنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَمِنْ سَالِمِ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ، وَمِنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ».

وَحَرَفَ لَمْ يَذْكُرْهُ زُهَيْرٌ قَوْلُهُ: يَقُولُهُ.

١١٧ - (٢٤٦٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِإِسْنَادِ جَرِيرٍ وَوَكَيْعٍ فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ قَدَّمَ مُعَاذًا قَبْلَ أَبِي، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ أَبِي قَبْلَ مُعَاذٍ.

١١٧ - (٢٤٦٤) حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، (ح) وَحَدَّثَنِي بَشْرُ بْنُ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِإِسْنَادِهِمْ، وَاخْتَلَفَا عَنْ شُعْبَةَ فِي تَنْسِيقِ الْأَرْبَعَةِ.

١١٨ - (٢٤٦٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْثَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: ذَكَرُوا ابْنَ مَسْعُودٍ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لَا أَرَأَى أُحِبُّهُ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اسْتَقْرَأُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ، وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ».

١١٨ - (٢٤٦٤) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ قَالَ شُعْبَةُ: بَدَأَ بِهِذَيْنِ، لَا أَذْرِي بَابَهُمَا بَدَأَ.

(شقيق) بن سلمة، أبو وائل الأسدي، أدرك النبي ﷺ ولم يره، ثقة لا يسأل عن مثله. كلهم من الأنصار، ما عدا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا دليل على فضيلته وعلو منزلته، وانظر إلى عبد الله بن عمرو كيف عرف فضله؛ لأن النبي ﷺ قدمه في اللفظ، وما قدمه في اللفظ إلا لتقدمه في الرتبة.

وفيه فضل أهل القرآن وعلو منزلتهم لا سيما من كان على منهج السلف فيه. وفيه أن القرآن يؤخذ من أهله، ويتلقى بالتلقين ونحوه. وفيه جواز قراءة القارئ على قراءة آخر، لكن بشرط: أن لا يكون متكلفاً في ذلك؛ لأن النبي ﷺ قد قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عُبَيْدٍ»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ جَوَازُ ذِكْرِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِالْفَضِيلَةِ وَالْعِلْمِ وَنَحْوِهِ لِلْحَاجَةِ، وَأَمَّا النَّهْيُ عَنْ تَرْكِيَةِ النَّفْسِ فَإِنَّمَا هُوَ لِمَنْ زَكَّاهَا وَمَدَحَهَا لِغَيْرِ حَاجَةٍ، بَلْ لِلْفَخْرِ وَالْإِعْجَابِ، وَقَدْ كَثُرَتْ تَرْكِيَةُ النَّفْسِ مِنَ الْأُمَثِلِ عِنْدَ الْحَاجَةِ كَدَفْعِ شَرِّ عَنْهُ بِذَلِكَ، أَوْ تَحْصِيلِ مَصْلَحَةٍ لِلنَّاسِ، أَوْ تَرْغِيبٍ فِي اخْتِذِ الْعِلْمِ عَنْهُ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَمِنْ الْمَصْلَحَةِ قَوْلُ يُوسُفَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٥٥]، وَمِنْ دَفْعِ الشَّرِّ قَوْلُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَقْتِ حِصَارِهِ: أَنَّهُ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، وَحَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ، وَمِنْ التَّرْغِيبِ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ هَذَا، وَقَوْلُ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: مَا بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنِّي، وَقَوْلُ غَيْرِهِ: عَلَى الْخَيْرِ سَقَطَتْ، وَأَشْبَاهُهَا. وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ الرَّحْلَةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَالذَّهَابِ إِلَى الْفُضَلَاءِ حَيْثُ كَانُوا.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٣٥)، عن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَفِيهِ أَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يُنْكِرُوا قَوْلَ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ أَعْلَمُهُمْ، وَالْمُرَادُ أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ، فَلَا يُلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَغَيْرُهُمْ بِالسُّنَّةِ، وَلَا يُلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ يَكُونُ وَاحِدٌ أَعْلَمُ مِنْ آخَرِ بَابِ مِنَ الْعِلْمِ، أَوْ بِنَوْعٍ، وَالْآخِرُ أَعْلَمُ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةِ وَقَدْ يَكُونُ وَاحِدٌ أَعْلَمُ مِنْ آخَرٍ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ بِزِيَادَةِ تَقْوَاهُ وَخَشْيَتِهِ وَوَرَعِهِ، وَزُهْدِهِ وَطَهَارَةِ قَلْبِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ الْأَرْبَعَةَ كُلَّ مِنْهُمْ أَفْضَلُ مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ. اهـ

المهم أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أهل الفضل وأهل الشأن وأهل المنزلة.

قال الذهبي في "سير أعلام النبلاء" الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي، المكي، المهاجري، البدري، حليف بني زهرة.

كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علما كثيرا.

توفي سنة ٣٢ هـ، وقيل: ٣٣ هـ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ أَبِي بَكْرٍ كَعْبٍ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ

أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار واسمه تيم اللات، وقيل: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر الأنصاري الخزرجي المعاوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أمر الله النبي ﷺ أن يقرأ على أبي ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ [سورة البينة: ١]، وسماه لرسول الله ﷺ، وهذه منزلة رفيعة، ومنقبة عظيمة.

وهو بدري وسيد القراء، شهد العقبة وكان رأسًا في العلم والعمل.

اختلف في سنة وفاته، ف قيل في خلافة عمر سنة اثنين وعشرين، وقيل في خلافة عثمان سنة ثلاثين.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١١٩ - (٢٤٦٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبِي بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ. قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي ^(١).

١٢٠ - (٢٤٦٥) حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَبِي بْنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُكْنَى أَبَا زَيْدٍ.

وأيضا جمعه من القرآن ما شاء الله منهم.

قَالَ الْمَازِرِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ بَعْضُ الْمَلَا حِدَةِ فِي تَوَاتُرِ الْقُرْآنِ، وَجَوَابُهُ

مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ تَصْرِيحٌ بِأَنْ غَيْرَ الْأَرْبَعَةِ لَمْ يَجْمَعُوهُ، فَقَدْ يَكُونُ مُرَادُهُ الَّذِينَ عَلِمَهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةً، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُهُمْ فَلَمْ يَنْفِهِمْ، وَلَوْ نَفَاهُمْ كَانَ الْمُرَادُ نَفْيِ عِلْمِهِ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ رَوَى غَيْرُ مُسْلِمٍ حِفْظَ جَمَاعَاتٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَذَكَرَ مِنْهُمْ الْمَازِرِيُّ خَمْسَةَ عَشَرَ صَحَابِيًّا، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ سَبْعُونَ مِمَّنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَكَانَتِ الْيَمَامَةُ قَرِيبًا مِنْ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ جَامِعِيهِ يَوْمَئِذٍ، فَكَيْفَ الظَّنُّ بِمَنْ لَمْ يُقْتَلْ مِمَّنْ حَضَرَهَا وَمَنْ لَمْ يَحْضُرْهَا وَبَقِيَ بِالْمَدِينَةِ أَوْ بِمَكَّةَ أَوْ غَيْرِهَا؟

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٨١٠).

وَلَمْ يَذْكُرْ فِي هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَنَحْوُهُمْ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ يَبْعُدُ كُلُّ الْبُعْدِ أَنَّهُمْ لَمْ يَجْمَعُوهُ، مَعَ كَثْرَةِ رَغَبَتِهِمْ فِي الْخَيْرِ وَحِرْصِهِمْ عَلَى مَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَكَيْفَ نَظُنُّ هَذَا بِهِمْ وَنَحْنُ نَرَى أَهْلَ عَصْرِنَا حَفِظَهُ مِنْهُمْ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ أَلُوفٌ مَعَ بُعْدِ رَغَبَتِهِمْ فِي الْخَيْرِ عَنْ دَرَجَةِ الصَّحَابَةِ؟ مَعَ أَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَحْكَامٌ مُقَرَّرَةٌ يَعْتَمِدُونَهَا فِي سَفَرِهِمْ وَحَضَرِهِمْ إِلَّا الْقُرْآنَ، وَمَا سَمِعُوهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَيْفَ نَظُنُّ بِهِمْ إِهْمَالَهُ؟

فَكُلُّ هَذَا وَشَبْهُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ أَحَدٌ يَجْمَعُ الْقُرْآنَ إِلَّا الْأَرْبَعَةُ الْمَذْكُورُونَ.

الْجَوَابُ الثَّانِي: أَنَّهُ لَوْ ثَبَتَ أَنَّهُ لَمْ يَجْمَعْهُ إِلَّا الْأَرْبَعَةُ لَمْ يَقْدَحْ فِي تَوَاتُرِهِ، فَإِنْ أَجْرَاهُ حَفِظَ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا خَلَاتِقٌ لَا يُحْصَوْنَ، يَحْصُلُ التَّوَاتُرُ بَعْضُهُمْ، وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ التَّوَاتُرِ أَنْ يَنْقَلَّ جَمِيعُهُمْ جَمِيعَهُ، بَلْ إِذَا نَقَلَ كُلُّ جُزْءٍ عَدَدُ التَّوَاتُرِ صَارَتْ الْجُمْلَةُ مُتَوَاتِرَةً بِلَا شَكٍّ، وَلَمْ يُخَالِفْ فِي هَذَا مُسْلِمٌ وَلَا مُلْحِدٌ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢١ - (٧٩٩) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأُبَيٍّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: «أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ»، قَالَ: اللَّهُ سَمَانِي لَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ سَمَّاكَ لِي»، قَالَ: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي ^(١).

١٢٢ - (٧٩٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ» ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة البينة: ١] «قَالَ: وَسَمَانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَبَكَى.

١٢٢ - (٧٩٩) حَدَّثَنِيهِ يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِيٍّ بِمِثْلِهِ.

فيه جواز قراءة الفاضل على المفضول، وليس القصد من قراءة النبي ﷺ على أبي أن أبي يقوم النبي ﷺ، بل ليقوم أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن القراءة على القارئ قد تكون من الشيخ وقد تكون من التلميذ، فربما قال الشيخ للتلميذ: اقرأ علي، وربما قال التلميذ للشيخ: اقرأ عليك، وفي كلا الحالين يقع التقويم، إلا أنه فيه فضيلة لأبي، كون الله عزَّ وجلَّ سماه رسول الله ﷺ باسمه.

(فَجَعَلَ أَبِي يَبْكِي) فيه البكاء فرحاً بنعمة الله عزَّ وجلَّ، كما أن البكاء أيضاً من خشية الله عزَّ وجلَّ. قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ابن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت واسمه عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، ثم الأشهلي، أبو عمرو، وأمه كبشة بنت رافع، لها صحبة. من المبشرين بالجنة، ومن أوائل من أسلم بعد هجرة مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو وأسيد بن حضير وسعد بن عباد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من خيرة الأنصار. مات بعد قريضة من سهم أصابه في الخندق، كما تقدم في الجهاد والسير.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٣ - (٢٤٦٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ: «اهْتَزَّ لَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ» ^(١).

١٢٤ - (٢٤٦٦) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ الْأَوْدِيُّ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ».

١٢٥ - (٢٤٦٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّزِّيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ الْخَفَّافُ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَجَنَازَتُهُ مَوْضُوعَةٌ يَعْنِي سَعْدًا: «اهْتَزَّ لَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ».

(اهْتَزَّ لَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ) هذا دليل على فضله وعلو منزلته، ونؤمن بالحديث على ظاهره.

وعرش الرحمن هو أكبر المخلوقات وأعلى المخلوقات، وقيل: بأن تحرك العرش كان فرحا بقدوم روح سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجعل الله تعالى في العرش تميزا حصل له ما ذكر.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُرَادُ اهْتَزَّ أَهْلُ الْعَرْشِ، وَهُمْ حَمَلَتُهُ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. اهـ

الصحيح الأول، وهو الذي رجحه النووي أيضا قال: وَلَا مَانِعَ مِنْهُ. وقيل: بأن المراد اهتز العرش يعني: اهتزت النعش، وهذا قول بعيد؛ لأن ما من محمول إلا ويهتز نعشه، فسيكون لا فضيلة لسعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٨٠٣).

(اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ) وهذا صريح بأن الاهتزاز كان عند الموت لا عند الحمل.

ثم أيضا العرش أضيف إلى الله إضافة تشريف، وما يكون إلا العرش المعهود المعلوم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٦ - (٢٤٦٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُلَّةٌ حَرِيرٌ فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَلْمُسُونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟ لِمَنَادِيلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا وَأَلْيَنُ»^(١).

١٢٦ - (٢٤٦٨) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّبِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَنبَأَنِي أَبُو إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِثَوْبٍ حَرِيرٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

١٢٦ - (٢٤٦٨) ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبْدِ: أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنِي قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بَنَحُو هَذَا أَوْ بِمِثْلِهِ.

١٢٦ - (٢٤٦٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ جَبَلَةَ، حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، بِهَذَا الْحَدِيثِ بِالسَّنَادَيْنِ جَمِيعًا كَرَوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ.

١٢٧ - (٢٤٦٩) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّهُ أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُبَّةٌ مِنْ سُندُسٍ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَنَادِيلَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا»^(٢).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٦١٥).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٦١٥).

١٢٧ - (٢٤٦٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا سَالِمُ بْنُ نُوحٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَامِرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أُكَيْدَرَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُلَّةً، فَذَكَرَ نَحْوَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ: وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ.

(أُهِدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ) فيه جواز قبول الهدية من المشركين.

(حُلَّةٌ حَرِيرٌ) الحلة: رداء وإزار.

(وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا)؛ لأن الحرير لين، ولذلك يستخدمون لمن كان به داء الجرب أو التحسس، أو نحو ذلك.

(أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟)؛ لقلة ما كان عند الصحابة، وإلى عهد قريب، إلى قبل ستين سنة خمسين سنة والناس قليلة ملابسهم، إلا ربما عند أصحاب المدن وإلا لو نظرت إلى أصحاب القرى ما كان يوجد عند بعضهم إلا رداء، وبعضهم مع الإزار، ردا مع الإزار، وبعضهم إزار فقط، كانوا في قلة.

(لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا وَاللَّيْنُ) وهذا شهادة من رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد حكم في قريضة بحكم الله، لم تأخذه فيهم لومة لائم، بخلاف عبد الله بن أبي بن سلول.

(أَنَّهُ أُهِدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُبَّةٌ مِنْ سُندُسٍ) فيه قبول الهدية.

والسندس: الحرير.

ويجوز لك أن تقبل ما لا يجوز للرجال وتعطيه للنساء ونحو ذلك.

(أُكَيْدَرَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ) وهو في شمال الجزيرة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي دُجَانَةَ سِمَاكِ بْنِ خَرْشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

أبو دجانة سماك بن خرشة، وقيل: سماك بن أوس بن خرشة بن لوزان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر الأنصاري الخزرجي الساعدي، من رهط سعد بن عباد، يجتمعان في طريف. توفي سنة اثنا عشر من الهجرة، حيث استشهد في معركة اليمامة في زمن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٢٨ - (٢٤٧٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا أَخْذُهُ بِحَقِّهِ قَالَ: فَأَخْذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ.

(مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا) التحضيض على الجهاد، وتشجيع المقاتلين.
(كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا أَنَا) يستبشر للجهاد به والقتال به، والمنافحة عن رسول الله ﷺ.

(فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟) علموا أن حقه شديد، ولا يجوز بعد أخذه التواني والفتور.
(أَنَا أَخْذُهُ بِحَقِّهِ) يعني بالقتال به والمباشلة.
(فَأَخْذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ) أي: شق رؤوسهم من شدة ضربه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مَنْ فَصَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ وَالِدِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا

عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي السلمي، يكنى أبا جابر، بابنه جابر بن عبد الله.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٩ - (٢٤٧١) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ وَعَمْرُو النَّاقِدُ، كِلَاهُمَا عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ جِئَ بِأَبِي مُسَجَّى، وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، قَالَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوبَ فَتَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوبَ فَتَهَانِي قَوْمِي، فَرَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَمَرَ بِهِ فَرَفَعَ، فَسَمِعَ صَوْتَ بَاكِئَةٍ أَوْ صَائِحَةٍ فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» فَقَالُوا: بِنْتُ عَمْرٍو أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو، فَقَالَ: «وَلَمْ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ»^(١).

١٣٠ - (٢٤٧١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أُصِيبَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ فَجَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوبَ عَنْ وَجْهِهِ وَأَبْكِي وَجَعَلُوا يَنْهَوْنِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْهَانِي، قَالَ: وَجَعَلْتُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو تَبْكِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبْكِيهِ؟» أَوْ: «لَا تَبْكِيهِ، مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ».

١٣٠ - (٢٤٧١) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، كِلَاهُمَا عَنْ مُحَمَّدِ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٢٩٣).

بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ بِهَذَا الْحَدِيثِ، غَيْرَ أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ لَيْسَ فِي حَدِيثِهِ ذِكْرُ الْمَلَائِكَةِ وَبُكَاءِ الْبَاكِيةِ.

١٣٠ - (٢٤٧١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلْفٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ عَدِيٍّ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: جِيءَ بِأَبِي يَوْمَ أُحُدٍ مُجَدَّعًا فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ.

(يَوْمَ أُحُدٍ) وهو يوم شديد على المسلمين.

(جِيءَ بِأَبِي مُسَجَّى): مغطى.

(وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ) مثل به المشركون، وقد وجدوا فيه أكثر من ثمانين ضربة بسيف وطعنة

برمح.

(فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوبَ فَتَهَانِي قَوْمِي)؛ خشية أن يتأثر أو يقع في نفسه، لا سيما وكان

صغيرا.

(فَرَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَمَرَ بِهِ فَرُفِعَ) لعلمه بحال جابر، وأنه إن شاء الله من

الأثباب.

(فَسَمِعَ صَوْتَ بَاكِيةٍ أَوْ صَائِحَةٍ) كما هو الحال عند الموت، لكن المرخص فيه

البكاء لا النوح، كما تقدم في الجنائز.

(بِنْتُ عَمْرٍو أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو) كأنها أخت عبد الله بن حرام.

(وَلَمْ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنَحَيْهَا حَتَّى رُفِعَ) يعني مثل هذا يُفرح به

ويُفرح له، لكن عادة الناس أنهم ينظرون إلى الواقع الذي هم فيه، ولا ينظرون إلى

المؤمل والمرجو والموعود به، وإلا فهنيئا لمن مات على السنة والإسلام والاستقامة،

هذا يفرح له أنه مات قبل أن ينحرف عن الصراط المستقيم، والطريق القويم.

وفيه كرامة لعبد الله بن عمرو بن حرام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وبشارة بالجنة إن شاء الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وقد جاء في الصحيح أنه قال حين كلمه الله كفاحاً: (اللهم بلغ عنا نبيك أنا قد لقيناك، فرضيت عنا ورضينا عنك).
قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ جُلَيْبِيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

غير منسوب، كان دميم الخلقة عظيم الخلق وكان فيه دعاية.
قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٣١ - (٢٤٧٢) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سَلِيطٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ كِنَانَةَ بْنِ نَعِيمٍ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي مَغْزَى لَهُ، فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيئًا، فَاطْلُبُوهُ»، فَطُلِبَ فِي الْقَتْلِ فَوَجِدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ»، قَالَ: فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدَا النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَحَفَرَهُ لَهُ وَوَضَعَ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ غُسْلًا.

(أبو بركة) فضلة بن عبيد بن عابد الأسلمي الخزاعي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، توفي بعد خمسة وستين.

(كَانَ فِي مَغْزَى لَهُ) غزوة من الغزوات، لم تسم هنا.

(فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ) أي بالغنيمة، والفِيء هو: المال الذي يتحصل عليه المسلمون بغير

قتال، وقد يطلق على الغنيمة ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [سورة

(هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟) لأن الناس يتفقد بعضهم بعضا بعد المعركة، هذا يتفقد أخاه، وهذا يتفقد صاحبه، ففي حال المعركة يذهل كل خليل عن خليله.

(لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبًا) كان ضعيف الحال، ولكن النبي ﷺ لم ينسه؛ لفضله ومنزلته.

(فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ) أي: من الكفار.

(فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَوَقَفَ عَلَيْهِ) أي النبي ﷺ جاءه؛ إكراما له.

(هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ) مبالغة في اتحاد طريقتهما واتفاقهما في طاعة الله عز وجل.

(فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ) رفعه بنفسه.

(وَلَمْ يَذْكُرْ غُسْلًا)؛ لأن الميت في أرض المعركة لا يُغسل ولا يصلى عليه ويكفن، وأما من كفنوا في ملابسهم؛ فلقلة ذات أيديهم، وإلا لا حرج من التكفين في ثوب أبيض جديد إن وُجد.

وقصة جليبه فيها زيادة في مسند أحمد^(١): أن النبي ﷺ قال لجليب: «ألا تزوج؟» قال: «ومن يزوجني يا رسول الله؟ قال: اذهب إلى فلان الأنصاري، فاخطب ابنته، فجاء إلى فلان الأنصاري، فقال: أي فلان رسول الله ﷺ يسلم عليك، ويخطب ابنتك، قال: وأي أكرم من رسول الله ﷺ، قال: إنها ليست له، إنها لي، قال: إنَّه إنه، لجليب؟ ثم أخبر زوجته فقالت: مرحبا برسول الله ﷺ، ومن أكرم منه؟ قال: إنها ليست له إنها لجليب، قالت: إنه إنه، لجليب؟ فسمعت البنت، فوافقت وقالت: لا تردوا خطبة النبي ﷺ، فتزوجها جليب، فلما جاء الفتح خرج جليب وقتل وصلح شأن المرأة بعد ذلك، فتح الله عليها بسبب أخذها من دل عليه رسول الله ﷺ.

وباب فضائل الصحابة باب واسع وجميل، ولولا أننا نخشى الإطالة والخروج عن المقصود، لقرأنا فيه حتى نأخذ الخير العظيم من فضائلهم وما هو من أسباب علو منزلتهم.

(١) حديث رقم: (١٩٧٨٤)، عن أبي برزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومنزلة الإنسان بقدر استقامته وجهاده، وبذله في ذات الله **عَزَّجَلَّ**، فانظر إلى هذا الرجل المسكين الذي لا يلتفت إليه كيف قال النبي **ﷺ**: «**هذا مني وأنا منه**»، ونسأل الله أن نلقاه وهو راض عنا، مثل جلييب، لقي الله وهو راض عنه، كم من إنسان عند الناس كبير وهو في ملكوت الله حقير؟ وكم من إنسان في ملكوت الله كبير وهو عند الناس حقير؟ فنسأل الله السلامة والعافية.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر وقيل غير ذلك، أبو ذر الغفاري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، كان صالحاً قبل إسلامه، حتى أنه كان يصلي، ثم وفقه الله للإسلام، وكان زاهدا ورعا، وأما حديث "رحم الله أبا ذر يعيش وحيداً ويموت وحيداً ويبعث وحيداً" فلا يثبت، ومات بالربذة سنة اثنين وثلاثين، ويطعن الرافضة ومن إليهم في الخليفة الراشد عثمان بن عفان من أنه نفى أبا ذر الغفاري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** إلى الربذة، وليس ذلك بشيء إنما هو اختار ذلك حين وقع منه ما وقع من الإنكار على الصحابة في مسألة الكنز، والمذهب الصحيح مذهب الصحابة على ما تقدم في الزكاة، والله أعلم.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٣٢ - (٢٤٧٣) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ هَلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارٍ، وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أُتَيْسٌ وَأُمُّنَا فَتَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا فَأَكْرَمَنَا خَالُنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا، فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أُتَيْسٌ، فَجَاءَ خَالُنَا فَتَنَا عَلَيْنَا الَّذِي قِيلَ لَهُ، فَقُلْتُ: أَمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفِكَ

فَقَدْ كَذَّرْتُهُ، وَلَا جِمَاعَ لَكَ فِيمَا بَعْدُ، فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا فَاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا، وَتَغَطَّى خَالُنَا ثَوْبُهُ فَجَعَلَ يَبْكِي، فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ فَنَافَرَ أَنَسُ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا، فَأَتَى الْكَاهِنَ فَخَيَّرَ أَنَسًا، فَأَتَانَا أَنَسُ بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا.

قَالَ: وَقَدْ صَلَّيْتُ يَا ابْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ. قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، قُلْتُ: فَأَيْنَ تَوَجَّهَ؟ قَالَ: أَتَوَجَّهَ حَيْثُ يُوجِّهُنِي رَبِّي، أَصَلِّي عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَلْقَيْتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ حَتَّى تَعْلُونِي الشَّمْسُ، فَقَالَ أَنَسُ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَاكْفِنِي، فَاَنْطَلَقَ أَنَسُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ فَرَأَتْ عَلَيَّ، ثُمَّ جَاءَ فَقُلْتُ: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: لَقَيْتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ! قُلْتُ: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ شَاعِرٌ كَاهِنٌ سَاحِرٌ، وَكَانَ أَنَسُ أَحَدَ الشُّعْرَاءِ. قَالَ أَنَسُ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهْنَةِ فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشُّعْرِ فَمَا يَلْتَمِمْ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، قَالَ: قُلْتُ: فَاكْفِنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرُ.

قَالَ: فَأَتَيْتُ مَكَّةَ فَتَضَعَّفْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَقُلْتُ: أَيَّنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُوهُ الصَّابِي؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَقَالَ: الصَّابِي؟ فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدْرَةٍ وَعَظْمٍ حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيًا عَلَيَّ، قَالَ: فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ كَأَنِّي نُصَبُّ أَحْمَرُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَعَسَلْتُ عَنِّي الدَّمَاءَ وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا، وَلَقَدْ لَبِثْتُ يَا ابْنَ أَخِي ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنْكَ بَطْنِي، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةً جُوعٍ.

قَالَ: فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةِ قَمَرَاءٍ إِضْحِيَانٍ إِذْ ضُرِبَ عَلَى أَسْمَحَتِهِمْ فَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ أَحَدٌ، وَامْرَأَتَانِ مِنْهُمْ تَدْعَوَانِ إِسَافًا وَنَائِلَةً، قَالَ: فَأَتْنَا عَلَيَّ فِي طَوَافِهِمَا، فَقُلْتُ: أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الْآخَرَى. قَالَ: فَمَا تَنَاهَتَا عَنْ قَوْلِهِمَا. قَالَ: فَأَتْنَا عَلَيَّ فَقُلْتُ: هُنَّ مِثْلُ الْحَشَبَةِ - غَيْرَ أَنِّي لَا أَكْنِي، فَاَنْطَلَقْنَا تُولُولَانِ وَتَقُولَانِ: لَوْ كَانَ هَاهُنَا أَحَدٌ

مِنْ أَنْفَارِنَا! قَالَ: فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا هَابِطَانِ، قَالَ: مَا لَكُمَا؟ قَالَتَا: الصَّابِيُّ بَيْنَ الْكُعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا، قَالَ: «مَا قَالَ لَكُمَا؟» قَالَتَا: إِنَّهُ قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلَأُ الْفَمَ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ وَطَافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ، ثُمَّ صَلَّى، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَقُلْتُ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَنْتَ؟» قَالَ: قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ، قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنْ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ، فَذَهَبْتُ أَخْذُ بِيَدِهِ فَقَدَعَنِي صَاحِبُهُ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «مَتَى كُنْتَ هَاهُنَا؟» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قَالَ: فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءٌ زَمْرَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنُقُ بَطْنِي، وَمَا أَجِدُ عَلَى كِبِدِي سُخْفَةً جُوعٍ، قَالَ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامٌ طَعِمَ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ، فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَاَنْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ رِيبِ الطَّائِفِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا، ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ وَجَّهَتْ لِي أَرْضُ ذَاتِ نَخْلٍ لَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ».

فَأَتَيْتُ أَنِيسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَأَتَيْنَا أُمًّا فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، وَكَانَ يَوْمُهُمْ إِيْمَاءُ بْنِ رَحْضَةَ الْغِفَارِيِّ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ، وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا. فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي، وَجَاءَتْ

أَسْلَمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِخْوَتُنَا، نُسَلِّمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ. فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمٌ سَالَمَهَا اللَّهُ».

١٣٢ - (٢٤٧٣) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هَلَالٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: قُلْتُ: فَاكْفِنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ: قَالَ: نَعَمْ، وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَإِنَّهُمْ قَدْ شَنَفُوا لَهُ وَتَجَهَّهُوا.

١٣٢ - (٢٤٧٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنْزِيُّ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هَلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ أَبُو دَرٍّ: يَا ابْنَ أَخِي، صَلَّيْتُ سَتَيْنِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: فَأَيْنَ كُنْتَ تَوَجَّهَ؟ قَالَ: حَيْثُ وَجَّهَنِي اللَّهُ، وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: فَتَنَافَرَا إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْكُهَّانِ، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ أَخِي أُتِيَ يَمْدَحُهُ حَتَّى غَلَبَهُ، قَالَ: فَأَخَذْنَا صِرْمَتَهُ فَضَمَمْنَاهَا إِلَى صِرْمَتِنَا، وَقَالَ أَيْضًا فِي حَدِيثِهِ: قَالَ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ الْمَقَامِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، فَإِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، قَالَ: قُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، مَنْ أَنْتَ؟» وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضًا فَقَالَ: «مُنْذُ كَمْ أَنْتَ هَاهُنَا؟»، قَالَ: قُلْتُ: مُنْذُ خَمْسِ عَشْرَةَ، وَفِيهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَلْحَقْنِي بِضِيَافَتِهِ اللَّيْلَةَ.

(وَكَانُوا يُجِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ) أي يستبشرون فيه القتال، وقطع الطريق، ونحو ذلك،

أهل جاهلية.

(فَنَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا) زيارة ووفادة.

(فَاكْرَمَنَا خَالَنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا) كما هو حال العرب.

(فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ) هذا حال أغلب الناس، الحسد.

(فَقَالُوا: إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أُتَيْسٌ) يعني اهتموه بالفاحشة.

(فَجَاءَ خَالِنَا فَتَنَّا عَلَيْنَا الَّذِي قِيلَ لَهُ) أخبرهم بقول الناس .
 (فَقُلْتُ: أَمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَذَّرْتَهُ) أي هذا القول .
 (فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا فَاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا) أهبة السفر من ناقة ونحو ذلك .
 (وَتَغَطَّى خَالِنَا ثَوْبُهُ فَجَعَلَ يَبْكِي)؛ لأن الكلام في الأعراض ثقیل على النفس وربما ما صرح لهم بقول الناس إلا وقد استقر في نفسه، فالبقاء عنده بعد هذا الكلام يتعذر، بل من أسباب الفتنة .

(فَانْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ) بقريب منها .
 (فَنَافَرْنَا عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا) يعني كأنهم جعلوا شيئاً للكهنة أو لمن يفاخر به، فيكون كالقمار .

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَغَيْرُهُ فِي شَرْحِ هَذَا: الْمُنَافَرَةُ: الْمُفَاخَرَةُ وَالْمُحَاكَمَةُ، فَيَفْخَرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرَّجُلَيْنِ عَلَى الْآخَرِ، ثُمَّ يَتَحَاكَمَانِ إِلَى رَجُلٍ لِيَحْكُمَ أَيُّهُمَا خَيْرٌ وَأَعَزُّ نَفَرًا، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُفَاخَرَةُ فِي الشُّعْرِ أَيُّهُمَا أَشْعَرُ كَمَا بَيَّنَّهُ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى. اهـ

أي تراهن هو وآخر على الصرمة ومثلها معها أيهما أحسن .
 (الْكَاهِنَ) وهو الذي يخبر بالأمور المغيبة في الماضي، والعراف: الذي يخبر بالأمور المغيبة في المستقبل، ولا يجوز غشيانها جميعاً، «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقة فقد كفر بما أنزل على محمد» .

(فَخَيْرٌ أُنَيْسًا) يعني خيره أنه أفضل .
 (قَالَ: وَقَدْ صَلَّيْتُ يَا ابْنَ أَخِي) صلاة الله أعلم كيفية هذه الصلاة، وإنما هي مأخوذة مما كان عليه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ) هذا من توفيق الله .
 (قُلْتُ: فَأَيْنَ تَوَجَّهَ) يعني إلى أين تصلي والقبلة لم تُفرض بعد؟

(كَأَنِّي خِفَاءٌ) كأنه كساء، وفي نسخة: (جُفَاء) وَهُوَ غُثَاءُ السَّيْلِ، وَالصَّوَابُ الْمَعْرُوفُ هُوَ الْأَوَّلُ.

(إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَأَخْفِنِي) يعني يكفيه بشأن الصرمة.

(لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ) على التوحيد.

(يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ) يخبر أن الله أرسله.

(يَقُولُونَ شَاعِرٌ كَاهِنٌ سَاحِرٌ) تهم باطلة، ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾

[سورة الطور: ٣٠].

(قَالَ أَنَيْسٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ) أي القرآن الذي يأتي به النبي

ﷺ.

(وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشُّعْرِ فَمَا يَلْتَمِمْ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ) وهذا

شهادة من شاعر، وشهادة من عربي فصيح.

(قَالَ: فَاتَيْتُ مَكَّةَ) هذا أبو ذر يقول.

(فَتَضَعْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ) تضعفه؛ من أجل أن لا يتفطن له، وجعل يسأله؛ لأن

الضعيف مأمون الغائلة، أما إذا سأل رجلاً ذكياً ربما قام عليه، وهذا من الذكاء والفتنة.

(فَقُلْتُ: أَيْنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِي؟) ما قال له: الرسول، لو قال له: الرسول

ربما تفطن له، لكن: الذي تدعونه الصابى.

(فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدْرَةٍ وَعَظُمَ) يضربونه.

(فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ كَأَنِّي نُصَبُّ أَحْمَرُ) أي من كثرة الدماء التي سالت منه لأن

النصب كانوا يذبحون عليه.

(مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ) جعل الله فيه بركة.

(فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكُنُ بَطْنِي) انثنت؛ لكثرة السمن وانطوت.

(وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةً جُوعٍ) سيأتي أنه «طعام طعم وشفاء السقم».

(فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَمَرَاءَ إِضْحِيَانٍ) في ليالي البيض، يعني مضحية، يخرج الناس في ليلها للطواف والتَّمشية.

(إِذْ ضُرِبَ عَلَى أَسْمِخَتِهِمْ) يعني نوم شديد.

(وَأَمْرَاتَانِ مِنْهُمْ تَدْعَوَانِ إِسَافًا وَنَائِلَةً) يطفن ويدعوان إسافا ونائلة، وقصة إساف ونائلة: أن رجلا وامرأة واقعا الفاحشة داخل الكعبة، فمسخهما الله حجرين، فبعد ذلك أخذهما أهل الجاهلية يتركون بهما، ويتعبدون إليهما، وهذا من مسخ الفطر، وإلا قد مسخا إلى حجرين دليل على غضب الله عليهما، وعلى انتقام الله منهما، ولكن الشيطان يتلاعب بأهل الجاهلية.

(فَقُلْتُ: أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الْآخَرَى) وهذه كلمة شديدة، يعني يقول: زوجا إحداهما الأخرى، والنساء تتخرج من مثل هذا الكلام الذي فيه التصريح بشأن الوقاع ونحوه.

(قَالَ: فَمَا تَنَاهَتَا عَنْ قَوْلِهِمَا) يعني عن دعاء إساف ونائلة.

(قَالَ: فَأَتْنَا عَلِيٍّ) مرثا عليه، (فَقُلْتُ: هُنَّ مِثْلُ الْخَشْبَةِ) يعني كناية عن آلة وفرج الرجل، وأراد بذلك سب إساف ونائلة، وغيظ الكفار بذلك.

(غَيْرَ أَنِّي لَا أَكْنِي) يعني يصرح بالكلمة، هنا كنى وهناك صرح.

(فَانْطَلَقْنَا تَوَلَّوْا لَنَا) أي من قبح الكلمة التي سمعنا.

(وَتَقُولَانِ: لَوْ كَانَ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا) أي من رجالنا لمنعه من هذا الكلام.

(قَالَتَا: إِنَّهُ قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلَأُ الْفَمَ) يعني كلمة شديدة عظيمة، لا شيء أقبح منها

يستحي الإنسان أن يتكلم بها.

(وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ) كأنه بدأ في الطواف.

(وَوَطَأَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ، ثُمَّ صَلَّى) أي النبي ﷺ.

(فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فمثل هذا الحديث يضعونه في الأوائل، مثل الأوائل العسكري، أول من أسلم، أول من حيا بالسلام، أول من رمى بسهم في سبيل الله، أول من فعل كذا.

(فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ) يعني مسك هكذا يوحى إليه.

(فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنْ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ) وكانوا قطاع طريق.

(فَذَهَبْتُ أَخْذُ بِيَدِهِ فَقَدَعَنِي صَاحِبُهُ) يعني ضرب في يده حتى يرفعها عن النبي ﷺ.

(مَتَى كُنْتُ هَاهُنَا؟) دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب.

(إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامٌ طَعْمٌ) فبركتها في شربها، والاستشفاء بها، في حديث «ماء

زمزم لما شرب له»، رسالة في تصحيحه للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ، وبعض أهل العلم

يرد معنى الحديث: لما شرب منه له من الطعام أو الدواء، «طعام طعم وشفاء سقم».

وثبت عن بعض السلف أنه شربه للحفاظ، وتمنى أنه لو شربه للعمل، ثبت عن

بعضهم أنه شربه لعطش يوم القيامة.

(أَتَذُنُّ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ) أضيفه.

(فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَيْبِ الطَّائِفِ) وهو زيب طيب، أرض الطائف فواكهها طيبة؛

لأنها أرض ليست بالسبخة وليست بالرطوبة، ولكن بين ذلك.

(ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ) يعني ذهبت لشأني.

(ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ وَجَّهْتُ لِي أَرْضَ ذَاتُ نَخْلٍ لَا أَرَاهَا إِلَّا يَتْرَبُ)

يعني جاء إلى النبي ﷺ مرة ثانية، فأخبره النبي ﷺ بعزمه على الهجرة.

(فَهَلْ أَنْتَ مُبْلَغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ) الدعوة إلى

الله، والوصية بذلك، وأن الداعي إلى الله عزَّجَلَّ يثاب على قدر من اهتدى على يديه،

وعلى قدر البلاغ الذي قام به.

(مَا بِي رَغْبَةً عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ) هؤلاء العقلاء، أما بعض الناس ربما يرد الدعوة، وينافر أخاه.

(فَاخْتَمَلْنَا حَتَّى آتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ) الله أكبر، بركة عظيمة، في ميزان أبي ذر.

(وَكَانَ يُؤْمُهُمْ إِيْمَاءُ بْنُ رَحْضَةَ الْغِفَارِيُّ) له بعض أحاديث.

(وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا) يعني لا بأس قد تقبلوا الدعوة، إنما بقوا في تردد.

(نُسَلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ) يعني من الشروط والوعود.

(غِفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمَ سَالَمَهَا اللَّهُ) وهذا دعاء طيب مبارك من رسول الله ﷺ لهايتين القبيلتين إذ دخلتا في الإسلام بسهولة ويسر.

(فَإِنَّهُمْ قَدْ شَفَعُوا لَهُ وَتَجَهَّهُوا) يعني عادوه وأظهروا ذلك له. قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٣ - (٢٤٧٤) وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَرَعَةَ السَّامِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ وَتَقَارَبَا فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ حَاتِمٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَأَعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ أَتْنِي، فَاَنْطَلَقَ الْآخَرُ (١) حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَّامًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ، فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي فِيمَا أَرَدْتُ.

فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَاتَى الْمَسْجِدَ، فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ - يَعْنِي اللَّيْلَ - فَاضْطَجَعَ، فَرَأَهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَأَهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ اخْتَمَلَ قَرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَى النَّبِيَّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ: مَا أَنَى لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟ فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ وَلَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّلَاثِ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَقَامَهُ عَلِيٌّ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ هَذَا الْبَلَدَ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِثَاقًا لَتُرْشِدَنِي فَعَلْتُ، فَفَعَلَ، فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي، فَفَعَلَ، فَاَنْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي»، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَنَارَ الْقَوْمِ فَضْرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، فَاتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَالَ: وَيْلَكُمْ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ وَأَنَّ طَرِيقَ تَجَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهِمْ؟ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا وَثَارُوا إِلَيْهِ فَضْرَبُوهُ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ فَأَنْقَذَهُ

(١)

(فَاسْمَعُ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ انْتَبِهِي) فيه أن من سمع عن رجل شيئاً فليثبت، ويرسل صاحب العقالة، فإن العاقل إذا أرسل جاء بالأمر على وجهه، ولذلك قيل:
إذا كنت في حاجة مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصيه

أما الخامل إذا أرسلته أفسد عليك، وضر نفسه، ولم يحسن الخطاب ولا الجواب. **(رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ)** وهذا عموم، فأعلاها التوحيد والعقيدة الصحيحة، ثم تتدرج المكارم، من بر الوالدين وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران، والأمر بالصدقة، والصلة والعفاف، ونحو ذلك.

(مَا شَفَيْتَنِي فِيمَا أَرَدْتُ) يعني أتيتني ببعض الشيء، لكن ما زلت أطلب أكثر حتى أستيقن خبره.

(وَحَمَلَ سَنَةً) إِنْاء.

(فَرَأَاهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ) وهذا من حسن الفراسة. **(فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ)**؛ لأن المسألة كانت مسألة استضعاف من المشركين، وعلي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يخشى من أبي ذر وأبو ذر يخشى من علي؛ لأن كل واحد منهما لم يعلم بحال الآخر.

(مَا أَنَى لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟) يعني كلمة كأنها عابرة، يلقيها وهو يمشي بحيث لا يكون له حجة عليه، فإن رآه أنه يبحث عن شيء سيتداخل الكلام، وهكذا إذا ركبت في باص أو طائرة أو جلست في مجلس وبجانبك واحداً تريد أن تدعوه إلى الله فتبدأ بالتعرف معه قبل أن تتكلم معه، وتستطيع أن تجس نبضه هل هو ممن قد عرف شيئاً عن السنة؟ عن التوحيد؟ هل هو من طائفة غير أهل الاستقامة؟ حتى تتدرج معه فلا بد من التدرج في الدعوة، ولا بد من المداخلة للناس.

(فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ) يعني أخذه بعد أن تعارفا. **(فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئاً أَخَافُ عَلَيْكَ قُومْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ)** بعضهم أنكروا هذه الكلمة، وانظر هي في الأحاديث، وقد جاء عن أسامة: نزل النبي **ﷺ** يهريق الماء، فلا حرج منها.

وهذا أيضا من حسن السياسة، بحيث لا يتفطن الناس أن هذا الرجل يمشي خلف علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَجْعَلَنَّ**.
(فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ) أي: يتبعه.

(وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ) يعني في حينه أسلم، حين رأى الدلائل والحقائق على نبوة النبي

ﷺ.

(فَأَخْبَرَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي) بالهجرة أو نحو ذلك.
(فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ) شجاعة ما طابت نفسه أن يمشي حتى يصدع بكلمة التوحيد، وفي هذا دليل على أن الإنسان إن أخذ بالعزيمة لا يحرص عليه، وإن أخذ بالرخصة يجوز له، ومثل هذا: لو مررت بقوم فاعترضوك لأخذ مالك يجوز أن تقاتل على مالك، وإن قتلت فأنت شهيد، ويجوز أن تنازل عنه لسلامة النفس، ولعل الله **عَزَّ وَجَلَّ** يخلف بغيره.

(فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ) أي مجمع الناس.
(وَنَارَ الْقَوْمِ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ) ضربه حمية لجاهليتهم.
(فَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ) يعني غطاه ودافع عنه.
(أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ وَأَنَّ طَرِيقَ تُجَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهِمْ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ) خافوا على تجارتهم.

(ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا وَنَارُوا إِلَيْهِ فَضَرَبُوهُ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ فَأَنْقَذَهُ) هذا من شجاعة أبي ذر ومن شهامته، ومن صدعه بالحق، مع اقتناعه به، فهنيئا لهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَجْعَلَنَّ**.

(إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامٌ طَعِمَ) تشيع من الجوع، ويداوي الله بها من المرض وكان طعمها قبل غير مستساغ، فيه شيء من المداغة، وأما الآن فطعمها كبقية المياه في

الغالب، وهكذا كان طعمها مثل الحليب، طعم مبارك، يشرب الشارب منها فيمتلئ بطنه، ويشعر بشبع.

وأما الآن فهو كالماء، والأصل أنه ماء زمزم، إلا أنه لعله خفف وعولج، وبعضهم يقول: بأنه أضيف إليه، لكن ما أظن، وإن كان أضيف إليه فما زال مباركا، ولو القليل منه، لكن حين تقرأ فيما يخرج منه من الماء تجد أنه يستبعد القول بالإضافة.

وقد حصل في فترة من الفترات أنه جف أو كاد أن يجف، وفي فترة من الفترات أنه غُيب، حتى أن عبد المطلب كما يذكر أهل السير ما كان يدري أين الموطن، إنما رأى رؤيا أنه سيأتي طير ينقر عند الفرث والدم ونحو ذلك، المكان الذي كانوا يذبحون فيه، ثم حفره هو وولده حتى وجد البئر؛ لأنه كان قد دُفن بالأمطار.

ويذكرون: أن أقوى عين إلى زمزم هي التي مصبها من جهة الحجر الأسود وهناك عيون أخرى، وإنما رُتب هذا الترتيب في العهد القريب، في عهد الملك فهد رَحِمَهُ اللَّهُ وإلا قبل ذلك كانوا يدلون منه الدلاء، ثم بعد ذلك تطور الأمر إلى المضخة، وكان الناس يرونها، أنا أدركت هذا، في سنة سبعة عشر بعد الأربعمائة وألف من الهجرة كان هناك مكان ينزل له الناس، وهناك مكان زجاجي، فترى المواشير التي يرفع بها الماء. ثم بعد ذلك بلطوا المكان أجمع، والماء أصبح يخرج إلى الخارج، ويجمع حتى يعاد مثلجا، ثم أنشأ الملك عبد الله بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ مصنع ماء زمزم لتغليفه وإعداده وتجهيزه، يباع بسعر رمزي للناس، ويحمل إلى الآفاق، ويجوز حمله، على الصحيح.

ويجوز بيعه لا على أساس أنه بيع وقف، لكن أجره العمال، وقيمة الإناء، ونحو ذلك من الأمور، وإلا فهو وقف لجميع المسلمين، ﴿مَثَابَةٌ لِّلنَّاسِ وَأَمَّا﴾ [سورة البقرة: ١٢٥] أي: جميع المسلمين.

وأذكر أنه قديما حمل أبي رَحْمَةُ اللَّهِ منه إلى البلاد والله أعلم ونحن في بداية التمييز، وكنا لا نستطيع أن نشرب منه، وهذا الذي يذكره الشراح، حتى ذكر الحافظ ابن حجر: ما الحكمة في أن ماء زمزم هكذا طعمه؟ قال: حتى لا يشربه إلا من يحبه ومن له رغبة فيه.

ومن باب الفائدة: أرادت بريطانيا قبحها الله أن تخرج دراسة في ماء زمزم، وتريد الطعن في الحديث، فعملت دراسة، وأظهرت أن هذا ما زمزم ماء ملوثاً، وكذا، فرد عليها أن هذا التلوث إن كانت صادقة فيه فلعله من الآنية التي نُقل فيها، ثم أجريت دراسة فوجدوا أن ما زمزم أحسن ماء على وجه الأرض من حيث التركيب الكيميائي له، فمثلاً هذه التي يسموها الرقم الهيدروجيني، لأنه إذا زاد عن سبعة يصير حامضاً، وإذا نقص عن سبعة يصير قلوي، فوجدوا أنه من أحسن ما يكون، وأنه فيه نوع قلوية؛ حتى لا تعيش فيه الكائنات التي تؤدي إلى إفساده.

فخرج المبحث على أنه أحسن ماء بفضل الله عَزَّوَجَلَّ، فاليهود والنصارى مثل هذه الكرامات وإن كانوا يكذبون بها لكن تغيظهم، ما يريدون أن يكون ماء زمزم أحسن ماء، ولا يريدون أن تكون مكة مثلاً أحسن البلدان، يبحثون عن مثالب ومعائب، ولكنهم بحمد الله عَزَّوَجَلَّ يفشلون.

وهناك دراسات عن زمزم قديمة وحديثة، ولعل معنا في المكتبة بعض كتب لأنني اشتريت لما كنت في مكة بعضاً في ذلك، فإذا كان يطلع عليها الطالب ويستفيد من هذا المبحث؛ لأنه ذكر فيه العمق، وذكر فيه الأبعاد بينه وبين الحجر الأسود، وبينه وبين الصفا، وهناك عيون تأتيه من جهة الصفا، وعيون تأتيه من جهة الحجر الأسود.

دليل على أن الله عَزَّوَجَلَّ بارك في هذا الماء، وإلا جهة الحجر الأسود لو كان النظر إلى الأمور المادية الآبار تحتاج إلى أمطار تتجمع ثم تخرج هذه المياه من تحت الأرض إلى أماكنها، لكن هذا يأتيه الماء من جهة الحجر الأسود، ما هناك تجمع مياه،

ولا هناك شيء، إلا أنها كرامة من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لأهل ذلك الوادي وللمسلمين عامة، والله المستعان.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

جرير بن عبد الله بن جابر وهو الشليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة بن حرب بن علي بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار بن إراش، أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الله البجلي.

قال النبي **ﷺ**: «**يدخل عليكم رجل على وجهه مسحة ملك**»، قيل في ترجمته يوسف هذه الآية، وفي رواية: «**ملك**»، وقال: ما رأي النبي **ﷺ** إلا تبسم. وكانت وفاته **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قيل واحد وخمسون، وقيل أربعة وخمسون، وقيل ستة وخمسون.

قال الذهبي في "تاريخ الإسلام" (٤/ ١٨٦): وفد على رسول الله **ﷺ** سنة عشر، فأسلم في رمضان، فأكرم رسول الله **ﷺ** مقدمه. وكان بديع الجمال، مليح الصورة إلى الغاية، طويلاً، يصل إلى سنام البعير، وكان نعله ذراعاً. اهـ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٣٤ - (٢٤٧٥) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ بَيَانَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، (ح) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدُ بْنُ بَيَانَ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، عَنْ بَيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ يَقُولُ: قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا صَحِيحًا^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٠٣٥).

١٣٥ - (٢٤٧٥) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَأَبُو أُسَامَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ.

زَادَ ابْنُ نُمَيْرٍ فِي حَدِيثِهِ عَنِ ابْنِ إِدْرِيسَ: وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لَا أَتُبْتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا».

(بيان) بن بشر الأحمسي، ثقة ثبت.

(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ) الأودي، ثقة فقيه عابد، قدم على ابن نمير.

وهذا دليل على استئناس النبي ﷺ به، وكذلك فرح النبي ﷺ بإسلامه، فإن النبي ﷺ كان ينزل الناس منازلهم، ورب إكرام شخص يكون سببا في هداية من يليه، وفي تثبيت من يليه، ويتعين على الداعي إلى الله إذا نزل منطقة ومعه شخص يحتاج إلى تأليف أن يشعر من نزل عندهم؛ حتى يُتَأَلَّفَ ويعتنى به، وربما رجع مناصرا مكرما لأهل الشأن والخير، فالنبي ﷺ كان يعتني بهذا الباب جدا.

(وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا ضَحَكَ) بمعنى تبسم على ما في الرواية الأخرى، وهذا يشعر الداخل بأن الشخص اطمئن إليه وارتاح إليه.

(وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لَا أَتُبْتُ عَلَى الْخَيْلِ) لا يحسن الركوب.

(فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي) يتبرك بأثار النبي ﷺ، وهكذا لتثبيت الله له.

(اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا) وقد استجاب الله ﷻ هذه الدعوة، وركب بعد ذلك جرير الخيل، وكان من الهداة إلى سبيل الرشاد، ومعنى الهداية هنا هداية الدلالة والإرشاد، هاديا لغيره إلى الخير، مهديا في نفسه.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٦ - (٢٤٧٦) حَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدُ بْنُ بَيَّانٍ، أَخْبَرَنَا خَالِدٌ، عَنْ بَيَّانٍ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَيْتٌ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخَلَصَةِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَّةُ وَالْكَعْبَةُ الشَّامِيَّةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ أَنْتَ مُرِيحِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ وَالْكَعْبَةِ الْيَمَانِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ؟» فَتَفَرَّتْ إِلَيْهِ فِي مِائَةٍ وَخَمْسِينَ مِنْ أَحْمَسَ فَكَسَرْنَاهُ وَفَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَدَعَا لَنَا وَلِأَحْمَسَ.

١٣٧ - (٢٤٧٦) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا جَرِيرُ، أَلَا تَرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ»، بَيْتٌ لِحِثْمٍ كَانَ يُدْعَى كَعْبَةُ الْيَمَانِيَّةِ. قَالَ: فَتَفَرَّتْ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةٍ فَارِسٍ، وَكُنْتُ لَا أَتُبْتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَرَبَ يَدَهُ فِي صَدْرِي فَقَالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا. قَالَ: فَانْطَلَقَ فَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ، ثُمَّ بَعَثَ جَرِيرًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يُبَشِّرُهُ يُكْنَى أَبَا أَرْطَاةَ مِمَّا، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرْكُنَاهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرُبُ، فَبَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ.

١٣٧ - (٢٤٧٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ، يَعْنِي الْفَزَارِيَّ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ كُلُّهُمْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بِهِذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ فِي حَدِيثِ مَرْوَانَ: فَجَاءَ بِشِيرُ جَرِيرٍ أَبُو أَرْطَاةَ حُصَيْنُ بْنُ رَبِيعَةَ يُبَشِّرُ النَّبِيَّ ﷺ.

(كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَيْتٌ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخَلَصَةِ) بيت باليمن كان فيه صنم يعبدونه من دون الله، وكانوا يسمونه الكعبة اليمنية، وفي بعضها: الكعبة الشامية.

(الْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَّةُ وَالْكَعْبَةُ الشَّامِيَّةُ) لعله سمي بالكعبة اليمنية نظرا لأهل مكة وسمي بالكعبة الشامية نظرا لأهل اليمن.

(هَلْ أَنْتَ مُرِيحِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ وَالْكَعْبَةِ الْيَمَانِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ) هذا يشعر بأنها ثلاثة أشياء، وهي شيء واحد.

(مِنْ أَحْمَسَ) قوم بجيلة من اليمن.

(فَكَسَرْنَاهُ وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ) إزالة المنكر باليد.

(فَدَعَا لَنَا وَلِأَحْمَسَ) دعا للقائد ولمن معه من المقاتلين؛ لأنهم قد أبلوا وأحسنوا، وهذا من التشيت لهم ورد الجميل إليهم.

وفيه أن المسلم يتأذى من وجود الأصنام والأوثان والمخالفات، فانظر إلى قول النبي ﷺ: (يَا جَرِيرُ، أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ) كان يتألم النبي ﷺ أن يبقى ما يعبد من دون الله عز وجل، فإن هذا من المنكرات العظيمة.

وهكذا وجود البدع ووجود المعاصي يتألم المستقيم بوجودها، ويرتاح لتغييرها وذهابها.

(لِخَنْعَمَ) قبيلة.

(فَنَفَرْتُ) أي انطلق إليهم.

(فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ) ما شاء الله سرية كلها فرسان، وهذا بعد أن فتح الله على المسلمين، وإلا كان شأنهم قبل ذلك خرجوا في بدر ليس لهم إلا فرس واحد.

(وَكُنْتُ لَا أَتَّبْتُ عَلَى الْخَيْلِ) لعله لم يعتد ذلك، والإنسان قد يتعود ركوب البغل والحمار، لكن الخيل مخيف؛ لأنه حيوان مرتفع، زد على ذلك: أن الخيل لا يثبت إلا إذا ركبه الفارس.

(فَضْرَبَ يَدَهُ فِي صَدْرِي فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَبِّئْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا) وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، وأن كثيرا من دعاء النبي ﷺ يستجاب.

(فَانْطَلَقَ فَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ) إزالة المنكر، سواء بالنار أو بالهدم، أو نحو ذلك.
(ثُمَّ بَعَثَ جَرِيرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يُشِيرُهُ) فيه عظيم البشارة بالخير، والبشارة
سواء في الحسيات أو في المعنويات.

(مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْنَاهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ) يعني أحرقوها حتى صارت سوداء
والجمال الأجرب يطلى بالقطران، فيصير أسودا.

(فَبَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا) وهذا هو المتعين، أن الإنسان إذا
أعجب بالشيء يبرك عليه، ويدعو له؛ حتى لا يصاب بالعين هذه واحدة، والثاني: أنه
يرد الأمر إلى الله في المباركة فيما حصل لهم من النصر والفتح، وفيه الدعاء والمجازاة
لمن أحسن في فعل أو قول.

(خَمْسَ مَرَّاتٍ) فيه استحباب تكرار الدعاء، والنبي ﷺ كان إذا دعا دعا ثلاثا، وإذا
سلم سلم ثلاثا.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا قَوْلُهُ: (هَلْ أَنْتَ مُرِيحِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ وَالْكَعْبَةِ الْيَمَانِيَّةِ
وَالشَّامِيَّةِ؟) فَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: ذِكْرُ الشَّامِيَّةِ وَهُمْ وَغَلَطُ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ، وَالصَّوَابُ
حَذْفُهُ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَلَيْسَ فِيهِ هَذِهِ الزِّيَادَةُ وَالْوَهْمُ.
هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي، وَلَيْسَ بِجَيِّدٍ، بَلْ يُمَكِّنُ تَأْوِيلَ هَذَا اللَّفْظِ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: هَلْ
أَنْتَ مُرِيحِي مِنْ قَوْلِهِمْ: الْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَّةُ وَالشَّامِيَّةُ، وَوُجُودُ هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي يَلْزَمُ مِنْهُ
هَذِهِ التَّسْمِيَةُ. اهـ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَصَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، ابن عم رسول
الله ﷺ، اختلف في وفاته فقيل سبعة وستين، وقيل ثمانية وستين، وقيل تسعة وستين،

وقيل سبعين، أحد العبادلة وهم ابن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو، ولم يذكر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأنه مات قديماً، وهؤلاء عاشوا حتى احتاج الناس إليهم.

من صغار الصحابة، إلا أن النبي ﷺ دعا له بالبركة في العلم والفقه.

وهو من المكثرين عن رسول الله ﷺ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٨ - (٢٤٧٧) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ قَالَا: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ بْنُ عُمَرَ الْيَشْكُرِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي يَزِيدَ يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى الْخَلَاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا؟ فِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ: قَالُوا، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: قُلْتُ: ابْنُ عَبَّاسٍ. قَالَ: «اللَّهُمَّ فَفِّهْ» ^(١).

(أَتَى الْخَلَاءَ) أي مكان قضاء الحاجة.

(فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا) وهو الماء، الفرق بين الوضوء والوضوء: أن الوضوء: الفعل، والوضوء الماء.

وفيه خدمة الفاضل، وفيه رد الجميل من المفضل بالدعاء له ونحو ذلك. وفيه أن الفقه شيء عظيم، والعلم شيء عظيم، ولذلك دعا النبي ﷺ لابن عباس به، واستجاب الله هذه الدعوة، وصار ابن عباس حبراً للأمة؛ لكثرة علمه وخبره وفتواه، وفتح الله عليه بطلاب العلم.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٥).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي الفقيه العابد الفاضل، صاحب الفضائل والشمائل، وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر، ومن المكثرين عن رسول الله ﷺ، توفي سنة ثلاثة وسبعين، وقيل أربعة وسبعين، ذكر في ترجمته أنه أعتق ألف عبد، والله أعلم.

١٣٩ - (٢٤٧٨) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَخَلْفُ بْنُ هِشَامٍ وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، كُلُّهُمْ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدَيَّ قِطْعَةً إِسْتَبْرَقٍ، وَلَيْسَ مَكَانُ أُرِيدُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا طَارَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَقَصَصْتُهِ عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهُ حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَى عَبْدَ اللَّهِ رَجُلًا صَالِحًا»^(١).

(قِطْعَةُ إِسْتَبْرَقٍ) قطعة من حرير.

(وَلَيْسَ مَكَانُ أُرِيدُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا طَارَتْ إِلَيْهِ) ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [سورة

ق: ٣٥].

(فَقَصَصْتُهِ عَلَى حَفْصَةَ) أخته.

وهذه الرؤيا التي رآها عبد الله بن عمر وبشر بهذه البشارة كانت بعد رؤيا رآها وفيها نذارة، تأتي في الحديث الآخر.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٠ - (٢٤٧٩) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَاللَّفْظُ لِعَبْدٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٧٤٠).

فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا فَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقْصُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا عَزَبًا، وَكُنْتُ أَنَا فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبُشْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيْ الْبُشْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرْعَ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَصْتُهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ».

قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ^(١).

١٤٠ - (٢٤٧٩) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ خَالِدٍ خَتَنُ الْفَرَيَابِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ فِي الْمَسْجِدِ وَلَمْ يَكُنْ لِي أَهْلٌ، فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّمَا انْطَلَقَ بِي إِلَى بُشْرٍ، فَذَكَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ.

(قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أولاً: لتفسيرها، ثانياً: أن النبي ﷺ ربما قال بعد صلاة الفجر: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» فشأن الرؤيا شأن طيب، مبشرة، لكن المؤمن تسره ولا تضره.

وأيضاً الذي يُفسر في الرؤيا ينظر لأصولها، وأما الحواشي ونحو ذلك فلا يلتفت إليها.

ثانياً: الرؤيا تحمل على المعنى الحسن؛ ولهذا قال النبي ﷺ فيمن رأى رؤيا: «لا يقصها إلا على من يحب»؛ لأن المبغض والحاسد والشائن قد يفسرها على غير الوجه الصحيح.

والغالب أن الرؤى منها ما يكون له وجه إلى الخير، وربما فيها وجه إلى الشر فمثلاً: العقارب تفسر بالنمامين في كثير من المواطن، إلا إذا كانت مثلاً زرقاء ونحو ذلك فسرت بالمجتهدين، وبالمشمرين، وبالحريصين على خير.

وهكذا الفأر قد يُفسر بالفويسق وأهل الشر، وفي المقابل إذا رؤي في المكان قد يفسر بوجود الرزق والخير، ففي كلام العرب: أن امرأة دخلت على أمير من الأمراء، فقالت له: أيها الأمير هجر الفئران بيتي، قال: لأملأنها عليك فئراناً، فتعجب الناس من خطاها ومن جوابه، فلما خرجت من عنده أمر الخدم أن يملئوها بالحب والزاد ونحو ذلك؛ لأن الفأر إنما يوجد في مكان النعمة.

وأيضاً قد يكون تفسير الفئران إذا رؤيت أنها تشرد من بعض المناطق وتفر وتخرج على أنه سيكون نوع عقوبة في ذلك البلد، إما بزلزال، وإما بنحو ذلك؛ لأن غالب الحيوان جعل الله عزَّجَلَّ له إدراكاً يفهم من مثل هذه الأمور.

فالرؤيا اطرحها على من تحب ومن يحب أن يحملها لك على المحمل الحسن إن وجد لها محملاً حسناً وإلا قال: خيراً رأيت وشراً وُقيت، ونحو ذلك، فبعض الناس إذا فسرت له الرؤيا على غير الوجه الحسن ربما سبب له انحرافاً، ربما سبب له ضيق صدر، ربما سبب له حالة من الحالات، لا سيما وكثير من الناس في إيمانهم ضعف، نسأل الله السلامة والعافية.

لكن هنا تنبيه: ظهر في الأزمنة الأخيرة من يُدرّس في هذا الباب، هذا الباب أغلبه عبارة عن توفيق، لا بأس أن الإنسان يضيف إلى ما وهب الله من التوفيق القراءة والاستفادة، ونحو ذلك، أما أن يكلف نفسه الدراسة في هذا الباب وربما ما درس القرآن، ولا تفسير القرآن، ويبحث عن دراسة تفسير الأحلام.

هذا والله أنه يعتبر من خفة العقل عند طالب العلم، ربما لو سألته عن تفسير آيات من جزء عم من قصار المفصل لعجز عن تفسيرها، وعن معرفة معناها، وعن معرفة

مبناها، ويأتي ويتعلم كيف يفسر الرؤى، يا أخي ما أمرنا الله بتفسير الأحلام، ولا أوجهه الله علينا، ولا كلفنا الله به، أمرنا بتفسير القرآن، والمعرفة له، والعمل به.

ثم أيضا الاعتماد النظري في تفسير الرؤى قد يذهب فيه من يذهب، بعض إنسان قد يرى رؤيا أن أخاه مع زوجته ويذهب يطلق زوجته، يحملها على المحمل السيء وربما وجد من يفسر له على المحمل السيء.

فالرؤى تختلف من شخص إلى شخص، لو ذكرت لكم الآن: حلق اللحية تختلف من شخص إلى شخص، فمثلا: المستقيم إذا رأى أنه حلق لحيته قد يكون لضيقة تنزل به، لهم يشتد عليه، لمرض يصيب، لحبس يقع فيه، إلى غير ذلك، بينما إذا كان عاصيا مسرفا على نفسه أو كان إلى طريق الانحراف ربما دلت على قصور في السنة، أو ارتكاب معصية، أو وقوع في مخالفة، أو غير ذلك من الأمور، بينما الذي لا يحسن يرميها رمية واحدة، كما يقال: رمية بغير رام، فإذا به يسيء الظن، ويحملها على الظن السيء.

وكثير من الرؤى قد تكون عبارة عن أضغاث أحلام، ليس بالشرط أنك تنام وأنت توسوس حتى نحكم عليها بأنها أضغاث أحلام، مثلا الناس الآن في حالة ضيق من الحوثي وفي حالة شدة من الرفض، وفي كذا وكذا، تجد أن كثيرا من الرؤى إما أن تأتي على تسلط الرفض، وإما أن تأتي على النصر على الرفض، وعند ذلك تجد الرائي يضرب بالتفسير هاهنا وهاهنا، وهي من أضغاث الأحلام التي ينبغي أن لا يلتفت إليها، فهذه أمور ينبغي أن يتفطن لها الإنسان.

ثم أيضا إن من فقه الرؤى رؤى الصيف ربما تختلف في تفسيرها عن رؤى الشتاء، والرؤى، تختلف من واحد إلى آخر، فاللبن قد يفسر بالفطرة، وقد يفسر بالعلم، وقد يفسر بالدين، وقد يفسر بالطعام، وبالرزق، وقد يفسر بالصحة، والشفاء، أشياء كثيرة، وهكذا العسل، وهكذا السمن.

الشاهد عند أن يشغل الطالب نفسه بتعلم الرؤى هذا ما قد علمنا أن أحدا سلكه لا في ماضي الزمان ولا في حاضره، إلا من نسأل الله لنا وله الهداية، ما كلفك الله تكون مفسر أحلام، وأي منقبة عندك أن تكون مفسر أحلام وأنت جاهل بأحكام القرآن؟

تفسير الأحلام قد يفسرها حتى العامي، بينما لا يجيدون حتى قراءة القرآن، فكيف نذهب في التلمذ على علم الجهل به لا يضر، والعلم به لا ينفع كثيرا، قد يكون ينفع من حيث يعين بعض الناس ببعض التفسير لكن ما هناك كثير ضرر على الأمة إذا وجد من لا يفسر أحلامها، ومن لا يفسر رؤاها، لكن ضرر على الأمة إذا لم يوجد من يفسر القرآن والسنة، ويدعو إليها، ويحقق الباب.

ثم ما من أحد إلا ويرى الرؤيا ربما ويتثقل شأنها، وإذا لم تبال بها تذهب، ولا يقع مما تتخوفه شيء، وإذا بقيت متخوفا ربما تبتلى من تخوفك، فلا إفراط ولا تفريط، كل فن يعطى حقه ونصيبه، لا بأس أن تقرأ في كتب الرؤى التي ألفت قديما أو حديثا، فعلم الرؤى ما شرع الله تعليمه، وإن كان هو من العلوم المفيدة لمن كان يحسنه، وإنما شرع الله أن تتعلم القرآن، وتتعلم السنة، وتتعلم الأمور التي هي عبارة عن شرع تكلف العمل به، أما الرؤى هي مبشرة من الله، فمن أحسن تأويلها وأحسن تعبيرها فالحمد لله، ومن لم يحسن فلم يكلفه الله **عَزَّوَجَلَّ** تعلم هذا الأمر.

والنبي **ﷺ** من أعظم الناس تأويلا للرؤى وأخطأ أبو بكر في تفسيره للرؤيا وأبى أن يُعلمه بوجه الخطأ في تفسيره، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وأرضاه.

مرة أراد بعضهم أن يدرس كتب الشيخ ربيع في دماج، كتب ما يسمى بالردود، فغضب الشيخ مقبل **رَحِمَهُ اللَّهُ**، ونزع الورقة التي فيها الإعلان بيده من جدر المسجد، وذكر أن كتب الردود تقرأها وأنت على الطريق.

ومن هذه الذي يفتح درسا في مسألة العذر بالجهل، العذر بالجهل مسألة من مسائل العقيدة، درس في الطحاوية وأشر إليها، سواء قلت: يعذر الجاهل أو قلت: لا يعذر.

والخلل والخطأ ليس في المدرس فحسب، بل في الطالب، أسأل العلماء والمشايخ، ما رأيك في دراسة هذا الكتاب؟ أو ما رأيك أفتح هذا الكتاب؟ يشيرون عليك، ويدلونك ويرشدونك.

(فَتَمَنَيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقْصَاهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ) تمنى الخير خيراً وعائشة **(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)** ربما كانت تقول: اللهم إني أسألك رؤيا صالحة.

(وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ) ينام؛ لمجالسة الصالحين وللطاعة، بعضهم الآن يحب المسجد من أجل أن يكون في بعد عن عين أبيه، وعن عين أمه، ومن أجل إذا وجد له واحدا على هيئته وصفته يقع منهم الانشغال عن طاعة الله، نسأل الله السلامة والعافية.

(فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ) هذه نذارة.

(وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنِي الْبُئْرِ) يعني خشبتان، لأن البئر توضع عليه خشبتان، خشبة في الوسط يرفع الماء.

(وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ) لعلهم من أهل الكفر، والله أعلم.

(فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ) وفعلا على الإنسان أن يكثر أن يستعيز بالله من النار، فهي أشد ما يكون فيما ينتظر الإنسان، لو غُمِسَ فيها غمسة كان في ذلك العذاب الأليم، فكيف بمن تصلاه وتغشاه وتحيط به؟ نعوذ بالله من النار، النبي **(ﷺ)** يقول: «مَا اسْتَجَارَ عَبْدٌ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، إِلَّا قَالَتْ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنِّي. وَلَا سَأَلَ الْجَنَّةَ إِلَّا قَالَتْ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ إِنِّي»^(١).

(لَمْ تُرَعْ) أي: لا روع عليك ولا ضرر.

(نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ) هذا دليل على أن الرؤيا نذارة له إذ كان لا يقيم الليل، فبعد ذلك أقام الليل.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٢٧٠)، عن أنس بن مالك **(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)**.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مَنْ فَصَّائِلِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار واسمه: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الأنصاري الخزرجي النجاري، خدم النبي ﷺ، وهو من المكثرين في رواية حديث النبي ﷺ، وأمه أم سليم بنت ملحان، تقدم شيء من ترجمتهم، إحدى المبشرات بالجنة.

آخر من مات من الصحابة في البصرة سنة تسعين، وقيل واحد وتسعين، وقيل اثنين وتسعين، وقيل ثلاثة وتسعين.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤١ - (٢٤٨٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللَّهَ لَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِي مَا أُعْطِيَتهُ»^(١).

١٤١ - (٢٤٨٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَذَكَرْ نَحْوَهُ.

١٤١ - (٢٤٨٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ، مِثْلَ ذَلِكَ.

١٤٢ - (٢٤٨١) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَمَا هُوَ إِلَّا أَنَا وَأُمِّي وَأُمُّ حَرَامٍ خَالَتِي،

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٣٣٤).

فَقَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خُودِيْكَ اذْعُ اللَّهُ لَهُ، قَالَ: فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ، وَكَانَ فِي آخِرِ مَا دَعَا لِي بِهِ أَنْ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ»^(١).

١٤٣ - (٢٤٨١) حَدَّثَنِي أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ قَالَ: جَاءَتْ بِي أُمِّي أُمُّ أَنَسٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَرَزْتَنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا وَرَدَّتْنِي بِنِصْفِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أُنَيْسُ ابْنِي أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ، فَادْعُ اللَّهَ لَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ».

قَالَ أَنَسُ: فَوَاللَّهِ إِنْ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنْ وَلَدِي وَوَلَدُ وَلَدِي لَيَتَعَادُونَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ الْيَوْمَ.

١٤٤ - (٢٤٨١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعْتُ أُمِّي أُمَّ سُلَيْمٍ صَوْتَهُ، فَقَالَتْ: يَا أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُنَيْسُ، فَدَعَا لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ قَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَرْجُو الثَّلَاثَةَ فِي الْآخِرَةِ.

(خَادِمُكَ أَنَسُ) وهناك فرق بين الخادم وبين العبد، فأنس كان يخدم النبي ﷺ وهو حر، وهناك خدام للنبي ﷺ وهم موالي وعبيد.

(ادْعُ اللَّهَ لَهُ) طلب الدعاء من الرجل الصالح.

(اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِي مَا أُعْطِيَتْهُ) ولا بأس بسؤال المال، فقد قال رسول الله ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»، وكذلك نعم الولد الصالح، وكذلك الدعاء بالبركة في الرزق من أسباب الخيرية فيه، فكم من إنسان يُعطى ولا يبارك له فيه.

(هاشم بن القاسم) الملقب بقيقصر.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٣٤٤).

(سليمان) بن المغيرة.

(ثابت) البناي.

(دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَمَا هُوَ إِلَّا أَنَا وَأُمِّي وَأُمُّ حَرَامٍ خَالَتِي) قد تقدم أن بين النبي ﷺ وبين أم سليم وأم حرام محرمية، كما ذكر ذلك النووي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(خُوَيْدُمُكَ) تصغير خادم.

(فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ) يعني الدعاء العام دعا له بكل خير، والدعاء الخاص دعا أن يبارك الله له في ماله وولده.

(اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ) وقد استجاب الله هذه الدعوة المباركة، إذ دفن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في زمن الطاعون من صلبه ثمانين، قال أنس: (وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُونَ عَلَيَّ نَحْوَ الْمِائَةِ يَوْمٍ)، وهذا من باب حديث النبي ﷺ: «فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

(وَأَنَا أَرْجُو الثَّالِثَةَ فِي الْآخِرَةِ) لعله دعا له بالجنة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٥ - (٢٤٨٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا بِهِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، قَالَ: فَسَلِّمْ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا. « قَالَ أَنَسُ: وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ »^(٢).

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: (٢٥٠)، عن معقل بن يسار.

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٢٤٧).

١٤٦ - (٢٤٨٢) حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَارِمُ بْنُ الْفَضْلِ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَسْرَ إِلَيَّ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سِرًّا فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدُ، وَلَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْهُ أُمُّ سُلَيْمٍ فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ.

(بهز) بن أسد العمي، ثقة ثبت من مشايخ الإمام أحمد.

(وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْعُلَمَاءِ) لأن أنس كان في سن اللعب مع الأطفال، والأطفال يلعبون

ويمرحون بما هو من المباحات.

(فَسَلَّمَ عَلَيْنَا) التسليم على الصغير.

(فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ) الاستعانة بالغير في قضاء الحوائج التي يستطيعونها.

(فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي) أي تأخر عنها.

(إِنَّهَا سِرٌّ) فعند ذلك كتم هذه الحاجة، وأمه أيضا حشته على ذلك.

وحفظ الأسرار من الأمور المتعينة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الذي كان يهوديا، فأسلم، وكان من أحبارهم، فلما أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنكروا فضله وجحدوه، كما هو صنيع اليهود النصارى ومن إليهم من المبطلين.

توفي سنة (٤٣).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٧ - (٢٤٨٣) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَيٍّ يَمْشِي إِنَّهُ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٨١٢).

(إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى) بن نجيح البغدادي، صدوق.

(أبي) سعد بن أبي وقاص.

قد سمع غيره غير هذا، ومن ذلك حديث سعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف الذي فيه: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة والزبير في الجنة، وابن عوف وسعد في الجنة، وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة».

في هذا دليل على أن عبد الله بن سلام من المبشرين بالجنة.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٤٨ - (٢٤٨٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ فِي نَاسٍ فِيهِمْ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ فِي وَجْهِهِ أَثَرٌ مِنْ خُشُوعٍ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ يَتَجَوَّرُ فِيهِمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ وَدَخَلْتُ، فَتَحَدَّثْنَا، فَلَمَّا اسْتَأْنَسَ قُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ لَمَّا دَخَلْتَ قَبْلُ قَالَ رَجُلٌ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ، وَسَأَحَدُكَ لَمَ ذَاكَ، رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، رَأَيْتُنِي فِي رَوْضَةٍ ذَكَرَ سَعَتُهَا وَعُشْبُهَا وَخَضِرَتُهَا، وَوَسَطَ الرَّوْضَةِ عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ أَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ، فِي أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ، فَقِيلَ لِي: ارْقَهُ. فَقُلْتُ لَهُ: لَا أَسْتَطِيعُ، فَجَاءَنِي مَنْصَفٌ قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: وَالْمَنْصَفُ الْخَادِمُ فَقَالَ بَشَابِي مِنْ خَلْفِي - وَصَفَ أَنَّهُ رَفَعَهُ مِنْ خَلْفِهِ بِيَدِهِ - فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَى الْعَمُودِ، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ فَقِيلَ لِي: اسْتَمْسِكْ، فَلَقَدْ اسْتَيْقِظْتُ وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ

فَقَالَ: «تِلْكَ الرُّوضَةُ الْإِسْلَامُ، وَذَلِكَ الْعُمُودُ عُمُودُ الْإِسْلَامِ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ عُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَأَنْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ» قَالَ: وَالرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ^(١).

١٤٩ - (٢٤٨٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ عَبَّادِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ، حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: قَالَ قَيْسُ بْنُ عَبَّادٍ: كُنْتُ فِي حَلْقَةٍ فِيهَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ عُمَرَ، فَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ! فَقُمْتُ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا! قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّمَا رَأَيْتُ كَأَنَّ عُمُودًا وَضِعَ فِي رَوْضَةٍ خَضِرَاءَ فَنُصِبَ فِيهَا، وَفِي رَأْسِهَا عُرْوَةٌ، وَفِي أَسْفَلِهَا مِنْصَفٌ وَالْمِنْصَفُ الْوَصِيفُ، فَقِيلَ لِي: ارْقَهُ، فَرَقِيتُ حَتَّى أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَمُوتُ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ آخِذٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى».

١٥٠ - (٢٤٨٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُسْهَرٍ، عَنْ خَرِشَةَ بْنِ الْحُرِّ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي حَلْقَةٍ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: وَفِيهَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ حَدِيثًا حَسَنًا، قَالَ: فَلَمَّا قَامَ قَالَ الْقَوْمُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا تَبْعَنَهُ فَلَا عِلْمَنَ مَكَانَ بَيْنِهِ قَالَ: فَتَبِعْتُهُ، فَاَنْطَلَقَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ، قَالَ: فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي، فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: سَمِعْتُ الْقَوْمَ يَقُولُونَ لَكَ لَمَّا قُمْتَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا، فَأَعْجَبَنِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ، قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَأُحَدِّثُكَ مِمَّ قَالُوا ذَاكَ: إِنِّي بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي: قُمْ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَاَنْطَلَقْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَإِذَا أَنَا بِجَوَادٍ عَنْ شِمَالِي، قَالَ: فَأَخَذْتُ لِأَخَذَ فِيهَا، فَقَالَ لِي: لَا تَأْخُذْ فِيهَا فَإِنَّهَا طُرُقُ أَصْحَابِ

السَّمَالِ، قَالَ: فَإِذَا جَوَادُ مِنْهُجٍ عَلَى يَمِينِي، فَقَالَ لِي: خُذْ هَاهُنَا، فَآتَى بِي جَبَلًا فَقَالَ لِي: اصْعِدْ، قَالَ: فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْعَدَ خَرَزْتُ عَلَى اسْتِي، قَالَ: حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَارًا. قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَى بِي عَمُودًا رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ وَأَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ، فِي أَعْلَاهُ حَلَقَةٌ، فَقَالَ لِي: اصْعِدْ فَوْقَ هَذَا، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْعَدُ هَذَا وَرَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ؟ قَالَ: فَاخْذْ بِيَدِي فَزَجَلْ بِي، قَالَ: فَإِذَا أَنَا مُتَعَلِّقٌ بِالْحَلَقَةِ، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ الْعَمُودَ فَخَرَّ، قَالَ: وَبَقِيتُ مُتَعَلِّقًا بِالْحَلَقَةِ حَتَّى أَصْبَحْتُ.

قَالَ: فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «أَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَسَارِكَ فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ السَّمَالِ، قَالَ: وَأَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَمِينِكَ فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَمَّا الْجَبَلُ فَهُوَ مَنَزِلُ الشُّهَدَاءِ وَلَنْ تَنَالَهُ، وَأَمَّا الْعَمُودُ فَهُوَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الْعُرْوَةُ فَهِيَ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَلَنْ تَزَالَ مُتَمَسِّكًا بِهَا حَتَّى تَمُوتَ».

(قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ) القيس الضبعي الشكري، وهم من عده في الصحابة، ثقة مخضرم.
(كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ فِي نَاسٍ فِيهِمْ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ) وهذا بعد وفاة النبي ﷺ.
(فَجَاءَ رَجُلٌ فِي وَجْهِهِ أَثَرٌ مِنْ خُشُوعٍ) يتخشع ربما بمشيئة وهيئته، وهذا دليل على الصلاح.

(فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ يَتَجَوَّزُ فِيهِمَا) يعني ليست بالطويلة.
(فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ وَدَخَلْتُ، فَتَحَدَّثْنَا) دخل بعد الاستئذان.
(قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ) على سبيل التعجب، أو ربما الإنكار.
(مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ) وهذا أمر متفق عليه، قال عمر: نُهِنَا عَنْ التَّكْلِيفِ، قال عبد الله بن مسعود: من علم شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم.
(رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ) كان ﷺ من خير ما يفسر الرؤيا.

(رَأَيْتُنِي فِي رَوْضَةٍ) يعني بستان، المكان الأخضر الجميل.

(وَوَسَطَ الرَّؤُوسَةَ عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ) مغروس فيها.

(فِي أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ) حلقة يتمسك فيها.

(ارْقَهُ): أي اصعد.

(فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ فَقِيلَ لِي: اسْتَمْسِكْ) وتفسيرها واضح من قوله تعالى: ﴿فَقَدْ

اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]، دليل على الثبات،

والتمسك بالتوحيد والعلو؛ لأنه رقى إلى أعلى، والعمود من حديد دليل على القوة في

الإسلام، كما قال الله عزَّجَلَّ في وصف النخل: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

[سورة إبراهيم: ٢٤]، وهي مثل لئله إلا الله.

والجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة.

(فَإِذَا أَنَا بِجَوَادٍ عَنِ شِمَالِي، قَالَ: فَأَخَذْتُ لِأَخْذٍ فِيهَا، فَقَالَ لِي: لَا تَأْخُذْ فِيهَا فَإِنَّهَا

طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ) الجواد: الطرق، فنهاء عن طرق أصحاب الشمال.

(فَقَالَ لِي: خُذْ هَاهُنَا) طريق أهل اليمين.

(فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْعَدَ خَرَرْتُ عَلَى اسْتِي) يعني يسقط ما يستطيع يرتفع.

(فَأَخَذَ بِيَدِي فَرَجَلَنِي) أي رمى به، حيث يصعد.

(وَبَقِيتُ مُتَعَلِّقًا بِالْحَلْقَةِ حَتَّى أَصْبَحْتُ) يعني متعلق خشية السقوط، وهذا دليل على

الثبات على الإسلام والتوحيد.

(أَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَسَارِكَ فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ، قَالَ: وَأَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي

رَأَيْتَ عَنْ يَمِينِكَ فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَمَّا الْجَبَلُ فَهُوَ مَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ وَلَنْ تَنَالَهُ،

وَأَمَّا الْعَمُودُ فَهُوَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الْعُرْوَةُ فَهِيَ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَلَنْ تَزَالَ مُتَمَسِّكًا بِهَا

حَتَّى تَمُوتَ) انظر إلى هذا التفسير الحسن لهذه الرؤيا.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَصَائِلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ذكروا أن حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المعمرين، شاعر رسول الله ﷺ الشجاع الكريم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هُوَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ حَرَامِ الْأَنْصَارِيِّ عَاشَ هُوَ وَأَبَاؤُهُ الثَّلَاثَةَ كُلَّ وَاحِدٍ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَعَاشَ حَسَّانُ سِتِّينَ سَنَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَسِتِّينَ فِي الْإِسْلَامِ. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥١ - (٢٤٨٥) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، كُلُّهُمْ عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ عَمْرُو: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ عُمَرَ مَرَّ بِحَسَّانَ وَهُوَ يُنْشِدُ الشَّعْرَ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَحَظَ إِلَيْهِ فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أُنْشِدُ وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ: أَنْشُدْكَ اللَّهُ أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ^(١).

١٥١ - (٢٤٨٥) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ: أَنَّ حَسَّانَ قَالَ فِي حَلَقَةٍ فِيهِمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنْشُدْكَ اللَّهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ مِثْلَهُ.

١٥٢ - (٢٤٨٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّهُ سَمِعَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ يَسْتَشْهَدُ أَبَا هُرَيْرَةَ: أَنْشُدْكَ اللَّهُ هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَا حَسَّانُ، أَجِبْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: نَعَمْ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٥٣).

(وَهُوَ يُشَدُّ الشَّعْرَ فِي الْمَسْجِدِ) فِيهِ جَوَازُ الشَّعْرِ فِي الْمَسْجِدِ.

(فَلَحَظَ إِلَيْهِ) كَالْمُنْكَرِ عَلَيْهِ.

(قَدْ كُنْتُ أَنْشُدُ وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ) فِيهِ أَنَّ الْحُجَّةَ فِي إِقْرَارِ النَّبِيِّ ﷺ.

(ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ...) يَعْنِي حَسَّانَ الَّذِي التَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ يَسْتَشْهَدُهُ.

(أَجِبْ عَنِّي) أَيِ قَرِيشٍ حِينَ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ بَعْضَ الشَّعْرِ.

(اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ): انصُرْهُ وَأَعْنِهِ.

(بِرُوحِ الْقُدْسِ) جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى فَضِيلَةِ حَسَّانَ، وَدَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ إِنْشَادِ الشَّعْرِ فِي الْمَسْجِدِ.

قَالَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٥٣ - (٢٤٨٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيِّ وَهُوَ ابْنُ ثَابِتٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ: «اهْجُئْهُمْ»، أَوْ «هَاجِئْهُمْ، وَجَبْرِيلُ مَعَكَ»^(١).

١٥٣ - (٢٤٨٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، كُلُّهُمْ عَنْ شُعْبَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

(اهْجُئْهُمْ) وَهُوَ شَعْرُ الذِّمِّ، يُسَمَّى هَجَاءً.

(اهْجُئْهُمْ أَوْ هَاجِئْهُمْ) هَذَا شَكٌّ مِنَ الرَّوَايَةِ وَهُوَ بِمَعْنَاهُ.

(وَجَبْرِيلُ مَعَكَ) يَنْصُرُكَ بِنَصْرِ اللَّهِ لَكَ.

(١) وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، حَدِيثُ رَقْمٍ: (٣٠١٣).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٤ - (٢٤٨٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ حَسَانَ بْنَ ثَابِتٍ كَانَ مِمَّنْ كَثُرَ عَلَى عَائِشَةَ، فَسَبَّيْتُهُ، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي، دَعُهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١)، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُهُ، عَنْ هِشَامٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

(كَانَ مِمَّنْ كَثُرَ عَلَى عَائِشَةَ) يعني القول فيما برأها الله منه، وقد تاب إلى الله عَزَّجَلَّ، وجلده رسول الله ﷺ.

(فَسَبَّيْتُهُ) أي عروة بن الزبير، ولد أسماء، سب حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(فَأِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) في مجازاة المحسن بإحسانه.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٥ - (٢٤٨٨) حَدَّثَنِي يَشْرُ بْنُ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ وَعِنْدَهَا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يُنْشِدُهَا شِعْرًا يُشَبِّبُ بِأَبْيَاتٍ لَهُ، فَقَالَ:

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ، قَالَ مَسْرُوقٌ: فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَأْذِنِينَ لَهُيَدْخُلَ عَلَيْكَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَالَّذِي قَوْلِي كِبَرُهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١١]؟

فَقَالَتْ: فَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَى، إِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ أَوْ يُهَاجِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢).

١٥٥ - (٢٤٨٨) حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: قَالَتْ: كَانَ يَذُبُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَذْكُرْ: حَصَانُ رَزَانٌ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤١٤٦).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤١٤٦).

(يُشَبَّبُ بِأَبْيَاتٍ لَهُ) يعني يمدحها.

(حَصَانٌ) أي: محصنة عفيفة.

(رَزَانٌ): كاملة العقل.

(مَا تُزْنُ بِرَبِيبَةٍ): ما تتهم بشيء مريب.

(وَتُصْبِحُ غَرْتِي): جوعى.

(مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ): أنها لا تقع في غيبة النساء، فلا تغتاب الناس.

(لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ) أي قلت في غير هذا القول.

وقد تاب إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وقد حُدَّ.

وهكذا الآية في عبد الله بن أبي بن سلول، فهو رأس النفاق وموشيه.

وأما حسان فقد حسن شأنه.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٥٦ - (٢٤٨٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ حَسَّانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِي أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: كَيْفَ بَقَرَاتِي مِنْهُ؟ قَالَ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ لَأُسَلِّنَكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْخَمِيرِ، فَقَالَ حَسَّانُ:

وَأِنْ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
بَنُو بَنَاتٍ مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ
قَصِيدَتُهُ هَذِهِ ^(١).

١٥٦ - (٢٤٨٩) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُهُ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ بِهِذَا الْإِسْنَادِ، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ بْنُ تَابِتٍ النَّبِيَّ ﷺ فِي هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا سُفْيَانَ، وَقَالَ بَدَلَ الْخَمِيرِ: الْعَجِينِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٣١).

(أُذِّنْ لِي فِي أَبِي سُفْيَانَ) يريد به أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهو ابن عم النبي ﷺ، كان يؤذي المسلمين بالشعر والدم.

(كَيْفَ بَقَرَاتِي مِنْهُ)؛ لأنه إذا هجاه ربما كان الهجو إلى قرابة النبي ﷺ.

(لَأَسْلَنَّكَ) يعني بحيث لا تصيبك معرفة.

(كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْحَمِيرِ) أي من العجين.

وبعد هذا البيت:

وَمَنْ وَلَدَتْ أَبْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْهُمْو كِرَامٌ وَلَمْ يَقْرَبْ عَجَائِزَكَ الْمَجْدَ

سبحان الله! قوة في الشعر.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُرَادُ بِنْتُ مَخْزُومٍ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ وَالزُّبَيْرِ وَأَبِي طَالِبٍ، وَمُرَادُهُ بِأَبِي سُفْيَانَ هَذَا الْمَذْكُورُ وَالْمَهْجُورُ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ...

وَقَوْلُهُ: (وَلَدَتْ أَبْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْهُمْ) مُرَادُهُ: هَالَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ أُمُّ حَمْزَةَ وَصَفِيَّةَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ) فَهُوَ سَبٌّ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ أُمَّ الْحَارِثِ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَالِدِ أَبِي سُفْيَانَ، هَذَا هِيَ سُمَيَّةُ بِنْتُ مُوَهَّبٍ، وَمُوَهَّبٌ غُلَامٌ لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَذَا أُمُّ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَهُوَ مُرَادُهُ بِقَوْلِهِ: وَلَمْ يَقْرَبْ عَجَائِزَكَ الْمَجْدَ. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٧ - (٢٤٩٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي هَلَالٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ»، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ:

«اهْجُئْهُمْ»، فَهَجَاهُمْ، فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ: قَدْ أَنْ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَيَّ هَذَا الْأَسَدَ الضَّارِبَ بِذَنبِهِ، ثُمَّ أَذْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أُفْرِئَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرِي الْأَدِيمِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنْ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي»، فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ لَخِّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا سُلَّتْكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ، لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»، وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى»، قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ	وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا	رَسُولَ اللَّهِ شَيْمَةً الْوَفَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرْضِي	لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
تَكَلَّمْتُ بُنَيِّي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	تُشِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَفَيْ كَدَاءِ
يُبَارِينَ الْأَعْنَةَ مُضْعِدَاتِ	عَلَى أَكْتَفِيهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطَّرَاتِ	تُلَطُّهُنَّ بِالْخُمْرِ النَّسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا	وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ
وَأِلَّا فَاصْبِرُوا لِضَرَابِ يَوْمٍ	يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا	يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا	هُمْ الْأَنْصَارُ عَرْضَتُهَا اللَّقَاءُ
يُلَاقِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ	سَبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ سَبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءٌ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُ حُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءٌ
وَجَبْرِيْلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ

(اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ)؛ لأن الشعر كان يُتغنى به في الأسواق، ويذم به المذموم، ويمدح به الممدوح، وشأن العرب حب المفاخر وبغض الذم.

(فَهَجَاهُمْ) أي ابن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(فَلَمْ يُرْضِ) يعني هجاهم، أتى بشعر طيب، لكن لم يبلغ المبلغ الذي يريده رسول الله ﷺ.

(ابْنِ رَوَاحَةَ، كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ) هؤلاء الثلاثة كلهم من الأنصار، وكلهم شعراء.

(قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِدَنْبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ) في جواز الافتخار في موطن الفخر، بدون تطاول، وبدون عجب، لكن من باب الإخبار بما هو عليه.

(لَأَفْرِيتَهُمْ بِلِسَانِي قَزِي الْأَدِيمِ) الفري: التقطيع أو نحو ذلك، من الدبغ حتى يطهر، أي لأمزقن أعراضهم تمزيق الجلد.

(وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي) بحيث لا يذم النبي ﷺ وهو لا يدري. فيه التخصيص في العلوم، وأهمية علم الأنساب، «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ»^(١)، وفيه فضيلة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٨٨٦٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) ﴿٥٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا [سورة الحج: ٣٨]، ويدافع عمن يدافع عنهم، كما أنه يحب الذين آمنوا، ويحب من يحبهم وينصرهم.

(هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى) شفى غيره، شفى المؤمنين، واشتفى هو بما ناله من أعراض الكفار؛ لأنهم كانوا يذمونه وهو يرد عليهم.

(تَكَلَّمْتُ بُنَيَّيْ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا * تُثِيرُ النَّفْعَ مِنْ كَنَفِي كَدَاءٍ) سبحان الله قالوا: هذا تحقق، يعني ذكرها في هذه الآيات وتحققت في فتح مكة.

يقول: (تَكَلَّمْتُ بُنَيَّيْ) أي: بكيت بناتي، أو بكيت نفسي، تبكيني بناتي.
(إِنْ لَمْ تَرَوْهَا): تروا الخيل، (تُثِيرُ النَّفْعَ): الغبار، (مِنْ كَنَفِي كَدَاءٍ): من طرف كداء من الشية الأعلى.

(يُبَارِينَ الْأَعِنَّةَ مُضْعِدَاتٍ) يعني الخيل طالعات.
(عَلَى أَكْتَاغِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ) أسود أبطال.
(تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ * تَلْطُمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النَّسَاءُ) يعني جياتنا ماضية في شأنها ونسأؤكم تعترضها بالخمير لردّها، أما أنتم قد وليتم مدبرين.

(وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا * هُمْ الْأَنْصَارُ عَرْضَتْهَا اللَّقَاءُ) فيه أن الإنسان قد يأتي بيت شعري فيه معنى ما يقوله الله سبحانه وتعالى، وليس هذا من الكذب على الله ولا على رسوله ﷺ.

(لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ * سَبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءٌ) يعني ما من يوم إلا ولنا فيه نصر وفعل لإعزاز الإسلام وأهل الإسلام، إما أن يكون ذلك بالسباب للكافرين، أو القتال لهم، أو الهجاء.

(فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ * وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءٌ) يعني كيف من يهجو رسول الله يكون كمن يمدحه؟ هذا لا يكون، لكن أنتم يا معاشر قريش لا تفرقون بسبب تنكس الفطرة.

(وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِيْنَا * وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ) يعني إذا كنتم تفتخرون ببعض شأنكم فجبريل هو رسول الله إلى محمد ﷺ، وليس له كفاء عندكم، أنتم تسمعون من الشياطين، ومحمد ﷺ يسمع من الروح الأمين. قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مَنْ فَصَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

اختلف في اسمه إلى ثلاثين قولاً، رجح النووي عبد الرحمن بن صخر، وقيل: عبد الله، وقيل: عبد الشمس، ودوس من اليمن، وهو حافظ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أبو هريرة الدوسي، الصحابي الجليل، حافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه، قيل: عبد الرحمن بن صخر، وقيل: ابن غنم، وقيل: عبد الله بن عائذ، وقيل: ابن عامر، وقيل: ابن عمرو، وقيل: سكين بن وذمة، وقيل: ابن هانئ، وقيل: ابن مل، وقيل: ابن صخر، وقيل: عامر بن عبد شمس، وقيل: ابن عمير، وقيل: يزيد بن عسرة، وقيل: عبد نهم، وقيل: عبد شمس، وقيل: غنم، وقيل: عبيد بن غنم، وقيل: عمرو بن غنم، وقيل: ابن عامر، وقيل: سعيد بن الحارث.

وقيل: عمير بن عامر بن عبد بن السري بن طريف بن عتاب بن أبي صعب بن منية بن سعد بن ثعلبة بن فهم بن غنم بن دوس بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد.

كن اسمه في الجاهلية عبد شمس، وكنيته أبو الأسود، أسلم قبل موت النبي ﷺ بأربع سنين.

وتوفي سنة (٥٧هـ)، وقيل (٥٨هـ)، وقيل (٥٩هـ).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٥٨ - (٢٤٩١) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْيَمَامِيُّ، حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي كَثِيرٍ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَاسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَاسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ»، فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصَرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٍ، فَسَمِعْتُ أُمِّي خَشْفَ قَدَمِي، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلْتُ وَلَبِسْتُ دِرْعَهَا، وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ، قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحِبَّنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحِبَّهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا» يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ «وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ»، فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي.

(عمرو الناقد) عمرو بن محمد.

(فَاسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ) لشدة بغض الكفار للإسلام ونبى الإسلام

يسبونه.

(فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي) غيرة على رسول الله ﷺ، وبراً بأمه، لم يستطع أن يفعل لها شيئاً غير الدعوة إلى الإسلام والخير.

(فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ) انظر إلى بره، لم يأت شاكياً ليزداد إعراضها وإنما طلب من النبي ﷺ أن يدعو لها بالهداية.

وفي هذا الحديث الفرج بعد الشدة، ومعنى المثل الذي: اشتدي يا أزمة تنفرجي فانظر حين اشتد شأنها مع خلقها في سب النبي ﷺ كان مدعاه إلى هدايتها بعد ذلك، وهكذا كان المسلمون يحاصرون الحصون فإذا وقع أهل الحصون في النبي ﷺ فتحت.

(اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ) عفو النبي ﷺ، وصفحه، وسلامة صدره ﷺ.
(فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ)؛ لأن غالب دعاء النبي ﷺ مستجاب.

(فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٍ) كأنه مغلق.
(فَسَمِعْتُ أُمَّيْ خَشَفَ قَدَمِيْ) صوت قدمي.

(وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ) صوت الماء عند الحركة فيه.

(قَالَ: فَاغْتَسَلْتُ وَلَبِسْتُ دِرْعَهَا) فيه الاغتسال لمن دخل في الإسلام، وقد اختلف العلماء فيه هل هو على الوجوب أو الاستحباب؟ والذي يظهر أنه للوجوب، لقول رسول الله ﷺ: «اخْلُقْ عَنْكَ شَعَرَ الْكُفْرِ، وَاعْتَسل».

(أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) فيه أن الإسلام يدخل فيه بلا إله إلا الله، خلافاً للمعتزلة.

(فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ) معرفة الفضل للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(وَقَالَ خَيْرًا) يعني من فرحه بإسلامها.

(اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا...) الدعاء بصلاح العبد وفضيلة محبة المؤمنين.

(فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي) وهذا هو الواقع، أهل السنة يحبون أبا هريرة، والرافضة لما لم يكونوا من المسلمين ييغضون أبا هريرة جدًا وهكذا تجد العلمانيين ومن إليهم من العقلانيين يطعنون في أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن روايات أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تقضي على كثير من بدعهم.

وممن طعن في أبي هريرة أبو رية، وذكر أنه قبل موته تغير وجهه، وساء حاله وكان إذا دخل عليه أحد يجده يقول: ها ها أبو هريرة، ها ها أبو هريرة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٩ - (٢٤٩٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، جَمِيعًا عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ الْأَعْرَجِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ، كُنْتُ رَجُلًا مَسْكِينًا أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي. فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَى حَدِيثُهُ، ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ ^(١).

١٥٩ - (٢٤٩٢) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا مَعْنٌ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، غَيْرَ أَنَّ مَالِكًا انْتَهَى حَدِيثُهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِهِ الرَّوَايَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ إِلَى آخِرِهِ.

(إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ) يعني جاء قبل موت النبي ﷺ بأربع سنين وغيره شهد من النبي ﷺ السنين الطويلة ولم يحدث بحديثه، ليس معنى ذلك أنهم يكذبونه.

(كُنْتُ رَجُلًا مَسْكِينًا) أي فقيرا.

(عَلَى مِلءِ بَطْنِي) على ما يشبعه.

(وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ)؛ لأنها لم تكن لهم مزارع.

(وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ)؛ لأنهم كانوا أهل البلد.

(مَنْ يَسْطُ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي) هذا من دلائل نبوات النبي ﷺ.

(فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَى حَدِيثَهُ) استجابة بوعد رسول الله ﷺ.

(ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ) إلا أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما حدث ببعض

حديثه، وترك بعض حديثه، فقد قال: حفظت من النبي ﷺ وعاءين، أما أحدهما فقد بثته، وأما الآخر لو بثته لقطع هذا البلعوم، أي في أحاديث الفتن التي وقعت في آخر عهد الصحابة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦٠ - (٢٤٩٣) وَحَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التَّحِيْبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَلَا يُعْجِبُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ؟ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيَّ جَنْبَ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يُسْمِعُنِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ أَسْبَحُ، فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ.

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ أَكْثَرَ، وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ، وَيَقُولُونَ: مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يَتَحَدَّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، إِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَرْضِيهِمْ، وَإِنَّ

إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا. وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا: أَتَيْكُمْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ فَيَأْخُذُ مِنْ حَدِيثِي هَذَا ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْسَ شَيْئًا سَمِعَهُ. فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ حَتَّى فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي فَمَا نَسِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ شَيْئًا حَدَّثَنِي بِهِ، وَلَوْ لَا آيَتَانِ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مَا حَدَّثْتُ شَيْئًا أَبَدًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [سورة البقرة: ١٥٩] - إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ.

١٦٠ - (٢٤٩٢) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ.

(جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يُسْمِعُنِي ذَلِكَ) يعني كأنه أكثر من الحديث في مجلس واحد.

(إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ) نعم، النبي ﷺ لم يكن شأنه ذلك، لكن صار الناس بحاجة إلى السرد بعد موت النبي ﷺ، إذ لو بقي أحدهم يسمع أحاديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على غير السرد كم يحتاج إلى سنين؟ يسمع في اليوم حديثًا أو حديثين، فيحتاج إلى سنين طويلة ووقت طويل، لكن يسرد أبو هريرة لهذا عدة أحاديث، منها ما هو في التوحيد، ومنها ما هو في الإيمان، ومنها ما هو في الطهارة، ومنها ما هو في الصلاة، وهكذا.

وهذا الأمر سار عليه السلف بعد ذلك في التحديث، يملون الأجزاء ويملون الكتب.

(فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا) إِذَا هَذَا هُوَ أَمْرُ الِاسْتِفَادَةِ، أَنْ تَشْهَدَ إِذَا غَابَ زَمَلَاؤُكَ، وَأَنْ تَحْفَظَ إِذَا نَسِيَ زَمَلَاؤُكَ، وَأَنْ تَرَاجِعَ إِذَا أَهْمَلَ زَمَلَاؤُكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ سَتَفُوقُ الْجَمِيعَ، وَإِنْ فَاتَكَ شَيْءٌ مِمَّا ذُكِرَ فَيُسِفُوتَكَ مِنَ الْعِلْمِ بِقَدَرِ مَا فَاتَكَ. وَأَبُو هُرَيْرَةَ هُنَا يَدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ فِي سَبَبِ حِفْظِهِ لِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: (فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا) وَذَلِكَ أَنَّ الْغِيَابَ يَفُوتُ عَلَى الْإِنْسَانِ كَثِيرًا مِنَ الْعِلْمِ، (وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا) وَكَذَلِكَ النَّسْيَانُ يَفُوتُ عَلَى الْإِنْسَانِ كَثِيرًا مِنَ الْعِلْمِ، وَهَكَذَا يَرَاجِعُ الْإِنْسَانُ مَا حَفِظَهُ وَيَفْهَمُ مَا حَفِظَهُ، فَبِهَذَا يَسُودُ.

(فَبَسَطْتُ بُرْدَةً) نَوْعٌ مِنَ اللَّبَاسِ.

(وَلَوْلَا آيَتَانِ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مَا حَدَّثْتُ شَيْئًا أَبَدًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾) فِيهِ خَطَرُ كَتْمِ الْعِلْمِ، لَا سِيَّمَا إِذَا سُئِلَ الْإِنْسَانُ وَكَانَ السَّائِلُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ شُرُوطُ تَوْبَةِ الْمُبْتَدِعِ: ﴿الَّذِينَ تَابُوا﴾ أَقْلَعُوا عَنْ ذُنُوبِهِمْ، وَنَدِمُوا وَعَزَمُوا عَلَى عَدَمِ الْعُودِ، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ مَا أَفْسَدُوا، ﴿وَيَكْتُمُوا﴾، أَنَّهُمْ كَانُوا فِي زَمَنِ فُسَادٍ عَقْدِي وَعَمَلِي، ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ١٦٠].
قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ أَهْلِ بَدْرِ ﷺ، وَقِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ

أَهْلُ بَدْرٍ فِي الْجُمْلَةِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ تَفْضِيلَ فِي الصَّحَابَةِ فِي الْجُمْلَةِ، فَالْمُهَاجِرُونَ فِي الْجُمْلَةِ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهَكَذَا مِنْ أَسْلَمَ قَبْلَ الْفَتْحِ أَفْضَلُ مِمَّنْ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، حَدِيثٌ رَقْمُ: (٧٥٧١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أسلم بعد الفتح وأهل بدر أفضل من غيرهم، ثم أهل بيعة الرضوان، وقيل: أحد، لكن ذلك أقرب.

وأما حاطب فهو ابن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي، صحابي هاجر المدينة وشهد بدرًا، توفي سنة ثلاثين بالمدينة النبوية.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٦١ - (٢٤٩٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرُو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَإِبْنُ أَبِي عُمَرَ^(١)، وَاللَّفْظُ لِعَمْرٍو، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ وَهُوَ كَاتِبٌ عَلَيَّ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وَهُوَ يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** أَنَا وَالزُبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ فَقَالَ: «**اَتُّوا رَوْضَةَ خَاحٍ فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا**»، فَاذْهَبْنَا فَتَعَادَى بَنَّا خَيْلَنَا، فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقَيْنَ الشَّيْبَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَاتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ**، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ **ﷺ**.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «**يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟**» قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ - قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا - وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ النَّبِيُّ **ﷺ**: «**صَدَقَ**».

فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ عُتْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [سورة الممتحنة: ٨].

وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ وَزُهَيْرٍ ذِكْرُ الْآيَةِ، وَجَعَلَهَا إِسْحَاقُ فِي رِوَايَتِهِ مِنْ تِلَاوَةِ سُفْيَانَ ^(١).

١٦١ - (٢٤٩٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، (ح) وَحَدَّثَنَا رِفَاعَةُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْوَاسِطِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ، كُلُّهُمْ عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدَ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ - وَكُنَّا فَارِسَ - فَقَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخَ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَذَكَرَ بِمَعْنَى حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ عَلِيٍّ.

(بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمُقَدَّادُ) يعني سرية.

(اَتُّوا رَوْضَةَ خَاخَ) بين مكة والمدينة.

(ظَعِينَةً): امرأة عجوز.

(مَعَهَا كِتَابٌ): رسالة.

(فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بَنَّا خَيْلُنَا) أي يتسابقون أيهم يصل أولاً.

(لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ) فيه جواز تفتيش المتهم، حتى ولو أدى إلى تعريته إن كان الشأن أنه أخفى شيئاً في ثيابه، أما لقصد التعذيب ولقصد التشويه فلا فإن ستر العورة من الأمور المهمة.

(فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا) يعني بين شعرها جمعته.
 (يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي في المسير إلى مكة.
 (يَا خَاطِبُ، مَا هَذَا؟) فيه التثبوت والسؤال، لعل أن يكون له عذر، لا يعاجل بالعقوبة.
 (إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلَصَّقًا فِي قُرَيْشٍ) أي ليس من صليبتهم.
 (فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي) تخوف أن يهزم النبي ﷺ، والله المستعان.

(وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ) وهو صادق في هذا، وسيأتي أنه لو فعل هذا الأمر غير حاطب وتجنس للكافرين فيجوز لولي الأمر أن يقتله؛ لأن هذا إنما تركه النبي ﷺ بوحي: (لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)، وإلا فقد أقر عمر على قوله: (دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ)، أي أضرب العنق.

وهذه المسألة حققها ابن القيم، كما في (زاد المعاد).
 (لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ) فيه فضيلة لأهل بدر عامة، ولحاطب خاصة.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ [سورة الممتحنة: ١] الآيات.

والجاسوس للكافرين إذا رضي صنيعهم وأحبهم يكفر، أما إذا كان لقصد الدنيا يستحق القتل تعزيراً، وإن ناصرهم قد يصل إلى الكفر؛ لأن نصرته الكافر على المسلم فيها تغليظ.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٦٢ - (٢٤٩٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْدُخُلْنَ حَاطِبُ النَّارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبْتَ، لَا يَدْخُلُهَا؛ فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحَدِيثِيَّةَ».

(يَشْكُو حَاطِبًا) كأنه ضربه.

والنبي ﷺ سيأتي أنه أخبر: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»، وهذه فضيلة لأهل بدر والحديبية أنهم لا يدخلون النار، ويكرمون بالكرامات العظيمة.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَهْلِ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ ﷺ

وكانت في السنة السادسة من الهجرة، حين عزم النبي ﷺ على العمرة، فمنعته قريش، وقد أنزل الله في شأنهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٦٣ - (٢٤٩٦) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: أَخْبَرْتَنِي أُمُّ مَيْسَرٍ: أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»، قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ

حَفْصَةُ: ﴿وَأَنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [سورة مريم: ٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِّيًا﴾ [سورة مريم: ٧٢].

(هارون بن عبد الله) الحمل.

(أَخْبَرَنِي أُمُّ مَبَشَّرٍ) لعلها كانت محرما له، أو من وراء حجاب، فدخل الرجل على محرمه لا حرج فيه، سواء كانت المحرمية من النسب أو كانت المحرمية من الرضاع، والنبي ﷺ يقول: «يُحْرَمُ مِنَ الرُّضَاعِ مَا حُرِّمَ مِنَ النَّاسِ»، وهذا الحديث على إطلاقه. (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) هذا الاستثناء على التبرك، وهو من أدلة الاستثناء في الإيمان.

(وَأَنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) استدلت بعموم الورد.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ دَلِيلٌ لِلْمُنَاطَرَةِ وَالْإِعْتِرَاضِ وَالْجَوَابِ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِرْشَادِ، وَهُوَ مَقْصُودُ حَفْصَةَ، لَا أَنَّهَا أَرَادَتْ رَدَّ مَقَالَتِهِ ﷺ وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوُرُودِ فِي الْآيَةِ الْمُرُورُ عَلَى الصَّرَاطِ، وَهُوَ جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى جَهَنَّمَ، فَيَقَعُ فِيهَا أَهْلُهَا، وَيَنْجُو الْآخَرُونَ. اهـ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي مُوسَى وَآبِي عَامِرِ الْأَشْعَرِيِّينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عنز بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب أبو موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ واسم الأشعر نبت، وأمه ظبية بنت وهب، وامرأة من عك، أسلمت وماتت بالمدينة.

تقدم ذكر شأن السفينة التي قدمت على رسول الله صل الله عليه وسلم في خير، وأشركهم في سهمانها، وذكر النبي ﷺ أن لهم أجرين: هجرة إلى الحبشة. وهجر إلى المدينة.

من خيرة الصحابة صوتاً في القرآن ومن شجعانهم وكرمائمهم، اختلف في وفاته بين سنة اثنين وأربعين إلى ثلاثة وخمسين، يطعن فيه الرافضة بغير وجه حق مع أنه كان في جيش علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن يزعمون أنه تنازل عن خلافة علي لمعاوية، وهذا غير صحيح محارب علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم تكن أجل الخلافة ولكن ثاراً لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشر حصل، والله المستعان.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦٤ - (٢٤٩٧) حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ جَمِيعًا عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، قَالَ أَبُو عَامِرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا بُرَيْدٌ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَمَعَهُ بِلَالٌ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَلَا تُنَجِّزُ لِي يَا مُحَمَّدٌ مَا وَعَدْتَنِي؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبَشِرْ»، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ: أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ أَبَشِرٍ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلَالٍ كَهَيْئَةِ الْغَضْبَانِ فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا قَدْ رَدَّ الْبَشْرَى، فَأَقْبَلَا أَنْتُمَا»، فَقَالَا: قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ.

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ، وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا وَأَبْشِرَا»، فَأَخَذَا الْقَدَحَ فَفَعَلَا مَا أَمَرَهُمَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَنَادَتْهُمَا أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السُّتْرِ: أَفْضَلَا لَكُمْ مِمَّا فِي إِنْائِكُمَا، فَأَفْضَلَا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً.

السند مسلسل بالأشعريين.

(الْجِعْرَانَةُ) موطنها بين مكة والطائف، ونزلها النبي ﷺ حين قفل من غزوة حنين، وهي ليست بميقات، وإنما هي حد الحرم؛ إذ أن النبي ﷺ أحرم منها. (وَمَعَهُ بِلَالٌ) خادمه، وهو مولى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(فَقَالَ: أَلَا تُنْجِزُ لِي يَا مُحَمَّدٌ مَا وَعَدْتَنِي؟) والأعراب عندهم جفاء، وإلا فإن

الصحابة الملازمين للنبي ﷺ ينادونه: يا رسول الله.

(أَبَشِّرْ) وهي كلمة طيبة، وفأل حسن.

(فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ: أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ أَبَشِرْ) وهذا من جفائهم، وإلا فإن النبي ﷺ لا

يخلف الوعد، ولا ينقض العهد.

(فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلَالٍ كَهَيْئَةِ الْعَضْبَانِ) من رد بشارته.

(قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ) انظر إلى الفرق الواسع، (قبلنا) و(يا رسول الله).

(ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجَّهَهُ فِيهِ) دليل على أن الماء

المستعمل طاهر.

وفيه التبرك بآثار النبي ﷺ، وهذا خاص به، لا يدخل فيه ما يقرره النووي وغيره

بجواز التبرك بآثار الصالحين.

(وَأَبَشَّرَا) بالخير، بالعافية، بالرزق، باستجابة الدعاء، بما طلبتما، إلى غير ذلك.

(فَأَخَذَا الْقَدَحَ فَفَعَلَا مَا أَمَرَهُمَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) استجابة ومسارة، وحرص على

الخير.

(فَنَادَتْهُمَا أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ) حجاب وحشمة عند نساء النبي ﷺ بعد ما نزل

الحجاب.

(أَفْضِلَا): أبقيا، (فَأَفْضَلَا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً) لتشرب ولتغسل.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦٥ - (٢٤٩٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَادٍ أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ
الْعَلَاءِ وَاللَّفْظُ لِأَبِي عَامِرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بَرِيدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ
قَالَ: لَمَّا فَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ
بْنَ الصَّمَّةِ، فَقَتَلَ دُرَيْدَ وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ،

قَالَ: فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتَيْهِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَمٍ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتَيْهِ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمَّ، مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ أَبُو عَامِرٍ إِلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ: إِنَّ ذَاكَ قَاتِلِي، تَرَاهُ ذَلِكَ الَّذِي رَمَانِي؟ قَالَ أَبُو مُوسَى: فَقَصَدْتُ لَهُ فَأَعْتَمَدْتُهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَأْنِي وَلَّى عَنِّي ذَاهِبًا فَاتَّبَعْتُهُ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي؟ أَلَسْتَ عَرَبِيًّا؟ أَلَا تَتُبْتُ؟ فَكَفَّ، فَالْتَمَيْتُ أَنَا وَهُوَ، فَاخْتَلَفْنَا أَنَا وَهُوَ ضَرْبَتَيْنِ فَضْرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي عَامِرٍ فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَ صَاحِبَكَ. قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ. فَزَعَرْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَبُو عَامِرٍ اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: وَاسْتَغْمَلَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ وَمَكَثَ يَسِيرًا، ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي بَيْتٍ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، وَقَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَنَبِيهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقُلْتُ لَهُ: قَالَ قُلْ لَهُ يَسْتَغْفِرْ لِي. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدٍ أَبِي عَامِرٍ - حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ أَوْ مِنَ النَّاسِ. فَقُلْتُ: وَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاسْتَغْفِرْ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا».

قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ، وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى ^(١).

(حُثَيْنٍ) وكانت في شوال من السنة الثامنة للهجرة.

(أَوْطَاسٍ) حول مكة، منطقة هناك.

(فَلَقَيْ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَةِ) من كبار هوازن وثقيف، وكان يرشدهم، فقد عجز عن

القتال، لكن كان يدلهم ويرشدهم ويوجههم.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٣٢٣).

(فَقُتِلَ دُرَيْدٌ) قتله رجل، ذكر من شأنه: أنه كان يضربه بالسيف ولم يؤثر فيه السيف، فأمره أن يضرب وأشار إليه إلى المكان، فضرب ضربة كان فيها أجله.

(وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ) هوازن وثقيف، كما قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة التوبة: ٢٥-٢٦]، فكانت الهزيمة في أول المعركة على المسلمين كما تقدم في كتاب الجهاد والسير، ثم كانت الدبرة على الكافرين.

(وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ) سرية.

(فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ) والإصابة في الركبة من أشد ما يكون، ربما تسبب النزيف وربما تنكسر، حتى لا يستطيع المشي.

(فَقَصَدْتُ لَهُ فَأَعْتَمَدْتُهُ فَلَحِقْتُهُ) أخذ الثأر.

(فَلَمَّا رَأَانِي وَلَّى عَنِّي ذَاهِبًا) أي هاربا.

(فَاتَّبَعْتُهُ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي؟) أي من الهرب، وهو يريد قتله.

(أَلَسْتُ عَرَبِيًّا؟) بمعنى أن العرب لا يهربون، كما قال شاعر اليهود كعب بن

الأشرف: إن الكريم إذا دُعي إلى قتله ليلا لأجاب.

(أَلَا تَتُبْتُ؟) للبراز ونحوه.

(فَكَفَّ) يعني استحي أن يهرب بعد هذا التعبير.

(فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَ صَاحِبَكَ) أخذ بثأره.

(فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ) الدم والماء.

(فَأَقْرَبْتُهُ مِنَ السَّلَامِ، وَقُلْتُ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَبُو عَامِرٍ: اسْتَغْفِرْ لِي) طلب الدعاء من الرجل

الصالح، وطلب المسامحة ممن حضره الأجل، وإقراء السلام.

وفيه من الفضل: أن الله أقرأ خديجة السلام، وأن جبريل أقرأ خديجة وعائشة السلام.

(وَاسْتَعْمَلَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ) فيه الاستخلاف حتى لا يلحق الضرر الناس.
(عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ) المرمل: هو الذي يُنسج في وجهه بالسعف ونحوه، ويشد بشريط ونحوه.

يعني كالسرر الموجودة في تهامة، يعملونها من السعف، وربما عملوها من الحبال، وربما جلس عليه ليس عليه فراش، وربما اتخذ عليه الفراش.

(وَقَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَنَبِيهِ) أي الحبال أثرت في جسم النبي ﷺ بأبي هو وأمي، لقلّة الفراش ونحو ذلك.

(ادع الله لِعَبِيدٍ) تصغير عبد.

(ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ) رفع اليدين في الدعاء.

(اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ) وهذا من الشفاعة التي تثبت للنبي ﷺ، وفيه ما ذكره أهل العلم من أنواع الشفاعة: رفع درجات المؤمنين في الجنة، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الطور: ٢١].

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا) وهذه فضيلة لأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبشارة أنه يموت على الخير.

وفي هذا الحديث استحباب مجالسة الصالحين، وأن من جالسهم ناله من خيرهم، فانظر كيف دعا النبي ﷺ لأبي عامر وأشرك أبو موسى في الدعوة، وهذا معنى قول الله عزَّ وَجَلَّ لِنبيه ﷺ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة محمد: ١٩].

وفيه فضيلة الاستغفار، فإن الرسل بُعثوا به، كما في كثير آي من سورة هود عَلَيْهِ السَّلَام.

وقد بعث رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري إلى اليمن دليل على فضله وعلمه، وغير ذلك من خصائص الخير والقيادة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ الْأَشْعَرِيِّينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦٦ - (٢٤٩٩) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا بُرَيْدٌ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرْ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ» أَوْ قَالَ: «الْعَدُوَّ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوا هُمْ»^(١).

(إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ) من اليمن من زبيد، وهذا توفيق من الله، يعني أن جعل الله عزَّجَلَّ في قلوبهم محبة القرآن، وورقهم حسن الصوت بالقرآن، وحسن الصوت بالقرآن من أعظم الأسباب للاستمرار في تلاوته والتغني به، النبي ﷺ يقول: «مَا أَدْنَى اللَّهِ لَشَيْءٍ كَأَدْنَى لَنَبِيِّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»، ويقول ﷺ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ».

(حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ) دليل على استغلال وقت الفراغ، قال النبي ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الْفَرَاغُ، وَالصَّحَّةُ»^(٢).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٢٣٢).

(٢) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢٣٤٠)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(وَأَعْرِفْ مَنْ أَرْزَلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِاللَّيْلِ) وهذا ليس من الرياء في شيء فلا يلزم أن الإنسان لا يصلي إلا في مكان لا يراه أحد، أو يقرأ في وقت لا يسمعه أحدًا فالإخلاص عمل قلبي.

هذه شهادة لهم من رسول الله ﷺ بتميزهم على الغير في هذه الخصلة، وهذه المسألة.

(وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ) رجل من الأشعريين.

(إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ) أي تنتظروهم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَضِي مِنْ تَوَكُّكٍ﴾ [سورة الحديد: ١٣].

قَالَ الْقَاضِي: وَاخْتَلَفَ شَيْوُخُنَا فِي الْمُرَادِ بِحَكِيمٍ هُنَا، فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْجَيَّانِيُّ: هُوَ اسْمٌ عَلِمَ لِرَجُلٍ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الصَّدْفِيُّ: هُوَ صِفَةٌ مِنَ الْحِكْمَةِ. اهـ
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦٧ - (٢٥٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، قَالَ أَبُو عَامِرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنِي بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عَنْدهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»^(١).

(أَرْمَلُوا) الرمل في الغزو: أي فني طعامهم.

(أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ) لقلة ذات اليد.

(جَمَعُوا مَا كَانَ عَنْدهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ) مؤثرة، وطلب للبركة.

وهذه صفة عظيمة، صفة الكرم، حتى أن النبي ﷺ أضافهم إليه إضافة تشریف.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٤٨٦).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ الْأَشْعَرِيِّينَ، وَفَضِيلَةُ الْإِيثَارِ وَالْمُؤَاسَاةِ، وَفَضِيلَةُ خُلُطِ الْأَزْوَادِ فِي السَّفَرِ، وَفَضِيلَةُ جَمْعِهَا فِي شَيْءٍ عِنْدَ قِلَّتِهَا فِي الْحَضَرِ، ثُمَّ يَقْسِمُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَذَا الْقِسْمَةِ الْمَعْرُوفَةِ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ بِشُرُوطِهَا، وَمَنْعِهَا فِي الرِّبَوِيَّاتِ، وَاشْتِرَاطِ الْمُؤَاسَاةِ وَغَيْرِهَا، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ هُنَا إِبَاحَةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَمُؤَاسَاةَهُمْ بِالْمَوْجُودِ. اهـ

والمثل عند أهل اليمن: الجود من الموجود، وهو مثل طيب، أن الإنسان يجود بما رزقه الله **عَزَّجَلَّ**، وبما أعطاه الله **عَزَّجَلَّ**، انظر إلى هذه المنزلة الرفيعة للأشعريين، قال الله **عَزَّجَلَّ** عن الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر: ٩]، فالمؤثرة من أسباب البركة في الأزواد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، أبو سفيان القرشي الأموي.

تبغضه الرافضة، وقد أسلم عام الفتح هو وزوجه هند بنت عتبة، وولده معاوية بن أبي سفيان، وحسن إسلامهم جميعاً **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.

«والإسلام يهدم ما قبله» وكما قاتلوا النبي **ﷺ** قاتلوا معه، وكما ناوأوا المسلمين جاهدوا معهم.

مات بعد الثلاثين، صلى عليه عثمان بن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وقبل ولده معاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦٨ - (٢٥١) حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَعْقَرِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا النَّضْرُ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْيَمَامِيُّ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْلٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَلَا يُقَاعِدُونَهُ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ثَلَاثُ أَعْطِيَهُنَّ، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ أَزَوْجُكَهَا، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَتُوَمِّرُنِي حَتَّى أَقَاتِلَ الْكُفَّارَ كَمَا كُنْتُ أَقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: وَلَوْلَا أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا قَالَ نَعَمْ.

(كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَلَا يُقَاعِدُونَهُ) أي في أيام كفره، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

(أَزَوْجُكَهَا) النبي صل الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة وأبو سفيان مازال كافرا ولذلك قال بعض أهل العلم: لعله أراد: أن أجدد لك العقد وأطيه، وقال بعض أهل العلم: لعله أراد أختها، وكانت تكنى بهذه الكنية، أو أراد أختها الأخرى كما قالت أم حبيبة: هل لك أن تتزوج أختي، وإنما تصحف الاسم.

(وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ) نعم كان كاتباً يكتب الوحي، وهذه فضيلة له إذ أن النبي ﷺ آمنه على وحي السماء، فكيف لا يكون آمينا عند الأمة؟

المهم أن الإسلام يهدم ما قبله مما كان عليه الإنسان، وفضيلة أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالصحة ثابتة، لا ينازع فيها أحد من أهل العلم، ممن له شأن في هذا الباب، باب العقيدة الصحيحة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَشْهُورَةِ بِالْإِشْكَالِ، وَوَجْهُ الْإِشْكَالِ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ إِنَّمَا أَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهَذَا مَشْهُورٌ لَا خِلَافَ فِيهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ قَبْلَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ طَوِيلٍ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَخَلِيفَةُ بْنُ خِيَّاطٍ وَابْنُ الْبَرَقِيِّ وَالْجُمْهُورُ: تَزَوَّجَهَا سَنَةً سِتًّا، وَقِيلَ: سَنَةَ سَبْعٍ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: وَاخْتَلَفُوا أَيْنَ تَزَوَّجَهَا؟ فَقِيلَ: بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ قُدُومِهَا مِنَ الْحَبَشَةِ، وَقَالَ الْجُمْهُورُ: بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ.

قَالَ: وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ عَقَدَ لَهُ عَلَيْهَا هُنَاكَ؟ فَقِيلَ: عُثْمَانُ، وَقِيلَ: خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي بِإِذْنِهَا، وَقِيلَ: النَّجَاشِيُّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَمِيرَ الْمَوْضِعِ وَسُلْطَانِهِ. قَالَ الْقَاضِي: وَالَّذِي فِي مُسْلِمٍ هُنَا أَنَّهُ زَوَّجَهَا أَبُو سُفْيَانَ غَرِيبٌ جَدًّا، وَخَبَرَهَا مَعَ أَبِي سُفْيَانَ حِينَ وَرَدَ الْمَدِينَةَ فِي حَالٍ كُفِّرَ مَشْهُورٌ، وَلَمْ يَزِدِ الْقَاضِي عَلَى هَذَا.

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ: هَذَا الْحَدِيثُ وَهُمْ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ؛ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ قَبْلَ الْفَتْحِ بِدَهْرٍ، وَهِيَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَأَبُوهَا كَافِرٌ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ ابْنِ حَزْمٍ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: مَوْضُوعٌ قَالَ: وَالْأَقْفُ فِيهِ مِنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ الرَّائِي عَنْ أَبِي زُمَيْلٍ.

وَأَنْكَرَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا عَلَى ابْنِ حَزْمٍ، وَبَالَغَ فِي الشَّنَاعَةِ عَلَيْهِ، قَالَ: وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ جَسَارَتِهِ فَإِنَّهُ كَانَ هَجُومًا عَلَى تَخْطِئَةِ الْأَئِمَّةِ الْكِبَارِ، وَإِطْلَاقِ اللِّسَانِ فِيهِمْ، قَالَ: وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ نَسَبَ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ إِلَى وَضْعِ الْحَدِيثِ، وَقَدْ وَثَّقَهُ وَكَبَّعُ وَيْحَى بْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُمَا، وَكَانَ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ.

قَالَ: وَمَا تَوَهَّمَهُ ابْنُ حَزْمٍ مِنْ مُنَافَاةِ هَذَا الْحَدِيثِ لِتَقَدُّمِ زَوَاجِهَا غَلَطٌ مِنْهُ وَغَفْلَةٌ؛ لِأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ سَأَلَهُ تَجْدِيدَ عَقْدِ النِّكَاحِ تَطْيِيبًا لِقَلْبِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ رَبَّمَا يَرَى عَلَيْهَا غَضَاضَةً مِنْ رِيَاسَتِهِ وَنَسَبِهِ أَنْ تَزَوَّجَ ابْنَتَهُ بِغَيْرِ رِضَاهُ، أَوْ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ إِسْلَامَ الْأَبِ فِي مِثْلِ هَذَا يَقْتَضِي

تَجْدِيدِ الْعَقْدِ، وَقَدْ خَفِيَ أَوْضَحُ مِنْ هَذَا عَلَى أَكْبَرِ مَرْتَبَةٍ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ مِمَّنْ كَثُرَ عِلْمُهُ وَطَالَتْ صُحْبَتُهُ، هَذَا كَلَامُ أَبِي عَمْرٍو رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَدَّدَ الْعَقْدَ، وَلَا قَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ: إِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدِهِ، فَلَعَلَّهُ ﷺ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: «نَعَمْ» أَنَّ مَقْصُودَكَ يَحْصُلُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِحَقِيقَةِ عَقْدٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

المهم أن الحديث ليس بموضوع كما قال ابن حزم، ولا بد من توجيهه في بعض حروفه، لا سيما هذا الحرف: أزورك أم حبيبة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مَنْ فَصَائِلِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَسْمَاءِ بِنْتِ عُمَيْسٍ وَأَهْلِ سَفِينَتِهِمْ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أخو علي بن أبي طالب، قتل في مؤته شهيداً بعد أن أبلى بلاءً حسناً.
(وأهل السفينة) يدخل فيهم الأشعريون الذين تقدم ذكرهم.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦٩ - (٢٥٠٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَادٍ الْأَشْعَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنِي بُرَيْدٌ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: بَلَّغْنَا مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخْوَانِي لِي أَنَا أَصْغَرُهُمَا أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالْآخَرُ أَبُو رُحْمٍ، إِنَّمَا قَالَ بَضْعًا، وَإِنَّمَا قَالَ ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي، قَالَ: فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، قَالَ: فَوَافَقَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ فَأَسْهَمَ لَنَا - أَوْ قَالَ أَعْطَانَا مِنْهَا - وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ إِلَّا لِأَصْحَابِ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ.

قَالَ: فَكَانَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا - يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ: نَحْنُ سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، قَالَ: فَدَخَلْتُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ - وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا - عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ وَأَسْمَاءَ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، فَقَالَ عُمَرُ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَعْظِيبَتْ وَقَالَتْ كَلِمَةً: كَذَبْتَ يَا عُمَرُ، كَلَّا وَاللَّهِ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ وَيَعْظُمُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ - أَوْ فِي أَرْضٍ - الْبُعْدَاءِ الْبُغَضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ، وَسَآذُكُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَاللَّهُ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلُ السَّفِينَةِ هَجْرَتَانِ».

قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي ^(١).

(فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ)؛ لأن زبيد على البحر، فركبوا البحر، ولوا أرادوا أتوا البر ستكون المسافة بعيدة، وربما كان كثير من القبائل ما زالت كافرة، فكان البحر أيسر لهم، لا سيما والبحر ربما يوصلهم إلى ينبع، قريب المدينة، لكن مع ذلك أخذهم البحر إلى الحبشة، أرض النجاشي.

والحبشة في العرف القديم ليست هي أثيوبيا الآن، بل هي أوسع من ذلك، فقد كانت الحبشة على البحر، أما الآن أريتيريا حين انفصلت من أثيوبيا صارت أثيوبيا بغير بحر، والله المستعان.

والآن في خلاف بين جمهورية أرض الصومال، التي يسمونها صومال لاند مع الدولة الصومالية التي عاصمتها مقديشو، إذ أن هذه الدولة الغير معترف بها وعدت أثيوبيا أنها إذا اعترفت بها أن تعطىها عشرين كيلو متر يوصلها إلى البحر، كثير من البلدان الإفريقية ليس لديها بحر، فكثيرها يستورد من تنزانيا؛ لأن تنزانيا تمتد على بحر واسع، وهكذا الصومال، ودول في داخل القارة ما عندها بحر، والبحر مهم للاستيراد ونحوه.

(أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمَا) نعمة، ثلاثة أخوة يصحبون النبي ﷺ، وأبو موسى الأصغر، وصار الأعلم والأفقه والأشهر، والمثل عند اليمنيين يقولون: الرزق ليس باليكارة، فهؤلاء أكبر من أبي موسى والشهرة والعلم والفضل لأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(إِمَّا قَالَ بَضْعًا، وَإِمَّا قَالَ ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي) نعمة سرية، توفيق من الله، وإلى الآن بعض البلدان اليمنية تجد بعض دور الحديث من تلك البلاد خمسين مائة، إلى أكثر إلى أقل.

(فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ) لأن الحبشة قريبة من اليمن، فالبحر الأحمر هو عبارة عن ممر، ليس بالبحار المحيطة، في بعض المناطق يضيق، حتى أن في باب المنذب إذا وقفت فيه تشاهد جبال جيوتي بسهولة.

(جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) ابن عم النبي ﷺ.

(فَوَافَقَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ) في السنة السابعة وقيل: السادسة.

(فَأَسْهَمَ لَنَا) إما أنه استأذن أهل خيبر، وإما أنه أعطاهم مما هو له.

(قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ) وهو الإمام، له التصرف.

(نَحْنُ سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ) يعني على سبيل المداعبة، وأما الصحابة فكانوا بعيدين عن التفاخر المفضي إلى الأشر والبطر، وإنما لعله على سبيل المداعبة ونحو ذلك.

(أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ) زوجة جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تزوجها بعده أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتزوجها بعد أبي بكر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً) تزاور بين النساء، كما يقع التزاور بين الرجال.

(وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ) مع زوجها.

(قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟) نسبة إلى الموطن الذي نزلت فيه.

(الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟) نسبة إلى أنها جاءت من جهة البحر.

(سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، فَتَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ فَغَضِبَتْ) مسابقة إلى الخير، وانتساب إلى الخير.

(وَقَالَتْ كَلِمَةً: كَذَبْتَ) أي: أخطأت، بلغة الحجاز.

(يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ) إذا جاع، (وَيُعِظُ جَاهِلَكُمْ) إذا جهل.

(وَكُنَّا فِي دَارٍ - أَوْ فِي أَرْضٍ - الْبُعْدَاءِ الْبُغْضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ) النصارى، انظر مع إكرامهم لهم مع نصرانيتهم تعتبرهم بغضاء بعداء، هذا هو الولاء والبراء في الإسلام.

(وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذِي وَنُخَافُ) فيه رفع الشكوى إلى الإمام ونحوه.

(وَأَسْأَلُهُ) يعني عما قلت.

(وَوَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ) فيه صدق الحديث حتى عند الخصام.

(وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلُ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ) وهذه فضيلة لهم.

(يَأْتُونِي أَرْسَالًا): جماعات متتابعة.

(مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) فرح بالفضائل.

(فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي) من باب الاستبشار بهذا الحديث ونحوه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ سَلْمَانَ وَصَهْبِيبٍ وَبِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧٠ - (٢٥٠٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا بِهِزٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصَهْبِيبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَا أَخَذَهَا قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخٍ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ»، فَاتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ، أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي.

(أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصَهْبِيبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ) وكلهم من فقراء المسلمين، ومن الموالي، ولكنهم من السابقين المبادرين إلى دين رب العالمين، فرفعوا على كثير ممن سواهم، ممن هم من سراة العرب، فأبو سفيان هو صخر بن حرب القرشي، وسلمان هو الفارسي، وصهيب هو أبو يحيى الرومي، وبلال الحبشي.

(فِي نَفَرٍ) أي في نفر غيرهم من الصحابة.
 (وَاللَّهُ مَا أَخَذْتُ سُبُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَا أَخَذَهَا) سلمه الله لما علم من هدايته
 للإسلام.
 (أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخٍ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟) وهو كذلك، قول أبي بكر مطابق للواقع فقد
 كان شيخ قريش وكان سيد قريش، لا سيما بعد قتل سراتهم في غزوة بدر.
 (فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ) بإنكاره عليهم.
 (يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ) فيه مراعاة لقلوب الضعفاء وأهل الدين، وإكرامهم
 وملاطفتهم.

وهذه الزيارة من أبي سفيان كانت في المدة التي صالح فيها النبي ﷺ قريشا.
 (لَئِنْ كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ) فيه إثبات صفة الغضب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 على ما يلقب بجلاله، وهي صفة فعلية، وفيه أن الله يغضب لغضب عباده وأوليائه،
 وهذا من كرامتهم وعلو منزلتهم، وحسن شمائلهم.
 (يَا إِخْوَتَاهُ، أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي) فيه طلب المسامحة لمن
 أخطأت في حقه، والدعاء لمن جاء تائباً مستغفراً معتذراً.
 قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧١ - (٢٥٥) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَاللَّفْظُ
 لِإِسْحَاقَ، قَالَا: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ: ﴿إِذْ

هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ﴿١٢٢﴾ [آل عمران: ١٢٢]؛ بَنُو سَلِمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ، وَمَا نُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] ^(١).

(عمرو) بن دينار.

مع أن فيها عتب على هاتين الطائفتين إلا أن فيها مدح لهما: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [سورة آل عمران: ١٢٢]، ومن كان الله وليه نصره وهداه، ودافع عنه، واصطفاه واجتباها، قال الله عَزَّجَلَّ مخبر عن نبيه: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٦]، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧].

وهذا الهم في غزوة أحد، حين ثبطهم عبد الله بن أبي بن سلول عن الجهاد وأرادت الطائفتان الرجوع معه، لولا أن الله ثبتهما لوقعتا في الفتنة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧٢ - (٢٥٠٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُهْدِيٍّ قَالَا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَلَا بَنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ» ^(٢).
١٧٢ - (٢٥٠٦) وَحَدَّثَنِيهِ يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

١٧٣ - (٢٥٠٧) حَدَّثَنِي أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُ: أَنَّ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٠٥١).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٩٠٦).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَغْفَرَ لِلْأَنْصَارِ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَلِدَرَارِي الْأَنْصَارِ، وَلِمَوَالِي الْأَنْصَارِ، لَا أَشْكُ فِيهِ.

وهذا حديث عظيم، فيه فضيلة للأنصار وأبنائهم وأحفادهم، بل ومن إليهم ممن سلك سبيلهم واقتفى أثرهم، وكان مناصرا لدين الله، إذ أنهم لم يسموا بالأنصار إلا لنصرتهم لدين الله، ولمحمد رسول الله ﷺ.

وفيه الدعاء لمسدي المعروف ومعطيه، فإن هذا من رد الجميل.
(وَلِمَوَالِي الْأَنْصَارِ) وهذا زيادة على أنه استغفر للأنصار، ولأبنائهم، ولأحفادهم، واستغفر أيضا لمواليهم، فهنيئا لمن نصر دين الله، ينصره الله ويعزه الله، ويرفع الله شأنه، ويعلي منزلته، ويدافع عنه.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧٤ - (٢٥٠٨) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُثَيْمٍ، وَاللَّفْظُ لَزُهَيْرٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى صَبِيَانًا وَنِسَاءً مُقْبِلِينَ مِنْ عُرْسٍ، فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مُثْمِلًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ»، يَعْنِي الْأَنْصَارَ ^(١).

(صَبِيَانًا) أطفال صغار.

(مُقْبِلِينَ مِنْ عُرْسٍ) لعل أعراسهم كانت بالنهار.

(مُثْمِلًا) قابلا لهم كما في بعض الروايات: مقبلا لهم.

(اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ) وهذه فضيلة للأنصار، لأبنائهم ونسائهم.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٧٨٥).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧٥ - (٢٥٠٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، جَمِيعًا عَنْ غُنْدَرٍ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَخَلَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ^(١).

١٧٥ - (٢٥٠٩) حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

(فَخَلَا بِهَا) إما أن تكون محرماً، وإما أن يكون معنى الخلوة: أنها سألته شيئاً خفية بصوت خافت؛ حتى لا يسمع الغير. أفاده النووي بمعناه.

فيه إخبار من يحب بحبه له، والنبي ﷺ يقول في ذلك الرجل لما قال: والله رسول الله إني لأحبه، قال: «أعلمته؟» قال لا، قال: «أعلمه»، فجاء، فقال: يا أخي إني أحبك في الله، قال: أحبك الله الذي أحبتني فيه. أخرجه عبد الرزاق

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧٦ - (٢٥١٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْأَنْصَارَ كَرِّشِي وَعَيْتِي، وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقْلُونَ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ» ^(٢).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٧٨٦).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٨١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْتِي) قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ جَمَاعَتِي وَخَاصَّتِي، الَّذِينَ أَتَيْتُ بِهِمْ، وَأَعْتَمِدْتُهُمْ فِي أُمُورِي.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: ضَرَبَ مَثَلًا بِالْكَرِشِ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَقَرُّ غِذَاءِ الْحَيَوَانِ الَّذِي يَكُونُ بِهِ بَقَاؤُهُ، وَالْعَيْبَةُ وَعَاءٌ مَعْرُوفٌ أَكْبَرُ مِنَ الْمَخْلَاقَةِ يَحْفَظُ الْإِنْسَانَ فِيهَا ثِيَابُهُ وَفَاخِرَ مَتَاعِهِ، وَيَصُونُهَا، ضَرَبَهَا مَثَلًا لِأَنَّهُمْ أَهْلُ سِرِّهِ وَخَفِيِّ أَحْوَالِهِ. اهـ

(وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقْلُونَ) وهذا من دلائل نبوة النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فالأنصار حصل عليهم القتل الكثير في الغزوات وفي بعض الفتن، والناس يأتون المدينة من هاهنا ومن هاهنا حتى صاروا أكثر من الأنصار.

(فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ) وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ: (عَنْ سَيِّئِهِمْ)، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ فِيمَا سِوَى الْحُدُودِ.

وفيه الإثابة على فعل الخير والصواب، وفيه إقالة ذوي الهيئات عثراتهم، أي في غير الحدود، والحدود أيضا تدرأ بالشبهات، وأما إذا استقر الحد وتعين فلا يجوز الشفاعة فيه. قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: فِي خَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

معناه أن الأنصار أفضل من غيرهم بكثير من الشأن، مع أن المهاجرين أفضل منهم في الجملة، وكذلك يتفاضلون فيما بينهم، فبعض دور الأنصار أفضل من بعض والأمر عائد إلى كثرة المناصرة والمؤازرة والبدل.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧٧ - (٢٥١١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ بَنُو النَّجَارِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ،

ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورٍ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ، فَقَالَ سَعْدٌ: مَا أَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَدْ فَضَّلَ عَلَيْنَا، فَقِيلَ: قَدْ فَضَّلَكُمْ عَلَى كَثِيرٍ ^(١).

١٧٧ - (٢٥١١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعْتُ أَنَسًا يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ.

١٧٧ - (٢٥١١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ وَابْنُ رُمَحٍ، عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، كُلُّهُمَّ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَذْكُرُ فِي الْحَدِيثِ قَوْلَ سَعْدٍ.

١٧٨ - (٢٥١١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا حَاتِمٌ وَهُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُسَيْدٍ خَطِيبًا عِنْدَ ابْنِ عَبَّادَةَ، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، وَدَارُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَدَارُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَدَارُ بَنِي سَاعِدَةَ»، وَاللَّهُ لَوْ كُنْتُ مُؤَثِّرًا بِهَا أَحَدًا لَأَثَرْتُ بِهَا عَشِيرَتِي.

١٧٩ - (٢٥١١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، أَخْبَرَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ قَالَ: شَهِدَ أَبُو سَلَمَةَ لَسَمْعِ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ يَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورٍ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ».

قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: أَتَهُمُ أَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ لَوْ كُنْتُ كَاذِبًا لَبَدَأْتُ بِقَوْمِي بَنِي سَاعِدَةَ، وَبَلَغَ ذَلِكَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ: خُلِفْنَا فَكُنَّا آخِرَ الْأَرْبَعِ، أَسْرَجُوا لِي حِمَارِي آتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَلَّمَهُ ابْنُ أَخِيهِ سَهْلٌ فَقَالَ: أَتَذْهَبُ

لِتَرَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمُ؟ أَوَلَيْسَ حَسْبُكَ أَنْ تَكُونَ رَابِعَ أَرْبَعٍ؟ فَرَجَعَ وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، وَأَمَرَ بِحِمَارِهِ فَحُلَّ عَنْهُ. (١٧٩ - (٢٥١١) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ بْنِ بَحْرٍ، حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ شَدَّادٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: خَيْرُ الْأَنْصَارِ أَوْ خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ، بِمِثْلِ حَدِيثِهِمْ فِي ذِكْرِ الدُّورِ، وَلَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(أبو أسيد) أنصاري.

(وَفِي كُلِّ دُورٍ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ) وهذا إجمال بعد تخصيص، فتكون فضيلتهم على الترتيب، ومع ذلك جميع دور الأنصار فيها خير؛ لأنهم سلكوا مسلك الإيمان والإحسان، ونصرة النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكانوا من أهل القرآن.

(فَقَالَ سَعْدٌ: مَا أَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَدْ فَضَّلَ عَلَيْنَا) كأنه سعد بن عبادَةَ.

(قَدْ فَضَّلَكُمْ عَلَى كَثِيرٍ) يعني احمداوا الله، وارض بتفضيل رسول الله ﷺ لك.

(أَنذَهُبُ لِتَرَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) فيه أن الفاضل قد يقع في ضعف فهم أو نحو

ذلك، فيرد عليه ويبين له.

(وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمُ؟)؛ لأنه يتكلم بالوحي.

(أَوَلَيْسَ حَسْبُكَ أَنْ تَكُونَ رَابِعَ أَرْبَعٍ، فَرَجَعَ) معناه أنت أفضل من غيرك، فهناك ممن

لم يذكره النبي ﷺ سواك أكثر.

(وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، وَأَمَرَ بِحِمَارِهِ فَحُلَّ عَنْهُ) الرجوع الى الحق فضيلة، لا

يكابر الإنسان إذا بَيَّنَّ له الحق والصواب؛ لأن أغلب ما يورد الناس الموارد المكابرة فتجد بعضهم ربما يمضي في الشأن فلا يريد أن يرجع كما يقال: إلى الوراء، فيمضي في شأنه مكابرة، وربما أورد الموارد، وحصل له الهلكة، والله المستعان.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨٠ - (٢٥١٢) وَحَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، سَمِعَا أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ عَظِيمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: «أَحَدْتُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ»، قَالُوا: ثُمَّ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «ثُمَّ بَنُو النَّجَّارِ»، قَالُوا: ثُمَّ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ»، قَالُوا: ثُمَّ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ»، قَالُوا: ثُمَّ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «ثُمَّ فِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مُغْضَبًا فَقَالَ: أَنْحُنْ آخِرُ الْأَرْبَعِ؟ حِينَ سَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَارَهُمْ، فَأَرَادَ كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ: اجْلِسْ، أَلَا تَرْضَى أَنْ سَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَارَكُمْ فِي الْأَرْبَعِ الدُّوَرِ الَّتِي سَمَى؟ فَمَنْ تَرَكَ فَلَمْ يُسَمَّ أَكْثَرَ مِمَّنْ سَمَى، فَانْتَهَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ عَنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ عَظِيمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وهذا من حرصهم على الجلوس مع النبي ﷺ، والاستفادة من قوله ووعظه وعمله.

(أَحَدْتُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ؟) فيه المفاضلة بين المسلمين، وكل ذلك عائد إلى الدين، وأما المفاضلة بالنسب فليس لها اعتبار، إلا إذا كانت مع الدين، «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام».

(اجْلِسْ) فيه زجر المخالف.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في "فتح الباري" (٧/ ١١٥): قوله خير دور الأنصار بنو النجار هم من الخزرج والنجار هم تيم الله وسمي بذلك لأنه ضرب رجلا فنجره ف قيل له النجار وهو بن ثعلبة بن عمرو من الخزرج قوله ثم بنو عبد الأشهل هم من الأوس وهو

عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة كذا وقع في هذه الطريق ولكن وقع في رواية معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبي سلمة عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بخير دور الأنصار قالوا بلى قال بنو عبد الأشهل وهم رهط سعد بن معاذ قالوا ثم من يا رسول الله قال ثم بنو النجار فذكر الحديث وفي آخره قال معمر وأخبرني ثابت وقتادة أنهما سمعا أنس بن مالك يذكر هذا الحديث إلا أنه قال بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل أخرجه أحمد وأخرجه مسلم من طريق صالح بن كيسان عن الزهري دون ما بعده من رواية معمر عن ثابت وقتادة وأخرج مسلم أيضا من طريق أبي الزناد عن أبي سلمة عن أبي أسيد مثل رواية أنس عن أبي أسيد فقد اختلف على أبي سلمة في إسناده هل شيخه فيه أبو أسيد أو أبو هريرة ومتنه هل قدم عبد الأشهل على بني النجار أو بالعكس وأما رواية أنس في تقديم بني النجار فلم يختلف عليه فيها ويؤيدها رواية إبراهيم بن محمد بن طلحة عن أبي أسيد وهي عند مسلم أيضا وفيها تقديم بني النجار على بني عبد الأشهل وبنو النجار هم أحوال جد رسول الله ﷺ لأن والده عبد المطلب منهم وعليهم نزل لما قدم المدينة فلهم مزية على غيرهم وكان أنس منهم فله مزيد عناية بحفظ فضائلهم قوله ثم بنو الحارث بن الخزرج أي الأكبر أي بن عمرو بن مالك بن الأوس المذكور بن حارثة قوله ثم بنو ساعدة هم الخزرج أيضا وساعدة هو بن كعب بن الخزرج الأكبر قوله خير دور الأنصار وفي كل دور الأنصار خير خير الأولى بمعنى أفضل والثانية اسم أي الفضل حاصل في جميع الأنصار وإن تفاوتت مراتبه قوله فقال سعد أي بن عبادة كما في الرواية المعلقة التي بعد هذا وهو من بني ساعدة أيضا وكان كبيرهم يومئذ قوله ما أرى بفتح الهمزة من الرؤية وهي من إطلاقها على المسموع ويحتمل أن يكون من الاعتقاد ويجوز ضمها بمعنى الظن ووقع في رواية أبي الزناد المذكورة فوجد سعد بن عبادة في نفسه فقال خلفنا فكنا آخر الأربعة وأراد كلام رسول الله ﷺ في ذلك فقال له

بن أخيه سهل أتذهب لترد على رسول الله ﷺ أمره ورسول الله اعلم أو ليس حسبك أن تكون رابع أربعة فرجع. اهـ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: فِي حُسْنِ صُحْبَةِ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨١ - (٢٥١٣) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عَرُورَةَ، وَاللَّفْظُ لِلْجَهْضَمِيِّ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَرُورَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ فِي سَفَرٍ، فَكَانَ يَخْدُمُنِي، فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَفْعَلْ. فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، أَلَيْتُ أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا خَدَمْتُهُ^(١). زَادَ ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِمَا: وَكَانَ جَرِيرٌ أَكْبَرَ مِنْ أَنَسٍ، وَقَالَ ابْنُ بَشَّارٍ: أَنَسٌ مِنْ أَنَسٍ.

(فَكَانَ يَخْدُمُنِي) مع أن جرير إسلامه كان متأخرا، وربما كان أكبر في السن من أنس بن مالك.
(تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا) من الخدمة والعناية والحراسة والإحاطة، والبذل، والنفقة.

(أَلَيْتُ أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا خَدَمْتُهُ) يعني حلف أن لا يصاحب أحدا منهم في سفر إلا خدمه، من باب رد الجميل إلى أهله، والله عز وجل يقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [سورة الرحمن: ٦٠]، فهو لاء خدموا النبي ﷺ، فيحسن إليهم، والنبي صل الله عليه وسلم قد وصى بهم خيرا، «فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٨٨٨).

قال رحمه الله:

بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لِغَفَارٍ وَأَسْلَمَ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٨٢ - (٢٥١٤) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هَلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غِفَارُ غَفَرِ اللَّهِ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ».

١٨٣ - (٢٥١٤) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتَ قَوْمَكَ فَقُلْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَغِفَارُ غَفَرِ اللَّهُ لَهَا».

١٨٣ - (٢٥١٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، فِي هَذَا الْإِسْنَادِ.

١٨٤ - (٢٥١٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنِي وَرْقَاءُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي عَاصِمٍ، كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَغَيْنَ،

حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، كُلُّهُمْ قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَغَفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا» ^(١).

(أبو ذر) هو جندب بن جنادة.

دعا لغفار؛ لأنها دخلت في الإسلام بغير قتال أو سيف، أسلم نصفهم على يد أبي ذر، وأسلم النصف الآخر بعد هجرة النبي ﷺ، وأسلم كان شأنها شأن غفار، حين علمت بإسلامها دخلت في الإسلام، فحصل الإسلام منهم النصر والظفر، والسلامة من الشر، فكان الجزاء أن النبي ﷺ دعا لهم.

(أَنْتِ قَوْمَكَ فَقُلْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَغَفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا) وهذا من باب تألفهم، والإخبار بفضيلتهم، والمجازاة لهم.

سبحان الله كم له من الشيوخ في حديث واحد!

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨٥ - (٢٥١٦) وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، عَنْ حُثَيْمِ بْنِ عِرَاكِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَغَفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، أَمَا إِنِّي لَمْ أَقْلَهَا، وَلَكِنْ قَالَهَا اللَّهُ عَزَّجَلَّ».

الله أكبر، لو كان قالها النبي ﷺ فضيلة، فكيف وقد قالها الله عَزَّجَلَّ في شأنهم؟ وهذا من الأدلة على تفضيل بعض القبائل على بعض.

وفي الصحيحة رقم (٢٦٠٦) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُ يَوْمًا خَيْلًا وَعِنْدَهُ عِيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنُ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا أَفْرَسُ بِالْخَيْلِ مِنْكَ»، فَقَالَ عِيْنَةُ: وَأَنَا أَفْرَسُ بِالرِّجَالِ مِنْكَ ^(٢)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَكَيْفَ؟» قَالَ: خَيْرُ الرِّجَالِ رِجَالُ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٤١).

(٢) جراءة في هذه الأعرابي، والله المستعان.

يَحْمِلُونَ سُيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ جَاعِلُوا رِمَاحَهُمْ عَلَى مَنَاسِجِ خِيُولِهِمْ لَا يَسُوءُوا الْبُرُودَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبَتْ بَلْ خَيْرُ الرِّجَالِ رِجَالُ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَالْإِيمَانُ يَمَانٌ إِلَى لَحْمٍ، وَجَذَامٍ، وَعَامِلَةٍ، وَمَأْكُولٍ حَمِيرٍ خَيْرٌ مِنْ أَكْلِهَا وَحَضْرَمُوتَ خَيْرٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ، وَقَبِيلَةُ خَيْرٌ مِنْ قَبِيلَةٍ، وَقَبِيلَةُ شَرٌّ مِنْ قَبِيلَةٍ، وَاللَّهُ مَا أَبَالِي أَنْ يَهْلِكَ الْحَارِثَانِ كِلَاهُمَا، لَعَنَ اللَّهُ الْمُلُوكَ الْأَرْبَعَةَ جَمَدَاءَ، وَمُخُوسًا، وَمَشْرَحًا، وَأَبْضَعَةً، وَأُخْتَهُمُ الْعَمْرَدَةَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَمَرَنِي رَبِّي عَزَّجَلَّ أَنْ أَلْعَنَ قُرَيْشًا مَرَّتَيْنِ، فَلَعَنْتُهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصَلِّيَ عَلَيْهِمْ مَرَّتَيْنِ، فَصَلَّيْتُ عَلَيْهِمْ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ لَعَنَ قَبَائِلَ فَسَمَّاهُمْ» ثُمَّ قَالَ: «عَصِيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ غَيْرَ قَيْسٍ، وَجَعْدَةَ، وَعِصْمَةَ»، ثُمَّ قَالَ: «لَأَسْلَمَ، وَغِفَارُ، وَمُزَيْنَةُ، وَأَخْلَاطُهُمْ مِنْ جُهَيْنَةَ خَيْرٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، وَتَمِيمٍ، وَغَطَفَانٍ، وَهَوَازِنُ، عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، ثُمَّ قَالَ: «شَرُّ قَبِيلَتَيْنِ فِي الْعَرَبِ فَسَمَّاهُمَا وَأَكْثَرُ الْقَبَائِلِ فِي الْجَنَّةِ مَذْحِجٌ». قَالَ صَفْوَانُ: وَمَأْكُولُ حَمِيرٍ خَيْرٌ مِنْ أَكْلِهَا قَالَ: مَنْ مَضَى خَيْرٌ مِمَّنْ بَقِيَ.

أخرجه أحمد ^(١) وغيره.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨٦ - (٢٥١٧) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنِ اللَّيْثِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ أَبِي أَنَسٍ، عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ خُفَافِ بْنِ إِيمَاءٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةٍ: «اللَّهُمَّ الْعَنَ بَنِي لِحْيَانَ وَرِعْلًا وَذُكْوَانَ وَعُصَيَّةَ؛ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَأَلَهَا اللَّهَ».

١٨٧ - (٢٥١٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ، قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) حديث رقم: (١٩٤٤٥)، عن عمرو بن عبسة السلمي.

دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَفَارُ اللَّهِ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَعُصِيَّةُ عَصَتْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(١).

١٨٧ - (٢٥١٨) حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي أُسَامَةُ، (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَالْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، كُلُّهُمْ عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، وَفِي حَدِيثِ صَالِحٍ وَأُسَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ عَلَى الْمُنْبَرِ.

١٨٧ - (٢٥١٨) وَحَدَّثَنِيهِ حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ شَدَّادٍ، عَنْ يَحْيَى، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، حَدَّثَنِي ابْنُ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، مِثْلَ حَدِيثِ هَؤُلَاءِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ.

(اللَّهُمَّ الْعَنَ بَنِي لِحْيَانَ وَرِعْلًا وَذُكْوَانَ وَعُصِيَّةً) قتلوا أصحاب النبي ﷺ السبعين الذين أرسلهم لتعليم القرآن والسنة.

قال الحافظ في "فتح الباري" (٦/ ٥٤٤): قوله غفار غفر الله لها هو لفظ خبر يراد به الدعاء ويحتمل أن يكون خبراً على بابهِ ويؤيده قوله في آخره وعصية عصت الله ورسوله وعصية هم بطن من بني سليم ينسبون إلى عصية بمهملتين مصغر بن خفاف بضم المعجمة وفاءين مخفف بن امرئ القيس بن بهثة بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها مثلثة بن سليم وإنما قال فيهم ﷺ ذلك لأنهم عاهدوه فغدروا كما سيأتي بيان ذلك في كتاب المغازي في غزوة بئر معونة وقد تقدمت له طرق في الاستسقاء وحكى بن التين أن بني غفار كانوا يسرقون الحاج في الجاهلية فدعا لهم النبي ﷺ بعد أن

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥١٣).

أَسْلَمُوا لِيَمْحَى عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَارُ وَوَقَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ اسْتِعْمَالِ جِنَاسِ الْإِشْتِقَاقِ مَا يَلِذُ عَلَى السَّمْعِ لِسَهُولَتِهِ وَانْسِجَامِهِ وَهُوَ مِنَ الْإِتْفَاقَاتِ اللَّطِيفَةِ. اهـ
 قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ غَفَارٍ وَأَسْلَمَ وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ وَمُرَيْنَةَ وَتَمِيمٍ وَدَوْسٍ وَطَيِّ

قَالَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨٨ - (٢٥١٩) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ وَهُوَ ابْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَنْصَارُ وَمُرَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وَغِفَارٌ وَأَشْجَعٌ وَمَنْ كَانَ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ مَوَالِيَّ دُونَ النَّاسِ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مَوْلَاهُمْ».

١٨٩ - (٢٥٢٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمَزٍ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ وَمُرَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وَأَسْلَمٌ وَغِفَارٌ وَأَشْجَعٌ مَوَالِيَّ، لَيْسَ لَهُمْ مَوْلَى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(١).

١٨٩ - (٢٥٢٠) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، غَيْرَ أَنَّ فِي الْحَدِيثِ: قَالَ سَعْدٌ فِي بَعْضِ هَذَا فِيمَا أَعْلَمُ.
 ١٩٠ - (٢٥٢١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَسْلَمٌ وَغِفَارٌ وَمُرَيْنَةُ وَمَنْ كَانَ مِنْ جُهَيْنَةَ، أَوْ جُهَيْنَةُ خَيْرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي عَامِرٍ وَالْحَلِيفَيْنِ أَسَدٍ وَغَطَفَانَ»^(٢).

(١) وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: (٣٥٠٤).

(٢) وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: (٣٥٢٣).

١٩١ - (٢٥٢١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يُعْنِي الْحِزَامِيَّ، عَنْ أَبِي الرَّزَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. (ح) وَحَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَحَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنِي، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ الْأَعْرَجِ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَغَفَّارٌ وَأَسْلَمٌ وَمُرَيْنَةُ وَمَنْ كَانَ مِنْ جُهَيْنَةَ» أَوْ قَالَ: «جُهَيْنَةُ وَمَنْ كَانَ مِنْ مُرَيْنَةَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَسَدٍ وَطَيْيٍّ وَغَطَفَانَ».

١٩٢ - (٢٥٢١) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَيَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ - يَعْنِي ابْنَ أَبِي عُلَيَّةَ - حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَسْلَمٌ وَغَفَّارٌ وَشَيْءٌ مِنْ مُرَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ» أَوْ شَيْءٌ مِنْ جُهَيْنَةَ وَمُرَيْنَةَ «خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ» قَالَ: أَحْسَبُهُ قَالَ: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَسَدٍ وَغَطَفَانَ وَهَوَازِنَ وَتَمِيمٍ».

حديث عظيم، النبي مولاهم وناصرهم والله ورسوله مولاهم، يتولاهم ويعينهم ويحبهم.

هذا شاهد لما قرأناه من الصحيحة، والمراد بالحليفين: أي أنهم تحالفان على أن ينصر بعضهم بعضا.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٩٣ - (٢٥٢٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَاسٍ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّمَا بَايَعَكَ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ مِنْ أَسْلَمٍ وَغَفَّارٍ وَمُرَيْنَةَ، وَأَحْسَبُ جُهَيْنَةَ - مُحَمَّدٌ الَّذِي شَكَ -، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَسْلَمٌ وَغَفَّارٌ وَمُرَيْنَةُ» وَأَحْسَبُ: «جُهَيْنَةُ خَيْرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي عَامِرٍ وَأَسَدٍ

وَعَطْفَانَ، أَخَابُوا وَخَسِرُوا؟ » فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَأَخِيرُ مِنْهُمْ»^(١).

وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ مُحَمَّدٌ الَّذِي شَكَّ.

١٩٣ - (٢٥٢٢) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنِي سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ الصَّبِيِّ - بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، وَقَالَ وَجُهَيْنَةُ، وَلَمْ يَقُلْ أَحْسِبُ.

١٩٤ - (٢٥٢٢) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَسْلَمَ وَغَفَارُ وَمُرَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ خَيْرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَمِنْ بَنِي عَامِرٍ وَالْحَلِيفَيْنِ بَنِي أَسَدٍ وَعَطْفَانٌ».

١٩٤ - (٢٥٢٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، (ح) وَحَدَّثَنِيهِ عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

١٩٥ - (٢٥٢٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ جُهَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغَفَارُ خَيْرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطْفَانَ وَعَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ» وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ خَابُوا وَخَسِرُوا، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ خَيْرٌ».

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ جُهَيْنَةُ وَمُرَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغَفَارُ».

(إِنَّمَا بَايَعَكَ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ مِنْ أَسْلَمَ وَغَفَارَ وَمُرَيْنَةَ) يَذْمُهُمْ، هَبْ أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ

إِسْلَامِهِمْ عَلَى هَذَا فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ، وَيَجِبُ مَا قَبْلَهُ.

(١) وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، حَدِيثُ رَقْمٍ: (٣٥١٥).

(فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَأَخَيْرُ مِنْهُمْ) يعني في الدين، وإن شاء الله في النسب أنهم على حظ بما أن النبي ﷺ قد شهد لهم بذلك.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٩٦ - (٢٥٢٣) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَالَ لِي: إِنَّ أَوَّلَ صَدَقَةٍ بَيَّضَتْ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوُجُوهُ أَصْحَابِهِ صَدَقَةُ طَيِّئٍ، جِئْتَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(عامر) بن شراحيل الشعبي.

ففتح الله على الصحابة بسببها.

وفيه دليل على أن الشأن شأن الأول.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحيب الأول

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٩٧ - (٢٥٢٤) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَدِمَ الطُّفَيْلُ وَأَصْحَابُهُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا قَدْ كَفَرَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكْتَ دَوْسٌ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ»^(١).

ودوس من اليمن، دعا لها النبي ﷺ بالهداية، فهداهم الله وأقبل بهم على الخير.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٩٨ - (٢٥٢٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَا أَزَالُ أَحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ ثَلَاثٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٩٣٧).

اللَّهُ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هُمُ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَى الدَّجَالِ»، قَالَ: وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا»، قَالَ: وَكَانَتْ سَيِّئَةً مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْتَقِيهَا، فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(١).

١٩٨ - (٢٥٢٥) وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَا أَرَأَى أَحَبُّ بَنِي تَمِيمٍ بَعْدَ ثَلَاثٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهَا فِيهِمْ فَذَكَرَ مِثْلَهُ.

١٩٨ - (٢٥٢٥) وَحَدَّثَنَا حَامِدُ بْنُ عُمَرَ الْبُكَرَاوِيُّ، حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ عَلْقَمَةَ الْمَازِنِيُّ إِمَامُ مَسْجِدِ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ثَلَاثُ خِصَالٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي تَمِيمٍ لَا أَرَأَى أَحَبَّهُمْ بَعْدُ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِهَذَا الْمَعْنَى، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «هُمُ أَشَدُّ النَّاسِ قِتَالًا فِي الْمَلَا حِمٍ»، وَلَمْ يَذْكُرِ الدَّجَالَ.

(بَنِي تَمِيمٍ) وهم من نجد، هي الرياض وما حولها الآن.

وهذا دليل على فضيلة هذه القبيلة، والله المستعان.

أما نجران الآن فيها كثير مكارمة إسماعيلية رافضة، فالوصف يليق بهم، وبعض القبائل ربما قال النبي ﷺ ذلك في حال كفرهم، ثم حسن إسلامهم، فالشأن ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

ثم أيضا الفخر المجرد بالنسب لا يستقيم، إنما الفخر بالدين.

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٥٤٣).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ خِيَارِ النَّاسِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٩٩ - (٢٥٢٦) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَفَهُوا، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَكْرَهُهُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَتَجِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بِوَجْهِ وَهَوْلَاءَ بِوَجْهِ» ^(١).

١٩٩ - (٢٥٢٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَزَامِيُّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ» بِمَثَلِ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ أَبِي زُرْعَةَ وَالْأَعْرَجِ: «تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً حَتَّى يَقَعَ فِيهِ».

(حرملة بن يحيى) هو التجيبي.

(بن وهب) عبد الله.

(يونس) بن يزيد.

(تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ) أي: في المفاضلة بينها كالمعادن، فمنهم من هو شبيه بالذهب، ومنهم من هو شبيه بالفضة، ومنهم من هو شبيه بالفلز، ومنه من هو شبيه بالحديد والنحاس، ومنهم من هو شبيه بالتراب والرماد، نسأل الله العافية.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٣٥٣).

فالناس يتفاوتون في الفضيلة والمنزلة، ويتفاوتون في البر والتقوى، ويتفاوتون في كثير من أمورهم، كالطول والعرض، واللون، والقصر، ونحو ذلك.

إلا أن **(خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ)** أصحاب النسب والشرف والرفعة **(خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ)** اجتمعت لهم خيرية النسب ثم دخلوا في الإسلام، فصاروا من أهل الخيرية. **(إِذَا فَفَهُوا)** أي تفقهوا في الدين، وعملوا به واستقاموا عليه، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

(وَتَحِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الْأَمْرِ) أي أمر الولاية والخلافة **(أَكْرَهُهُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ)** يكرهه قبل أن يقع فيه، أما إذا وقع فيه قام به على الوجه الأكمل. **(وَتَحِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ)** أي المتلون المخادع الماكر.

(الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بَوَّجِهِ وَهَوْلَاءَ بَوَّجِهِ) يداهن في دين الله، ويحابي ولا يداري أما المداراة فهي مطلوبة، ولكن المذموم المداهنة. قال **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٢٠٠ - (٢٥٢٧) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ» قَالَ أَحَدُهُمَا: «صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ» وَقَالَ الْآخَرُ: «نِسَاءُ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى يَتِيمٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ»^(١).

٢٠٠ - (٢٥٢٧) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يُبْلَغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٠٨٢).

٢٠٠ - (٢٥٢٧) وَابْنُ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ يَتْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ أَرْعَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَلَمْ يَقُلْ يَتِيمًا.

٢٠١ - (٢٥٢٧) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نِسَاءُ قُرَيْشٍ خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ؛ أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ».

قَالَ: يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ: وَلَمْ تَرَكَبْ مَرِيْمُ بِنْتُ عِمْرَانَ بَعِيرًا قَطُّ.

٢٠٢ - (٢٥٢٧) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ أُمَّ هَانِيَةَ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ وَلِي عِيَالٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ»، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ».

٢٠٣ - (٢٥٢٧) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءٍ قُرَيْشٍ؛ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ».

٢٠٤ - (٢٥٢٧) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ الْأَوْدِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنِي سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ مَعْمَرٍ هَذَا سِوَاءً.

هذا الحديث فيه فضائل لنساء قريش، وفضل هذه الخصال، وهي الحنو على الأولاد، والشفقة عليهم، وحسن التربية لهم، والقيام عليهم، وهكذا الرعاية، فهذه صفة حميدة في الأم، أن تتميز بحنوها ورفقها، ومحبتها لولدها.

أما إذا كانت من الشديديات على أبنائها فكيف بغير أبنائها؟ هذا يدل على سوء في طبعها؛ لأن الأم أرحم ما يكون بولدها، فكيف إذا كانت شديدة عليه؟ لا ترحمه، لا توده، لا تحبه، لا ترفق به، فهي على غيره أشد، وأسوأ، وأبعد.

إنما امتدح النبي ﷺ نساء قريش بهذه الصفة فيهن، وإلا ينبغي أن تتوفر هذه الصفة في غيرهن من المسلمات، أحيانا تجد الحنو عند بعض الوحوش على أبنائها، وهكذا الرعاية في بعض الوحوش، فكيف إذا توفرت هذه الصفة في النساء؟
(وَأَزْعَاهُ عَلَى رَوْحٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ) تراعي نفقته، وتحسن في التصرف بها، من غير إفساد ولا إقتار، ولا نحو ذلك.

والمراد **(رَكِبْنَ الْإِبِلَ)** نساء العرب، هن اللاتي يركبن الإبل، أما نساء العجم لم يركبن الإبل، ولذلك قال أبو هريرة إثر ذلك: **(وَلَمْ تَرْكَبْ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ بَعِيرًا قَطُّ)**.
ثم إن هذه المفاضلة من حيث الجملة، وأما من حيث التخصيص ففاطمة بنت محمد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** سيدة نساء العالمين، وهكذا تجد في آسيا بنت متزاحم، مريم بنت عمران، خديجة بنت خويلد، وغير واحدة من النساء.
قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ مُوَاخَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢٠٣ - (٢٥٢٨) حَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَى بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَبَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ.

(حجاج بن الشاعر) حجاج بن يوسف بن الشاعر.

(عبد الصمد) بن عبد الوارث.

(حماد بن سلمة) من الأثبات في ثابت.

(ثابت) البناني، أبو محمد.

(أَخَى بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَبَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ) هذا دليل على أن المؤاخاة وقعت بين المهاجرين والأنصار، وبين المهاجرين والمهاجرين، مع أن أخوة الإسلام واقعة، إلا أن هذا فيه مزيد عناية من الأخ بأخيه وانتباه من الأخ لأخيه، وهذا كان قبل الهجرة، المؤاخاة بين المهاجرين، ثم بعد الهجرة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ثم كان الأمر بعد ذلك أخوة الإسلام كافية، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠٤ - (٢٥٢٩) حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمُ الْأَحْوَلُ قَالَ: قِيلَ لَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ: بَلَّغَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ»، فَقَالَ أَنْسٌ: قَدْ خَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِهِ (١).
٢٠٥ - (٢٥٢٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَنْسٍ قَالَ: خَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِهِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ.
٢٠٦ - (٢٥٣٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو أُسَامَةَ، عَنْ زَكَرِيَّا، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا حِلْفٌ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً» (٢).

المراد: (لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ) حلف التوارث، والمراد بما فعله النبي ﷺ من المؤاخاة حسن المناصرة والمؤازرة، وقيام بشأن الأخ، والمصارعة في ذلك.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٢٩٤).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٣٤٠).

(لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً) يعني أي عهد أو عقد كان في الجاهلية لم ينقضه الإسلام، فإن الإسلام جاء بمكارم الأخلاق، والتعاون على البر والتقوى، فإن كان أهل الجاهلية قد اتفقوا على هذا الأمر فالإسلام يقر هذا الأمر، ولم يأت بمناقضته. وأما الأحلاف الجاهلية التعاون على الإثم والعدوان وعلى المخالفات الشرعية هذا لا يرضاه الإسلام.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ بَيَانِ أَنَّ بَقَاءَ النَّبِيِّ ﷺ أَمَانٌ لِأَصْحَابِهِ، وَبَقَاءُ أَصْحَابِهِ أَمَانٌ لِلْأُمَّةِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠٧ - (٢٥٣١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ، كُلُّهُمْ عَنْ حُسَيْنٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ، عَنْ مُجَمِّعِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ، قَالَ: فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ» أَوْ: «أَصَبْتُمْ».

قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوْعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوْعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوْعَدُونَ».

(عن أبيه) أبو موسى، عبد الله بن قيس.

(لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ)؛ لأن بيتهم كان بعيداً قليلاً، وبدل أن يذهب الإنسان وربما ضاع وقته جلس في المسجد، ذاكراً مصلياً، قارئاً للقرآن، سامعاً للخير فهذا خير عظيم.

(فَخَرَجَ عَلَيْنَا) إما خرج للصلاة وإما خرج للمسجد يتفقد أصحابه قبل أن تدخل الصلاة.

(قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ) الإخبار بالحال ليس فيه رياء ولا سمعة.

(قَالَ: أَحْسَنْتُمْ - أَوْ: أَصَبْتُمْ) تصويب المصيب، ومدح المحسن، ولذلك كان النبي ﷺ إذا سمع من يقرأ القرآن قال له: «أحسنت»، وحين صلوا الفجر قبل أن يأتي النبي ﷺ ثم تلافوا حين رأوا النبي ﷺ يتم الركعة الفاتية قال: «أحسنتم»، فهنا صوبهم.

(فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ) لعله للتدبر والتعقل،

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]. ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [سورة الغاشية: ١٨].

هذا حديث عظيم بخصوصه وعمومه، (النُّجُومُ أَمْنَةٌ لِلْسَّمَاءِ) دليل على بقائها وثباتها واستمرارها.

(فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوْعَدُ) ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ① ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ ② [سورة الانفطار: ١-٢]، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ③ ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ④ [سورة التكوثر: ١-٢]، فهذه الأشياء إذا ذهبت قامت الساعة، وذهبت السماوات والأراضين، وكورت الشمس والقمر وألقيت في النار، ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ⑤ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ⑥ [سورة الرحمن: ٣٧-٣٩]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ ⑦ ﴿وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ ⑧ ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ ⑨ ﴿وَأُلْقَتْ مَا فِيهَا وَخُلَّتْ﴾ ⑩ ﴿وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ ⑪ [سورة الانشقاق: ١-٥]، هذا هو المراد بمعنى هذا الحديث.

(وَأَنَا أَمْنَةٌ لِأَصْحَابِي) النبي ﷺ أمانة لأصحابه، (فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ) فعلا، حصلت الردة، والحروب، قُتل فيها من قتل وأُصيب فيها من أُصيب، ثم قُتل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقاتل الخوارج علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقع القتال بين علي بن أبي طالب وبين معاوية رضي الله عن الجميع.

المهم حين ذهب النبي ﷺ حصل خلاف، وفتن، وتنافر قلوب، وأشياء كثيرة، كان وجود النبي ﷺ من أسباب تخلفها؛ لأنهم في عهد النبي ﷺ إذا اختلفوا ردوا الأمر إلى النبي ﷺ، وهكذا إذا نابهم شر تلقاه النبي ﷺ، كما قال لهم في شأن الدجال: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ»، يعني أنا أكفيكم شأنه.

فكان وجود النبي ﷺ أمانة عظيمة، لا أحد يستطيع أن يقول في الدين ما ليس منه، أمانة الأمر أمره والنهي نهيه؛ لأنه صادر عن وحي الله، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم: ٣-٤]، أمانة ما زال القرآن ينزل، والوحي ينزل من السماء؛ لإصلاح شأن العباد، ولذلك لما زار أبو بكر وعمر بركة قالت: أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء.

أمانة لا اختلاف في أفهام ولا اختلاف في تضاد، وإن اختلفوا في أفهامهم رجعوا إلى النبي ﷺ، وسلموا من اختلاف التضاد؛ لوجود النبي ﷺ بين أظهرهم.

أمانة يصلون بصلاته، ويصومون بصيامه، ويحجون بحجه، ويقودهم في المعارك المهم كان أمانة لأصحابه، انظر إلى وجود الأب في البيت، حتى وإن كان ضعيفا في بدنه قليلا في ماله إلا أنه أمانة لأبنائه، يسلمون من الاختلاف، تقسيم الأموال، الشحناء والتباغض بينهم، وكم من أسرة تكون على حال حسن فإذا ذهب أبوها تفرقت وتمزقت، وربما تقاتلت، هذا إذا ذهب الأب، فكيف إذا ذهب النبي ﷺ؟

ولولا أن الله سلم وإلا والنبي ﷺ لم يدفن والصحابة في سقيفة بني ساعده والأنصار كثير منهم كانوا يريدون الخلافة لسعد بن عبادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم جاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، فكانت الخلافة بعد ذلك لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتخلف علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسبب شأن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في المطالبة في نصيبها من مال أبيها في فذك وخير، ونحو ذلك.

أشياء كثيرة لو كان النبي ﷺ بين أظهرهم ما حصلت ولا وقعت ولا هناك شيء، لكن لله الحكمة البالغة.

(وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي) مع ذلك ما زال أصحابه أمانة للأمة، تظهر البدعة يقومون عليها، ظهرت بدعة القدر قام عليها عبد الله بن عمر حيث قال: إذا لقيتهم فأخبرهم أني منهم بريء وأنهم مني برآء.

وبدعة الخوارج قام عليهم علي بن أبي طالب.

وبدعة الغلو والرافضة حرقهم علي بن أبي طالب، وبدعة الكلام حين بدأ صبيغ بن عسل ومن إليه يتكلمون ضربه عمر بالدرة في رأسه حتى توبه.

وكان الناس إذا اختلفوا في شيء جاءوا إلى الصحابة: هل فعله النبي ﷺ؟ فإن قالوا: نعم أمضوه، وإن قالوا: لا ردوه، كما هو الشأن في عبد الله بن مسعود وقصته مع أبي موسى الأشعري قصة أصحاب بني حنيفة: أيها الناس، هذه آنية النبي ﷺ لم تكسر، وثيابه لم تبلى، وقد أحدثتم والله، عدوا سيئاتكم، فإني ضامن لكم أن لا يذهب الله من حسناتكم شيئاً، فهكذا كان الصحابة أمانة.

وإلى الآن سنة النبي ﷺ أمانة للأمة، إن كان النبي ﷺ قد ذهب وصحابته قد ذهبوا فإن سنته باقية ما بقي الليل والنهار، حتى يقبض الله عزَّوَجَلَّ أرواح المؤمنين، «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»، ما زالت سنته بين الأمم.

فمن أراد السلامة لنفسه في عقيدته في ظاهرة في باطنه في معاملته في جميع شأنه فعليه أن يأخذ بأسباب الأمانة وهي الأخذ بالكتاب والسنة، فالاستدلال بعموم هذا الحديث على أن سنة النبي ﷺ أمانة لهذه الأمة المحمدية، أمانة من البدع والخرافات، وأمانة من الشراكيات، وأمانة لو أخذوا بها حتى من الفتن جميعها ما ظهر منها وما بطن، والله المستعان.

أمنه فيها الاطمئنان والراحة والسكينة، فيها العز والنصر والتمكين، فيها الخير العظيم، فالحمد لله الذي أبقى للأمة ما يجدد لها شأنها، ويحفظ لها دينها، وتقع لهم الطمأنينة والأمانة بها.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٢٠٨ - (٢٥٣٢) حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّبِيِّ وَاللَّفْظُ لِرُزْهَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ: سَمِعَ عَمْرُو جَابِرًا يُخْبِرُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: فَيَكُفُّمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ فَيَقَالُ لَهُمْ: فَيَكُفُّمْ مَنْ رَأَى مِنْ صَحْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلْ فَيَكُفُّمْ مَنْ رَأَى مِنْ صَحْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ»^(١).

٢٠٩ - (٢٥٣٢) حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: رَعِمَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٨٩٧).

﴿صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُبْعَثُ مِنْهُمْ الْبَعْثُ فَيَقُولُونَ: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ فِيكُمْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﴿صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾؟ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ، ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْثُ الثَّانِي فَيَقُولُونَ: هَلْ فِيهِمْ مَنْ رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﴿صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾؟ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ، ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْثُ الثَّالِثُ فَيَقَالُ: انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ مَنْ رَأَى مِنْ رَأَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﴿صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾؟ ثُمَّ يَكُونُ الْبَعْثُ الرَّابِعُ فَيَقَالُ: انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ أَحَدًا رَأَى مِنْ رَأَى أَحَدًا رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﴿صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾؟ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ».

٢١٠ - (٢٥٣٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَهَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقُرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ» ^(١).

لَمْ يَذْكُرْ هَنَادُ الْقُرْنَ فِي حَدِيثِهِ، وَقَالَ قُتَيْبَةُ: ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ.
٢١١ - (٢٥٣٣) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سِئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَبْدُرُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَتَبْدُرُ يَمِينُهُ شَهَادَتُهُ».

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: كَانُوا يَنْهَوْنَنَا وَنَحْنُ غُلَمَانٌ عَنِ الْعَهْدِ وَالشَّهَادَاتِ.
٢١١ - (٢٥٣٣) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ،

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، كِلَاهُمَا عَنْ مَنْصُورٍ بِإِسْنَادِ أَبِي الْأَخْوَصِ وَجَرِيرٍ بِمَعْنَى حَدِيثِهِمَا، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِمَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

٢١٢ - (٢٥٣٣) وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَزْهَرُ بْنُ سَعْدِ السَّمَّانِ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، فَلَا أَدْرِي فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: «ثُمَّ يَتَخَلَّفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ».

٢١٣ - (٢٥٣٤) حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ سَالِمٍ، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَشْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثَتْ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّلَاثَ أَمْ لَا، قَالَ: «ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُجِبُونَ السَّمَانَةَ، يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا».

٢١٣ - (٢٥٣٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، (ح) وَحَدَّثَنِي حَبَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي بَشْرٍ بِهِذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَلَا أَدْرِي مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً.

٢١٤ - (٢٥٣٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، جَمِيعًا عَنْ غُنْدَرٍ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، سَمِعْتُ أَبَا جَمْرَةَ، حَدَّثَنِي زُهْدَمُ بْنُ مُضَرَّبٍ، سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَفَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، «ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ

قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيُخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْدُرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ»^(١).

٢١٤ - (٢٥٣٥) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشْرِ الْعَبْدِيِّ، حَدَّثَنَا بِهِزُ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ كُلُّهُمْ عَنْ شُعْبَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَفِي حَدِيثِهِمْ قَالَ: لَا أَدْرِي أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً.

وَفِي حَدِيثِ شَبَابَةَ قَالَ: سَمِعْتُ زُهْدَمَ بْنَ مُضَرَّبٍ وَجَاءَنِي فِي حَاجَةٍ عَلَى فَرَسٍ، فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ سَمِعَ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ، وَفِي حَدِيثِ يَحْيَى وَشَبَابَةَ: «يَنْدُرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ»، وَفِي حَدِيثِ بِهِزٍ يُؤْفُونَ كَمَا قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ.

٢١٥ - (٢٥٣٥) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأُمَوِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، كِلَاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَرْنُ الَّذِيْنَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ»، زَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ قَالَ: وَاللَّهِ أَعْلَمُ أَذْكَرَ الثَّلَاثِ أَمْ لَا، بِمِثْلِ حَدِيثِ زُهْدَمَ عَنْ عِمْرَانَ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ هِشَامٍ عَنْ قَتَادَةَ: «وَيَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ».

٢١٦ - (٢٥٣٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَشُجَاعُ بْنُ مَخْلَدٍ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ وَهُوَ ابْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْبُهَيْ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الْقَرْنُ الَّذِيْ أَنَا فِيهِ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّلَاثُ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٦٥١).

هذا دليل على فضيلة القرون الثلاثة، حتى أن الناس يستبشرون بأصحاب النبي ﷺ، ثم يستبشرون بمن صحب أصحاب النبي ﷺ، ثم يستبشرون بمن صحب التابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والمراد بالفئام من الناس: الجماعة، يقع منهم الغزو، ويتمنى أحدهم لو رأى صاحب؛ لأنه أعلم وأفهم وأتقى، وهكذا من رأى التابع، وسيأتي مزيد بيان لهذه الثلاثة القرون.

في هذا الحديث فضيلة القرون الثلاثة، وهل المراد بالقرن من استمر مائة عام؟ الذي يظهر أن القرن على الجماعة في زمن واحد.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ قَرْنُهُ ﷺ، وَالْمُرَادُ أَصْحَابُهُ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الصَّحِيحَ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ وَلَوْ سَاعَةً فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَرِوَايَةٌ: (خَيْرُ النَّاسِ) عَلَى عُمُومِهَا، وَالْمُرَادُ مِنْهُ جُمْلَةُ الْقَرْنِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ تَفْضِيلُ الصَّحَابِيِّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا أَفْرَادِ النِّسَاءِ عَلَى مَرِيَمَ وَآسِيَةَ وَغَيْرِهِمَا، بَلِ الْمُرَادُ جُمْلَةُ الْقَرْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُلِّ قَرْنٍ بِجُمْلَتِهِ.

قَالَ الْقَاضِي: وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِالْقَرْنِ هُنَا، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: قَرْنُهُ أَصْحَابُهُ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ أَبْنَاؤُهُمْ، وَالثَّالِثُ أَبْنَاءُ أَبْنَائِهِمْ: وَقَالَ شَهْرٌ: قَرْنُهُ مَا بَقِيَتْ عَيْنٌ رَأَتْهُ، وَالثَّانِي: مَا بَقِيَتْ عَيْنٌ رَأَتْ مَنْ رَأَهُ، ثُمَّ كَذَلِكَ.

وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ: الْقَرْنُ كُلُّ طَبَقَةٍ مُقْتَرِنِينَ فِي وَقْتٍ، وَقِيلَ: هُوَ لِأَهْلِ مُدَّةٍ بُعِثَ فِيهَا نَبِيٌّ طَالَتْ مُدَّتُهُ أَمْ قَصُرَتْ.

وَذَكَرَ الْحَرْبِيُّ الْإِخْتِلَافَ فِي قَدْرِهِ بِالسِّنِينَ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ إِلَى مِائَةٍ وَعَشْرِينَ ثُمَّ قَالَ: وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ وَاضِحٌ، وَرَأَى أَنَّ الْقَرْنَ كُلُّ أُمَّةٍ هَلَكَتْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا أَحَدٌ.

وَقَالَ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ: الْقَرْنُ عَشْرُ سِنِينَ، وَقَتَادَةُ: سَبْعُونَ، وَالنَّخَعِيُّ: أَرْبَعُونَ، وَزُرَّارَةُ بْنُ أَبِي أَوْفَى: مِائَةٌ وَعِشْرُونَ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ: مِائَةٌ، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: هُوَ الْوَقْتُ.

هَذَا آخِرُ نَقْلِ الْقَاضِي، وَالصَّحِيحُ أَنَّ قَرْنَهُ ﷺ الصَّحَابَةُ، وَالثَّانِي: التَّابِعُونَ، وَالثَّلَاثُ: تَابِعُوهُمْ. اهـ

(ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ) أي يبادرون بالشهادة قبل أن يسألوها، وهذا دليل على ضعف الدين، ولا يعارض هذا الحديث ما جاء عن زيد بن خالد الجهني في مسلم: أن النبي ﷺ قال: «خير الشهداء الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسألها»، فحديث زيد بن خالد يحمل على الشهادة الذي إذا غُيِّت ضاع الحق، وحديث عمران وابن مسعود يحمل على توفر الشهود، أو أن الإنسان قد يكون معترفا بجرمه ولا يحتاج إلى شهود.

(وَيَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ) يعني يبادرون باليمين قبل أن يسألها القاضي، مع أن اليمين على نية المستحلف، لكن لضعف تعظيمهم لجانب الربوبية يبادرون باليمين؛ لإزالة التهمة عنهم.

(وَيُحْثَوْنَ) الأمانات (وَلَا يُؤْتَمَنُونَ) مع أن المتعين «أَدَّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»^(١)، والأمانة ترفع في آخر الزمان، كما في حديث حذيفة، وقد تقدم في كتاب الإيمان.

(وَيَنْذِرُونَ) إما نذر المقابل الذي نهى عنه النبي ﷺ: «لا تنذروا»، وإما النذر المطلق، (وَلَا يُؤْفُونَ) بالنذر، مع أن الله عَزَّوَجَلَّ امتدح المؤمنين بقوله: ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِ يَنْذِرُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ٧].

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٥٤٢٤)،

(وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ) يعني؛ لرغبتهم في الدنيا، ولزهدهم في الآخرة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ جُمُهورُ الْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ: الْمُرَادُ بِالسَّمَنِ هُنَا كَثْرَةُ اللَّحْمِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يَكْثُرُ ذَلِكَ فِيهِمْ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنْ يَتَمَحَّضُوا سِمَانًا. قَالُوا: وَالْمَذْمُومُ مِنْهُ مَنْ يَسْتَكْسِبُهُ، وَأَمَّا مَنْ هُوَ فِيهِ خِلَقَةٌ فَلَا يَدْخُلُ فِي هَذَا، وَالْمُتَكَسِّبُ لَهُ هُوَ الْمُتَوَسِّعُ فِي الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ زَائِدًا عَلَى الْمُعْتَادِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالسَّمَنِ هُنَا أَنَّهُمْ يَتَكَثَّرُونَ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ، وَيَدَّعَوْنَ مَا لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الشَّرَفِ وَغَيْرِهِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ: جَمْعُهُمُ الْأَمْوَالُ. اهـ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ الْيَوْمَ»

هذا من دلائل نبوته.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢١٧ - (٢٥٣٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ صَلَاةَ الْعِشَاءِ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ».

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَهَلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ، فِيمَا يَتَحَدَّثُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ، وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ»، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْخَرِمَ ذَلِكَ الْقَرْنُ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١١٦).

٢١٧ - (٢٥٣٧) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، وَرَوَاهُ اللَّيْثُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ مُسَافِرٍ، كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِإِسْنَادٍ مَعْمَرٍ كَمِثْلِ حَدِيثِهِ.

(أَرَأَيْتَكُمْ) أي أخبروني.

وكان آخر الصحابة موتاً عامراً أبو الطفيل، عامر بن واثلة، مات على رأس المائة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِيهِ احْتِرَازٌ مِنَ الْمَلَأِئِكَةِ.

وَقَدْ احْتَجَّ بِهِذِهِ الْأَحَادِيثُ مَنْ شَذَّ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ، فَقَالَ: الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَيِّتٌ، وَالْجُمُهُورُ عَلَى حَيَاتِهِ كَمَا سَبَقَ فِي بَابِ فَضَائِلِهِ. اهـ

هذا قول النووي، والصحيح أنه ميت، فالحديث دليل على موته، ولا دليل على حياته، وإنما هو قول يتابع عليه الصوفية، ومن يعتمد على الأحاديث الواهية والقصص الخرافية.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢١٨ - (٢٥٣٨) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ قَالَا: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: «تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ».

٢١٨ - (٢٥٣٨) حَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، بِهِذَا الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَذْكُرْ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ.

٢١٨ - (٢٥٣٨) حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، كِلَاهُمَا عَنِ الْمُعْتَمِرِ، قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو نَضْرَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ الْيَوْمَ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمَئِذٍ».

٢١٨ - (٢٥٣٨) وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبِ السَّقَايَةِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَفَسَّرَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ: نَقْصُ الْعُمُرِ.

٢١٨ - (٢٥٣٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ، بِالْإِسْنَادَيْنِ جَمِيعًا مِثْلَهُ.

(تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ) قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [سورة الأحزاب: ٦٣]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْعَُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨٧) فِيمَا أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿١٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُتَتِّهَةً ﴿٤٤﴾ [سورة الأعراف: ١٨٧-٤٤].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢١٩ - (٢٥٣٩) حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ، عَنْ دَاوُدَ وَاللَّفْظُ لَهُ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَيَّانَ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ تَبُوكَ سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ الْيَوْمَ».

٢٢٠ - (٢٥٣٨) حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ تَبْلُغُ مِائَةَ سَنَةٍ»، فَقَالَ سَالِمٌ: تَذَاكُرْنَا ذَلِكَ عِنْدَهُ، إِنَّمَا هِيَ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ يَوْمَئِذٍ.

المثل عند العامة، وعليه الأدلة، من مات قامت قيامته بدأ في شأن اليوم الآخر من الاختبار في القبر، والضممة، والنعيم أو العذاب.

(مَا مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ تَبْلُغُ مِائَةَ سَنَةٍ) أي ممن هم في عصره، وإلا الآن منهم من يبلغ فوق المائة سنة، لكن في ذلك العصر، أي: لا يصل منهم أحد إلى أكثر من مائة سنة،

مع أن بعضهم عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام، فيكون عمره مائة وعشرون سنة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وهذا من مسائل العقيدة، فسب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فسوق ونفاق وإجرام، أما من سبهم متنقضا لدينهم طاعنا في إيمانهم وإسلامهم فهذا كافر كفر أكبر مخرج من الملة؛ لتكذيبه ما قد علم وتواتر من فضيلتهم وعلو منزلتهم.

وهذا أحد أوجه تكفير الرافضة والباطنية.

وأما من سبهم متنقضا لهم في بعض الأمور فهذا فاسق، يُضرب ويؤدب، كما قال غير واحد من أهل العلم، كمن وصفهم بالبخل، أو الجبن، أو نحو ذلك، أما من طعن بإسلامهم وفي صحبتهم هذا قد مرق.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٢١ - (٢٥٤٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

٢٢٢ - (٢٥٤١) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ

شَيْءٌ فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(١).

٢٢٢ - (٢٥٤١) حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، جَمِيعًا عَنْ شُعْبَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِإِسْنَادِ جَرِيرٍ وَأَبِي مُعَاوِيَةَ بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ وَوَكِيعٍ ذِكْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ.

المد: هو جمع الكف، والنصيف: ملء يد واحدة.

ومع أن كلاهما صاحب، إلا أن عبد الرحمن بن عوف أقدم في الصحبة، فكان إيمانه قبل الفتح، وخالد إيمانه بعد الفتح أي الحديبية، ومع ذلك نهى النبي ﷺ خالدًا عن سب عبد الرحمن بن عوف، فكيف بغيره؟ وأخبر النبي ﷺ خالدًا ومن في بابه: (لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) فكيف بغيره؟

وهذا دليل على علو منزلة الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وعلو شأنهم ومنزلتهم.

والحمد لله هذا أمر محل إجماع بين المسلمين، ولا يخالف إلا من ذكرته من المنافقين من الرافضة والباطنية ومن إليهم.

انتهى مما أراد تسطيره من فضائل الصحابة، ويذكر بعض من يلتحق بهذا الباب.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَعْلَمُ أَنَّ سَبَّ الصَّحَابَةِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** حَرَامٌ مِنْ فَوَاحِشِ الْمُحَرَّمَاتِ، سَوَاءٌ مَنْ لَا بَسَّ الْفِتَنِ مِنْهُمْ وَغَيْرُهُ؛ لِأَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ، مُتَأَوِّلُونَ كَمَا أَوْضَحْنَاهُ فِي أَوَّلِ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ مِنْ هَذَا الشَّرْحِ. اهـ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٧٣).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مِنْ فَصَائِلِ أُوَيْسِ الْقُرْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

من مراد، ومراد من اليمين.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٢٣ - (٢٥٤٢) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ: أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَقَدُوا إِلَى عُمَرَ وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْحَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقُرْنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، لَا يَدْعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمَّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوْ الدَّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

٢٢٤ - (٢٥٤٢) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَا: حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ سَلَمَةَ، عَنْ سَعِيدِ الْجُرَيْرِيِّ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمَرُّوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

٢٢٥ - (٢٥٤٢) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثَمَّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأَتْ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ ثَمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فافعل»، فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفِرْ لَهُ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةُ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبَرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَ النَّبْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ ثَمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فافعل».

فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفِرْ لَهُ، فَفُطِنَ لَهُ النَّاسُ فَأَنْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ، قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً فَكَانَ كُلَّمَا رَأَاهُ إِنْسَانٌ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لِأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ؟

(أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ) لَأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَأْتُونَ جَمَاعَاتٍ وَوُفُودَ.

(فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفِرْ لَهُ) مَعَ أَنَّ عُمَرَ أَفْضَلُ، وَفِيهِ طَلَبُ الدَّعَاءِ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ.

(أَكُونُ فِي غَبَرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ) فِيهِ الْوَرَعُ وَالزَّهْدُ، وَهَذَا الَّذِي رُفِعَ بِهِ أُوَيْسٌ.

(لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّهُ) هَذَا عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي تَقْدُمُ «إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ

عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّهُ»، أَيَّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَحْقُقُ لَهُ الْمِرَادَ وَالْمَطْلَبَ.

(فَأَنْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ) يَعْنِي اخْتَفَى مِنَ النَّاسِ.

(مِنْ أَيْنَ لِأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ؟) يَحْتَقِرُونَ وَيَسْخَرُونَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالصَّلَاحِ.

قال رحمه الله:

بَابُ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَهْلِ مِصْرَ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٢٢٦ - (٢٥٤٣) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي حَرْمَلَةُ، (ح) وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ وَهُوَ ابْنُ عِمْرَانَ التَّجِيبِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمُهَرِّيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذَكَّرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ دِمَّةً وَرَحِمًا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ فِي مَوْضِعٍ لَبَنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا».

قَالَ: فَمَرَّ بِرَبِيعَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ شُرْحَبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ يَتَنَازَعَانِ فِي مَوْضِعٍ لَبَنَةٍ فَخَرَجَ مِنْهَا.

٢٢٧ - (٢٥٤٣) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي سَمِعْتُ حَرْمَلَةَ الْمِصْرِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، عَنْ أَبِي بَصْرَةَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ دِمَّةً وَرَحِمًا» أَوْ قَالَ: «دِمَّةً وَصَهْرًا، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعٍ لَبَنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا».

قَالَ: فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شُرْحَبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعٍ لَبَنَةٍ فَخَرَجْتُ مِنْهَا.

(إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذَكَّرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ) وهذا إشارة ودليل من دلائل نبوة النبي

ﷺ إلى فتح بلاد مصر.

الْقِيرَاطُ: جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الدِّينَارِ وَالْدَّرْهَمِ وَغَيْرِهِمَا، وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ يُكْثِرُونَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ وَالتَّكَلُّمِ بِهِ.

(فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا) أي أحسنوا إليهم، واقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئتهم.

(فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا) وَأَمَّا الذِّمَّةُ فَهِيَ الْحُرْمَةُ وَالْحَقُّ، وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى الدِّمَامِ وَأَمَّا الرَّحِمُ فَلِكَوْنِ هَاجِرٍ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ، وَأَمَّا الصَّهْرُ فَلِكَوْنِ مَارِيَةَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ مِنْهُمْ. اهـ
قاله النووي

(فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ فِي مَوْضِعٍ لَبَنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا) من دلائل نبوته، معناه: إذا اقتتلوا على موضع اللبنه دخلت الدنيا، وإذا دخلت الدنيا أفسدت، ووقع بسببها التهاجر والتقاطع والتدابير، فلا خير في المكوث في بلده قد تعلق أصحابها بالدنيا، فإنهم يفتنونك معهم، والمجالس يتأثر بجليسه.

(فَمَرَّ بِرَبِيعَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِي شَرْحِبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ يَتَنَازَعَانِ فِي مَوْضِعٍ لَبَنَةٍ فَخَرَجَ مِنْهَا) الأخذ بوصية النبي ﷺ؛ لما فيها من الخير والفضل وعلو المنزلة.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَضْلِ أَهْلِ عُمَانَ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٢٨ - (٢٥٤٤) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ، عَنْ أَبِي الْوَازِعِ جَابِرِ بْنِ عَمْرٍو الرَّاسِبِيِّ، سَمِعْتُ أَبَا بَرْزَةَ يَقُولُ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا إِلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَسَبَّوهُ وَضَرَبُوهُ، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ عُمَانَ أَتَيْتَ مَا سَبُّوكَ وَلَا ضَرَبُوكَ».

(بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا إِلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ) بعثه للدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فتنكروا له.

وكما دخلت كثير من العقائد الفاسدة على أهل الشام أفسدتهم، النصيرية، الدروز، وغير ذلك.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٢٢٩ - (٢٥٤٥) حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعُمِّيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ إِسْحَاقَ الْحَضَرَمِيِّ، أَخْبَرَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ شَيْبَانَ، عَنْ أَبِي نَوْفَلٍ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَجَعَلْتُ قُرَيْشٌ تَمْرُ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ، حَتَّى مَرَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا، إِن كُنْتَ مَا عَلِمْتُ صَوًّا قَوًّا وَصُوًّا لِلرَّحِمِ، أَمَا وَاللَّهُ لَأُمَّةٌ أَنْتَ أَشْرَهَا لِأُمَّةٍ خَيْرٍ. ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مُوقِفُ عَبْدِ اللَّهِ وَقَوْلُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَنْزَلَ عَنْ جِدْعِهِ فَأُلْفِيَ فِي قُبُورِ الْيَهُودِ.

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ: لَتَأْتِيَنِي أَوْ لَا بَعَثَنَّ إِلَيْكَ مَنْ يَسْحَبُكَ بِقُرُونِكَ، قَالَ: فَأَبْتُ، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي، قَالَ: فَقَالَ: ارْؤُنِي سِبْتِي، فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَدَّفُ

حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، بَلَّغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النَّطَاقَيْنِ، أَنَا وَاللَّهُ ذَاتُ النَّطَاقَيْنِ: أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَطِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ، أَمَّا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالِكَ إِلَّا إِلَيْهِ، قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا.

(رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ) يعني مكة، عقبة قد رفعه الحجاج ونصبه وصلبه بعد قتله.

(فَجَعَلْتُ قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ) ولا يستطيعون فعل شيء.

(أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنُهَاكَ عَنْ هَذَا) يعني عن القتال ونحو ذلك.

(أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ مَا عَلِمْتُ صَوَامًا قَوَّامًا وَصُومًا لِلرَّحِمِ) يعني مثلك.

قالوا: هذا الموقف من ابن عمر هو الذي سبب له القتل؛ لأن ابن عمر طعن ومات مسموماً، يذكر أصحاب السير والتاريخ: أن الحجاج أرسل إليه من يتخلص منه لما رأى منه هذا الموقف، وخشي إذا رجع إلى الشام والناس قد أجمعوا على ابن عمر قبل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لو كان يريد الخلافة أن يقع استشراف أو إلحاح من الناس عليه، فيقع ما لا يحمد، فتخلص منه.

(أَمَّا وَاللَّهِ لَأُمَّةٌ أَنْتَ أَشْرُّهَا لَأُمَّةٌ خَيْرٌ) أي والله، هذا رد على الحجاج، إذا كان عبد الله

بن الزبير أشر الأمة هذه أمة خير، صوام، قوام، وصال للرحم، بل يذكرون أنه طاف بالبيت سباحة، وكان يواصل أربعة عشر يوماً، وكان كثير القراءة للقرآن.

(فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَنْزَلَ عَنْ جِدْعِهِ) يعني أنزله من الصلب.

(فَأُلْقِيَ فِي قُبُورِ الْيَهُودِ) احتقار من الحجاج لابن الزبير، كان شديد الطيش.

(ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ) يريد أن يتكلم عليها، وأن يعاتبها، وكان الواجب عليه أن يأتيها ويصبرها ويعتذر منها لو كان من المنصفين.

(فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ: لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لَا بَعَثَنَ إِلَيْكَ مَنْ يَسْحَبُكَ بِقُرُونِكَ) تهديد ووعيد، نسأل الله السلامة والعافية.

(وَاللَّهُ لَا آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي) يعني إن كنت صادقاً.

(أُرُونِي سِبْطِي) أي: حذائي، (ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذُّعٌ): يمشي.

(كَيْفَ رَأَيْتَنِي صَنَعْتُ بَعْدُ اللَّهُ؟) تهكم.

(رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ) رد مفحم كما يقال، أنت قتلتها وتخلص منه، مات، وذهبت آخرتك إن أوقفك الله بين يديه، ما يكون عذرك؟

(بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النَّطَاقَيْنِ، أَنَا وَاللَّهُ ذَاتُ النَّطَاقَيْنِ) وهذه منقبة وممدحة لها، ما تذم، فالنبي ﷺ في حال هجرة، في حال تخوف، وهي تشق نطقها لتطعمه فيه، ولتحمل متاعه فيه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: النَّطَاقُ أَنْ تَلْبَسَ الْمَرْأَةُ ثَوْبَهَا، ثُمَّ تَشُدَّ وَسَطَهَا بِشَيْءٍ، وَتَرْفَعَ وَسَطَ ثَوْبِهَا وَتُرْسِلَهُ عَلَى الْأَسْفَلِ، تَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَ مُعَانَاةِ الْأَشْغَالِ لِئَلَّا تَعَثَرَ فِي ذِيلِهَا.

قِيلَ: سُمِّيَتْ أَسْمَاءُ ذَاتِ النَّطَاقَيْنِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُطَارِفُ نَاطِقًا فَوْقَ نَاطِقٍ، وَالْأَصَحُّ أَنَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا شَقَّتْ نَاطِقَهَا الْوَاحِدَ نِصْفَيْنِ، فَجَعَلَتْ أَحَدَهُمَا نَاطِقًا صَغِيرًا، وَاکْتَفَتْ بِهِ، وَالْآخَرُ لِسْفَرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا صَرَّحَتْ بِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ هُنَا. اهـ

(فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ) وهو المختار بن أبي عبيد.

(وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالَكَ إِلَّا إِيَّاهُ) الهالك.

(فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا) ما عساه أن يقول بعد أن خصمته بالحجة، ويذكرون أن كعب الأبحار كان يقول لعبد الله بن الزبير: يقتلك الثقيفي، فيقول له عبد الله: قد قتلناه، يريد المختار، وما دري أن الثقيفي الذي يقتله هو الحجاج. قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ فَضْلِ فَارِسَ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٢٣٠ - (٢٥٤٦) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ جَعْفَرِ الْجَزَرِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثَّرِيَّا لَذَهَبَ بِهِ رَجُلٌ مِّنْ فَارِسَ» أَوْ قَالَ: «مِّنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ، حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ»^(١).

٢٣١ - (٢٥٤٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ أَبِي الْعَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا قَرَأَ ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [سورة الجمعة: ٣] قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثَّرِيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِّنْ هَؤُلَاءِ».

وفعلا أن أهل فارس قد أخذوا بالإسلام، وخرج منهم الأئمة الأعلام، ومنهم صُنِفَت الكتب والأمهات والجوامع، والمطولات، والتفاسير، والمختصرات، وهذا قبل أن يتسلط عليهم الصفويون، ويردون الكثير منهم إلى الزندقة، فشان فارس كان

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٨٩٧).

شأن حسن، إلا أنها بقيت رواسب عند بعضهم من المجوسية، ثم دخلوا في التشيع، ثم تسلط عليهم الرفض مؤخرا.

فهذا الحديث فيه فضيلة لمن كان على الاستقامة من أهل فارس، كما أن فضائل أهل اليمن لمن كان مستقيما من أهل اليمن، لا يدخل فيه القبوري والرافضي والباطني، والعلماني، والديمقراطي، والحدائي، ومن إليهم.

(الثريا) مجموعة من النجوم في السماء.

قال الحافظ في "فتح الباري" (٨ / ٦٤٣): قوله من أبناء فارس قيل إنهم من ولد هدرام بن أرفخشذ بن سام بن نوح وأنه ولد بضعة عشر رجلا كلهم كان فارسا شجاعا فسموا الفرس للفروسية وقيل في نسبهم أقوال أخرى وقال صاعد في الطبقات كان أولهم على دين نوح ثم دخلوا في دين الصابئة في زمن طمهورث فداموا على ذلك أكثر من ألفي سنة ثم تمجسوا على يد زرادشت وقد أطنب أبو نعيم في أول تاريخ أصبهان في تخريج طرق هذا الحديث أعني حديث لو كان الدين عند الثريا ووقع في بعض طرقه عند أحمد بلفظ لو كان العلم عند الثريا وفي بعض طرقه عند أبي نعيم عن أبي هريرة أن ذلك كان عند نزول قوله تعالى وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ويحتمل أن يكون ذلك صدر عند نزول كل من الآيتين وقد أخرج مسلم الحديث مجردا عن السبب من رواية يزيد بن الأصم عن أبي هريرة رفعه لو كان الدين عند الثريا لذهب رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه وأخرجه أبو نعيم من طريق سليمان التيمي حدثني شيخ من أهل الشام عن أبي هريرة نحوه وزاد في آخره برقة قلوبهم وأخرجه أيضا من وجه آخر عن التيمي عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي بالزيادة ومن طريق أخرى من هذا الوجه فزاد فيه يتبعون سنتي ويكثرون الصلاة علي قال القرطبي وقع ما قاله رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا عيانا فإنه وجد منهم من اشتهر ذكره من حفاظ الآثار والعناية بها ما لم يشاركهم فيه كثير من أحد غيرهم واختلف أهل النسب في أصل فارس فقليل إنهم ينتهي نسبهم إلى جيومرت وهو

آدم وقيل إنه من ولد يافث بن نوح وقيل من ذرية لاوي بن سام بن نوح وقيل هو فارس بن ياسور بن سام وقيل هو من ولد هدرام بن أرفخشذ بن سام وقيل إنهم من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم والأول أشهر الأقوال عندهم والذي يليه أرجحها عند غيرهم. اهـ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: «النَّاسُ كَالْبِلِّ مِائَةٍ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً»

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٣٢ - (٢٥٤٧) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَاللَّفْظُ لِمُحَمَّدٍ، قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ كَالْبِلِّ مِائَةٍ لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ النَّاسَ مُتَسَاوُونَ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ فِي النَّسَبِ، بَلْ هُمْ أَشْبَاهُ كَالْبِلِّ الْمِائَةِ. وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الرَّاحِلَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ الْجَمْلُ النَّجِيبُ وَالنَّاقَةُ النَّجِيبَةُ.

قَالَ: وَالْهَاءُ فِيهَا لِلْمُبَالَغَةِ كَمَا يُقَالُ: رَجُلٌ فَهَامَةٌ وَنَسَابَةٌ، قَالَ: وَالْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ غَلَطٌ، بَلْ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الزَّاهِدَ فِي الدُّنْيَا الْكَامِلَ فِي الزُّهْدِ فِيهَا وَالرَّغْبَةَ فِي الْآخِرَةِ قَلِيلٌ جَدًّا كَقِلَّةِ الرَّاحِلَةِ فِي الْإِبِلِ.

هَذَا كَلَامُ الْأَزْهَرِيِّ، وَهُوَ أَجْوَدُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ قُتَيْبَةَ، وَأَجْوَدُ مِنْهُمَا قَوْلُ آخَرِينَ أَنَّ مَعْنَاهُ الْمَرَضِيُّ الْأَحْوَالُ مِنَ النَّاسِ الْكَامِلِ الْأَوْصَافُ، الْحَسَنُ الْمَنْظَرُ، الْقَوِيُّ عَلَى الْأَحْمَالِ وَالْأَسْفَارِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٩٨)

سُمِّيَتْ رَاحِلَةً؛ لِأَنَّهَا تَرَحَّلُ، أَيُّ: يُجْعَلُ عَلَيْهَا الرَّحْلُ، فَهِيَ فَاعِلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٌ كَعِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، أَيُّ: مَرْضِيَّةٍ، وَنَظَائِرُهُ. اهـ

وهذا دليل على أن أكثر الناس ليسوا على الطريقة المثلى، وإنما على الطريقة الدنيا، نسأل الله السلامة والعافية، حتى قيل:

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلَ مَا أَقَلَّهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقْلُ فَنَدَا
إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا

وحق الصحابة أكثر مما ذكره الإمام مسلم، وقد كُتِبَ فيهم المطولات والمختصرات كما أشرنا في مقدمة هذا الكتاب، والحمد لله قد يسر الله لي بجمع طيب في فضائلهم، وضمته عدة كتب، منها (شرح الحائية) لابن أبي داود، و(سلامة الخلف في طريقة السلف)، وهكذا (شرح الواسطية)، وغير ذلك من الشروح، مثل (شرح الطحاوية)، وكلما سنحت الفرصة إلى ذكر فضائلهم ذكرناها، وأشدنا بهم؛ لما لهم من عظيم المنزلة، وعلو الفضل، ومما يسره الله كتاب "اعرف سلفك" ترجمت فيه لكثير منهم.

وبهذا نكون في السابع والعشرين من الشهر السادس لعام خمسة وأربعين وأربعمائة وألف قد انتهينا من كتاب فضائل الصحابة من صحيح الإمام مسلم، والله الحمد والمنة وبه التوفيق العصمة.

وسبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

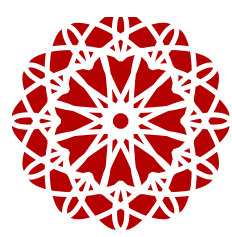


الفهرس

الإتهاج

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



الفهرس

كِتَابُ الْأَلْفَاظِ مِنَ الْأَدَبِ وَغَيْرِهَا ٥

٧..... كِتَابُ الْأَلْفَاظِ مِنَ الْأَدَبِ وَغَيْرِهَا

٨..... بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ

١٠..... بَابُ كَرَاهَةِ تَسْمِيَةِ الْعِنَبِ كَرَمًا

١٣..... بَابُ حُكْمِ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ الْعَبْدِ وَالْأَمَةِ وَالْمَوْلَى وَالسَّيِّدِ

١٧..... بَابُ كَرَاهَةِ قَوْلِ الْإِنْسَانِ: حَبِثْتُ نَفْسِي

١٨..... بَابُ اسْتِعْمَالِ الْمِسْكِ وَأَنَّهُ أَطْيَبُ الطَّيِّبِ، وَكَرَاهَةِ رَدِّ الرِّيحَانِ وَالطَّيِّبِ

كِتَابُ الشَّعْرِ ٢٥

٢٧..... كِتَابُ الشَّعْرِ

٣٦..... بَابُ تَحْرِيمِ اللَّعِبِ بِالنَّزْدِشِيرِ

كِتَابُ الرُّؤْيَا ٣٩

٤١..... كِتَابُ الرُّؤْيَا

٥٥..... بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى»

٥٨..... بَابُ: لَا يُخْبِرُ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي الْمَنَامِ

٥٩..... بَابُ: فِي تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا

٦٣..... بَابُ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ

كِتَابُ الْفَضَائِلِ ٧٣

- كِتَابُ الْفَضَائِلِ ٧٥
- بَابُ فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ٨٥
- بَابُ تَفْضِيلِ نَبِينَا ﷺ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ ٨٨
- بَابُ فِي مُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ ٩٠
- بَابُ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعِصْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ مِنَ النَّاسِ ٩٨
- بَابُ بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ١٠٠
- بَابُ شَفَقَتِهِ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ ١٠٦
- بَابُ ذِكْرِ كَوْنِهِ ﷺ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ١١١
- بَابُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً أُمَّةٍ قَبَضَ بَيْتَهَا قَبْلَهَا ١١٣
- بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِينَا ﷺ وَصِفَاتِهِ ١١٥
- بَابُ: فِي قِتَالِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ١٣٣
- بَابُ: فِي شَجَاعَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَقَدُّمِهِ لِلْحَرْبِ ١٣٤
- بَابُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ ١٣٧
- بَابُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا ١٣٩
- بَابُ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا، وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ ١٤١
- بَابُ رَحْمَتِهِ ﷺ الصَّبِيَّانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ ١٤٩
- بَابُ كَثْرَةِ حَيَاتِهِ ﷺ ١٥٧
- بَابُ تَبَسُّمِهِ ﷺ وَحُسْنِ عَشْرَتِهِ ١٦١

- بَابُ فِي رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلنِّسَاءِ وَأَمْرِ السَّوَاقِ مَطَايَاهُنَّ بِالرَّفْقِ بِهِنَّ ١٦٢
- بَابُ قُرْبِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّاسِ وَتَبَرُّكِهِمْ بِهِ ١٦٤
- بَابُ مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْأَثَامِ، وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ، وَانْتِقَامِهِ لِلَّهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرْمَاتِهِ ١٦٦
- بَابُ طِيبِ رَائِحَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَيْنِ مَسِّهِ وَالتَّبَرُّكِ بِمَسِّحِهِ ١٧١
- بَابُ طِيبِ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ ١٧٣
- بَابُ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَرْدِ وَحِينَ يَأْتِيهِ الْوُحْيُ ١٧٥
- بَابُ فِي سَدْلِ النَّبِيِّ ﷺ شَعْرُهُ وَفَرْقُهُ ١٧٩
- بَابُ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا ١٨٣
- بَابُ صِفَةِ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ ١٨٦
- بَابُ فِي صِفَةِ فَمِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَيْنَيْهِ وَعَقَبَيْهِ ١٨٧
- بَابُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ ١٨٨
- بَابُ شَيْبِهِ ﷺ ١٨٩
- بَابُ إِثْبَاتِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ وَصِفَتِهِ وَمَحَلِّهِ مِنْ جَسَدِهِ ﷺ ١٩٥
- بَابُ: فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَبْعَثِهِ وَسِنِّهِ ٢٠٠
- بَابُ كَمْ سَنَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ قُبُصٍ ٢٠١
- بَابُ كَمْ أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ٢٠٢
- بَابُ: فِي أَسْمَائِهِ ﷺ ٢٠٥

- بَابُ عَلَيْهِ ﷺ بِاللَّهِ تَعَالَى وَشِدَّةِ خَشْيَتِهِ ٢٠٨
- بَابُ وَجُوبِ اتِّبَاعِهِ ﷺ ٢١٠
- بَابُ تَوْقِيرِهِ ﷺ وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ وَنَحْوِ ذَلِكَ ٢١٧
- بَابُ وَجُوبِ امْتِنَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا دُونَ مَا ذَكَرَهُ ﷺ مِنْ مَعَاشِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ ٢٣١
- بَابُ فَضْلِ النَّظَرِ إِلَيْهِ ﷺ وَتَمَنِّيهِ ٢٣٤
- بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٣٦
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ﷺ ٢٤٦
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى ﷺ ٢٥٤
- بَابُ: فِي ذِكْرِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» ٢٦٥
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٦٦
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٦٨
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٦٨
- كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ٢٨٥**
- كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ٢٨٧
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٩٤
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ٣١٠

- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٣٣٤
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٣٤٢
- بَابُ فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٣٥٩
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ٣٦٩
- بَابُ فَضَائِلِ أَبِي عُيَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ٣٧٥
- بَابُ فَضَائِلِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٣٧٧
- بَابُ فَضَائِلِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ ٣٨٣
- بَابُ فَضَائِلِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٣٨٥
- بَابُ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٣٨٩
- بَابُ فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا ٣٩٢
- بَابُ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا ٤٠٠
- بَابُ ذِكْرِ حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ ٤١٦
- بَابُ فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ٤٢٣
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٤٢٩
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ زَيْنَبَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٤٣١
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ أَيَمَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٤٣٢
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ سُلَيْمٍ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَبِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٤٣٤
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ٤٣٦

- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ بِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٤٤٠
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأُمِّهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ٤٤٢
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ٤٥٠
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٤٥٣
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي دُجَانَةَ سِمَاكِ بْنِ خَرْشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ..... ٤٥٧
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ وَالِدِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ٤٥٨
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ جُلَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٤٦٠
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٤٦٢
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ..... ٤٧٦
- بَابُ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا..... ٤٨٠
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا..... ٤٨٢
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٤٨٨
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٤٩١
- بَابُ فَضَائِلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٤٩٦
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٥٠٤
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ ﷺ، وَقِصَّةُ حَاطِبٍ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ..... ٥١٠
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَهْلِ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ ﷺ..... ٥١٤

- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي مُوسَى وَأَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيِّينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٥١٥
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ الْأَشْعَرِيِّينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ٥٢١
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٢٣
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ وَأَهْلِ سَفِيَّتِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ٥٢٦
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ٥٣٠
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ٥٣١
- بَابُ: فِي خَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ ﷺ ٥٣٥
- بَابُ: فِي حُسْنِ صُحْبَةِ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ٥٤٠
- بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لِغِفَارٍ وَأَسْلَمَ ٥٤١
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ غِفَارٍ وَأَسْلَمَ وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ وَمَرْيَنَةَ وَتَمِيمٍ وَدَوْسٍ وَطَيْئٍ ٥٤٥
- بَابُ خِيَارِ النَّاسِ ٥٥٠
- بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ نِسَاءِ فُرَيْشٍ ٥٥١
- بَابُ مُوَاخَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ٥٥٣
- بَابُ بَيَانِ أَنَّ بَقَاءَ النَّبِيِّ ﷺ أَمَانٌ لِأَصْحَابِهِ، وَبَقَاءُ أَصْحَابِهِ أَمَانٌ لِلْأُمَّةِ ٥٥٥
- بَابُ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ٥٥٩
- بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنُفُوسَةٌ الْيَوْمَ» ٥٦٥
- بَابُ تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ٥٦٨

٥٧٠ بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أُوَيْسِ الْقَرْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥٧٢ بَابُ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَهْلِ مِصْرَ.

٥٧٣ بَابُ فَضْلِ أَهْلِ عُمَانَ.

٥٧٤ بَابُ ذِكْرِ كَذَابِ ثَقِيفٍ وَمُيَرِّهَا.

٥٧٧ بَابُ فَضْلِ فَارِسَ.

٥٧٩ بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: «النَّاسُ كَايِلٌ مِائَةٍ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً».

٥٨١ الفهرس

٥٨٣ الفهرس

